الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القـــادر
للعلوم الاسلامية. قسنطينة

كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم التاريخ

الرقـم الترتيـــبي : . . . . . /2001

رقم تسجيل الطالب : . . . . . .

الشيخ طاهر الجزائري ودوره الاصلاحي في المشرق العربي

(بلاد الشام نموذجا)

1268-1338هـ/1852 - 1920م

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

شعبة: التاريخ

إعداد الطالب : عبد العزيز لعميد

أعضاء لجنة المناقشة:	الإسم واللقب	الرتبـــة	الجامعـــة الأصليـــة
1. الرئيس :	أحمـــد صـــاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر.قسنطينة
2. المقـــرر :	عبد اللطيف صوفي	أستاذ التعليم العالي	جامعـــة منتـــوري. قسنطينـــة
3. العضو :	أحميده عمـــيراوي	أستـــاذ محـــاضر	جامعة الأمير عبد القادر.قسنطينة
4. العضو :	يحـــي بوعزيـــز	أستاذ مكلف بالدروس	جـــامعـــــة وهـــــران

نوقشت يوم : الأحد 24 رمضان 1422هـ الموافق لـ 9 ديسمبر 2001 م

الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحي في المشـــرق العربي

(بلاد الشام نموذجا)

1268–1338هـ/1852–1920 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(١)اللَّهُ الصَّمَدُ(٢)لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣)
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ(٤)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـداء

إلى الذين ضحوا من أجل الجزائر، و إلى الذين مازالوا على العهد باقون.

وإلى روح والدي "عبد الرحمن" الطاهرة، وإلى أمي العزيزة "الزهراء" أطال الله في عمرها وإلى كل أخواتي واخوتي الذين علقوا علي آمالا كبيرة.

وإلى كل سكان بلدية تافوريانت "ولاية خنشلة"، البلدة الطيبة التي أنجزت فيها هذا البحث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شـــكـــــر

أتقدم بخالص الشكر إلى أستاذي الدكتور عبد اللطيف صوفي، الذي احتضن هـــذا البحث منذ بدايته حتى هذه اللحظة ،فله مني أبلغ التشكرات وجعله الله في خدمة المعرفـــة وطلاب العلم.

ولا أنسى أن أشكر أســـتاذتي الكريمـــة "نعيمة خيذري" ببوســـعادة والأســـتاذ المخلص"ابراهيم مكريش" بباتنة .

وأتقدم بالشكر الجزيل للواقفين على راحة الباحثين بمكتبات: جامعة الأمير عبـــد القادر، ومكتبة دار الثقافة "محمد العيد آل خليفة" بقسنطينة، ومكتبة المجلس الإســـلامي الأعلى والمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، كما أشكر جميع العاملين بمكتبة الأسد الوطنيـــة بدمشق، و لا أنسى أن أشكر جميع الطالبات و الطلبة الذين قدموا لي يد المساعدة.

و لا أنسى أبدا فضل الأستاذة إبتسام جبايلي على ما قدمته لي من دعم وتشـــجيع لإخراج هذا البحث بهذه الصورة.

إلى كل هؤلاء أرفع تشكراتي وتحياتي الخالصة.

المختصرات المستخدمة في البحث

1- العربية:

- الشركة الـــوطنية للنشر والتوزيع: ش.و.ن.ت.
- المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية : م.وف.م.
- المـــؤسســـة الوطنيـــة للـــكتاب : م.و.ك.
- ديـــوان المطبوعـــات الجامعيـــة : د.م.ج.
- الطبعة: ط.
- العـــدد: ع.
- المجلد : م.
- الجزء : ج.
- دون مكـــان : د-م.
- دون تاريـــخ: د-ت.

2- الأجنبيـــة :

Grand Dictionnaire, Encyclo pedique, larousse : G.D.E, larousse

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدمـــــة

تعتبر النهضة العربية الحديثة التي بدأت معالم خيوطها، تلوح في الأفق في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، أحد المعالم البارزة في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، لما لها من أثر ودور فعال في استنهاض الهمم وشحذ للإذهان، تحت لواء أهل العلم، من أبناء هذا الوطن العربي الإسلامي المترامي الأطراف. فبينما كان الزمان يمر، و الفتن تكثر وتشتد، ظهرت دعوات المصلحين، مدوية في سماء أمة التوحيد، تدك قلاع الجهل والظلم هنا وهناك، ومن أبرز هؤلاء الدعاة المصلحين على الإطلاق؛ الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ محمد بن علي السنوسي، والسيّد جمال الدين الأفغاني.

وقد سار على منوال هؤلاء المصلحين الكبار الشيخ طاهر الجزائري (1268-1338هـ/ 1852-1920م) الذي نحن اليوم بصدد دراسته والتعريف بشخصه ودوره وإسهاماته في هذه النهضة، فهو بلا شك أحد دعائمها، ولا يمكن لأي باحث في تاريخ النصف الثاني من القرن التاسع عشرالميلادي، أن يتجاوز اسم الشيخ طاهر الجزائري دون الإشادة بأعماله الجليلة، فقد ملأ الدنيا، وشغل الناس، فبرع في علوم كثيرة، وذاع صيته في بلاد الإسلام، مما جعل المريدين يلتفون حوله، وينشرون علمه ويلهجون بذكر فضائله وخصاله.

والواقع أن موضوع النهضة العربية الإسلامية، سال فيه مداد كثير، وملئت منه صفحات عديدة، ولكن صفحة مشرقة من نضال الشيخ طاهر الجزائري، لا تزال قاتمة الملامح، عند كثير من الباحثين والدارسين المشارقة منهم والمغاربة على حد سواء، اللّهم إلا ما كتبه الأستاذ عدنان الخطيب عن الشيخ طاهر (الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته)، وقد جاءت دراسته تحفه أدبية رائعة، بقلم مشرقي متخصص، أما بحثنا هذا- إن شاء الله- هو محاولة مغاربية (جزائرية) للكشف عن رائد من رواد النهضة العربية في بلاد المشرق.

بالإضافة إلى أن هناك مقالات منشورة في المجلات والدوريات تناولت شخصية الشيخ طاهر الجزائري، ولكنها لم توفه حقه من الدراسة والتحقيق بمنهج أكاديمي صرف، تقدم الشيخ الطاهر الجزائري في صورة المصلح المجاهد والعالم الفذ.

ونظرا للنقص الملحوظ في دراسة هذه الشخصية الرائدة، فقد تصديت -بعون الله – للخوض في هذا الموضوع كاشفا ما استعطت شخصية هذا الرجل العظيم، ومبرزا معالم مدرسته الإصلاحية ومنهجه في الإصلاح والتغيير والعطاء، فالشيخ طاهر الجزائري تعبير صادق عن عبقرية الجزائري وعطائه في أي أرض يحل أو يهاجر إليها.

إن للشيخ طاهر الجزائري حقا علينا، أن نبرز أعماله الجليلة، ونشيد بدوره الهام في تاريخ الحركة الإصلاحية، والمسؤولية ملقاة علينا نحن الجزائريين، قبل غيرنا من أبناء الوطن العربي.

إن البحث الذي بين أيدينا، يتناول شخصية الشيخ طاهر، ودورها في النهضة العربية الإسلامية، مبرزين عمله الإصلاحي، خصوصا في بلاد الشام التي كان لها الحظ الوافر من الاستفادة بأعماله ونشاطاته،

دون نسيان البلاد العربية التي امتدت إليها ظلال حركته الإصلاحية، كمصر والجزائر، وهذا في الفترة الممتدة من سنة 1852م، تاريخ مولده إلى سنة 1920م تاريخ وفاته، ودون إهمال أحداث عصره التي انعكست على نشاطه وفكره إيجابا أم سلبا، فلن أكون في هذا البحث قاضيا أحكم على الناس، بل هدفي من هذه الدراسة استجلاء الحقيقة التاريخية.

دواعي اختيار الموضوع:

توجد دوافع عديدة، ساهمت في اختيار هذا الموضوع، تتمثل فيما يلي:

1-منذ دراستي الجامعية الأولى وأنا مولع بدراسة الشخصيات التاريخية فلدي اعتقاد شديد، بأن الرجل العظيم ما هو إلا نتاج لمجتمعة وتحد لظروفه، فالشيخ طاهر الجزائري يمثل حلقة في سلسلة من المصلحين والثائرين الرواد في المشرق والمغرب العربيين أمثال، الأمير عبد القادر، حمدان بن عثمان خوجة، السيّد جمال الدين الأفغاني، أحمد عرابي ومحمد عبده.

2- ومن دواعي الخوض في هذا الموضوع هو الرغبة في البحث من جهة، والعزوف المشين لأبناء الجزائر عن تناول الموضوعات المتعلقة بتاريخ المشرق الحديث، مع أن بلاد العالم الإسلامي واحدة، وهمومها وآلامها وآمالها متقاربة، وقد صدق الشاعر عند ما قال:

وشرقت حتى لم أجد ذكر مغرب * وغربت حتى قد نسيت المشارقا

والحقيقة أن كثيرا من تراث الجزائريين وإبداعهم في بلاد الشام لا يزال في حكم الضائع، ينتظر الأيادي الأمينة التي تنقذه من التلاشي والفناء ولا سيما الطلاب الباحثين، فأغلبنا يركز على التاريخ الوطني المحلي، ولا توجد نظرة شمولية للتاريخ العربي الإسلامي، فهذا البحث يهدف إلى ربط المغرب بالمشرق وتمتين أواصر الوحدة فأمة الإسلام واحدة وهمومها متشابكة وأدواؤها وعللها متساوية.

3-كما أن هذا البحث، سيقودنا إلى معرفة تراث الشيخ طاهر الجزائري، الذي ساهم مساهمة فعالة في أحداث عصره، اجتماعيا، تربويا وسياسيا، و لم يأخذ حقه حتى الآن من العناية من قبل الباحثين عموما، فرغم ما كتب حول شخصه، لا يتناسب مع عطائه السياسي والعلمي والتربوي.

إشكالية البحث :

إن إشكالية بحثنا تدور حول هذا السؤال وما يتضمنه من إجابات وهو ما مدى مساهمة الشيخ طاهر الجزائري في الحركة الإصلاحية التي عرفها الوطن العربي في عصره، وما هو موقعه بين المصلحين الذين تصدوا لإصلاح أوضاع أمتهم المتردية؟

والحقيقة أن دراستنا اليوم حول شخصه، تأكيد لدوره البارز، وعطائه المتميّز، فقد شهد له بالنبوغ أبناء ملته، وغيرهم من المستشرقين الذين ارتبطوا معه بصداقات مميزة، ورغم مكانته، إلا أنه لم يأخذ حقه من

الشهرة على غرار معاصريه، أمثال السيد جمال الدين الأفغاني، الشيخ محمد عبده، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي، فإمكانياته الإصلاحية كبيرة وأثره عظيم، وربما تجاوز أقرانه من المصلحين في أشياء كثيرة ولكن لم ينل بعد حقه من التنويه.

وانطلاقا مما سبق ذكره، تأتي أهمية البحث، فهو موضوع دقيق وحساس للغاية، وهذا للأحداث السياسية والثقافية التي شهدتها المنطقة العربية، و لم يكن الشيخ طاهر الجزائري، بمنأى عنها، بل كان المراقب لأحداثها وخاض غمارها، وكانت له مواقف جليلة فيها، تجعلنا نتطرق إليها بشيء من الحذر، ليس خوفا من إبداء الرأي، ولكن دورنا هنا الوصول إلى معرفة الحقيقة التاريخية، وليس إصدار أحكام في تاريخ الرجل، إننا نريد من البحث إلقاء نظرة موضوعية وصادقة وشاملة لمراحل حياة الشيخ طاهر الجزائري، نستخلص منها العبر والنتائج وتكون أحكامنا ذات مغزى ودلالة.

منهج البحث:

أما المنهج الذي أتبعه في هذه الدراسة، فهو المنهج الوصفي - أكثر المناهج شيوعا- بما يتضمنه من تجميع وتحليل ومقارنة ونقد وغير ذلك من العناصر التي تساعد على ضبط العلاقة بين التوصيف والتشخيص، وبين الأحكام، والاستنتاجات ، ولا شك أن هذا المنهج بشتى مواصفاته، هو ما وجدته مناسبا لهذه الرسالة.

فالدراسات السابقة عن الشيخ طاهر الجزائري، كانت موجزة و لم تعط للموضوع حقه، فمسار حياته، عرف محطات عديدة وهامة، كل واحدة منها تحتاج إلى توقف ودراسة دقيقة، فالشخصية التي نحن بصدد دراستها، متعددة المواهب ومتنوعة الإبداع أو كما قال الشاعر:

كالبدر من حيث التفت وجدته * يهدي إلى عينيك نورا ساطعا

هيكل الموضوع:

قسمت هذا البحث إلى أربعة فصول وفصل تمهيدي وخاتمة وملحق.

فبالنسبة للفصل التمهيدي فقد جاء بعنوان: الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي، قسمته إلى ثلاثة مباحث رئيسية، مبرزا فيه شخصيات بارزة في سماء الإصلاح، كنماذج ودلائل للحركات الإصلاحية التي جاءت بعدهم وأقصد هنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ محمد بن علي السنوسي، والسيد جمال الدين الأفغاني، وهذا الفصل التمهيدي الغرض منه الوقوف على عصر ما قبل نبوغ الشيخ طاهر الجزائري، وهدفي هنا إبراز مجهودات هؤلاء المصلحين ومعرفة البيئة والأوضاع التي شهدت أعمالهم، ومن خلالهم سنقف على حقيقة الدور البارز الذي قام به الشيخ طاهر الجزائري فيما بعد.

أما الفصل الأول فقد عنونته تحت: الهجرة الجزائرية إلى المشرق والشيخ طاهر الجزائري. قسمت هذا الفصل إلى مبحثين رئيسين، المبحث الأول تناولت فيه الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي، ثم انتقلت في المبحث

الثاني إلى حياة الشيخ طاهر، مولدا، نشأة ونبوغا، صداقته بعلماء المسلمين والمستشرقين، رحلاته وعلاقاته حتى وفاته.

و الفصل الثاني اندرج تحت عنوان: دوره التربوي والعلمي، وقد قسمته إلى سبعة مباحث، مبرزا فيها؛ نشاطه التعليمي، حلقة دمشق الكبيرة، دوره في تأسيس المدارس والمكتبات ومنهجه في التربية والتعليم، معرجا على فلسفته وأفكاره، وشعره ونثره، وأيضا منهجه في التأليف وقد اخترت لهذا الغرض أهم كتبه، وهو في الحديث (توجيه النظر إلى أصول الأثر)، وقد تطرقت في هذا الفصل إلى علاقة الشيخ طاهر الجزائري، العلمية والأخوية مع أحد علماء الجزائر المعاصرين له وهو الشيخ أبي يعلى الزواوي وأيضا أشرت إلى مكتبته ومؤلفاته.

أما الفصل الثالث، فقد عنونته: دوره القومي والسياسي. قسمته إلى ستة مباحث، منطلقا فيه من بدايات الشيخ طاهر الجزائري السياسية، كإتصاله بمدحت باشا والى سوريا، ثم تعرضت إلى دوره الفعال في تأسيس الجمعيات الثقافية والسياسية المناوئة للأتراك، والتي تعبر عن مواقفه القومية من الحكم التركي، فأغلب الجمعيات التي ظهرت في العالم العربي في بداية القرن العشرين، كان للشيخ طاهر الجزائري، دور في دفع مؤسسيها إلى خوض معركة الصراع ضد الأتراك، وأغلب المؤسسين للجمعيات كانوا ممن يتحلقون حوله، وفي هذا الفصل، أبرزت موقفه من الاستعمار الأوروبي، خاصة الفرنسي الجاثم على أرض أجداده، وناقشت قضية انضمامه إلى الحركة الماسونية، التي جذبت بشعاراتها الرنانة الكثير من المصلحين المعاصرين له، وقد حاولت هنا دراسة أحداث وقضايا عصره في زمانها، ولم أعمل أبدا على إسقاط الحاضر الذي نعيشه على ذلك الماضي، فلكل زمان أحداثه ومبرراته.

أما الفصل الرابع، فقد اندرج تحت عنوان: الشيخ طاهر الجزائري بين التأثر والتأثير. قسمته إلى ثلاثة مباحث رئيسية، المبحث الأول درست فيه علاقة فكر الشيخ طاهر بمعاصريه من المصلحين وقد توصلت فيه إلى نتائج هامة، أما المبحث الثاني، فدرست فيه الثمار التي أنتجتها حركته الإصلاحية، ممثلة في أبرز تلامذته، الذين تأثروا به كثيرا، وأصبحوا من دعائم النهضة الفكرية والسياسية للأمة العربية، أما المبحث الثالث، فقد جمعت فيه شهادات لمعاصرين عرفوا مكانة الشيخ طاهر الجزائري.

أما خاتمة البحث فقد أبرزت فيها أهم نتائج البحث المتوصل إليها، وأيضا الاقتراحات التي أراها ضرورية لمواصلة كشف دور الشيخ طاهر الجزائري الهام.

الصعوبات:

بالنسبة للصعوبات التي واجهتني خلال رحلة البحث، فإنني قبل سرد بعضها أقول لا يوجد شخص يشعر بالقصور والنقص مثل صاحب المحاولة الأولى، فهذه محاولتي الأولى في إنجاز عمل أكاديمي صرف لهذا المستوى، ومن أبرز الصعوبات أذكر:

- صعوبات نفسية وأخلاقية، تتمحور حول ما مدى نجاحي في إنجاز هذا العمل الذي بتألقه يزيد في شخص الشيخ طاهر الجزائري وأي نقص مني أو فشل قد يعطي فكرة ناقصة وغامضة عنه، وبالتالي أتحمل مسؤولية ذلك إلى الأبد، لأنه أول بحث أكاديمي بقلم جزائري.

- قلة المصادر والمراجع المتخصصة في تاريخ النهضة العربية ورموزها في مكتباتنا، مما جعلني أرحل إلى مسقط الشيخ طاهر الجزائري -دمشق- واستفدت هناك كثيرا، فمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، تضم عشرات المخطوطات للشيخ طاهر الجزائري، ومجموعة هامة من المصادر و المراجع.

- لم أتمكن من الوقوف على المكتبة الظاهرية وكنوزها وهذا بسبب غلقها، لغرض ترميمها.

-عدم تمكني من الوصول إلى كتب المستشرقين، الذين ارتبطوا بعلاقات وطيـــــدة بالشـــيخ طـــاهر الجزائري، كالمس-بيل- وغولد زيهر، وهذا يعود لنفاذ طبعاتها القديمة، وأيضا خلو مكتباتنا منها.

- مشكلة تكرار وإعادة نفس المعلومات دون تحليل أو نقد، فأغلب المراجع التي وقعت بين يـــــدي، إعادة لبعضها، لم تضف جديدا، و لم يكلف أصحابها أنفسهم البحث والتحري والتمحيص.

والحمد لله، بتوجيهات الأستاذ المشرف، تجاوزت أغلب الصعوبات فرغبتي الشديدة في البحـــث، جعلتني أتحدى كل الصعاب واستغل كل إمكانياتي، من أجل هذا البحث، الذي بمرور الزمن أصبح جزء مـــن شخصيتي ووجودي، وهاهو اليوم بهذه الصورة، فما لا يدرك كله لا يترك كله، وبعض المعرفة خير من الجـهل التام كما قيل قديما.

وفي الأخير لا يفوتني، أن أنوه بفضل الأستاذ الدكتور عبد اللطيف صوفي، الذي احتضن هـــــذا البحث منذ بدايته الأولى، رغم التزاماته العلمية والإدارية، فله مني جزيل الشكر والتقدير، والاحـــترام، دون أن أنسى كل من قدم لي نصيحة أو مساعدة من أساتذتي الكرام، في جامعات الأمير عبد القادر وقسنطينة وباتنـــة ودمشق.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عرض ونقد لأهم مصادر ومراجع البحث

إن المصادر والمراجع والمقالات والقواميس، التي تعرضت لحياة الشيخ طاهر الجزائري ومجهوداته الإصلاحية، كثيرة وغزيرة ومتنوعة، لكن الشيء الذي يغلب على معظمها، أنها وصفية وبعيدة عن التحليل والمقارنة والنقد، وفي الوقت نفسه متخصصة، إذا تطرقت إلى الشيخ طاهر الجزائري، فإنها تتطرق إليه بقصر مخل وعمومية غامضة، تجعل القارئ في تيه وحيرة من أمره إذ لا تأخذ بيده نحو الحقيقة والمعرفة العلمية، حيث يبقى دائما يحس بالنقص والجوع المعرفي والغموض حول الشيخ طاهر الجزائري، وبالتالي عملية البحث لجمع المادة العلمية كانت شاقة ومضنية، لأن المادة العلمية، كانت منتشرة هنا وهناك، وعملية جمعها وترتيبها، كانت أطول مدة قضيتها في البحث.

ونحاول أن نستعرض أهم مصادر ومراجع هذه الدراسة مع نقدها، مركزين على ما يتعلق منها بالشيخ طاهر الجزائري، دون أن نغفل بقية المصادر والمراجع التي لها علاقة بمباحث الموضوع.

1-المصادر:

إن أفضل المصادر التي كتبت عن الشيخ طاهر الجزائري تعود إلى أقلام تلامذته الأوفياء له، الذين أرادوا بكتاباتهم رد الجميل لأستاذهم ومن هذه المصادر التي اعتمدنا عليها نذكر:

- المعاصرون وكنوز الأجداد للأستاذ محمد كرد علي؛ التلميذ الوفي لأستاذه فقد ضمت صفحات الكتابين معلومات قيمة، وحقائق نادرة عن الشيخ طاهر الجزائري، لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق هذا التلميذ الوفي، فقد كان محمد كرد علي بمثابة أفلاطون لأستاذه سقراط، لقد دوّن في كتابيه كثيرا من المحطات التي عرفتها مسيرة شيخة، من مولده إلى نشأته، أعماله، صفاته، علاقاته، رسائله، وغيرها.
- المقالات الصحفية التي كان ينشرها، محمد كرد علي من حين لآخر، في مجلة مجمع اللغة العربية، وفي المقتطف وغيرها عن شيخه.

لهذا لا يمكن لأي دارس وباحث في تاريخ الشيخ طاهر الجزائري، أن يتجاوز كتابات محمد كرد علي، لأنها تمثل الصورة الصادقة والناطقة عن الشيخ طاهر الجزائري. ولكن لا يعني هذا أنها كاملة دون نقصان، بل هناك أشياء لم يذكرها رغم صلته بشيخه، إما تعمدا أو جهلا كانتساب الشيخ طاهر الجزائري إلى الماسونية، ومهما كان الأمر تبقى كتابات محمد كرد علي عن الشيخ طاهر الجزائري أساسية في البحث.

- تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر. هذا الكتاب ألفه محمد سعيد ألباني أحد التلاميذ الأوفياء للشيخ طاهر الجزائري، ألفه في سنة 1920 بعد وفاة شيخه مباشرة وفي هذا المصنف تعرض محمد سعيد ألباني إلى حياة شيخه بشيء من التفصيل، مولده نشأته، نشاطاته التربوية، والفكرية، مواقفه السياسة، صفاته، شعره، فهذا الكتاب ترجمة وسيرة للشيخ طاهر الجزائري بقلم أحد المقربين منه، وهو أيضا هام وأساسي للوقوف على يوميات الشيخ طاهر الجزائري.

- مقالات محب الدين الخطيب. فهذا التلميذ لم ينس أبدا أستاذه، وكتب عشرات المقالات، منوها بجهود شيخه، ولكن للأسف لم يترك لنا مؤلفا قائما بذاته، ولكن مهما كان الأمر، فقد قدم لنا خدمة جليلة تنير لنا الطريق لمعرفة الشيخ طاهر الجزائري عن قرب، وهذه المقالات تحتاج إلى من يجمعها في كتاب.

- ومن المصادر التي اعتمدنا عليها ولو جزئيا كتاب: نفحة البشام في رحلة الشام لصاحبها، محمد عبد الجواد القاياتي، وإن كان حديثه عن الشيخ طاهر الجزائري تميز بالقصر، ولكن يبقى أحد الذين عايشوا الشيخ طاهر، وشهدوا على أعماله الإصلاحية وتآليفه.

- ومن المصادر التي إعتمدنا عليها أيضا كتابين للشيخ طاهر الجزائري، وهما: توجيه النظر إلى أصول الأثر، والجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية. وهذا للوقوف على أسلوب ومنهج الشيخ طاهر في الكتابة والتأليف.

2-المراجع:

من المراجع الهامة التي تطرقت إلى الشيخ طاهر الجزائري ونشاطاته الإصلاحية نذكر كتاب الأستاذ عدنان الخطيب، المعنون: الشيخ طاهر الجزائري رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته. الذي نشره في سنة 1971 والذي يعتبر بحق صرخة في آذان الغافلين والمتناسين الذين بوفاة تلامذة الشيخ طاهر الجزائري نسوه و لم يحاولوا أبدا الإشادة به وبعث تراثه، فهذا الكتاب رغم قلة معلوماته واقتصاره على بعض المحطات التاريخية إلا أنه فتح الطريق أمام الباحثين، ولكن يؤاخذ عليه عدم ذكر مصادر بحثه، رغم المعلومات والحقائق التي قدمها.

ومن الكتاب المعاصرين الذين كتبوا ونوهوا وأشادوا بدور الشيخ طاهر الأستاذ أنور الجندي، الذي عقد مباحث كثيرة حول الشيخ طاهر، في كتبه التالية: -أعلام الإسلام -تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي- الأدب العربي الحديث 1840-1959- المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام 1840-1940.

وأيضا يعتبر كتاب، مصادر الدراسة الأدبية (الجزء2) ليوسف أسعد داغر من أهم المراجع، فقد خصص مبحثا هاما للتراث العلمي الذي خلفه الشيخ طاهر الجزائري.

ومن المراجع الهامة التي أرخت للقومية العربية وأبرزت الدور القومي والسياسي للشيخ طاهر، نذكر كتاب، القومية العربية لمصطفى الشهابي، وكتاب التكوين التاريخي للأمة العربية ، للدكتور عبد العزيز الدوري.

أما المراجع التي تطرقت إلى عصر الشيخ طاهر الجزائري، ونوهت بجهود المصلحين والمفكرين العرب، ولكن أغفلت ذكر الشيخ طاهر ولو بكلمة واحدة، نذكر كتب جرجي زيدان، وهذا طبعا لحاجة في نفس يعقوب، وربما تعمد هذا الأخير إبعاد الشيخ طاهر عن الحركة الفكرية التي عرفتها المنطقة العربية آنذاك والسبب حتما يعود إلى أحقاد دينية ومواقف شخصية، لأن الشيخ طاهر كان يرى في تأسيس المدارس ونشر التعليم بين أبناء المسلمين الوسيلة الوحيدة لمقاومة الإرساليات التبشيرية!؟.

وأخيرا من بين المصادر التي دعمنا بها هذا البحث كتاب، "العروة الوثقى" للسيد جمال الدين الأفغاني و الشيخ محمد عبده، وكتاب " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" للشيخ عبد الرحمن الكواكبي.

3-المصادر و المراجع الأجنبية:

في الحقيقة اعتمدت على بعض الكتب و الموسوعات مثل كتاب:

Jean Jacques, RAGER : les Musulmans Algeriens en France et dans les Pays Islamiques.

الذي تطرق إلى المهاجرين الجزائريين في سوريا، ولكن بصورة سطحية عابرة وتبقى بالنسبة لنا مراجع المستشرقين المعاصرين للشيخ طاهر الأهم ولكن لم نصل إليها للأسباب التي ذكرناها سابقا، والمستشرقة الإنجليزية ميس -بيل- ألفت كتابا حول سوريا وذكرت فيه الشيخ طاهر الجزائري، الذي التقت به، و لم أتمكن من العثور على هذا الكتاب، وهذا بسبب قدم طبعته.

4-المعاجم و القواميس:

و قد اعتمدت كثيرا على قاموس الأعلام للزركلي، والقاموس السياسي لأحمد عطية وهذا للتعريف ببعض المصطلحات و المفاهيم واعتمدت أيضا على الموسوعة السياسية لعبد الوهاب الكيالي، ولسان العرب لابن منظور و**G.D.E. LAROUSSE** .

وهذه المعاجم والموسوعات أمدتني بمادة علمية هامة، غذت البحث وربطت بين أجزائه، وفكت الغموض.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل التمهيدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحـــركات الإصلاحيـــة في العـــالم الإسلامـــي

تمهيد

1.– حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

1.1– مولده نشأته ونبوغه

2.1– نشاطه الدعوى والإصلاحي

3.1– نتائجها وآثارها

2.– حركة الشيخ محمد بن علي السنوسي

1.2– مولده ونشأته العلمية

2.2– رحلاته واتصالاته

3.2– بداية نشاطه الإصلاحي

4.2– السنوسية بين التأثر و التأثير

5.2– دور السنوسي الإصلاحي

3.– حركة السيد جمال الدين الأفغاني

1.3–مولده، نشأته ونبوغه

2.3– فكره ونشاطه الإصلاحي

3.3 –الأفغاني و الإنجليز

4.3– الأفغاني و الجمعيات السرية

5.3– الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد :

في هذا الفصل التمهيدي أحاول أن أبرز الدور الهام لثلاثة حركات إصلاحية عرفها العالم العربي والإسلامي في نهاية القرن الثامن عشر وخلال القرن التاسع عشر الميلاديين، هذه النماذج الثلاثة الرائدة في مجال الإصلاح الديني و الثقافي والسياسي، بلا شك تمثل الأرضية الصلبة التي قامت عليها جُلُّ الحركات الإصلاحية التي عرفتها المنطقة العربية والإسلامية، وهذا لمبادئها وأهدافها وانعكاساتها البعيدة وهذه النماذج الإصلاحية الثلاثة، تعبر عن رفض الطبقة المثقفة آنذاك، للوضع المزري الذي آلت إليه أوضاع المسلمين، وقد اخترت الزعماء الثلاثة الرواد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ محمد بن علي السنوسي، والسيد جمال الدين الأفغاني، عن غيرهم من المصلحين لانتشار أفكارهم، وتأثر أغلب المسلمين بها وفي نفس الوقت هاته الحركات الثلاثة مجتمعة تغطي كل العالم العربي و الإسلامي جغرافيا تقريبا.

ولا يمكن لأي باحث أن يتجاوز ذكر هؤلاء المصلحين الثلاثة إذا تطرق إلى موضوع الإصلاح في العالم العربي، ونحن هنا بصدد، دراسة الدور الإصلاحي للشيخ طاهر الجزائري، الذي يمثل إحدى حلقات الإصلاح التي عرفها العالم العربي والإسلامي في تاريخه الحديث و المعاصر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

إن الحالة الخطيرة التي وصلت إليها حالة المسلمين في القرن الثامن عشر و التاسع عشر وحتى بداية القرن العشرين، أفزعت العلماء المفكرين المسلمين، الذين آلوا على أنفسهم النهوض، قصد مقاومة البدع و الخرافات التي أوصلتهم إلى هذا الواقع المتخلف، وهذا بهدف انتشاله من الحالة السيئة التي يتخبط فيها[1].

وقد اختلفت طرق الإصلاح من مصلح لآخر، وهذا حسب بيئة وتكوين كل مصلح،بالإضافة إلى الظروف المحيطة بدعوته.

ونبدأ بأولى الحركات الإصلاحية التي شهدها العالم الإسلامي و المتمثلة في حركة الشيخ المصلح محمد بن عبد الوهاب، الذي ظهر بنجد [2] وأسس دعوته على الكتاب و السنة وكل ما لا أصل له منهما يعد بدعة، كزيارة القبور للتبرك بدعوى أنها لأولياء الله الصالحين، وعلى هذا الأساس هدمت كما هو معروف، كل الأضرحة،[3] وبالتالي سنرى أن الحركة الوهابية ستكون حربا على ما أدخل على الإسلام من خرافات وبدع لا وجود لها في كتاب الله وسنة رسوله الكريم.

1.1-محمد بن عبد الوهاب: مولده، نشأته ونبوغه:

ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سنة 1115هـ الموافق لسنة 1703 ميلادية، فهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد التميمي ولد في بلدة العيينة[4] ونشأ في حجر أبيه حفظ القرآن الكريم قبل بلوغ العاشرة، وأمّ الناس وتزوج وهو ابن الإثني عشرة سنة، هذه النشأة والظروف المحيطة به، كان لها الأثر الحاسم في توجيه مساره.[5]

في بداية حياته، نشأ محمد بن عبد الوهاب في بلدته العيينة في نجد، حيث أخذ دروسه الأولى على يد شيوخ من الحنابلة، بعد ذلك سافر إلى المدينة المنورة لاستكمال دروسه، ثم انتقل إلى البصرة بالعراق وأقام بها أربع سنين، ثم انتقل إلى بغداد التي مكث بها خمس سنين، ينهل ويستمع إلى علمائها، بعد بغداد، إتجه صوب كردستان، فأقام بها سنة واحدة، ثم انتقل إلى همذان [6] التي أقام بها سنتين، وبعد ذلك اتجه إلى أصفهان[7]

---

[1] رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية، ط2. الجزائر: م.و.ك ، 1987، ص. 97.

[2] نجد: إقليم في وسط السعودية شرقي الحجاز، تبلغ مساحته 1.390.000 كم^2 تقع به الرياض العاصمة، فهو مهد الوهابية وبه منشأ البيت السعودي .

راجع: المنجد في اللغة و الأعلام، ط 29، بيروت، دار المشرق،(د-ت) ص 571.

[3] محمد الأخضر، ضيف الله: محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ط2، الجزائر : د.م.ج، 1981، ص 69.

[4] العُيينة: بلدة في نجد موطن محمد بن عبد الوهاب. راجع المنجد في اللغة و الأعلام، ص 383.

[5] أحمد بن حجر آل بوطامي، البنعلي: الشيخ محمد بن عبد الوهاب المفترى عليه، ط1، الشارقة: دار الفتح،1995، ص 10

[6] همذان: مدينة ايرانية، جنوب غربي طهران، راجع المنجد في اللغة والأعلام. ص 597.

[7] أصفهان: أو أطبهان مدينة في وسط إيران، راجع المنجد في اللغة و الأعلام ص52.

حيث درس فلسفة الإشراق و التصوف، ثم انتقل إلى قم [1].وبعد رحلاته واتصالاته المختلفة، عاد الشيخ بن عبد الوهاب إلى بلده و اعتكف عن الناس مدة ثمانية أشهر، ثم خرج عليهم بدعوته الجديدة. [2]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان مولعا منذ صباه، بكتب التفسير و العقائد والحديث، فوالده الفقيه الحنبلي ساهم بدور فعال في تكوينه الأساسي وهذا ما زاده اهتمامًا بكتب الأولين خاصة مؤلفات ابن تيمية[3] وتنقلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، سمحت له بالوقوف على الداء الذي أصاب المسلمين، وأدى فريضة الحج واختلط بالحجاج، ولما عاد من رحلاته التي ذكرناها، عرج على مدينة الإحساء،[4] وهاله أمر البدع و الخرافات المنتشرة بها حتى أنه سمع في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستغاثات بالرسول.[5]

و أهم مسألة شغلته وأثارت انتباهه في رحلاته وتنقلاته ومعاشرته للناس على اختلاف مستوياتهم العلمية، مسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام "لا إله إلا الله"، وهكذا أطلق على نفسه وأصحابه" بالموحدين" أما أعداؤهم ثم الأوروبيين، فقد أطلقوا على حركته وأصحابه اسم " الوهابيين" ثم جرت العادة على تسمية الناس لهم بالوهابية.[6]

وفي الحقيقة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم يهدف بحركته الدينية، تغييرا في أصول الإسلام ومبادئه، أو اختراع مذهب جديد وإنما كان يهدف بحركته التوحيدية القضاء على البدع و الخرافات والدعوات الدخيلة على الإسلام وتنبيه الغافلين النائمين من المسلمين بحقيقة وضعيتهم الخطيرة.[7]

فحركته تدعو وتهدف إلى الرجوع إلى منابع الدين الحقيقية وتطهيره من البدع والخرافات و إعلان الجهاد لتوحيد كلمة المسلمين خاصة وأن الدول الأوروبية المسيحية بدأت تتطلع إلى دول الشرق الإسلامي، وهذا بعد ظهور بوادر ضعف وتدهور الدولة العثمانية حامية الإسلام و المسلمين آنذاك[8] فقد كانت دعوة ابن عبد الوهاب حربا عل كل ما أبتدع [illegible] من عادات وتقاليد لا تمت بصلة إلى الإسلام، وإنما هي عادات جاهلية بعيدة عن الإسلام النقي الصحيح، لقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن نحا نحوه يرون

---

[1] قم: مدينة إيرانية، تقع جنوب طهران، تعتبر مركز هام للشيعة، راجع المنجد في اللغة والأعلام، ص 442.

[2] أحمد، أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، الجزائر:موفم ، 1990 (سلسلة الأنيس). ص 11.

[3] ابن تيمية: (661-728هـ/1263-1328م) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله بن أبي القاسم النمري الحراني الدمشقي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية الإمام شيخ الإسلام، ولد في حران ثم انتقل إلى دمشق فنبغ واشتهر، ثم انتقل إلى مصر وبسبب تعصب وحقد أعدائه سجن، وبعد إطلاق سراحه رجع إلى دمشق سنة 720هـ و اعتقل بها ثم أطلق، ولكن وفاته كانت في السجن، بقلعة دمشق، فمن مؤلفاته فصاحته، أفتى وهو دون العشرين ترك عشرات التصانيف، راجع : خير الدين الزركلي: الأعلام، ط5، م1، بيروت دار العلم للملايين، 1980، ص 144.

[4] الإحساء : المنطقة الشرقية من السعودية، قاعدتها مدينة الدّمام. راجع. المجد في اللغة والأعلام، ص 28

[5] أحمد بن حجر آل بوطامي، البنعلي: المرجع السابق. ص ص 10-11. وانظر أيضا أحمد، أمين: المرجع السابق، ص 15.

[6] أحمد، أمين: المرجع نفسه،ص 16.

[7] ناجي، نعمان وآخرون: المجموعات العرقية والمذهبية، في العالم العربي، لبنان: دار نعمان للثقافة، 1990، ص 461.

[8] رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية. ص99.

أن ضعف المسلمين الحقيقي، وسقوط نفسيتهم، ليس له من سبب إلا العقيدة، فبالعقيدة وحدها غزوا وفتحوا وحكموا، ولا يصلح آخر الإسلام إلا بما صلح به أو له، ولذلك، فلا بد من العودة و الرجوع إلى الحياة الإسلامية الأولى، حيث التوحيد الصحيح و العزة الحقة [1].

ولا ننسى أن المحيط الذي ظهر فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب أي منطقة نجد كانت مرتعا للخرافات و الأباطيل و العقائد الفاسدة، فقد نجد القبور تنسب إلى الصحابة حيث يحج إليها الناس من كل حدب وصوب، يستغيثون بها ويطلبون حوائجهم المختلفة، كأنها تقربهم إلى الله ! وكأنهم لم يقرؤوا الآية الكريمة ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾"[2]. إن الفترة التي ظهر فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحركته الإصلاحية، كانت قلوب الناس متعلقة بالقبور والأضرحة و الأشجار و الكهوف وما شابه ذلك، ولطول الأمد عليها صدأت القلوب و تحجرت العقول ونشأ عليها الصغير وشاب عليها الكبير، وتوارثت بينهم[3]، وهكذا نلاحظ مدى فساد العقيدة التي سيركز عليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركته الدعوية والإصلاحية.

2.1-نشاطه الدعوي والإصلاحي:

إن النشاط الإصلاحي الذي إتجه إليه الشيخ محمدﷺعبد الوهاب، يختلف عن نشاط معاصريه كمحمد علي باشا، الذي فكر في كيفية الاستفادة من المدنية الحديثة، عكس الشيخ إبن عبد الوهاب الذي إتجه إلى إصلاح العقيدة لدى الفرد المسلم، باعتبارها أساس الدين الإسلامي.[4]

و لم يكن الإصلاح الذي يقصده ، يرمي إلى تغيير في أصول الدين الإسلامي ومبادئه ولا إلى فهم عقائده فهما جديدا. بل كان يحس أن من واجبه القضاء على البدع والأمور المحدثة الدخيلة و الدعوة إلى العودة إلى نقاء الإسلام كما كان، أي إسلام العهد الأول، وقد بدأت دعوته تظهر ابتداء من سنة 1747 م وهذا بعد تحالفه مع أحد أمراء آل سعود[5] كما سنرى بعد حين، وقد قامت الحركة الوهابية على أساس فكرتين رئيسيتين[6]:

الفكرة الأولى: التوحيد في العقيدة، مجردا من كل شرك. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [7].

---

[1] أحمد، أمين: المرجع السابق ،ص ص: 16-18

[2] سورة غافر: الآية60.

[3] أحمد بن حجر آل بوطامي، البنعلي: المرجع السابق، ص ص، 12-13.

[4] أحمد،أمين:المرجع السابق،ص 18.

[5] جورج، أنطونيوس: يقظة العرب. ط3، ترجمة: ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين، 1969، ص 82.

[6] رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية، ص 99.

[7] سورة النساء: الآية، 48.

أما الفكرة الثانية: فهي التوحيد في التشريع، فلا مصدر له إلا الكتاب و السنة وإطلاق حرية الاجتهاد أمام علماء المسلمين لمن تتوفر فيهم شروط الاجتهاد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1].

" إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض".

وهكذا نلاحظ أن الوهابيين اهتموا بالناحية الدينية، وتقوية العقيدة الإسلامية وكذلك ركزوا على الأخلاق وفق مبادئ الدين، فنراهم حيث سادوا قلت السرقة و الفجور، وشرب الخمر وأمن الطريق وما إلى ذلك، ولكنهم لم يمسوا الحياة العقلية و لم يعملوا على ترقيتها، إلا في دائرة التعليم الديني و لم ينظروا إلى مشاكل المدنية الحاضرة ومطالبها[2] ويمكن أن نقول أن حركة الوهابيين الإصلاحية لم تكن تقدمية وثورية في الجانب المتعلق بماديات الإنسان، فقد اقتصروا على جانب العقيدة لأهميته.

وقد استغل الوهابيون موسم الحج لنشر دعوتهم الإصلاحية، فقد رأوا في موسم الحج ميدانا هاما وفرصة سانحة لبث الأفكار الجديدة بين الناس خاصة العلماء و الزعماء منهم، وبالتالي نرى أن أفكار الحركة الوهابية ستصل إلى أقطار بعيدة كزنجبار[3] و الهند[4].

ومن أجل توسيع نفوذه الإصلاحي و الدعوي، انتقل، ابن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية[5] سنة 1158 هـ وبايعه أميرها محمد بن سعود على الدعوة إلى الله و الجهاد في سبيله و التمسك بسنة رسوله والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وإقامة الشعائر الدينية وحدود الله، ونظرا لهذا التطور الذي حصل للشيخ محمد بن عبد الوهاب كثر الوافدون عليه من المدن المجاورة، وبدأ يراسل حكام المدن وعلماء وقضاة الجزيرة العربية، فمنهم من أطاعه ومنهم سخر منه، و لم يتوقفوا عند مجال السخرية، بل قام أعداؤه بالوشاية و الكتابة به إلى السلطات العثمانية، والأشراف بالحجاز، متهمين إياه بالبدعة و الإتيان بمذهب جديد خامس، وغيرها من المفتريات.[6]

وترجع أسباب معارضة الناس له، هو أنهم ألفوا هذه البدع وظنوا أنها الحياة الإسلامية الحقة و الخروج عنها معصية وخروج عن الدين.[7]

---

(1) الإمام أحمد : المسند، ج3، ، بيروت دار الفكر، (د-ت)،ص14 .وأنظر أيضا، الترمذي: الجامع الصحيح،ج5،، بيروت: دار الفكر(د-ت)، ص 329.

(2) أحمد، أمين:المرجع السابق، ص 24.

(3) زنجبار: جزيرة تجاه ساحل تانزانيا بشرق إفريقيا مساحتها 1664 كم^2، اتصلت منذ القدم بالهند وبلدان الخليج العربي.

(4) أحمد، أمين: المرجع السابق. ص 25.

(5) الدرعية: مدينة سعودية بنجد خربها إبراهيم باشا سنة 1818. راجع المنجد في اللغة والأعلام. ص 243.

(6) أحمد بن حجر آل بوطامي، البنعلي: المرجع السابق، ص 17.

(7) محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق، ص 69.

وبعدما بسطت الدولة السعودية الأولى[1] نفوذها على نجد وعمان واقتربت من العراق وبلاد الشام، وخصوصا بعد فتح آل سعود لمكة المكرمة سنة 1218هـ، عندئذ، عرفت الدولة العثمانية، أن مصالحها أصبحت مهددة وفي خطر، فقد تضيع في أقرب الآجال، وأمرت واليها على مصر محمد علي باشا باكتساح نجد وتدمير الدولة العربية السعودية و القضاء على الحركة الوهابية [2] وكلف محمد علي باشا أبناؤه بتصفية الدولة السعودية و القضاء على الوهابيين، لكن أعمالهم بائت بالفشل وتعرضوا لهزائم، مما جعل محمد علي باشا يقود جيشا بنفسه حيث حقق النصر على السعوديين و الوهابيين[3]، غير أنهم عادوا فيما بعد من جديد وبقوة وعزيمة في البلاد العربية.

وتجدر الإشارة هنا، أن الحركة الوهابية كادت أن تقوض أركان الدولة العثمانية في البلاد العربية، فهي لم تبق حركة إصلاحية دينية فحسب ، بل انتقلت إلى العمل السياسي، وهذا بتحالفها مع آل سعود في الدرعية، وأصبح هدفها مقاومة التغلغل الغربي في البلاد العربية.

1-3 نتائجها وآثارها:

تعتبر الحركة الوهابية أولى الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي في العصر الحديث، بعد حركة الإمام: الشيخ أحمد بن تيمية في القرن السابع الهجري، فكل الحركات الإصلاحية، التي ظهرت بعد الحركة الوهابية، مدينة لهذه الأخيرة في كثير من الأشياء خاصة في أمور العقيدة ووحدة صف المسلمين[4]، فقد تركت هذه الحركة أثرا هاما وطيبا في نفوس الكثيرين من مفكري الإسلام، إذ قامت على أساسها حركات إصلاحية في العالم الإسلامي متخذة منها القدوة، مثل حركة الشيخ محمد بن علي السنوسي[5] صاحب الطريقة السنوسية، الذي قدم إلى مكة وسمع بالدعوة الوهابية ومبادئها فاعتنقها وعاد إلى الجزائر يبشر بها و أسس طريقته، التي لا تختلف كثيرا عن الوهابية، وفي اليمن ظهر الإمام الشوكاني[6] الذي سار على نهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عمله الإصلاحي.[7]

---

[1] الدولة السعودية الأولى: أسسها الأمير محمد بن سعود، الذي سكن الدرعية وتمكن بفضل دهائه من تثبيت إمارته، فقد تحالف مع الوهابين، ووسع مساحة دولته، وبقيت هذه الدولة إلى سنة 1818م أين قضى عليها والي مصر محمد علي باشا، راجع:عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة. ط2، ج2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1993، ص 182.

[2] أحمد بن حجر آل بوطامي، البنعلي: المرجع السابق ص 18.

[3] محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق، ص 69.

[4] رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية. ص.ص 99-100.

[5] سنتكلم عن حركته في العنصر الموالي.

[6] الإمام الشوكاني: هو محمد بن علي (1760-1834م) فقيه من علماء اليمن عاش في صنعاء وولي قضاءها، عارض التقليد، ومؤلفاته تجاوزت المائة: " إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق في علم الأصول" رابع المنجد في اللغة و الأعلام، ص 338.

[7] أحمد، أمين: المرجع السابق ،ص ص: 25-26.

ومن المتأخرين المتأثرين بأفكار الشيخ محمد عبد الوهاب، نجد في مصر الشيخ محمد عبده الذي تأثر كثيرا، خاصة ما يتعلق بمحاربة البدع وما دخل على العقيدة الإسلامية من فساد، وأيضا ما يتعلق بضرورة فتح باب الاجتهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين.[1]

وقد وصلت تباشير الحركة الوهابية إلى الهند وزنجبار كما ذكرنا سابقا و أيضا إلى بلدان المغرب العربي، فقد كان لهذه الحركة الإصلاحية أثرا عميقا على الفكر الإسلامي في القرن الثامن عشر وبعده[2]. وتعد الدعوة الوهابية أرضية صلبة للحركات التحررية التي قامت فيما بعد في العالم العربي خاصة، إذ كانت منطلقاتها بمثابة الوعاء الشامل لكل الحركات الإصلاحية و الفكرية. ويجمع الباحثون على أن تولي السعوديين، للأماكن المقدسة، فقد ساهم بشكل كبير في انتشار المبادئ الوهابية، على يد بعض الحجاج الذي اعتنقوا الدعوة ونقلوها إلى أوطانهم، حيث بشروا بها ونشروها مثل الشيخ محمد بن علي السنوسي و الإمام الشوكاني. و الشيخ عثمان دانفوديو[3] وغيرهم كثير.[4]

إن دعوة التوحيد التي أعلنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبت دورا بارزا في حركة اليقظة العربية المعاصرة، وذلك أنها ساهمت في إيقاظ العالم الإسلامي والأمة العربية على الخصوص قبل قدوم الفرنسيين إلى مصر بقيادة نابليون[5]، بأكثر من ستين عاما، وهدته إلى وسائل النهضة وأسبابها[6]، فالدعوة الوهابية كانت بمثابة حرب طويلة الأمد على كل ما ابتدعه المسلمون بعد الإسلام الأول من عادات و تقاليد بالية هدامة.[7]

وهكذا تعتبر الحركة الوهابية ذات عمق وأثر في تاريخ المسلمين الحديث فقد مثلت بحق الوعاء أو المشرب الذي نهلت منه بقية الحركات الإصلاحية التي عرفها العالم الإسلامي في القرنين التاسع عشر و العشرين.

ولا شك أن الحركة الوهابية، كانت بذرة من بذرات القومية العربية وعاملا من عوامل إيقاظ الوعي الوطني الديني الساعي و الهادف إلى تطهير النفس العربية مما علق بها من أوطار الماضي وجهالات الإستعمار الأوروبي ، لأن الدعوة الوهابية دعت وحرضت وشجعت على الجهاد وعملت على تطهير النفوس، وإذكاء

---

[1] المرجع نفسه: ص 27.

[2] رفيق، علاء الدين:" محمد بن عبد الوهاب" المجاهد الأسبوعي، ع 1906. (11.18 فيراير 1997)، ص 13.

[3] من قبيلة الغولا السودانية.

[4] ناجي، نعمان، و آخرون: المرجع السابق، ص 464.

[5] نابليون بونابرت: هونابليون الأول (1769-1821م) إمبراطور فرنسا (1804-1814و1815م)، درس الفنون العسكرية في "بريان" كان من مؤيدي اليعاقبة، نقيب في المدفعية في طولون ضد الإنجليز سنة 1793،قاد الجيش الفرنسي في إيطاليا سنة 1796م، قاد الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م، نهايته كانت في معركة (واترلو جوان 1815) وتوفي في الأسر بسانت هيلانه سنة 1821م، راجع: Le Petit Larousse illustré. Paris : librairie Larousse. 1989 p 1459.

[6] ناجي، نعمان وآخرون: المرجع السابق، ص 464.

[7] رفيق، علاء الدين: المرجع السابق، ص 13

الوعي بصفة عامة، فقد ساهمت في إيقاظ العرب و المسلمين من سباتهم، وأثارت فيهم روح الوعي القومي العربي والديني.[1]

وفي الختام نشير أن الحركة الوهابية تعرضت لهزات عنيفة في مشوارها، و لم يكتب لها النجاح النهائي إلا في سنة 1924م، السنة التي أصبحت فيها الجزيرة العربية وهابية الأفكار.[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] محمد أسعد، أطلس: تاريخ الأمة العربية، عصر الانبعاث، بيروت: دار الأندلس.1963. ص 24.

[2] محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق. ص 69.

2- حركة الشيخ محمد بن علي السنوسي:

تعتبر الحركة السنوسية مع الوهابية و المهدية[1]، من الحركات السياسة الدينية التي عرفها العرب، خلال تاريخهم الحديث كرد فعل على مظاهر الضعف و الانحلال التي أصابت أوطانهم، وامتدت إلى جميع مجالات حياتهم وصعب علاجها.[2]

لقد سيطر العثمانيون على بلدان الوطن العربي في المشرق و المغرب العربيين، لكن مع مرور الوقت، بدأت هذه الدولة المترامية الأطراف تعرف الضعف و التفكك، بداية من القرن السابع عشر، وبلغت شدة ضعفها خلال القرن التاسع عشر، حيث عرفت باسم (الرجل المريض)[3] و لم ينته الربع الأول من القرن العشرين حتى طويت صفحة عظمتها، وقسمت بين الدول الأوروبية الاستعمارية، بريطانيا فرنسا و إيطاليا، وهذا الضعف الخطير هو الذي ولّد حركات إصلاحية في العالم العربي و الإسلامي، فالسنوسية واحدة من هذه الحركات التي تمثل رد فعل حقيقي للأوضاع الداخلية و الخارجية التي تميز بلاد المسلمين.

فالسنوسية دعوة دينية لتخليص الإسلام مما علق به من الشوائب و البدع و الخرافات، والرجوع به إلى صلب العقيدة وروح القرآن و الحديث الشريف وإحياء مجد المسلمين وبعث النهضة و الوحدة في صفوف العالم الإسلامي للوقوف أمام الهجمة الاستعمارية الأوروبية، وقد اتخذت الحركة السنوسية أسلوب البساطة والدقة في إنشاء الزوايا، و كذلك اعتمدت أسلوبا مميزا لاختيار أفضل الشيوخ لتعينهم على رأس الزوايا لإنجاح العملية الإصلاحية التي يهدف إليها مؤسس الطريقة، ومما ساعد على انتشار أفكار السنوسية هو اعتمادها على ركيزتين هامتين: أولا الدعامة الروحية كالوعظ والإرشاد، والعمل بهدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، أما الدعامة الثانية؛ فهي مادية، تمثلت في تعليم الشباب الرماية وأساليب القتال، فكان لكل زاوية سنوسية ميدانا للرياضة و التدريب على السلاح وفنون القتال.[4]

فالسنوسية التي أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي (1787-1859م) حلقة من حلقات الإصلاح التي برزت معالمها مع حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب،فالسنوسية جاءت مكملة ولتواصل الإصلاح الذي شرع فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب (1703-1791م) كإنكار البدع والخرافات وإصلاح عقيدة المسلمين

---

[1] المهدية: حركة سياسية دينية ثورية، نسبة إلى مهدي السودان محمد أحمد (1843-1885م) صوفي سوداني أعلن ذاته المهدي المنتظر، فبايعته القبائل السودانية وحارب الأنجليز، وفتح الخرطوم مع اتباعه الدراويش، توفي في أم درمان. راجع المنجد في اللغة و الأعلام. ص 552.

[2] ناجي، نعمان وآخرون: المرجع السابق. ص 191.

[3] الرجل المريض: تسمية أطلقت على الدولة العثمانية من قبل قيصر روسيا سنة 1860 تعبيرا عن ضعفها الشديد وانتظار ساعة وفاتها لاقتسام تركتها.

[4] عبد الله، أقوشه لي: دور السنوسيين في حركة الجهاد الإسلامي (1914-1918) مذكرة ديبلوم الدراسات المعمقة، قسنطينة، دائرة التاريخ، جامعة قسنطينة، 1978، ص9.

والعودة بهم إلى الكتاب و السنة، وكذلك ضرورة إ حياء فريضة الجهاد لنشر الإسلام والتصدي للاستعمار الأوروبي الحديث، الذي انطلق في حملة صليبية جديدة تستهدف تدمير العالم الإسلامي.[1]

لقد كان الشيخ محمد بن علي السنوسي شديد الغيرة على الإسلام و المسلمين ورأي ضرورة العمل الفوري لأجل إحياء الملة الإسلامية و كذلك توحيد جهود المسلمين في العالم الإسلامي للنهوض بالدين الحنيف، نهضة صحيحة قوية، وقد رأى في الدولة العثمانية ضرورة لوحدة الأمة الإسلامية والدفاع عن كيانها وحفظ مصالحها أمام الأطماع الأجنبية الأوروبية.[2]

1.2- مولده ونشأته العلمية:

هو محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي من سلالة ملوك الأدارسة الذين أسسوا الدولة الإدريسية[3]، ولد بالواسطة إحدى ضواحي مستغانم في 12 ربيع الأول سنة 1202هـ الموافق ل 22 ديسمبر 1787م [4]وفي رواية أخرى[5] ولد بدوار طرش الموجود بين قرية سيرات وجبل يناروا، دائرة "يلل" الحالية التابعة لولاية مستغانم، وقد كان أفراد البيت السنوسي منتسبين إلى العلم فوالده وجده و أعمامه، وأبناء أعمامه وكثير من نساء هذا البيت مثل جدة السنوسي من أبيه السيدة الزهراء أو عمته السيدة فاطمة كانوا جميعا علماء، فالسيدة فاطمة كانت متبحرة في العلوم منقطعة للتدريس والوعظ، وكان الرجال يحضرون دروسها، وقد توفي والد الشيخ السنوسي وهو لم يتجاوز العامين، فتولت عمته العارفة بعلوم عصرها تربيته وتنشئته.[6]

وكان الشيخ السنوسي منذ صغره شغوفا بالعلم، فإنطلق في تحصيل العلوم، حفظ القرآن الكريم وأتقن حفظه وأخذ اللغة العربية و الفقه و الحديث و التصوف وهذا على يد كبار علماء مستغانم، مثل الشيخ محي الدين ابن شهلة، والشيخ عبد الحليم و الشيخ محمد بن عبد القادر بن أبي زوينة و السيد عبد القادر بن عمور ثم انتقل إلى مازونة [7] ، وزاول تعليمه على يد الشيخ بن شارف المازوني ومنها رحل إلى معسكر وفيها

---

(1) رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية، ص 100

(2) أحمد فهد بركات، الشوابكة: حركة الجامعة الإسلامية، ط1، الزرقاء،(الأردن): مكتبة المنار، 1984، ص229.

(3) الدولة الإدريسية، (172-364هـ-788-974م)، تأسست الدولة الإدريسية في القرن الثاني الهجري وأميرها الأول هو إدريس الأول بن عبد الله بن الحسن (172-177هـ) في البداية اتخذت مدينة "وليلي" عاصمة لها ثم نقلت مقر حكمها إلى مدينة فاس، ثم بسطت سلطانها وانتهت هذه الدولة بفعل التوسعات الفاطمية، راجع عبد الوهاب الكيالي : "الدولة الإدريسية" موسوعة السياسة، ج2، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر، 1981، ص 706.

(4) محمد فؤاد، شكري: السنوسية دين ودولة، (د-م) دار الفكر العربي، 1948م، ص11.

(5) عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية و الإسلامية فيما بين القرنين 19 و 20 (13-14هـ)، الجزائر:د.م.ج، 1995، ص461.

(6) محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق ص11.

(7) مازونة: مدينة بالغرب الجزائري.

تتلمذ على يد العالم الشهير "ابي راس الناصري"[1] ثم إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، و لم يلبث طويلا حتى عرف شهرته بين علماء فاس، وهذا بقدرته العلمية وسعة إطلاعه في مختلف ميادين العلوم الإسلامية.[2]

ومن أبرز الشيوخ الذين أثروا في الشيخ السنوسي، الشيخ سيدي محمد بن القندوز المستغانمي[3] الذي تميز بمبدأ سياسي عن غيره، حيث رفض التنازل عن مبادئه، خاصة وأنه رفض أي تقارب مع السلطة التركية.

2.2- رحلاته واتصالاته:

بعد مازونة ومعسكر اتجه الشيخ محمد بن علي السنوسي إلى تلمسان عاصمة الثقافة و العلم، حيث انكب على الدراسة والتعمق في علوم الشريعة و اللغة العربية و المذاهب الإسلامية، والطرق الصوفية و الفلسفة و المنطق و الفلك، ثم إلى فاس بالمغرب الأقصى أين تصوف على يد الشيخ عبد الوهاب التازي.[4]

وقد مكث السنوسي في فاس سبع سنوات تقريبا (1822-1829م) فمدينة فاس في عهد السنوسي كانت قبلة للعلماء، فقد أخذ العلم عن أفاضل علمائها من بينهم سيدي العربي بن أحمد الدرقاوي الذي كان من شيوخ الطريقة الدرقاوية، فقد كان الشيخ السنوسي لا يترك فرصة إلا ويخوض في أسرار الطرق الصوفية وفي مدينة فاس، أجازه علماؤها، وعين مدرسا بالجامع الكبير لمدينة فاس، وفي هذه المدينة أيضا، إهتم السنوسي بالطرق الصوفية المختلفة، كالقادرية، الشاذلية، الدرقاوية، الناصرية، الحبيبية، الجازولية، الزيانية والمحمدية وتنقل كثيرا.[5]

وفي سنة 1829م غادر محمد بن علي السنوسي مدينة فاس متجها إلى الحجاز لتأدية فريضة الحج، وفي الطريق توقف بعين ماضي[6] حيث درس الطريقة التيجانية ثم انتقل إلى مدينة الأغواط، حيث قام فيها بعملية التدريس على اعتبار موقعها الهام فهي نقطة عبور والتقاء للقوافل[7] ثم اتجه إلى الجلفة فمسعد ثم بوسعادة، أين تزوج فيها، وأثناء تواجده ببوسعادة، نزلت الحملة الفرنسية بالجزائر واحتلت العاصمة سنة 1830م، وفكر في

---

(1) أبي راس الناصري: مؤرخ وعالم كبير (1751-1823) عاش بمعسكر، اهتم الفرنسيون بتآليفه، راجع عمار هلال: العلماء الجزائريون، ص 467

(2) عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 461.

(3) الشيخ سيدي محمد بن القندوز: أكبر المؤثرين سياسيا في الشيخ السنوسي، فقد كان هذا العالم بعيدا عن السلطة التركية ولا يقترب منها إطلاقا مما جعل داي الجزائر آنذاك الداي حسين (1818-1830)يلقي القبض عليه و ينفذ فيه حكم الإعدام سنة 1829 بمازونة ومما قاله ابن القندوز: "سوف ينزل السوء بمازونة من جراء أخطائه و سوف ينزل بالأتراك السوء بسبب ابن قندوز" وتحققت نبوءة ابن القندوز فقد احتل الفرنسيون الجزائر بعد عام من إعدامه، وكان لهذا الأمر وقع كبير في نفس الشيخ محمد بن علي السنوسي، الذي لم يعد يأمن الأتراك بعد ذلك مما. راجع محمد فؤاد شكري:المرجع السابق ، ص 12.

(4) محمد الصالح، رمضان:(" أقطاب السلفية في الجزائر" رؤيتهم الدينية و الوطنية) مجلة التراث، ع 4 (جمادى الأول، 1410هـ/ ديسمبر 1989) باتنة(الجزائر): جمعية التاريخ و التراث الأثري لولاية باتنة، ص 107.

(5) محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق ،ص ص 13-14.

(6) عين ماضي: إحدى بلديات ولاية الأغواط التي تقع جنوب الجزائر العاصمة بمسافة تقدر 400 كم .

(7) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 14.

الجهاد، لكن يقال أن رؤية مشهورة[1] جعلته يواصل مسيرته ورحلته نحو الشرق، فمن بوسعادة[2] إلى مدينة تماسين[3] فمدينة قابس[4] ثم طرابلس الغرب وبنغازي، وكان في كل مدينة يحط رحاله يشتغل بالتدريس والوعظ والإرشاد، ولقد وجد راحته في تبليغ أفكاره الإصلاحية من وعظ ودرس ونصح[5] وبعد بنغازي، اتجه صوب مصر التي كانت تعيش نهضة كبيرة على يد الوالي محمد علي باشا[6] (1769-1849م)، وفي مصر تلقى العلم على يد علمائها، ثم انبرى للتدريس وفرض نفسه على علماء الأزهر، الذين لم يهظموا تفوقه، فظا يقوه، مما جعله يواصل مسيره، نحو الشرق، أي إلى الحجاز.[7]

وفي مصر رغم إعجابه بالنهضة التي تشهدها في ظل حكم محمد علي باشا إلا أنه أعاب عليه، بعض الأمور فالشيخ السنوسي لم يرض على حكومة محمد علي باشا التي لم تعط العلماء حقهم من التقدير، كما كان في السابق بالإضافة إلى استبداد محمد علي بالحكم، فهو لا يستشير نقباء الأمة، بالإضافة إلى دخول محمد علي باشا في حروب ضد السلطان العثماني، الذي يمثل الخلافة الإسلامية في العالم الإسلامي ورأى السنوسي في إصلاحات محمد علي باشا خطرا، فهي تحول مصر شيئا فشيئا، إلى دولة على النمط الغربي الأوروبي، فقد كان يرى في إصلاحات محمد علي، الإفراط و المبالغة.[8]

ومن القاهرة، في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر، توجه الشيخ السنوسي، إلى مكة التي كان لها الأثر الكبير في قيام دعوته لأنها المدينة المقدسة التي يقصدها الحجاج، فهي نقطة لتجمع المسلمين من مختلف أصقاع الدنيا، فقد جعل من مكة مكانا لجمع المعلومات المختلفة من الوافدين عليها، وهذا لكي يتسنى له الوقوف على الداء الحقيقي الذي أصاب الأمة الإسلامية، وبعد ذلك ينطلق في تشخيصه[9] وفي مكة اشتغل أيضا بنشر العلم، وكذلك الدراسة على يد علماء تلك الفترة، حيث درس الطريقة الشاذلية على يد الإمام أبي العباس أحمد عبد الله بن إدريس الفاسي مؤسس الطريقة الإدريسية، ودرس الطريقة الناصرية عن صاحبها الإمام ابن ناصر، بالإضافة إلى دراسته للطريقة التيجانية على يد أبي العباس التجاني، بالإضافة إلى دراسة الأفكار الوهابية التي كانت في قمة عطائها ونفوذها.[10]

---

(1) حاولنا البحث عن مضمون الرؤيا، لكن لم نقف عليها.

(2) بوسعادة: تقع جنوب العاصمة (الجزائر) بمسافة 245كم.

(3) تماسين: إحدى بلديات ولاية ورقلة، تقع في أقصى الجنوب الشرقي، تبعد عن الجزائر العاصمة بحوالي 800 كم

(4) قابس: مدينة تونسية على البحر الأبيض المتوسط.

(5) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 15.

(6) محمد علي باشا:(1769-1849م)،له دور بارز في نهضة مصر خاصة والبلاد العربية عموما، خلال القرن التاسع عشر.

(7) عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 462، وانظر أيضا: محمد فؤاد شكري: المرجع السابق ، ص 16.

(8) محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 17.

(9) المرجع نفسه: ص 20.

(10) عبد الله، أقوشة لي: المرجع السابق، ص 8.

وخلال إقامته في مكة المكرمة، لازم الشيخ السنوسي، السيد أحمد بن إدريس الفاسي، الذي كان رئيسا للخضيرية، وتوطدت العلاقات بينهما ، حتى أنه بعد رحيل السيد أحمد بن إدريس الفاسي إلى "صبيا"[1] باليمن، وهذا بعد إجباره على الرحيل من قبل السلطات آنذاك، تبعه الشيخ السنوسي وأقام معه مدة، حتى توفي السيد أحمد بن إدريس الفاسي سنة 1835م وفي رواية أخرى توفي سنة 1837م[2] وانضم أكثرية أتباع السيد الفاسي إلى السيد محمد بن علي السنوسي، الذي رجع إلى مكة، وأنشأ بها أولى زاوية له، بجبل أبي قبيس قرب مكة سنة 1837م[3]، ولأسباب تبقى غامضة ترك الشيخ السنوسي الحجاز سنة 1840 وعاد إلى مصر فليبيا، وقد ساعده تنقله وترحاله المتواصل من الإطلاع على أحوال الشعوب الإسلامية، والوقوف إلى مكامن الداء.[4]

3.2- بداية نشاطه الإصلاحي:

بعد عودته من الحجاز استقر الشيخ السنوسي بليبيا، وأسس زاويته الأولى في الجبل الأخضر، وهي الزاوية البيضاء سنة 1841م ووضع لزاويته سلما عسكريا محكما إلى جانب طابعها الديني و السياسي[5]. فأرض الحجاز تمثل المنبت و المكان الذي إنطلقت منه الدعوة السنوسية وسيكون للشيخ السنوسي دورا عظيما وهذا لغزارة علمه وحسن كلامه وطريقة حواره وأسلوبه السلس الذي جلب الاتباع من كل مكان.[6]

وقد أدرك الشيخ السنوسي أن الإسلام لا ينتصر إلا على يد المسلمين المخلصين الذين يستوحون مبادئهم من القرآن و السنة، وفي ظل هذه المفاهيم فكر السنوسي في بناء قوة عربية في صحراء ليبيا، تقوم أسسها على الزوايا التي تنتشر وتمتد داخل العالم الإسلامي[7] وقد انتشرت السنوسية وأسست الزوايا[8] في كل مكان، فقد وصلت إلى عين صالح بالجنوب الجزائري وغدامس وتوات و الطاسيلي، بالجزائر أيضا، ووصلت إلى السودان الغربي (مالي حاليا) واستطاعت منافسة الطريقتين التيجانية والقادرية وهذا ما يبين ويؤكد قوة حجتها وقدرة اقناعها للناس، وتعتبر زاوية جغبوب[9] أهم زاوية للطريقة السنوسية، فعند ما غادر

---

[1] صبيا: حاليا مدينة سعودية في إقليم عسير، راجع المنجد في اللغة والأعلام، ص 44.

[2] محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 21.

[3] عبد الله، أقوشه لي: المرجع السابق، ص 8.

[4] محمد الصالح، رمضان: المرجع السابق، ص 107، وأنظر أيضا محمد فؤاد شكري، المرجع السابق، ص 21.

[5] عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 462.

[6] محمد فؤاد، شكري:المرجع السابق ، ص 23.

[7] محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق، ص ص 7-72.

[8] الزاوية السنوسية: عبارة عن حصن أو قلعة صغيرة، فيها مسجد للصلاة ومأوى للشيخ وغرف لطلاب العلم و الضيوف وبيوت للعمال و الزراع، فكانت قلعة نموذجية، فيها الفقيه، المدرس، المدير الاداري وهو نائب رئيس الطريقة وحول الزوايا أرض يتناوب على زراعتها رحال القبائل المحيطة بالزاوية، وللزاوية أسوار وأبراج، بنيت على طريقة عسكرية، وفي أماكن استراتيجية تصلح للهجوم والدفاع، راجع ، موسى الأحمدي، نويوات: شرح الأسئلة الرمضانية، الجزائر،ش.و.ن.ت، 1982، ص 282.

[9] الجغبوب: واحة تبعد عن البيضاء مسافة 8 أيام، بناها السنوسي لكي تكون بعيدة عن الأنظار وهي محطة للقوافل، وملتقى للطرق التجارية.

السنوسي الجبل الأخضر سنة 1855م اتجه إلى الصحراء الليبية وأسس زاوية جغبوب الشهيرة التي تقع على بعد 236 كم من بادية سليمان بليبيا، وقد قام ببنائها أصحاب السنوسي، وهذا تحت إشرافه، و لحرصهم على العمل و العلم معا، كانوا يبنون نهارا ويتعلمون ليلا، حتى ساعة متأخرة منه، ولأهميتها وموقعها الممتاز، اتخذها الشيخ السنوسي مقرا ومركزا لدعوته في عام 1273هـ/ 1859م وظلت مركزا للسنوسيين إلى غاية عام 1312 هـ/ 1891م،وقد ألحق الشيخ السنوسي بزاوية جغبوب معهدا علميا، ينتسب إليه المتخرجون من كتاب الزوايا وبالإضافة إلى الدروس العلمية كان الطلبة يتعلمون الرماية وركوب الخيل واستعمال السلاح وصناعة الذخيرة، ومن هذه الزوايا تخرج الكثير من العلماء والشعراء وحفظة القرآن الكريم، وقد كانت للمعهد مكتبة زاخرة بالكتب و المخطوطات النادرة جمعها الإمام السنوسي خلال رحلاته وتنقلاته، كما أقام السنوسي في جغبوب مطاحن للغلال ومعاصر للزيتون وأفرانا ومتاجر ومصانع للنسيج و البارود، وفي سنة 1312هـ/1891م، انتقل المركز الرئيسي للدعوة السنوسية من جغبوب إلى الكفرة[1] وقد خرب الاستعمار الإيطالي زاوية الجغبوب سنة 1926م. وقد كانت هذه الزاوية قبلة للزوار ورواد الثقافة، فكانت حلقة وصل بين الشمال، سواحل البحر المتوسط وأعماق الصحراء واستطاعت في وقت وجيز، أن تقضي على روح العداء الموجودة بين القبائل، وقد لعب السنوسي دورا كبيرا في مقاومة بيع الرقيق و تحرير الزنوج، فكان يشتري الرقيق ويعلمهم في زاويته (جغبوب) اللغة العربية والقرآن والفقه، ثم يحررهم، بعد أن يجعل منهم دعاة للدين الإسلامي في ربوع وأدغال إفريقيا.[2]

4.2-السنوسية بين التأثر والتأثير:

وكما سبقت الإشارة إليه، أن اقتناع الشيخ السنوسي بانتصار الإسلام لا يكون إلا على يد المسلمين المخلصين، الذين يستمدون مبادئهم من القرآن والسنة، والزوايا التي أسسها تدخل في هذا الإطار، ومن خلال الملامح الفكرية، والأفكار الإصلاحية التي نادى بها الشيخ السنوسي وعمل على نشرها بين المسلمين، يتأكد لنا أن الشيخ كان وهابيا من أعماق قلبه ولكنه لم يجاهر بذلك فقط! فالحركة السنوسية تأثرت كثيرا بالحركة الوهابية، واستطاع الشيخ السنوسي أن يكيف تعاليم حركته الإصلاحية ويجعلها تتماشى مع الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في المناطق التي انتشرت فيها خاصة غرب إفريقيا السوداء، ونظرا لنفوذ السنوسية فقد تفرعت منها ما يقارب أربعة وستين طريقة صوفية.[3]

وقد لعبت الحركة السنوسية دورا هاما في نهضة ليبيا وشمال إفريقيا، لأنها ساهمت في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية الإفريقية، جنوب الصحراء بالإضافة إلى تصديها للاستعمار والإحتلال الإيطالي، بل نجد السنوسيين قد أحيوا فريضة الجهاد التي كاد المسلمون أن ينسوها في بداية القرن العشرين.[4]

---

[1] تقع في الجنوب الشرقي لليبيا.

[2] عمار، هلال:العلماء الجزائريون في البلدان العربية، ص ص 462 -465

[3] المرجع نفسه:ص ص 463-465.

[4] رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية،ص ص 100-101.

وأصدق تعبير عن التأثر والتأثير الذي ميّز الحركة السنوسية نلاحظه في بعض مبادئها، مثل العودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، وتطهير العقيدة الإسلامية من البدع والخرافات، وكذلك ضرورة توحيد المذاهب الإسلامية، وتوحيد العالم الإسلامي أيضا، وفتح باب الاجتهاد، ونشر الإسلام في البلاد التي لم يصلها بعد، بالإضافة إلى مقاومة النفوذ الأجنبي.[1]

ومن خلال مبادئ السنوسية نلاحظ أن لها تشابه كبير مع الحركة الوهابية، وسبب هذا التشابه يعود بالدرجة الأولى إلى إقامة الشيخ السنوسي، المطولة بشبه الجزيرة العربية، أين نشأت الحركة الوهابية وقد يبدوا الأمر غريبا إذا لم يستفد الشيخ السنوسي من الحركة الوهابية، ومن مبادئها وأهدافها على الخصوص، فهو يعيش وسط حركة إصلاح ثائرة وبالتالي نلاحظ اشتراك الحركتين في كثير من المبادئ وخاصة فتح باب الاجتهاد ، و إحياء فريضة الجهاد، وتخليص المسلمين من البدع، وغيرها من المنكرات، أما نقاط الاختلاف بينهما فهي قليلة، وتعود بالدرجة الأولى إلى البيئة و الظروف الخاصة بمنشأ كل حركة، فمثل الشيخ السنوسي اتخذ التصوف وسيلة لبلوغ أهدافه، أما الوهابية فتستنكر جميع الطرق الصوفية، بالإضافة إلى اعتناق الوهابيين للمذهب الحنبلي أما السنوسيين فيتبعون المذهب المالكي، ولكنهم لا يتقيدون به، ويقولون أن التمسك بأحد المذاهب دون سواه يجعل المسلمين شيعا، بينما السنوسيين يبغون التوحيد و لّم صف المسلمين.[2]

5.2- دورها الإصلاحي:

إن الحركة السنوسية تختلف عن غيرها من الطرق الصوفية فهي نشيطة وحيوية لم تهادن الاستعمار الأوروبي،خاصة الإيطالي في ليبيا والإنجليزي في مصر و الفرنسي في الجزائر[3] فهي فرقة عملية لا تعتمد على الذكر و التلاوة بل العمل وتطبيق مبادئها على أرض الميدان وهذا حسب إمكانياتها فالحركة السنوسية من الطرق التي يشهد لها بالنضال في المغرب العربي خصوصا في ليبيا.[4]

فالزوايا السنوسية لم تكن جوامع وأديرة للنساك و الرهبان أو حلقات للدراويش، بل كانت ذات نشاط اجتماعي وديني وثقافي واقتصادي، لقد اتبع الشيخ السنوسي نظاما دقيقا في إنشاء الزوايا حتى أصبحت الزاوية بمثابة حكومة تسهر على شؤون السكان وبذلك ساهمت في نشر الفضائل ومحاربة الرذائل ونشر الإسلام.[5]

ولإبراز دورها المثالي نذكر هذه الأبيات الشعرية في مدح خليفة السنوسي، ابنه محمد المهدي، قالها أحد الشعراء.[6]

فكم من حريم قد أباحوا وأحجفوا * بمال غنى لا يخافون عاديا

([1]) محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق،ص 72.

[2]ناجي، نعمان وآخرون: المرجع السابق، ص193.

[3]محمد الصالح، رمضان: المرجع السابق، ص 121.

[4]أحمد، الخطيب: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر،م.و.ك. 1985، ص59.

[5]محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق، ص ص 48-50.

[6]المرجع نفسه، ص 50.

فأرشدهم للرشد من حل بينهم * فلا زال مهديا ولازال هاديا

وكم بدوي في الفلاة خلف نوقه * يبول على الأعقاب أشعث حافيا

تلقاه في مهد الضلالة هاديا * فأصبح نجما في الهداية عاليا

وكم جهول أسود الكون خلقه * كساه لباس العلم أبيض صافيا

فالسنوسية نادت بمبادئ ثورية في ناحية الفكر الإسلامي، خاصه ما يتعلق بضرورة فتح باب الإجتهاد من جديد وعلى أساس القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وبذلك حاولت السنوسية كسب عامة الشعب و المثقفين[1] ومطالبة السنوسي بضرورة فتح باب الاجتهاد جر عليه عدوات كثيرة، حتى أن شيخ الأزهر "محمد عليش"[2] كفر السنوسي سنة 1843م، لأفكاره الإصلاحية التقدمية إن صح التعبير.[3]

ويبقى دور السنوسية الهام هو محاربتها الاستعمار الإيطالي بالإضافة إلى مشاركتها في أحداث الحرب العالمية الأولى وانتشار دعاتها من سواحل الصومال شرقا إلى السنغال غربا، فالسنوسية قامت بوظيفتين هما الجهاد و الدعوة الإسلامية وقد اعتبرها فرنسا عدوها الأول في إفريقيا وحرضت عليها الخلافة العثمانية حتى تقضى عليها كما قضت على الحركة الوهابية بشبه الجزيرة العربية وظلت أوروبا خائفة من الحركة السنوسية ردحا من الزمن بسبب انتشارها بين الأمم الإفريقية، عرب، بربر، وطوارق.[4]

ويسجل شيء إيجابي للشيخ السنوسي يتمثل في عدم إظهار عدائه للدولة العثمانية أو أي سلطة إسلامية آنذاك عكس الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي حارب العثمانيين، فجر بذلك على نفسه عداء الدولة العثمانية التي لم تتأخر في سحق دعوته زمنا على يد واليها على مصر محمد علي باشا، فالسنوسيين اتخذوا الإصلاح و التعليم وسيلة لتحقيق أهدافهم و لم يعادوا الدولة العثمانية جهارا لأنهم يعرفون جيدا طبيعة الصراع آنذاك والهدف المرجو من حركتهم الدينية.[5]

وقبل أن نبرز دور السنوسية في الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، نشير إلى بعض الآراء، التي عبر فيها الشيخ السنوسي، عن قلقه إزاء ما يحدث في دول الإسلام من تشتت وتمزق ومد إستعماري غاشم عليها، وعلماء الأمة لا يحركون ساكنا، وكان لآرائه أثرا على عمله المستقبلي، فهو يقول[6] "...إن المقاطعات تذهب من أيدي المسلمين في كل وقت... فالإسلام في حالة من التدهور المخيف وهو ما فكرت فيه..." وهكذا نلاحظ قلق وخوف الشيخ السنوسي على مصير البلاد الإسلامية لذا ستكون حركته من أجل إعادة الدور

---

[1] جلال، يحي: المغرب الكبير، الفترة المعاصرة، ج3 ، الإسكندرية، الدار القومية للطبع والنشر. 1966.ص 850.

[2] محمد، عليش: هو أبو عبد الله محمد (1802-1881م) من أعيان المالكية ولد في القاهرة، مغربي الأصل، درّس في الأزهر و تولى مشيخة المالكية فيها. من تصانيفه "منح الجليل على مختصر خليل"، راجع المنجد في اللغة والأعلام، ص 378.

[3] محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق، ص36.

[4] محمد الصالح، رمضان: المرجع السابق، ص ص 116-117.

[5] محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق، ص 8.

[6] محمد الصالح، رمضان: المرجع السابق، ص 115.

الحقيقي للمسلمين وهذا برجوعهم إلى منابع الدين الحقيقية، ويقول أيضا[1]"أفكر في العالم الإسلامي، فبالرغم من سلاطينه وأمرائه ورؤسائه وعلمائه، فهم لا يزيدون على أن يكونوا كقطيع من الغنم لا راعي له، بكل محل من محلات الإسلام، تجد المسلمين وعلماء الدين، ولكنك لا تجد مرشدا حقيقيا تكون غايته سوق الجميع، إلى هدف واحد، إن ديننا الحنيف دين توحيد أسس على الاتحاد ولكن الخلاف والتفريق قد ساد جميع النواحي لأن العلماء والمشايخ، ليست لهم غيرة دينية حتى ينشروا العلوم و المعارف...".

وفرنسا ارتابت من الحركة السنوسية، فرغم كثرة الزوايا السنوسية في العالم، إلا أن الفرنسيين لم يسمحوا لها بتأسيس زوايا بالجزائر إلا أننا نجد زاوية واحدة فقط، تأسست بضواحي مستغانم (مسقط رأس السنوسي) وهي زاوية تكوك[2] التي تأسست في سنة 1859م السنة التي توفي فيها السنوسي[3]، وسبب خوف فرنسا من الحركة السنوسية، يعود إلى أنها حركة جزائرية وليست مستوردة، وكذلك تشبع هذه الحركة بالأفكار الوهابية، وإصلاحات محمد علي باشا وسلاطين آل عثمان[4].

إن الحركة السنوسية حركة نشيطة وعملية، لهذا نراها تطالب بتجسيد مبدأ الجهاد، وقد كان يطلق عليها اسم الطريقة المحمدية، فأتباعها مستعدون، لكل ما يطلبه الإمام منهم، مثل ما حدث سنة 1852م بالأغواط ضد الفرنسيين، وكذلك هجوم السنوسيين على بعثه"فلاتزر" الفرنسية سنة 1881م بمنطقة أولاد سيدي الشيخ[5] التي كانت في طريقها للتوغل في أعماق الصحراء الجزائرية، ولا ننسى الدور الذي قدمته للثائر محمد ابن عبد الله[6] في الجنوب الجزائري، فهذا الثائر كان قد التقى بالشيخ السنوسي سنة 1850م بمكة وربما يكون

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 114-115.

[2] زاوية تكوك: نسبة إلى الشارف بن الجيلالي بن تكوك (1218-1307هـ/1803-1890م) فقيه من أنصار الطريقة السنوسية، ولد بالقرب من مستغانم وتعلم بها وهاجر إلى المغرب الأقصى وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر،عاد وأسس زاويته السنوسية سنة 1276 هـ قرب بقيرات ومات بزاويته، راجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر منذ صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، 1980، ص 63.

[3] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ط1، ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي 1998م، ص ص266-267.

[4] أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، القسم1، الجزائر: م.و.ك، 1992، ص 403.

[5] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 262.

[6] الشريف محمد بن عبد الله: تاريخه غامض، اسمه الحقيقي إبراهيم أبي فارس، في بداية مشواره العسكري حارب الأمير، واتصل بالفرنسيين وعينه (بوجو) خليفة على تلمسان بعد سقوطها بيد الفرنسيين، ولكنه لم ينل رضا الفرنسيين بسبب تقصيره، فنصحوه بالحج حتى لا يجعلوا منه خصما جديدا لهم، وأثناء رحلته إلى المشرق وبقائه هناك، التقى بالشيخ السنوسي، وتعرف على أفكاره وأفكار الحركة الوهابية، ثم عاد إلى الجزائر التي دخلها عن طريق "غدامس" واستقر في ورقلة التي وصلها سنة 1849م، وأطلق على نفسه اسم الشريف محمد بن عبد الله لأن اسمه معروف لدى الفرنسيين، ولإخفاء الطابع الديني على حركته، خطط لها جيدا، وبدأ نشاطه ضد الفرنسيين في تقرت والأغواط، ابتداء من صيف 1851م، وبقي يقاوم رغم قلة الإمكانيات ثم انسحب إلى تونس لكن عاد من جديد سنة 1861م وواصل كفاحه حتى سقط أسيرا بيد عملاء للفرنسيين وحكم عليه بالنفي إلى جزيرة كورسيكا في البحر المتوسط ثم نقل إلى سجن عنابة، وداهمه المرض فمات في سنة 1863م. راجع: : أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية: ج1، القسم1، ص ص 372-378.

السنوسي قد شجع الشريف محمد بن عبد الله، بتفجير الثورة ضد الاستعمار الفرنسي[1] وربما ثورات عين التركي 1901م والأوراس 1916م والهقار سنة 1917 م كان للسنوسين ضلع فيها مباشرة أوبطرق غير مباشرة، فقد يكون الشيخ السنوسي قد جند الاتباع و الجنود لثورة محمد بن عبد الله في الجنوب الجزائري، بل يمكن أنه قد جمع السلاح له[2] فالسنوسي لم ينس أبدا الاستعمار الفرنسي الذي هو جاثم على بلاده و الذي يدخل في إطار حملة صليبية متجددة ولكن في ثوب جديد، ويبقى للحركة السنوسية دورا هاما في مقاومة الاستعمار الفرنسي في الجنوب الجزائري وفي كل منطقة لأن أفكارها ومبادئها قد اخترقت الجزائر من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب، وتزايد اتباعها مع مرور الوقت لأن السنوسية حركة جزائرية خالصة.

ونسجل للشيخ محمد بن علي السنوسي موقفا وطنيا وحضاريا و الذي يتمثل في رفضه فتوى إيقاف الجهاد ولو مؤقتا ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، فعند ما كان متواجدا في مكة المكرمة، حل بها "ليون روش"[3] الذي لقب نفسه باسم عمر بن عبد الله الجزائري، هذا الأخير كان قد انظم إلى جيش الأمير عبد القادر وبعد فشل مهمته، المتمثلة في تحطيم جيش الأمير عبد القادر داخليا، قاد وفدا جزائريا يضم كبار رجال الطرقية في سنة 1842م وتوجه إلى المشرق العربي للحصول على فتوى مفادها أنه يجوز للمسلم وقف الجهاد إذا كان يعرف أنه لا طاقة له ولا قبل له بالعدو، وأن الرضى بقضاء الله وقدره ولو لفترة محدودة جائز بل واجب وتضمنت الفتوى أيضا دعوة الجزائريين إلى الكف عن محاربة الفرنسيين ماداموا قد سمحوا لهم بالعبادة، وقد وافق علماء القيروان وعلماء الأزهر آنذاك على الفتوى، وفي مكة المكرمة دعا شريفها إلى انعقاد المجلس العلمي الذي وافق على الفتوى ماعدا الشيخ محمد بن علي السنوسي الذي كان أحد أعضاء هذا المجلس العلمي، فقد رفض ما جاء في الفتوى بشدة كما يذكر ذلك "ليون روش" في مذكراته، لأنه كان يعرف جيدا النوايا الحقيقية لفرنسا في الجزائر وقد أكدتها الأيام، فبعد الاستعمار الميدانيالعسكري انتقلت إلى الاستعمار الفكري و الثقافي و التضييق على العبادة.[4]

---

[1] المرجع نفسه، ص 254.

[2] أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية لجزائرية، ج1، القسم1،ص ص 398-403.

[3] ليون، روش: (1809-1901م) ولد ليون روش في مدينة غرونوبل ، بفرنسا في 27 سبتمبر 1809 م من أبوين فرنسيين، بدأ دراسته في ثانوية غرونوبل، نال شهادة البكالوريا سنة 1828م، دخل معهد الحقوق لمدة ستة أشهر، كان واسع الطموح وميالا إلى المغامرة، حل بالجزائر سنة 1832م، تلبية لطلب والده الموجود بالجزائر منذ 1830م، ونزل في منزل في منطقة إبراهيم رايس(ربما دالي إبراهيم حاليا)، وبدأ في تعلم اللغة العربية، لحاجته إليها، وفي منتصف سنة 1833م تعرف على حاكم الجزائر آنذاك"دي روفيقو" وأصبح ملازما في فرقة الفرسان التي ترافق "دي روفيقو" في تنقلاته، ثم أصبح ترجمانا رئيسيا في الجيش الفرنسي الأفريقي بأمر من "كلوزيل" ولخدمة وطنه ولتحقيق أغراضه التحق بجيش الأمير عبد القادر، وقبل هذا أعلن إسلامه، و سمي"عمر" وفي شهر نوفمبر 1837م دخل جيش الأمير، الذي استقبله ورفع من شأنه وأصبح روش كاتب سر الأمير، وكان يراسل الجيش الفرنسي من حين لآخر، و لم يغادر جيش الأمير إلا بعدما جمع معلومات وفيرة، وبعد إتمام مهمته (القذرة) هرب إلى الجيش الفرنسي المتواجد بوهران في نوفمبر 1839م، وقد ألف كتاب تحت عنوان : اثنان وثلاثون سنة في الإسلام". راجع يوسف، مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب (1832-1847م). الجزائر: م.و.ك، 1990م، ص ص: 13-38.

[4] أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية لجزائرية، ج1، القسم1، ص ص 246-247، وأنظر: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4،ص 254.

وقد وصل أتباع السنوسية أكثر من ثلاثة ملايين، جعل الدولة العثمانية ترتاب منها، وتخاف على سلطتها، أما فرنسا الاستعمارية فقد قاومتها بوسائل مختلفة تتمثل خصوصا، في تحريض رجال الطرقية والعلماء الرسميين في الجزائر ضدها، فالحركة السنوسية حركة نشيطة وثورية لا مجال للمهادنة لديها.[1]

ونعود إلى الدولة العثمانية، ومواقفها من الحركة السنوسية نقول أن نشاط السنوسية زاد من مخاوف العثمانيين، لأن أهداف السنوسية، الثورة على كل ماهو قديم، والدولة العثمانية تعيش على حطام الماضي. فقد كان السنوسي يرى الدولة العثمانية ضعيفة، وتجسد الضعف بعينه، فهي لم تستطع الدفاع عن الجزائر ضد فرنسا، و لم تستطيع الصمود أمام جيش محمد علي باشا واليها على مصر ويذكر لويس رين (Louis Rinn) أن الهدف الذي تصبوا إليه السنوسية هو الإمامة. [2]

ومجمل القول أن الشيخ محمد بن علي السنوسي وأبناؤه من بعده لم يكن موقفهم عدائيا من الدولة العثمانية، فالسنوسي كان يراها أحد الأقطار الإسلامية التي يتوجب إصلاحها وترتيب أوضاعها[3] والدولة العثمانية قدرت مواقف السنوسين منها، واقتربت منهم، حيث احترمت مبادئهم من أجل كسب ودهم وود القبائل العربية المتعاطفة مع السنوسيي، فالشيخ السنوسي بحنكته ودهائه لم يؤسس زاوية! بل أسس إمارة أصبحت من بعده وراثية[4] حتى إن أحد ولاة طرابلس وهو أشقر باشا اعتنق مبادئ السنوسية[5] وهذا يدل على قوة حجة السنوسيين ومدى اختراقها صفوف الناس على مختلف مستوياتهم، وربما اعتناق هذا الوالي المبادئ السنوسية لغرض ما، كما تفعل الدولة العثمانية مع السنوسيين.

وفي الأخير ننتقل إلى دور آخر ساهم فيه الشيخ محمد بن علي السنوسي، فهو لم يكن مؤسس طريقة أو زاوية، بل باعث فكرة هزت أركان الاستعمار الغربي الأوروبي في إفريقيا وأيقظت الشعور لدى ملايين المسلمين وإنما يعتبر أيضا مؤلفا كثير التصانيف و التآليف، وعالما غزير العلم، راويا للحديث وكتبه وأمهات الكتب الصوفية والأسانيد الموصلة إلى العلوم وقد تجاوزت مؤلفات الشيخ السنوسي الأربعين بين كتاب ورسالة ومنها نذكر.[6]

- بغية السول في الاجتهاد والعمل بحديث الرسول.
- إيقاظ الإنسان في العمل بالحديث والقرآن .
- إزاحة الأكنة في العمل بالكتاب و السنة.
- نزهة الجنان في أوصاف مفسر القرآن.

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 259.

[2] محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق، ص ص 17-35.

[3] المرجع نفسه: ص 8.

[4] المرجع نفسه: ص 31.

[5] أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص 230.

[6] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص ص 43-53. وانظر أيضا: محمد الصالح، رمضان: المرجع السابق، ص 110. وانظر أيضا: عبد الله، أقوشة لي: المرجع السابق، ص 50.

- منظومة السلوك إلى ملك الملوك.
- لوامح الخذلان على من لا يعمل بالقرآن .
- المسلسلات العشر (فيها هامش المسائل العشر).
- السلسبيل المعين في الطرائق الأربعين.
- الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية.
- المنهل الرائق في أسانيد العلوم وأصول الطرائق .
- الشموس الشارقة في أسماء مشايخ المغاربة والمشارقة.
- الطريقة الدينية الإسلامية (نشر في باريس سنة 1884).

وفي سنة 1846م عاد الشيخ محمد بن علي السنوسي إلى الحجاز ومكث مدة ثماني سنوات، ثم رجع إلى ليبيا[1] واستقر بقصر الجغبوب سنة 1854م، واشتد عليه المرض يوما بعد يوم، حتى دعاه مولاه يوم الأربعاء 9 صفر 1277 هـ الموافق ل 7 سبتمبر 1859م، وهذا بالجغبوب التي دفن بها.[2]

إن الحركة السنوسية حركة متميزة عن غيرها من الحركات الإصلاحية فقد كانت بدايتها طريقة، ثم ما لبثت أن تحولت إلى حركة إسلامية هدفها إحياء العالم الإسلامي وبعثه من سباته[3]، فهي تختلف عن الطرق الصوفية التي سبقتها أو حتى التي عاصرتها.

ويبقى دور الشيخ محمد بن علي السنوسي جليا وبارزا في يقظة الأمة العربية والإسلامية، في مغربها وفي مشرقها وقد واصل الأحفاده المسيرة الإصلاحية التي انطلق فيها الشيخ السنوسي، وسيظل رمزا من رموز الإصلاح في العالم العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر وهذا للبصمات التي تركها.

---

[1] عبد الله، أقوشة لي: المرجع السابق، ص 9.

[2] محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق، ص 38.

[3] المرجع نفسه: ص 51.

3. حركة السيد جمال الدين الأفغاني:

لقد ظهر السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) و العالم العربي والإسلامي يعيش أحلك أيامه وهذا بسبب تكالب الاستعمار الأوروبي عليه من جهة و كذلك ضعف حكامه وتعاونهم مع المستعمر من جهة ثانية، ولا ننسى أيضا الجمود والتقليد الذي أصاب العلماء، وحتى عامة الناس، الذين ألفوا هذه الحالة التي أصبحت تعصف بهم يوميا وهم في دوامة لا يعون ما آلت إليه أحوالهم من تأخر وتدهور، وتأكد للسيد جمال الدين الأفغاني، أن المسلمين اختلفوا على الاتحاد واتحدوا على الاختلاف، وهذا ما جعله يوقف حياته إلى جمع كلمة المتفرقين، تحت لواء الإسلام لمحاربة الدول الاستعمارية وكذلك انتشال المسلمين من سقطهم ودفعهم إلى تغيير أوضاعهم.[1]

فالسيد الأفغاني يعتبر باعث النهضة الإسلامية وعنوانها البارز وحامل لواءها، ومنشئ فكرة المقاومة، فقد ساهم في اليقظة الحقيقية للعالم الإسلامي ، وعمل من أجلها قولا وعملا، [2] وتأكد للأفغاني أنه لا يمكن فصل ما هو ديني عما هو سياسي، فالإسلام دين ودولة، وكل إصلاح ديني يجب أن يرتبط بإصلاح سياسي وهذا برباط وثيق، وبالتالي فحركة السيد جمال الدين الأفغاني كانت حركة دينية سياسية لإصلاح المسلمين.

1.3- مولده، نشأته ونبوغه:

هو محمد بن صفدر[3] الحسيني ولد في أسعد أباد من أب أمين فقير في أفغانستان سنة 1254 هـ/ 1839م ، ونشأ في كابل، وبدأ يتلقى العلم وهو في الخامسة من عمره ، ثم واصل دراسته في إيران، ولما بلغ الثامنة عشرة كان قد تعلم جميع العلوم الإسلامية المعروفة في عصره، وبرز فيها وفي الهند تعلم شيئا من اللغة الإنجليزية، وكان يجيد الأفغانية، الفارسية، التركية، واللغة العربية، وفي بداية حياته قصد الحجاز سنة 1857م لتأدية فريضة الحج، ولما عاد إلى بلده أفغانستان استوزره محمد أعظم ولكن في سنة 1869م غادر أفغانستان إلى الهند بعد تغيير في هرم السلطة، وبعد الهند اتجه إلى استانبول مقر الخلافة الإسلامية العثمانية، ثم انتقل إلى مصر سنة 1871، وكانت شهرته قد سبقته إليها و لاننسى أن السيد الأفغاني كان في كل قطر يتعرض للمضايقات المختلفة بسبب فكره التجديدي و التقدمي، فدعوته إلى الصناعة والأخذ بها جعلته عرضة لهجوم شيخ الإسلام باستانبول، وقد كانت ملامح الفطنة و الذكاء و النجابة بادية على السيد الأفغاني، فهو أحد أحفاد الإمام العالم المحدث الشهير الترميذي.[4]

---

[1] محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق، ص 59.

[2] أحمد محمد جاد، عبد الرازق: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي، و التحديث الغربي، ج1، فرجينيا (الولايات المتحدة الأمريكية): المعهد العالمي للفكر الإسلامي (د-ت)، ص 299.

[3] صفدر: كلمة فارسية مركبة من كلمتين، صف: وتعني الصف أو الصفوف، أما در، فتعني مخترق وبالتالي صفدر معناها: مخترق الصفوف.

[4] الإمام الترميذي: هو أبو عيسى محمد، توفي سنة 279هـ/892م، من أئمة الحديث، تلميذ الإمام البخاري، إشتهر بالحفظ، من كتبه " الجامع الصحيح" في الحديث، راجع المنجد في اللغة و الأعلام ص 171.

وهكذا تشابكت ظروف محلية ودولية في تكوين ونشأة السيد الأفغاني[1] ، و أعجب الأمور في السيد الأفغاني هو أصله، هل هو أفغاني؟ أم إيراني؟ ومازالت القضية تثير الإستغراب و العجب والخلاف أيضا إلى يومنا هذا.[2]

لقد درس السيد جمال الدين الأفغاني أخلاق الأمم وعرف تواريخهم، وتدبر أحوال الناس وأحوال السياسة، على اختلاف الأمكنة والأزمنة، وبذلك شخص الداء الذي يعصف بالمسلمين، ونال أيضا سعة في العلم و الثقافة المختلفة، جعلت منه مركز إشعاع، حيث تقرب منه الأمراء و الحكام و العلماء وعامة الشعب وأصبح الناس على اختلاف مناصبهم ومذاهبهم يتسابقون إلى سماع حديثه[3] وكلامه السلس، الذي يضرب القلوب ويعصف بالعقول المتحجرة.

وعندما نزل السيد الأفغاني بمصر سنة 1871م، استقبله العلماء و الطلبة وكانت شهرته قد سبقته، مكث في مصر ثماني سنوات معززا مكرما لكن بعد تولي الخديوي توفيق[4] الحكم في سنة 1879م، نفاه إلى الهند، وفيها ألف كتابه الشهير "رسالة في إبطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم وإثبات أن الدين أساس المدنية و الكفر فساد العمران" وألف هذا الكتاب بالفارسية ثم ترجم إلى الأردية ثم إلى العربية عن طريق الشيخ محمد عبده بمساعدة عارف أبو تراب [5] وفي هذا الكتاب رد السيد جمال الدين الأفغاني على داروين[6] ومذهبه في النشوء و الارتقاء.

---

[1] أبوا الأمين: "جمال الدين الأفغاني"، جريدة المنار، ع19، السنة الثانية (الجمعة 27 جمادى الثاني 1372 هـ/ الجمعة 14 مارس 1953م) الجزائر: سلسلة التراث(1) إشراف محمد بوزوزو، ش.و.ن.ت، 1982، ص 2. و انظر أيضا :

- خير الدين، الزركلي : المرجع السابق، ط7، م6، ص ص 168-169.

- جرجي، زيدان : بناة النهضة العربية، (د-م)، دار الهلال، سلسلة شهرية، ع72 (د-ت)، ص ص 66-67.

- أحمد فهد بركات، الشوابكة : المرجع السابق، ص 126.

[2] عبد القادر، المغربي: "جمال الدين الأفغاني" ذكريات وأحاديث، ط2، القاهرة، دار المعارف (د-ت)، سلسلة إقرأ. ع.68، ص 28.

[3] جرجي، زيدان: بناة النهضة الحديثة، ص 72.

[4] الخديوي توفيق : إبن الخديوي اسماعيل بن محمد علي، كان ضعيفا و أداة بيد الإنجليز.

[5] عارف أبو تراب: خادم السيد الأفغاني.

[6] داروين، شارلز: (1809-1882م) بيولوجي إنجليزي، إستغل رحلة السفينة (البيجل) حول العالم وإشترك في الرحلة التي دامت من سنة 1831 إلى سنة 1836م. واستطاع داروين خلال الرحلة أن يدرس النبات والحيوان وتكوين الصخور، ورأى أن كل الكائنات الحية ذات صلة من القرابة بعضها ببعض وأنها كلها حتى الإنسان تنحدر من أسلاف بسيطة ثم تطورت وإرتقت. عرفت هذه النظرية "بنظرية التطور" وألف عنها داروين كتاب سماه"أصل الأنواع". راجع دائرة معارف الناشئين: ط1. 1984، ترجمة فاطمة محمد محجوب، بيروت: دار القلم. ص 151.

رغم أن السيد الأفغاني بعيد عن العلوم الطبيعية والبيولوجية.وكذلك رد السيد الأفغاني على الدهريين العرب أمثال: شبلي الشميل[1] وإسماعيل مظهر[2] وهكذا كانت حياة السيد جمال الدين الأفغاني حافلة بالأحداث، ومحطات يجب التوقف عندها لكل مهتم بتراث الأفغاني.[3]

وبعد إعلان الحماية البريطانية على مصر في سنة 1882م، رفعت الإقامة الجبرية على السيد جمال الدين الأفغاني، فانتقل من الهند إلى أمريكا ليتجنس فيها كما أشار إلى ذلك أحمد أمين[4]، ولكن إستقر رأيه على البقاء في لندن مدة من الزمان ثم تحول إلى باريس، والتقى فيها بتلميذه وصديقه الأستاذ الإمام محمد عبده، ومكث السيد الأفغاني في فرنسا ثلاث سنوات وأصدر مع صديقه محمد عبده مجلة "العروة الوثقى" وقد صدر العدد الأول منها في 13 مارس 1884م وآخر عدد صدر منها كان في 17 أكتوبر 1884م؛ وصدر من هذه المجلة، ثمانية عشرة عددا، ولما أخذت المجلة تغزو العقول في كل البلاد أدرك الإنجليز خطورة الموقف وعملوا على منع المجلة من دخول الأراضي الخاضعة لسيطرتهم وطلبوا من الحكومة المصرية منعها، وطلبوا من الدولة العثمانية نفس الشيء وبسبب هذه المضايقات والإجراءات التعسفية توقفت "العروة الوثقى" عن الصدور ولكن تركت أثرها في شباب العالم الإسلامي، حيث مثلت لهم نبراسا يقتحمون به الظلمات التي فرضها الاستعمار الأوروبي.[5]

وربما إسم المجلة "العروة الوثقى" هو لسان حال الجمعية السرية التي كان جمال الدين الأفغاني قد أسسها وكان من بين أعضائها الأمير عبد القادر[6] وكانت الأفكار و المعاني في المجلة للسيد الأفغاني، أما الشيخ محمد عبده فكان يحرر هذه المقالات، وكان السيد الأفغاني يوقع مقالاته باسم مستعار[7] وكان الغرض و الهدف من مقالات مجلة "العروة الوثقى" إيقاظ الشعور الوطني والقومي لدى المسلمين وكذلك إبراز الواجبات على الشرقيين التي بسبب التقصير فيها، كان الضعف و السقوط وتكالب الأعداء وعدم القدرة على رد عدوانهم وكذلك من أهدافها إعادة الأمل للنفوس وإزالة اليأس، وكذلك تدعوا إلى التمسك بالأصول

---

[1] شبلي، الشميل: (1269-1335هـ/1853-1917م) طبيب بحاثة ولد في قرية كفر شيما بلبنان، قضى مدة في أوروبا، أقام في مصر، ألف كتاب "فلسفة النشوء والارتقاء" وله عشرات الأبحاث، كان يجيد اللغة الفرنسية، توفي في مصر، راجع: الزركلي: الأعلام، ط5، م3، ص 155.

[2] إسماعيل، مظهر : (1308-1381هـ/1891-1962م) باحث مصري، من أعضاء المجمع اللغوي، مولده ووفاته في القاهرة، أصدر وهو طالب صحيفة علمية، إنتسب إلى الحزب الوطني درس في جامعات إنجلترا، كان له نشاط بارز على الساحة العلمية و الفكرية المصرية . راجع: خير الدين، الزركلي : الأعلام، ط5، م1، ص 227.

[3] مصطفى، شاكر: "جمال الدين الأفغاني الثائر الشريد المفترى عليه"، العربي، ع 301 (صفر 1404 هـ/ديسمبر 1983م) الكويت: وزارة الإعلام، 1983، ص ص 16-20. وأنظر أيضا أحمد، أمين: المرجع السابق، ص ص 97-98، وأنظر أيضا: محمد، طهاري: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني و محمد عبده، ط2، الجزائر. م.و.ك، 1992، ص 35.

[4] زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 102.

[5] محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق، ص 63.

[6] أبو الأمين: "جمال الدين الأفغاني"، ص 2.

[7] هو مظهر بن وضّاح.

التي كان عليها السلف بالإضافة إلى نشر الأحداث والأفكار السياسية بين المسلمين وتقوية الصلات بين الشعوب الإسلامية، فقد كان هدف الأفغاني إصلاح المسلمين دينيا واجتماعيا، وسياسيا.[1]

ونأخذ هذه الكتابات للسيد جمال الدين الأفغاني التي تدعوا حكام وأمراء الشرق الإسلامي، أن يتحركوا ويعرفوا العدو من الصديق خاصة الإنجليز الذين ساهموا في تفريق شمل المسلمين، فكان حقد السيد الأفغاني عليهم واضحا وباديا في كل كتاباته، ويوجه هذا الخطاب إلى المصريين، وإن لم نقل إلى كل المسلمين، فهو يقول[2]: "وليعلم المصريون من الفلاحين والعرب أن الإنجليز لا يقصدون إلا استعبادهم واستخدامهم كما يستخدم الأرقاء، وأول نير للذل يوضع على أعناق أمرائهم، فعليهم ألا يكونوا آلة في تمكين العدو من رقابهم وألا يكون بعضهم فخا لصيد باقيهم. لعمر الله. إنا لفي عجب من الذين يحفظون القلاع في السودان، ومن المصريين الذين يزحفون لمقاتلة السودانيين، هل يعلمون أي أمة يخدمون".

وهكذا نلاحظ هجوم السيد الأفغاني العنيف على الإنجليز الذين بأعمالهم فرقوا بين أبناء الدين الواحد، ليس في مصر و السودان؟ بل حتى في أفغانستان و الهند وفارس، وربما يعود هذا الكره –وإن كان في محله– إلى مناصرة الإنجليز لـ" شير علي" على "محمد أعظم" صديق الأفغاني الذي عزل من الحكم سنة 1869، وانعكس هذا الأمر سلبا على السيد الأفغاني[3] الذي رحل إلى الهند فمصر، وكل المناطق التي حل بها السيد الأفغاني كانت تعيش على وقع السيطرة الإنجليزية المباشرة أو غير المباشرة.

ونظرا لثقافته الواسعة وإطلاعه الكبير على أحوال المسلمين ومجالسته للحكام والأمراء ومعرفته خصوصيات حكوماتهم ، وجه لهم هذا العتاب والنقد الشديد، لأنهم لم يقوموا بواجباتهم الدينية، وكذلك لم يعطوا حقا للرعية، فهو يوجه هذا الخطاب:[4] "ألا أيها الأمراء العظام ما لكم وللأجانب عنكم (ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم) قد علمتم شأنهم و لم تبق ريبة في أمرهم إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها". سارعوا إلى أبناء أوطانكم وإخوان دينكم وملتكم وأقبلوا عليهم ببعض ما تقبلون به على غيرهم تجدوا فيهم خير عون وأفضل نصير، إتبعوا سنة الله فيما ألهمكم وفطركم عليه كما فطر الناس أجمعين وراعوا حكمته البالغة فيما أمركم وما نهاكم كيلا تضلوا ويهوى بكم الخلل إلى أسفل سافلين، ألم تروا، ألم تعلموا، ألم تحسوا، ألم تجربوا، إلى متى؟ إن لله وإنّ إليه راجعون".

و لم يقف السيد الأفغاني عند هذا الحد، بل نجده يتأسف غاية الأسف على أمراء الشرق المسلمين، الذين سلموا أمورهم وتركوا أعمالهم الخاصة والعامة للأجانب، ووضعوا ثقتهم المطلقة في هؤلاء الغرباء بل كادوا يتنازلون عن ملكياتهم لهؤلاء الأجانب، والمخرج الوحيد لهؤلاء الأمراء هو الرجوع إلى أحكام الله التي لا

---

[1] أحمد أمين،المرجع السابق، ص ص 104-105.

[2] جمال الدين، الأفغاني ومحمد، عبده : العروة الوثقى، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي، 1983، ص 411.

[3] عبد القادر، المغربي: المرجع السابق، ص 29.

[4] جمال الدين، الأفغاني و محمد، عبده: المرجع السابق، ص 132.

تنقص ولا تخطئ لأنهم إذا واصلوا على هذا الطريق والأسلوب فإنهم لا محالة سيخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي أعدائهم، وهم لا يشعرون بما أقدموا عليه."[1]

بعد توقف مجلة "العروة الوثقى" عن الصدور في أكتوبر 1884م، رجع صديقه وتلميذه محمد عبده إلى بيروت، أما السيد جمال الدين الأفغاني، وبحكم علاقاته الكثيرة مع السلطان العثماني ومع مهدي السودان، نجده يتجه إلى بطرسبورغ[2]، بروسيا، ويمكث بها مدة أربع سنوات، ثم ينتقل إلى ميونيخ، فينا ثم باريس التي زار معرضها في سنة 1889م، وبميونيخ الألمانية إلتقي بشاه إيران "ناصر الدين"[3] الذي بدعاه إلى إيران، ويقبل هذه الدعوة، وفي إيران تعرض السيد الأفغاني لبلاء عظيم وظلم كبير من هذا الشاه، وبعد محنته هذه إتجه إلى البصرة [4] ثم انتقل إلى لندن وهناك أنشأ بها جريدته "ضياء الخافقين" التي تضمنت مقالات مختلفة، هاجم فيها شاه إيران "ناصر الدين" انتقاما من غدره، وبعد لندن سافر إلى استانبول في سنة 1310هـ/1892م، بدعوة من السلطان العثماني عبد الحميد الثاني[5] الذي رحب به، ووضعه في قصر ولكنه قفص من ذهب أحكمت أبوابه وبعد استقباله من قبل السلطان عبد الحميد قال كلمته المشهورة: "إن السلطان يلعب بمستقبل الملايين من الأمة أفلا يحق لجمال الدين أن يلعب بسبحته كما يشاء".[6]

2.3 فكره ونشاطه الإصلاحي:

بدون مبالغة إذا قلنا أن حياة السيد جمال الدين الأفغاني، نشاط وحركية ودعوة، فرحلاته هي صلب كفاحه،مكوثه في كل عاصمة، بداية لنشاط جديد، لا نستطيع أن نضع حدا بين رحلاته وسفرياته ونشاطه الإصلاحي فهو يقول عن نفسه[7]:

"لقد جمعت ما تفرق من الفكر ولمست شعث التصور ونظرت إلى الشرق وأهله فاستوقفني الأفغان وهي أول أرض مس جسمي ترابها، ثم الهند وفيها تثقف عقلي، فإيران بحكم الجوار والروابط فجزيرة العرب من حجاز هو مهبط الوحي ومن يمن وتابعتها ونجد والعراق، وبغداد وهارونها ومأمونها، والشام ودهاة الأمويين فيها، والأندلس وحمراؤها، وهكذا كل صقع ودولة من دول الإسلام وما آل إليه أمرهم، فالشرق الشرق، فخصصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحري دوائه، فوجدت قتل أدوائه داء انقسام أهله وتشتت آرائهم،

---

[1] المرجع نفسه: ص 132.

[2] بطرسبوغ: عاصمة بطرس الأكبر قيصر روسيا، أسسها سنة 1703م وحاليا مدينة بتروغراد، راجع : المنجد في اللغة والأعلام ص130.

[3] الشاه، ناصر الدين: (1831-1896م) حاكم إيران، من سلالة قاجار 1848م، في عهده انتشرت البهائية، مات مقتولا، راجع : المنجد في اللغة والأعلام. ص 569.

[4] مصطفى، شاكر: المرجع السابق، ص ص 16-20.

[5] السلطان عبد الحميد الثاني: حكم (1876 إلى 1909م) عرف باستبداده وقمعه للأفكار الحرة التي تدعو للانفصال عن السلطنة العثمانية.

[6] عبد القادر، المغربي: المرجع السابق، ص 37. أنظر أيضا: أحمد، أمين: المرجع السابق، ص ص 125-128.

[7] أحمد، أمين: المرجع نفسه، ص 135.

واختلافهم على الاتحاد واتحادهم على الاختلاف. فعملت على توحيد كلمتهم وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم".

لقد كان هدف السيد الأفغاني من حركته، بث الروح في الشرق، حتى ينهض وكذلك مناهضة الاستعمار، ومقاومته، لتحقيق استقلال الأقطار الإسلامية، فقد عمل على إنهاض دولة الإسلام من ضعفها حتى تلحق بالأمم المتقدمة، وبذلك سخر حياته، من أجل خدمة المسلمين.[1]

ويشترك السيد جمال الدين الأفغاني مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، و الشيخ محمد بن علي السنوسي، في نقطة هامة، فالثلاثة قبل انطلاق حركاتهم الإصلاحية، أقام كل واحد منهم، مدة في الأماكن المقدسة، مكة أو المدينة وهذا للاستماع إلى الحجاج وزوار الأماكن المقدسة، ليتسنى لهم معرفة أحوال البلاد الإسلامية المختلفة،لكي يتمكنوا من تشخيص المرض الذي أصابها، وبالتالي يمكن لهم وضع الدواء أي أساليب الخروج من دائرة الضعف و التخلف.[2]

وبسبب ثقافته الواسعة، وتنقلاته العديدة، بين مختلف الأقطار خاصة الإسلامية منها، أمكن للسيد الأفغاني الإطلاع على أحوال المسلمين السياسةوالاجتماعية و الاقتصادية، وبعد تحليلها، اتضحت له الأسباب الحقيقية لتدهور وانحطاط العالم الإسلامي وبدأ يشخص الوسائل للإصلاح وإنهاض المسلمين. وأسباب انحطاط المسلمين في نظر الأفغاني هي [3]:

- السبب الرئيسي في تدهور المسلمين وضياع مجهدهم وعزهم هو الدين الذي أبعد و لم يصبح له دورا كما كان في عهده الأول، خاصة بعد الخرافات والبدع التي أدخلت عليه.
- السبب الثاني هو حكام المسلمين الذين ابتعدوا عن التعاليم الحقيقية للدين وانصرفوا إلى العصبيات القبلية والجنسية.
- الدور السلبي لعلماء المسلمين وعدم قيامهم بواجباتهم على أكمل وجه مثل توعية المسلمين بخطر الفرقة والاستعمار و الجمود و البدع.
- ومن بين الأسباب أيضا الأفراد والشعوب، خاصة الذين تشبعوا بأفكار المدنية الغربية وانسلخوا عن أصالتهم.
- فشل الأساليب التي أتبعت للإصلاح وهذا بنقص فيها وعدم اتضاحها.

ومن خلال هذه الأسباب، وغيرها من العوامل التي أخرت المسلمين، رأى السيد جمال الدين الأفغاني أن على المسلمين أن يغيروا ما بأنفسهم من رثاثة التقاليد وتمائة الأخلاق، وهذا لا يكون إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم وتعاليمه، وجعل القرآن روحا للحركة الدينية التي دعا المسلمين إليها.[4]

---

[1] المرجع نفسه: ص 135.

[2] محمد فؤاد، شكري: المرجع السابق، ص 7.

[3] أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص ص 126-127.

[4] عبد القادر، المغربي: المرجع السابق، ص 101.

وبعدما اتضحت له الأسباب عمل السيد الأفغاني على زرع بذور الإصلاح و النهضة، وتجسد هذا العمل في مقالاته ومحاضراته ورحلاته ولقاءاته التي تدخل جميعها في حركته الإصلاحية، وإعادة الاعتبار للأمة الإسلامية فالأفغاني له دور في الإصلاح الديني والسياسي و الاجتماعي في بلاد المسلمين،وكان دائما يؤكد على أن الدين الإسلامي هو عماد الحضارة الإسلامية، وبدونه لن تكون هناك نهضة، لأن نهضة المسلمين في الماضي، قد تحققت بواسطة الدين، فنهضة الحاضر لن تكون إلا بالرجوع إلى أصول الدين، ويرى السيد الأفغاني، ضرورة مقاومة العرب و المسلمين لبريطانيا التي سيطرت على العالم الإسلامي، وهكذا يمكننا القول، أن السيد جمال الدين الأفغاني لا يعتبر باعث نهضة فحسب بل يمثل بنفسه انتفاضة في العالم الإسلامي وكرة من النار ما إن مست شيئا إلا وأشعلته، فقد عمل السيد الأفغاني على تحرير العقل من الجمود والخرافات وطالب بضرورة فتح باب الاجتهاد الذي يقع به الإنسجام بين النص الديني والواقع المتغير.[1]

ويمكن القول أن السيد جمال الدين الأفغاني مجد العقل لزرع الثقة في النفوس وإحياء عوامل المقاومة في مختلف الأقطار الإسلامية، وعلى كل الجبهات، إن مواقف الأفغاني تعتبر ثورية بالمعنى الدقيق للكلمة.[2]

لقد كان السيد جمال الدين الأفغاني واسع الإطلاع في العلوم العقلية و النقلية وخصوصا الفلسفة وفلسفة تاريخ الإسلام والتمدن الإسلامي، فقد كان يعرف اللغات الشرقية من تركية وفارسية و أفغانية وعربية بالإضافة إلى لغات الغرب الروسية و الفرنسية والإنجليزية، وهذا لكثرة تنقلاته ومطالعاته حتى أنه ترجم من اللغة الفرنسية، وهو في بداية تعلمها (الثلاثة أشهر الأولى) وكانت أكثر مطالعته باللغتين العربية والفارسية[3] حتى قال عنه الفيلسوف الفرنسي "أرنست رينان"[4]: كنت وأنا أحدث جمال الدين الأفغاني كأني أحدث ابن سينا[5]أو ابن رشد[6]: هذه ملامح الأفغاني.[7]

لقد كانت مجهودات السيد الأفغاني منصبة حول توحيد كلمة الإسلام وجمع شتات المسلمين في سائر أقطار العالم في حوزة دولة واحدة إسلامية، تحت ظل الخلافة، وقد بذل جهوده في هذا المجال، بل قد انقطع

---

[1] أحمد محمد جاد، عبد الرازق: المرجع السابق، ص ص 292-293.

[2] محمد، طهاري: المرجع السابق، ص 33.

[3] جرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 76.

[4] أرنست رينان: Renane E (1823-1892م) ولد في مدينة ترجية ودخل المدارس اللاهوتية، وتضلع في اللغات الشرقية، رحل إلى المشرق ونزل بلبنان واهتم بالعقائد الإسلامية، من أهم آثاره كتاب: إبن رشد و الرشدية. راجع: نجيب، العقيقي: المستشرقون، ج1، ط4، القاهرة: دار المعارف، (د-ت). ص 191.

[5] ابن سينا: (370-428هـ/980-1037م) هو الحسين بن عبد الله بن سينا، ولد في إحدى قرى بخارى، بعد رحلات عديدة أصبح علما بارزا، من أعظم فلاسفة الإسلام، لقب بالشيخ الرئيس، اشتهر كطبيب له كتاب "السياسة". راجع: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، ط3، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر . 1990، ص 22.

[6] ابن رشد: (520-595 هـ/ 1126-1198م) هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، فيلسوف الأندلس، من أبرز فلاسفة الإسلام العقلانين و الشارح الأكبر لأعمال أرسطو، له مؤلفات عديدة، نبغ في الطب و الفقه، و لاتزال كتبه من أمهات المراجع. راجع: عبد الوهاب، الكيالي: المرجع السابق، ص 22.

[7] عبد القادر، المغربي: المرجع السابق، ص 66.

عن العالم من أجل هدفه، لقد استطاع السيد الأفغاني أن يبث في نفوس أصدقائه ومريديه روحانية، حركت هممهم وحدّدت أقلامهم، فانتفع الشرق بهم وبأعمالهم[1] لقد كان جمال الدين الأفغاني يطمح إلى رفع الشعوب الإسلامية إلى المستوى الذي بلغته الشعوب الحرة المتقدمة، فالأفغاني يعتقد من خلال تجاربه وتنقلاته، أن تحقيق هدفه لا يكون إلا بالثورة.[2]

إن السيد جمال الدين الأفغاني لم يكن إصلاحيا، حسب مدلول الكلمة، وإنما كان رجلا ثوريا بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة في الأدب السياسي الحديث، و لم يتخل ويترك هذه الصفة الثورية حتى في لحظات النكسة وظروف المأساة التي كان يتعرض لها من حين لآخر.[3]

وقد آمن السيد الأفغاني، أشد الإيمان بالحكم النيابي، كأسلوب ضروري لتمثيل الأمة، وهذا لكي تزدهر وتقوى ، وتصبح لها قيمة حقيقية، عكس المجلس النيابي، الذي يشكله الأمير أو الملك، هذا الاتجاه السياسي يجعلنا نضع السيد الأفغاني، في صدارة المفكرين الاجتماعيين، وحتى المفكرين المتقدمين، وهذا لما قدمه من إبداع في هذا المجال، بوسائله الخاصة[4].

لقد كان السيد الأفغاني يدعوا إلى إصلاح ديني على قدر فهمنا للدين الإسلامي، فهو يريد دينا يتلاءم و النهضة الحديثة، وكان الشغل الشاغل له، ليس كيفية تقدم المسلمين ولحاقهم بالأمم القوية، وإنما عن الكيفية التي يقتنعون بها للرجوع إلى دينهم، ويعرفون أيضا بأن ضعفهم سببه تخليهم عن الدين وهذا بسبب الجهل، إن الأفغاني أعطى مكانة هامة للإنسان المسلم المفكر العاقل، ولكن العالم الإسلامي كان في سبات عميق، فالسيد الأفغاني، كان يؤمن بأنه يمكن للدين الإسلامي أن يسير جنبا إلى جنب العلم الحديث[5] فلا بد من تهذيب علومنا وتنقيح مكتباتنا ووضع مصنفات فيها، قريبة المأخذ، سهلة الفهم كما كان يقول بذلك السيد الأفغاني[6] لأنها السبيل لإصلاح عقول وأفكار المسلمين في شتى أصقاع المعمورة.

ويرى السيد جمال الدين الأفغاني، حول تقدم المسلمين، ضرورة الإقتباس من الفنون العملية للثقافة الغربية، لأنها في نظره، هي السبيل إلى إعداد القوة للخلاص من الاستعمار الأوروبي[7] الذي يراه مرادفا للخراب و التخريب والإسترقاق و الإستبعاد بعيدا عن العمران و البناء، فالاستعمار لا يتجه إلا إلى البلاد الغنية في ثروتها ومعادنها وخيراتها[8] وهكذا نلاحظ طغيان الجانب السياسي على تفكير السيد الأفغاني، حيث رأى أن مرض المسلمين مرده إلى الإستعمار الغربي، بكل أشكاله وأنواعه، وبالتالي منهجه الإصلاحي النهضوي

---

[1] حرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 76.

[2] جورج، أنطونيوس: المرجع السابق، ص 136.

[3] محمد، عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، (د-ت)، ص 25.

[4] المرجع نفسه : ص ص 96-97.

[5] محمد، طهاري: المرجع السابق، ص ص 21-22.

[6] عبد القادر، المغربي: المرجع السابق، ص 102.

[7] محمد، طهاري: المرجع السابق، ص 71.

[8] محمد، عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص 447.

يتميز بالثورية، فهو لا يؤمن بوسائل الإصلاح، المتمثلة في التعليم، فهي بالنسبة له، تقليدية وبطيئة، وهدف الأفغاني إيقاظ العالم الإسلامي من سباته، وإنذاره بخطورة الإستعمار الجاثم على أراضيه، ودعوة الأفغاني الإصلاحية العنيفة وجدت صدى طيّبا عند بعض شباب المسلمين، ورأوا في الجانب الثوري إطارا للإصلاح ووسيلة سريعة، وأداة سهلة لتحقيق الاستقلال القومي.[1]

ولمواجهة الاستعمار دعا السيد الأفغاني إلى نبذ الخصومة بين الشيعة و السنة، وهذا ليؤلف بين سلطتين قويتين في العالم الإسلامي، سلطة إيران وسلطة استانبول، وكذلك رأى ضرورة خلق جيل جديد من القادة المفكرين و السياسيين للاضطلاع بهذا الأمر، وهو مواجهة الاعتداء الخارجي، فحركة السيد الأفغاني سياسية في مظهرها، لكن في جوهرها حركة دينية خالصة، فهو يدعو إلى وحدة المسلمين وإلى حكومات إسلامية مستقلة يرتبط بعضها ببعض في شبه اتحاد، فهو يدعو إلى الأخذ من حضارة ومدنية الغرب، وكل ذلك في إطار الإسلام، يدعو أيضا إلى مقاومة التغلغل الغربي في بلاد المسلمين خاصة الاستعمار الإنجليزي وكان شديد الانتقاد للأنظمة المستبدة، المتمثلة في سلطان استانبول وشاه إيران وخديوي مصر، فهو يدعو إلى ضرورة إعطاء الشعب حريته في الرأي والقول والمشورة وكان يدعو إلى ضرورة الترابط الوثيق بين المسلمين وغير المسلمين في الأوطان الإسلامية وإلى عدم التمييز بين المسلم وغير المسلم.[2]

لقد أراد السيد جمال الدين الأفغاني، تأسيس مدرستين، مدرسة منظمة يعود فيها الطلبة على حرية البحث و التفكير الحر، أما المدرسة الثانية فهي مفتوحة لعامة الشعب، دورها تعليم الناس كيف يكونون أحرار؟ وكيف يطالبون بحقوقهم[3] وهكذا نلاحظ أن السيد الأفغاني كان صاحب مشروع حضاري كبير.

3.3 الأفغاني والإنجليز:

ربما يعود كره السيد الأفغاني الشديد للإنجليز لدورهم في إقصاء صديقه من الحكم "محمد أعظم خان" سنة 1869م ومساعدة خصمه للوصول إلى الحكم[4]، ووصل به حد الكره للإنجليز أن قال[5]: إن إنجلترا لو استطاعت أن تخرج قوما من المسلمين من ديارهم لكي تستبدل بهم قوما غيرهم لفعلت.[6] ! وهذا الكره الشديد للاستعمار خاصة الإنجليزي، تسبب له في متاعب كثيرة، فقد استخدمت إنجلترا كل إمكانياتها لعرقلة نشاطه، كالتضييق على مجلته"العروة الوثقى" التي أنشأها سنة 1884م في باريس و في نفس الوقت حاولت استمالته، أي استعمال أسلوب الترغيب معه حيث نجدها تعرض عليه عرش السوادن، لتقضى على ثورة

---

[1] محمد، طهاري: المرجع السابق، ص ص 122-123.

[2] محمد، البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط 6، بيروت: دار الفكر، 1973، ص ص 81-108.

[3] حنا، الفاخوري: تاريخ الأدب العربي، ط 10، بيروت: المكتبة البولسية،1980، ص 1050.

[4] عبد القادر، المغربي: المرجع السابق، ص 29.

[5] محمود، قاسم: "مناهج الإصلاح في الشرق منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عصر النهضة المعاصرة، فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح"، الثقافة، ع81، (ماي- جوان 1984) الجزائر: وزارة الثقافة و السياحة، ص ص 18-29.

[6] وهذا يعتبر حدس صادق وبعد نظر تميز به الأفغاني، فإنجلترا تجرأت وأعلنت عن وعدها (وعد بلفور) وساهمت في قيام دولة إسرائيل اليهودية بفلسطين وطردت أهلها الأصليين (العرب).

المهدي، وبالتالي تحقق هدفين في آن واحد، لكن السيد جمال الدين الأفغاني كان رده عنيفا على هذا الكـــرم الإنجليزي ! حيث قال للورد "سالس بري": "أن السودان ليس ملكا لإنجلترا حتى تتصرف في عرشه".([1])

و لم يقف أمام إنجلترا إلا محاربة فكر السيد الأفغاني و التضييق عليه في كل مكان،[2] لقد كان يعلم تمام المعرفة أن الإنجليز يكرهون الجنس العربي والإسلامي لذلك حذر منهم فهم حريصون على التنكيل بالممـــالك الإسلامية وعلى التهامها واحدة بعد الأخرى، فالإنجليز بالنسبة له لا يتورعون أمام أية وسيلة ولا يحترمون أي مبدأ إذا أرادوا تحقيق مآربهم، وأكثر ما يعتمدون في ذلك على خلق الخدع و الحيل حتى يصلـــوا إلى تحقيـــق هدفهم وهو السيطرة على جزء من أراضي المسلمين.[3]

4.3-الأفغاني و الجمعيات السرية:

يعتبر السيد الأفغاني أول من أدخل نظام الجمعيات السرية في العصر الحديث إلى مصر، فقد أســـس الحزب الوطني سنة 1879م في مصر وكان حزبا سريا، وأنشأ أيضا جمعية "مصر الفتاة" وكانت ســـرية لهـــا صحيفة باسمها، وفي الهند أثناء إقامته أنشأ جمعية "العروة الوثقى" في سنة 1882م وكانت سرية أيضا، وقد امتد نشاط هذه الجمعية الأخيرة إلى بلاد الشام وإلى مصر والسودان و تونس، وكان الأمير عبدالقادر مـــن بـــين أعضائها بالإضافة إلى مهدي السودان، محمد أحمد الذي تتلمذ على يد الأفغاني في مصر أربع سنوات وكـــانت صحيفة "العروة الوثقى" التي أصدرها في باريس سنة 1884 بمعية تلميذه وصديقه محمد عبده هي لسان حـــال جمعية "العروة الوثقى".[4]

وقد انضم السيد الأفغاني إلى الماسونية[5] سنة 1878م عندما كان في القاهرة حيث إنخـــرط في المحفـــل الإسكتلندي البريطاني، وهدفه من الانضمام تحقيق أهدافه الإصلاحية واستغلال الماسونية في هذا المجال، لكنـــه انسحب من هذا المحفل بعدما رأى عقم النضال فيه[6] وأسس بنفسه محفلا ماسونيا تابعا لمحفل الشرق الفرنسي،

---

[1] محمود، قاسم: المرجع السابق، ص ص 18-29.

[2] المرجع نفسه، ص ص 18-29.

[3] محمد الأخضر، ضيف الله: المرجع السابق، ص 61.

[4] محمد محمد، حسين: الإسلام و الحضارة الغربية، ط2 (د-م)، دار الفتح، 1973، ص ص 78-79.

[5] الماسونية: منظمة دولية، تعرف باسم البنائين الأحرار، لها شعاراتها ومبادئها بعضها منشور وبعضها يحيـــط بـــه الإبهـــام أو الســـرية والغموض إلا بالنسبة لأعضائها وللخاصة من هؤلاء الأعضاء.فضلا عن الرمزية التي تحيط بطقوسها واجتماعاتها، لقد نشأت الماســـونية في أوروبا خلال القرون الوسطى دون أن يقرر لها المؤرخون تاريخا محددا من حيث الزمان أو المكان ، فالماسون أو البناؤن يقصـــد هـــم في رواية بناة هيكل سليمان من اليهود الذين عادوا من بابل بعد السبي وهم يحملون المحارة للبناء في يد و السيف في اليد الأخرى، فمـــن ثم، ارتبطت الماسونية باليهودية العالمية أو الصهيونية وأقيمت المحافل الماسونية في إنجلترا وفرنسا و ألمانيا وغيرها وانتقلت إلى الولايات المتحـــدة الأمريكية كما انتقلت بالتبعة إلى المستعمرات، وتشير البيانات المنشورة عن الماسونية بأنها منظمة خيرية وأنها وطنية وأن شعارها المســـاواة والإخاء و الحرية وأنها بعيدة عن مشاكل السياسة وأنها تؤمن بالتسامح و السلام، غير أن المعقبين للماسونية يرون عكس ذلك، يعيبـــون على الماسون انغماسهم في الطائفية و السياسة و مناهضة الروح الوطنية و القومية باعتبار أن الاخوة الماسونية تعلوا على أخوة الوطـــن. راجع: أحمد، عطية: القاموس السياسي، ط3، القاهرة، دار النهضة العربية، 1968، ص ص 1100-1101.

[6] أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص 131.

وترأسه وضم إليه عددا من أصحاب النفوذ في مصر مثل ولي العهد توفيق، وهذا بمساعدة رئيس الوزراء "رياض باشا" الذي كان قد دعا السيد الأفغاني إلى مصر وأكرمه خلال إقامته[1] وقد إنتقد السيد الأفغاني الماسونية كثيرا في مقالاته وخطبه فهو يقول في هذا المجال: "إذا لم تتدخل في سياسة الكون وفيها كل بناء حر وإذا آلات البناء التي بيدها لم تستعمل لهدم القديم ولتشييد معالم حرية صحيحة، وإخاء ومساواة وتدك صروح الظلم و العتو، والجور فلا حملت يد الأحرار مطرقة حجارة ولا قامت لبنايتهم زاوية قائمة".[2]

لقد كان السيد الأفغاني شديد الإعجاب بشعارات الماسونية، حرية مساواة و إخاء غير أنه عندما عرف بواطنها وقف محاربا لها ومحذرا منها.

5.3-الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية:

كان الهدف الذي يرمي إليه السيد جمال الدين الأفغاني من حركته الإصلاحية هو تأسيس حكومة إسلامية واحدة، إمامها القرآن وأساسها العدل و الشورى واختيار خير الناس لتولي الأمور، كان دائما يضرب المثل بالإمارات الألمانية التي توحدت عام 1871م [3] ولن ينجح هذا الأمر بالنسبة للسيد الأفغاني إلا باضطلاع دولة إسلامية بهذه المهمة، ولن تكون غير الدولة العثمانية باعتبارها أكبر و أقوى دولة إسلامية، وكذلك موطن الخلافة الإسلامية[4].

وتعتبر فكرة الجامعة الإسلامية[5] جزء من مخططة الإصلاحي ونهضة المسلمين في مشارق و مغارب الأرض، وبذلك أراد السيد الأفغاني الوحدة التي تركز على الدين، لا على الجنسية القومية العرقية، إذ لا يوجد في الإسلام ما يدعو إلى عصبية الجنس، فالإنسان المتديّن بالدين الإسلامي إذا رسخت فيه العقيدة، يلتفت عن الرابطة الخاصة إلى العلاقة العامة أي الأخوة الدينية.[6]

وعندما طلب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909م) من السيد جمال الدين الأفغاني سنة 1892م الحضور إلى استانبول لبى الدعوة، وفي حضرة السلطان العثماني، طلب السيد الأفغاني ضرورة إقامة نظام للشورى في الإمبراطورية العثمانية، وتغيير نظام الحكومة، وعندما فشل في مسعاه دب اليأس إليه، واعتبر

---

[1] محمد محمد ، حسين: المرجع السابق، ص 79.

[2] محمد، عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني: ص 521.

[3] احمد، أمين: المرجع السابق، ص 107.، وكما هو معروف أن إمارة بروسيا بزعامة "أوتو فون بسمارك" قادت الإمارات الألمانية إلى الوحدة بعد حرب مع الدانمارك سنة 1864، و النمسا 1866، ومع فرنسا سنة1870.

[4] احمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص ص 128-129.

[5] الجامعة الإسلامية: هو تيار سياسي برز في الشرق الإسلامي في القرن 19م، الهدف منه استخدام روابط الأخوة و التضامن الإسلامي في معركة التجديد و اليقظة لإخراج المسلمين من تخلفهم، وكانت الجامعة الإسلامية تمثل:

* حركة إصلاحية تجديدية عند البعض. * تمثل عند السلطان عبد الحميد الثاني الوسيلة لإحكام قبضته على جميع المسلمين. *تمثل لدى الأفغاني، التضامن الإسلامي لصد الغزو الاستعماري الأوروبي، وقد فشل هذا المشروع بسبب اختلاف الآراء، راجع. عبد الوهاب، الكيالي: المرجع السابق، ج2، ط1، ص ص 17-18.

[6] احمد محمد جاد، عبد الرازق: المرجع السابق، ص ص 294-295.

السيد الأفغاني أن حكم عبد الحميد الثاني الفردي المطلق لا يمكن أن يصلح نواة للوحدة الإسلامية التي يتوخاها.[1]

والحقيقة أن رؤية السيد الأفغاني للجامعة الإسلامية كانت أكثر تقدمية من رؤية السلطان عبد الحميد الثاني، فالسيد الأفغاني ينادي بجامعة إسلامية دستورية، في حين كان السلطان عبد الحميد الثاني، يريدها جامعة إسلامية يتمتع هو بزعامتها، كخليفة للمسلمين، له الكلمة الأولى و الأخيرة فيها، بينما كان العصر، عصر الحكومات الدستورية البرلمانية القومية، ومن ثم كانت نظرية عبد الحميد الثاني لا تنسجم إطلاقا مع العصر، فهو ضد النظام الدستوري وضد التمثيل النيابي للشعب فضلا، على أن نظرية الجامعة الإسلامية، كانت هي الأخرى ضد نظرية القومية[2]، التي تعتبر نظرية القرن التاسع عشر (قرن القوميات). لقد كان السلطان العثماني عبد الحميد الثاني يسير عكس التيار العام وتعتبر المواجه بين النظرية القومية ونظرية الجامعة الإسلامية واحدة من أخطر العوامل التي أدت إلى فشل تطبيق فكرة الجامعة الإسلامية، ومن ثم فإن الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السلطان عبد الحميد الثاني، كانت جامعة إسلامية على الطريقة التركية العثمانية، ومثل هذا الاتجاه الحميدي، كفيل بأن يثير أشجان وعواطف العناصر العربية و العناصر غير التركية الأخرى. فالسلطان عبد الحميد الثاني، كان يعتمد في الحكم والإدارة و الشؤون العسكرية في أنحاء الإمبراطورية على العناصر التركية فقط، ويمكن لنا القول أن الواقع الإسلامي و العربي آنذاك لم يكن مهيئا لإقامة جامعة إسلامية أو حتى دولة عربية واحدة، لأن الاتجاه القومي آنذاك، كان يتمثل في الفكرة القطرية.[3]

لقد جاهد السيد جمال الدين الأفغاني بقلمه ولسانه أبلغ جهاد، وأصعبه أيضا خاصة وأنه جعل من الأمراء والسلاطين موضوع جهاده ومادة نصحه، وقد لقي في سبيل ذلك صعوبات جمة[4] غير أن المعروف عنه

---

[1] محمد صالح، منسي: حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي. (د-م)، دار الاتحاد العربي للطباعة، 1972، ص 65.

[2] القومية: في الاصطلاح السياسي يقصد بها جملة العوامل المعنوية التي تربط جماعة إنسانية وتضمها في إطار وحدة تعرف بالوحدة القومية، وتعرف هذه الجماعة باسم" الأمة" فمن ثم كانت العلاقة بين القومية والأمة و بين الأمة و الدولة التي هي تنظيم سياسي يمثل شعبا ذا وحدة قومية يعيش في إقليم معين، ومن العوامل التي تعتبر مقومات القومية: -وحدة الجنس (اشتراك الجماعة في صفات خَلقية معينة)

- وحدة اللغة، صلة التخاطب في الجماعة.
- وحدة المعتقدات و التقاليد و العرف السائدة بينها.
- بالإضافة إلى ارتباط هذه الجماعة بأحداث الماضي و التاريخ.

وليس بالضروري أن تتفاعل كل هذه المقومات، فربما يكون أحد هذه المقومات ضعيفا كالجنس مثلا، فتعوضه اللغة أو ذكريات الماضي. وقد اجتاحت العالم منذ أوائل القرن التاسع عشر، لا سيما أوروبا حركات قومية تحت تأثير الثورة الفرنسية، تهدف إلى استثارة الروح الوطنية ونشأ في تلك الفترة ما يسمى حرب الثقافات وهذا لأن كل شعب يطمح إلى الوحدة السياسية، عليه بإثارة مقوماته. راجع: أحمد، عطيه: المرجع السابق، ص ص 942-943.

[3] عبد العزيز سليمان، نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998، ص ص 149-151.

[4] أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص 132.

أنه قد تكلم كثيرا، وكتب قليلا، وقرأ الناس عنه و لم يقرأوا له إلا قليلا، فقد ترك كتابين[1] وهما تاريخ الأفغان[2] ورسالة الرد على الدهريين، وأعظم آثاره التي تركها هو تلميذه الإمام الأستاذ محمد عبده الذي واصل الكفاح من بعده من أجل إصلاح حال المسلمين، وكذلك ظهرت أثاره في شعوب كثيرة، في الجزائر تونس، تركيا، الهند، ومصر خصوصا.[3]

توفي جمال الدين الأفغاني في استانبول يوم 9 مارس 1897، عندما داهمه مرض سرطان الفك أواخر عام 1896م، ودفن في مقبرة "شيخلر مزار لغي" قرب قصر "نشان طاش" الذي أهداه له السلطان عبد الحميد الثاني.[4]

مات السيد الأفغاني ولكن أفكاره الإصلاحية، لم تمت، بل انتشرت في كامل الأرجاء الإسلامية، وكل الحركات الإسلامية التي عرفها العالم الإسلامي بعد السيد جمال الدين، مدينة لهذا الأخير بالكثير ومن أقوال السيد جمال الدين الأفغاني الخالدة نذكر:[5]

" إن الأزمة تلد الهمة ولا يتسع الأمر إلا إذا ضاق، ولا يظهر فضل الفجر إلا بعد الظلام الحالك وعلى ما أرى قد أوشك فجر الشرق أن ينبثق فقد أدلهمت فيه ظلمات الخطوب، وليس بعد هذا الضيق إلا الفرج، سنة الله في خلقه".

" لا جامعة لقوم لا لسان لهم، ولا لسان لقوم لا آداب لهم ولا عز لقوم لا تاريخ لهم، ولا تاريخ لهم إذا لم يقم منهم من يحي آثار رجال تاريخهم، فيعمل عملهم وينسج على منوالهم".

---

[1] حنا، الفاخوري: المرجع السابق، ص 1050.

[2] البعض يذكر هذا الكتاب باسم البيان في تاريخ الإنجليز والأفغان، طبع سنة 1878.

[3] أحمد محمد جاد، عبد الرازق: المرجع السابق، ص 305.

[4] جرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 74.

[5] أحمد، أمين: المرجع السابق، ص ص 131-132.

وفي ختام هذا الفصل يمكننا القول أن هؤلاء المصلحين الثلاثة: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الشيخ محمد بن علي السنوسي، والسيد جمال الدين الأفغاني كان لهم الدور الهام و الحاسم في يقظة العرب، وهذا لمجهوداتهم الإصلاحية من دعوة للرجوع إلى منابع الدين، و إلى محاربة الجهل والبدع والخرافات وإلى تأسيس المدارس و النوادي و الجمعيات السرية و العلنية لخدمة الإسلام والثقافة العربية، فهم بلا شك حميرة النهضة العربية التي بزغت معالمها بشكل جلي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبإصلاحاتهم ومجهوداتهم المختلفة، الجبارة مهدوا الطريق لحركات إصلاحية، أخرى لا تقل أهمية، عن أعمالهم الخالدة، وهذا ببروز مصلحين، على شاكلتهم، ولكن في زمان ومكان مختلفين عن زمانهم ومكانهم، ونقصد بهؤلاء الشيخ عبد الرحمان الكواكبي، الشيخ محمد عبده، والشيخ طاهر الجزائري، العالم المصلح، المغاربي، الذي أضاء نجمه في سماء بلاد الشام خصوصاوفي المشرق العربي عموما.

سأحاول في الفصول الموالية الحديث عن الشيخ طاهر الجزائري وأعماله الإصلاحية التي كانت في مستوى الإصلاحات التي قام بها هؤلاء جميعا وأن مكانته في تاريخ النهضة العربية، كانت لامعة وهذا لمجهوداته الجبارة في مختلف الميادين و التي بقيت أثارها شاهدة على ذلك، ثم إن هذا الحديث الذي عرضناه عن هؤلاء المصلحين الكبار و الذي انعكس بآثاره الإيجابية وظلاله الوافرةعلى المنطقة التي نشأ فيها الشيخ الطاهر الجزائري وكانت مجالا لنشاطاته الثقافية ومواقفه الوطنية والقومية ومفيدة لمعرفة الجو الذي برز فيه هذا المصلح الجزائري، والبيئة التي شب فيها وأعطاها الشيء الكثير.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الهجـــرة الجزائريـــة إلى المشـــرق العـــربي
و الشيـــخ طاهـــر الجزائـــري

1.-الجزائريون في المشرق العربي قبيل وخلال القرن التاسع عشر

1.1- تعريف الهجرة

1.1.1- لغويا

2.1.1- شرعا

2.1- أسباب الهجرة

1.2.1- الأسباب الداخلية

2.2.1- الأسباب الخارجية

3.1- اتجاهات الهجرة

2.- الشيخ طاهر الجزائري

1.2-مولده ونسبه

2.2- نشأته ونبوغه

3.2- شيوخه

4.2- صفاته

5.2- رحلاته واتصالاته

6.2- صداقته

1.6.2- صداقته مع العلماء العرب و المسلمين

2.6.2- صداقته مع المستشرقين

7.2- وفاته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الجزائريون في المشرق العربي قبيل و خلال القرن التاسع عشر:

تسبب الإستعمار الفرنسي للجزائر خلال القرن التاسع عشر بظلمه وبطشه واضطهاده للوطنيين في هجرة أعداد هامة منهم إلى المشرق العربي، والهجرة من ناحية مقاومة سلبية للاحتلال، إلا أنها كانت من ناحية أخرى ذات جوانب إيجابية، لأنها ساهمت في توحيد صفوف المهاجرين الجزائريين، نحو هدف واحد، و هو كيفية تخليص وطنهم من براثن الاستعمار الفرنسي[1]. فهؤلاء المهاجرين وجدوا أنفسهم بسبب الاستعمار مشردين في أوطان بعيدة، عن وطنهم الأصلي الجزائر.

و الهجرة بالنسبة لأصحابها، أصبحت في تلك الظروف القاسية أمرا حتميا وملحا، فبعد سقوط الجزائر العاصمة، بدأت القوات الفرنسية، تزحف على المدن والأرياف، أي المناطق الأهلية، و لا ننسى أمرا هاما و هو أن الهجرة بالنسبة لكل مسلم، تستند في أصولها إلى الكتاب و السنة، أي ترك أرض الكفر، والهجرة إلى أرض الإسلام، فهي وسيلة لمقاومة الاستعمار المسيحي الذي حل ببلادهم[2].وهكذا تركوا المجال مفتوحا للمستعمر، بدلا من الصمود والاستشهاد، ونضيف شيئا هنا، وهو أن السياسة التي أتبعتها فرنسا، ساهمت في تشجيع الهجرة، فقمعها المتواصل للجزائريين، ومصادرة أراضيهم و الإستيلاء على الأوقاف الإسلامية، ومحاصرة دور العلم والثقافة،وفتح المجال للمستوطنين من كافة أنحاء أوربا لجعل هؤلاء الجزائريين يفضلون الهجرة على البقاء تحت النفوذ الفرنسي المسيحي، وبالتالي الهجرة بالنسبة لهم الحل الوحيد والأمثل و لا سبيل لهم للتصدي و المقاومة[3].

و معروف عن الجزائريين، أنهم منذ دخول الإسلام أرضهم، اتجهت أنظارهم إلى المشرق العربي، و هذا على اختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية و الاقتصادية.

إن هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي قبيل استقرار الأمير عبد القادر في دمشق؛ لها أسبابها المختلفة والتي سنتعرض إليها في حينها.

ولكنني سأحاول في هذه التوطئة للهجرة أن أشير إلى بعض العلماء الذين نبغوا في المشرق العربي وخصوصا في بلاد الشام قبيل الشيخ طاهر الجزائري، ففي القرن الثالث الهجري، نجد العالم التاهرتي بكر بن حماد(200-292هـ/815-908م) وفي القرن الموالي، ابن الأشخ زكرياء(310-393 هـ/922-1003م) فقد

---

(1) عمار، هلال: " الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي"، الثقافة، العدد 84.(صفر-ربيع الأول 1405 هـ/نوفمبر-ديسمبر1984م) القسم الثاني1898-1918، الجزائر:وزارة الثقافة والسياحة1984، ص88.

(2) جمال، قنان: قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994، ص ص 164-165

(3) عبد الكريم، بوصفصاف : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية1931 -1945، ط1، قسنطينة: دار البعث،1981، ص38.

كان لهما دور بارز في الحياة العلمية التي عرفتها بلاد المشرق[1]، وأيضا برز في دمشق العالم الصنهاجي سالم بن إبراهيم بن عيسى(777-873هـ/1375- 1468م) الذي درّس في دمشق وأفتى وتولى قضاء المالكية، ثم تولى قضاء القدس، وكان قاضيا صارما[2]، وأيضا برز في دمشق والإسكندرية في القرن التاسع الهجري، العالم التلمساني أحمد بن سعيد بن عثمان شهاب الدين[3]، وأيضا برز من منطقة بجاية العالم الزواوي عيسى بن مسعود أبو الروح(664-743هـ/1265-1342م)، الذي كان من كبار علماء عصره، تصدى للتدريس في دمشق، وكان محدثا ومؤرخا.[4]

ومن بين العلماء الجزائريين الذين نبغوا و برزوا في بلاد الشام نذكر الجزائري الزواوي يحيى أبو الحسن (564-628هـ/1169-1231م) الذي كان عالما، في النحو والأدب واللغة، حيث انبرى للتدريس في دمشق، وتجمع حوله كثير من طلبة العلم، ووصلت شهرته إلى حاكم مصر الملك الكامل فاستدعاه لينتفع الناس بعلمه، فكان أحد المدرسين الكبار في الجامع الأزهر.[5]

وكثير هم العلماء الذين برزوا في المشرق العربي، قبيل الشيخ طاهر الجزائري، لا يمكن إحصائهم في هذه العجالة فوالده الشيخ صالح بن أحمد السمعوني(1240-1285هـ/1824-1868م) الذي هاجر بعد إستسلام الأمير عبد القادر، واستقر بدمشق، وأصبح من كبار العلماء، حيث تصدى للتدريس بالجامع الأموي، وتولى قضاء المالكية، وكان إلى جانب ذلك أديبا ومؤرخا وفلكيا. تخرج على يديه الكثير من العلماء، كان من أبرزهم ابنه الشيخ طاهر.[6]

وتجدر الإشارة أن هجرة الجزائريين إلى المشرق العربي، كانت بالنسبة إليهم، أمرا طبيعيا، وذلك للأغراض التي أشرنا إليها سالفا، أما مع الإضطهاد الاستعماري، فالهجرة أصبحت واقعا لا مفر منه، إنها تعني الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، ومن يستطع أن يوقف هؤلاء المتمسكين بدينهم!

فقد قصد الجزائريون بلاد المشرق العربي، لأغراض مختلفة، كطلب العلم،والاسترزاق والسياحة والإطلاع على عاصمة الخلافة الإسلامية، عبر العصور (المدينة المنورة، دمشق، بغداد وإستانبول)[7] بالإضافة إلى هدفهم الأول وهو زيارة الأراضي المقدسة ابتداء من القدس، فمكة والمدينة، وتأدية فريضة الحج.

و الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، لم تكن أبدا واضحة المعالم ومرتبة، بل كانت تتسم بالتذبذب والغموض، لأنها شملت كل فئات المجتمع، من فلاحين، كادحين، بسطاء، علماء، وأعيان وحتى الذين كانت

---

(1) عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 226.

(2) المرجع نفسه:ص271.

(3) المرجع نفسه:ص285.

(4) المرجع نفسه:ص257.

(5) المرجع نفسه: ص 241.

(6) المرجع نفسه:ص-ص 222.221

(7) المرجع نفسه: ص209.

لهم مكانة داخل النظام الاستعماري هاجروا خوفا بلا شك من نشأة أبنائهم في الوسط الاستعماري، و هؤلاء المهاجرين، ساهموا في تقدم ورقي البلدان التي استقروا بها، و هذا ببروز علماء منهم، وحتى الذين استثمروا أموالهم هناك أصبحوا من الطبقة العليا المؤثرة في المجتمع.[1]

1.1.– تعريف الهجرة:

1.1.1.–لغويا[2]: الهجرة من فعل هجَر، الهجْرُ، ضد الوصل، أي هجَرَهُ يهجُرُهُ، هجَرًا وهجْرانًا: صرمه. و الهِجرَة والهُجرَة: الخروج من أرض إلى أرض، والمهاجرون الذين ذهبوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، مشتق منه.وأصل المهاجرة عند العرب خروج البدوي من باديته إلى المدن ، فكل من فارق بلده وسكن بلدا آخر، فهو مهاجر والاسم من الهجرة. قال الله تعالى: ﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة﴾.[3]

2.1.1–شرعا: لقد حدد ابن العربي الهجرة بقوله: الهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكذلك الهجرة–عند الإطلاق– هي الخروج من بلد الكفر إلى دار الإيمان والأسماء إنما تحمل على عرفها، و الهجرة في الشريعة أشهر من أن تحتاج إلى بيان أو تختص بدليل.[4]

وتوجد في التاريخ الإسلامي عشرات الهجرات، كهجرة سيدنا إبراهيم الخليل، لما خاف على نفسه، فقد قال الله تعالى: ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي، إنه هو العزيز الحكيم ﴾[5] وهجرة موسى عليه السلام إلى مَدْين. ﴿ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾[6]، وهجرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة في بداية الدعوة الإسلامية، خوفا من بطش قريش، وأشهر هجرة بالنسبة لنا، هجرته صلى الله علية وسلم من مكة إلى المدينة في سنة 622م.[7]

ونظرا لأهمية هذه الظاهرة –الهجرة– أنعقد مؤتمر دولي في روما سنة 1924م وعرف المهاجر بأنه كل أجنبي، يصل إلى بلد طلبا للعمل، و يقصد الإقامة الدائمة، وهذا نقيض العامل الذي يقصد بلدا للعمل فيه

---

(1) عمار، هلال : "الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي" ص ص87–88.

(2) ابن منظور: لسان العرب، ج6،تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشادلي (د–م)، دار المعارف(د–ت)، ص ص 4616–4617.

(3) سورة النساء : الآية :100

(4) محمد، بن عبد الكريم: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية" دراسات ووثائق ". الجزائر:ش.و.ن.ت،1981. ص20.

(5) سورة العنكبوت: الآية:26

(6) سورة القصص: الآية: 21.

(7) محمد، بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص 20.

بصفة مؤقتة، و يمكننا القول أن تعريف المهاجر يختلف من بلد لآخر، و تدخل في ذلك ظروف وعوامل مختلفة.[1]

و الهجرة الجزائرية نحو الخارج، اتجهت على الخصوص إلى بلاد الشام، فقد كانت ملاذهم الوحيد، توافدوا عليها فرادى و جماعات وقبائل وأعراش واندمجوا مع أهلها وخاصة بعد سنة 1847م، سنة إستسلام الأمير عبد القادر للفرنسيين ، بعد ما عجز في مقاومة الاستعمار الفرنسي و لم شمل الجزائريين تحت لوائه.[2] إن الهجرة بالنسبة للجزائريين في ذلك الوقت كانت الحل الوحيد، ووسيلتهم المفضلة فهم عجزوا عن مقاومة فرنسا، ورفضوا العيش تحت سلطانها.[3]

وقبل الحديث عن أسباب الهجرة، نتحدث بصفة عامة عن هجرة الجزائريين نحو المشرق، ونحاول أن نحدد لها زمان انطلاقتها.

تعتبرسنة1832 م ، بداية للهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي، لأنه في هذه السنة تأكد للجزائريين الذين وقعوا تحت السيطرة الفرنسية، أن الاضطهاد والقمع الفرنسي لا مفر منه، وأصبح واقعا ملموسا، خاصة بعد تعيين " دو رفيقو"[4] حاكما عسكريا عاما للجزائر فقد أثقل كاهل الأهالي بالضرائب، وقمع التمردات والانتفاضات بشكل عنيف، كإبادته لقبيلة العوفية[5] عن بكرة أبيها.[6]

---

(1) عبد الحميد، زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين(1919-1939). ط2، الجزائر:م.و.ك، 1985 ، ص 11.

(2) عدنان، الخطيب: الشيخ. طاهر الجزائري، رائد النهضة العلمية في بلاد الشام و أعلام من خريجي مدرسته، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية .1971، ص89.

(3) مصطفى، الأشرف:الجزائر : الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى ، الجزائر: م.و.ك، 1983، ص 281 (من الحاشية).

(4) دي رو فيقو: سياسي و جنرال فرنسي، اسمه الكامل: "آن جان ماري روني هافري" ولد في سنة 1774م وتوفي سنة1833م، قائد الشرطة الفرنسية الملكية في سنة 1830م من الأنصار الأوفياء لنابليون بونابرت، نفي إلى جزيرة مالطا بعد معركة واتر لو جوان 1815م ثم فر من منفاه إلى تركيا سنة1816 ثم توجه إلى لندن ومن هناك تحصل على العفو من الحكومة الفرنسية واسترجع رتبته العسكرية، في سنة 1831 عين قائدا للجيوش الفرنسية في الجزائر امتاز بقمعه الشديد. راجع: حمدان بن عثمان، خوجة: المرآة ط2 تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الجزائر:ش.و.ن.ت،1982، ص60.

(5) قبيلة العوفية: هي قبيلة جزائرية تقطن ضواحي العاصمة تعرضت لمذبحة في ليلة6 و7 أفريل1832م من قبل جنود" دي رو فيقو" رغم براءة القبيلة التي اتهمت بسرقة وفد فرحات بن سعيد العميل آنذاك لفرنسا، ففي هذه المذبحة لم يستثن طفل ولا شيخ ولا إمرأة، وكل حي يقتل.

راجع: أبو القاسم،سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 القسم1، الجزائر: م.و.ك،1992. ص 94 (من الحاشية) .

(6) عمار، هلال : أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة(1830-1962م). الجزائر:د.م.ج، 1995، ص 77.

وقد اشتدت الهجرة الجزائرية، خلال عام 1847 عندما لاح في الأفق فشل مقاومة الأمير عبد القادر ثم استسلامه في ديسمبر1847، فقد كان جل الجزائريين يعلقون الآمال على انتصار الأمير ودحر فرنسا، لكن الواقع كان ينذر بالعكس، فهذا خليفة الأمير عبد القادر على برج حمزة بجرجرة أحمد الطيب بن سالم، استسلم للفرنسيين بصور الغزلان[1]، وهذا في شهر فيفري 1847م، واتجه إلى المشرق مع مئات الجزائريين، بالإضافة إلى تدعيم فرنسا لجيشها الذي يحارب الأمير عبد القادر.[2]

والهجرة الجزائرية نحو الخارج لقيت تشجيعا من قبل العلماء، فنجد شيخ الطريقة الرحمانية " الشيخ مهدي السكلاوي[3] ينصح سكان وادي سبدو الذين طلبوا منه النصيحة، للتخلص من الاستعمار، ينصحهم بالهجرة إلى الأراضي الإسلامية ليحافظوا على دينهم ودنياهم، وفي رواية أنه قال لهم: يجب ترك هذه الأرض الملعونة التي مات فيها الإسلام، أي الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام والشيخ المهدي السكلاوي نفسه غادر الجزائر في أواخر سنة 1847م نحو سوريا متبوعا بعشرات العائلات الجزائرية وبعض تلامذته ويمكن أن يكون تلميذه الشيخ صالح السمعوني[4] والد الشيخ طاهر الجزائري أحد المهاجرين مع الشيخ السكلاوي، لأن الشيخ صالح السمعوني غادر الجزائر خلال سنة1847 نحو سوريا، ونؤكد هنا، أن منطقة القبائل قد شهدت فرارا جماعيا، لا هجرة، نحو بلاد الشام وعلى الخصوص دمشق، والجزائريون في المهجر، لم يستكينوا بل عملوا كل ما في وسعهم للتعريف بقضيتهم ومحاربة الاستعمار الفرنسي، فقد أسسوا جريدة خاصة بهم، ناطقة بحالهم أطلقوا عليها اسم "المهاجر" وكانت تصدر أسبوعيا بدمشق، ترأس تحريرها " محمد شطه" ولقيت هذه الجريدة الجزائرية دعما من الأمير عبد القادر.

وهكذا نلاحظ أن العلماء والجمعيات الدينية، ساهموا في دفع وتشجيع الجزائريين إلى الهجرة نحو المشرق[5]، و الهجرة ازدادت بين الجزائريين بفعل خارجي تمثل في الرسائل التي كان يبعث بها الجزائريون من المشرق إلى ذويهم، يرغبونهم باللحاق بهم.[6]

---

(1) صور الغزلان: إحدى دوائر ولاية البويرة جنوب شرق الجزائر العاصمة.

(2)يحي، بوعزيز ومكيل، دوإيبالزا: الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ط1 ،الجزائر: دار البعث، 1402هـ/ 1982م،ص.21.

(3)الشيخ المهدي السكلاوي: (1200-1278هـ/1784-1862م) من مواليد جرجرة .توفي بدمشق ،قاد هجرة العلماء الجزائريين إلى بلاد الشام سنة 1847م/1263هـ و هذا بأمر من الأمير عبد القادر ؟! راجع سهيل، الخالدي: الإشعاع المغربي في المشرق . دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام.ط1. الجزائر : دار الأمة: 1997 ، ص270 .

(4) الشيخ صالح السمعوني:(1240-1285هـ/1824-1868م) صالح بن أحمد بن موسى بن أبي القاسم السمعوني فقيه مالكي، أديب عالم، ولد في وغليس، هاجر إلى دمشق سنة 1263هـ، فاستوطنها وأخذ عن علمائها. له رسالة في "اختلاف المذاهب "و" تاريخ" وصل فيه إلى سنة 1280هـ، عمد في كتابته إلى أسلوب الرمز والإشارة ومنظومة في الفقه المالكي و" شرح المنظومة"ورسائل في "علم الميقات" راجع عادل، نويهض: المرجع السابق، ص101.

(5)عمار، هلال:الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918)، الجزائر: لافوميك 1986. ص ص 17-19

(6) المرجع نفسه: ص32

و نؤكد هنا، أن منطقة الزواوة التي ينتمي إليها الشيخ الطاهر الجزائري، تعتبر من أهم المناطق الجزائرية الأكثر هجرة إلى الخارج، وهذا لكرهها الشديد للاستعمار الفرنسي، الذي هددها في جميع مجالات حياتها، الدينية، الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى انتشار عشرات الزوايا بها التي وجهت ووحدت الرأي العام[1]، فمثلا مدينة بجاية في سنة 1848 لم يبق بها سوى 300 شخص من سكانها الأصليين الذين عجزوا عن الهجرة، فلو أتيحت لهم الفرصة لما بقوا يوما واحدا تحت سيطرة الفرنسيين[2].

ونضيف هنا أمرا هاما ساهم في هجرة الجزائريين نحو المشرق، تمثل في استقرار الأمير عبد القادر بدمشق بعد إطلاق سراحه من سجن "أمبواز" سنة 1852م، وبالتالي شجع الكثيرين من الجزائريين على اختيار بلاد الشام قبلة ودمشق على الخصوص مقاما لهم، وقد استقر عشرات الجزائريين بقرى حران، بسوريا وكلن عددهم يتضاعف يوما بعد يوم.[3]

و بسبب تزايد عدد المهاجرين، قال أحد المسؤولين السامين في الإدارة الاستعمارية الفرنسية[4]:"...ليس هناك ما يمنع هذه الهجرة إلا إذا اعتقلنا جميع الأهالي ووضعناهم في السجون – وليس لدينا السجون الكافية التي بإمكانها إستعابهم- لأن هذا الشعب حرم من العيش على أرض أجداده، زيادة على ذلك فإن هذه الهجرة بطيئة التحرك، تكاد في بعض الأحيان معالمها أن تختفي، بل يتبادر للأذهان في بعض الأحيان أنها اختفت تماما، بينما هي في الحقيقة في حركة مستمرة".

2.1-أسباب الهجرة :

يمكن لنا أن نحصر أسباب الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي وبلاد الشام على الخصوص إلى ثلاثة أسباب رئيسية: أسباب سياسية، وأسباب دينية ثقافية وأسباب اقتصادية اجتماعية، وهذه الأسباب قد نجدها أحيانا متداخلة ومجتمعة[5]. وقد نستطيع تقسيم هذه الأسباب إلى أسباب داخلية، وأسباب خارجية، التي لا تقل أهمية عن الأسباب الداخلية التي تعني السكان مباشرة .

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية. ج1. ص 359

[2] المرجع نفسه: ص 385

[3] JEAN JAQUES, RAGER : LES MUSULMANS ALGERIENS EN FRANCE ET DANS LES PAYS ISLAMIQUES. PARIS : SOCIETE D'EDITIONS «LES BELLES LETTRES ».1951.P.P : 43.44

[4] عمار، هلال : " الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي " ص 91

[5] عمار، هلال :الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، ص 15

1.2.1-الأسباب الداخلية :

*** الأسباب السياسية:**

وتتمثل في القمع والإرهاب الذي اتبعته فرنسا، خاصة في عهد الجنرال "بيجوbugeaud"[1] الذي أيد الاحتلال الشامل و نفذه على أرض الواقع، فقد تحصل على كل الوسائل الضرورية في حربه ضد الأمير عبد القادر، حيث بلغ عدد القوات الفرنسية في الجزائر، سنة 1842م أكثر من 83000 رجل وفي سنة 1846 وصل العدد إلى 108000 رجل مدججين بمختلف الأسلحة، بالإضافة إلى 10,000 رجل من الجزائريين المتواطئين مع فرنسا فقد كانت الحرب التي قادها " بيجو" في الجزائر، حرب إبادة حقيقية، فقد كان شعاره" السيف في يد والمحراث في يد" وكانت سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها سببا رئيسيا في هروب الجزائريين إلى الخارج وليس هجرهم؟ ! فمثلا في سنة 1844 م قاد حملة على منطقة القبائل، أباد فيها المئات وكانت هذه المنطقة خاضعة لنفوذ الأمير عبد القادر[2]. و كذلك من بين الأسباب السياسية لهجرة الجزائريين ، فقدان السيادة الوطنية وعدم وجود وحدة سياسية تجمع الجزائريين، والأمير عبد القادر الذي أراد تكوين دولة جزائرية، لم يستطع الصمود و القتال في جبهتين، جبهة فرنسا وجبهة الجزائريين المتعاونين مع فرنسا[3]. ومن بين الأسباب أيضا، استسلام بعض القادة المعروفين لفرنسا، أمثال القائد أحمد الطيب بن سالم خليفة الأمير عبد القادر على منطقة القبائل " برج حمزة"، الذي هاجر إلى المشرق ومعه خمسمائة شخص من بينهم شيخ الطريقة الرحمانية " الشيخ المهدي السكلاوي"[4]. وهكذا نلاحظ أن الهجرة إلى الخارج، أصبحت آخر حل يلجأ إليه الجزائري الذي عجز عن مقاومة فرنسا ورفض البقاء تحت سلطتها[5] فالاستعمار الفرنسي جاء على الأخضر واليابس وحادثة غار الفراشيش[6] تبقى شاهدة على القمع والإرهاب الفرنسي، والتي تمثل البربرية والوحشية، التي لا نجد نظيرا

---

(1) بيجو : bugeaud : ولد سنة 1784 بليموج، توفي بفرنسا بالكوليرا سنة 1849، قبل مجيئه إلى الجزائر، حارب في إسبانيا في جيش نابليون بونابرت، اشتهر بالعنف في إسبانيا، ونقل طريقته القمعية إلى الجزائر، وربما تعود شخصيته العنيفة القاسية إلى تكوينه الشخصي، وثروته وعقيدته الاقتصادية والسياسية. راجع: أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص311 من الحاشية.

(2) شارل روبير، أجيرون : تاريخ الجزائر المعاصرة. ط2، ترجمة: عيسى عصفور، الجزائر:د.م.ج،1982، ص ص32-33.

(3) سهيل، الخالدي :المرجع السابق، ص 16

(4) المرجع نفسه: ص 31

(5) جوان، جليبسي : ثورة الجزائر، ترجمة عبد الرحمن صدقي أبو طالب ، القاهرة: الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966، ص 36 .

(6) مجزرة غار الفراشيش : هي مجزرة رهيبة وقعت في قبيلة "أولاد رياح" بغار الفراشيش، في ناحية الظهرة بجبال الونشريس، في شهر جوان 1845 واشرف على هذه المجزرة العقيد " بليسي" وسبب هذه المجزرة، أن قبيلة أولاد رياح بعدما غزاها "بليسي" ودمر وأحرق ممتلكاتها، فرت إلى غار محصن له مدخلين يسمى "غار الفراشيش" وهذا يوم 17 جوان، وحاصر بليسي وجنوده الغار من جميع الجهات وطلب من القبيلة الاستسلام، لكنها رفضت وبذالة حلب الحطب و أحاط بالغار، وأضرمت النيران=

لها في أحداث التاريخ.إلا ما اقدم عليه التتار؟ ! وفي البداية كما هو معروف تعرضت كثيرا من القرى والمدن للحصار والدمار النهائي، وهكذا الجزائري لم يهاجر داخليا، بل هاجر إلى الخارج.[1]

بالإضافة إلى الأساليب المتبعة من قبل فرنسا، التي لم تشجع الجزائريين على البقاء، أبدا فبعد سياسة السلب والنهب والقتل والنفي، وصل الحقد بالفرنسيين إلى هدم المقابر ونبش القبور وبيع عظام الموتى لأغراض صناعية بمرسيليا[2].ونجد بعض الزعماء السياسيين يطلبون من بعض الجزائريين اللحاق بهم في المهجر، كما طلب أحمد الطيب بن سالم من سكان"دلس" الالتحاق به عام 1853 م.

ولا ننسى أيضا أن الجنرال "بيجو" قد قام بنفسه بتهجير أعيان الجزائر، وكل شخص لا يتعاون صراحة مع فرنسا، وبالتالي لا أمل في البقاء تحت سلطة قمعية.[3]

*** الأسباب الدينية والثقافية:**

من أجل إنجاح حملتها وتجسيد الاحتلال ماديا وبصيغة نهائية أيضا، رأت فرنسا أن القضاء على الدين الإسلامي هو هدفها الثاني بعد سلب الجزائريين سيادتهم. وهذا لأهمية العقيدة الإسلامية في حياة الجزائريين، الذين شبوا على المحافظة عليها والتمسك بالإسلام، و لم يعرفوا الإرساليات التبشيرية التي كان المشرق العربي يعج بها ولكسر هذا الجدار، استعملت فرنسا كل الطرق والأساليب للتضييق على الجزائريين في المجال الديني، ففي الخطاب الذي ألقاه الملك الفرنسي شارل العاشر[4] في 31 جانفي 1830 م عشية الإعداد للحملة الفرنسية على الجزائر قال: بأن التعويض الكبير الذي ستحصل عليه حكومته ردا لشرف فرنسا سيؤول لجميع المسيحيين إخوانه في الدين! وصرح أيضا هذا الملك بأنه سيجعل من الجزائر بابا لنشر المسيحية في إفريقيا، وبالفعل هذه الحملة عملت خلال عهد الاستعمار الفرنسي بالجزائر على تدمير المساجد وتحويلها لخدمة الاستعمار وضباطه، وكذلك استولت فرنسا على الأوقاف الإسلامية، وقوضت أركان القضاء الإسلامي، ودعمت التبشير والمبشرين بمختلف الإمكانيات والوسائل، ومن جانب آخر شجعت الأهالي على الاعتقاد بالخرافات والبدع[5]. والملك الفرنسي شارل العاشر اعتبر حملته على الجزائر، مواصلة للحرب الصليبية التي شرع فيها أجداده [6].

-لإجبار الأهالي على الاستسلام، وبعد مرور أكثر من 48 ساعة، وقع انفجار مهول في قلب الغار، معلنا اختناق ما يزيد عن ألف شخص، نساء أطفال، عجزة، ماشية، ... ! فقد كانت عملية تحميص للعرب وشوائهم على النار بدم بارد كما قيل .... راجع : أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 ، ص ص238 239 .

[1] جوان، جليسي : المرجع السابق ص 34

[2] جمال، قنان : المرجع السابق. ص 121

[3] أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1. ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996، ص 194

[4] شارل العاشر: CHARLES X (1757-1836م)، ملك فرنسا(1824-1830م) زعيم حزب الملكيين المتشددين خلال حكم الملك لويس XVIII (1814-1824م)،راجع: petit Larousse illustré. 1989 p 1176

[5] أحمد، الخطيب :المرجع السابق. ص ص 48-49

[6] حمدان بن عثمان، خوجة: المرآة السابق ص 9

ومن الأسباب الدينية والثقافية أيضا، قرار " كلوز يل "[1].بمصادرة الأوقاف الإسلامية، الصادر في 8 سبتمبر 1830م، فقراره كان ضربة عنيفة للدين الإسلامي، والتعليم الديني، بل كل التعليم، وما يتعلق بهما من مصالح، فالأوقاف الإسلامية كانت أنواع: أوقاف مكة والمدينة، وأوقاف الزوايا والقباب، وأوقاف المساجد، وأوقاف الأندلس، وأوقاف الأشراف، وأوقاف الإنكشارية، وأوقاف الطرق العامة، وأوقاف عيون الماء[2]. وهذا العمل الذي أقدم عليه " كلوز يل"، حرك مشاعر المسلمين وأثار حافظتهم ضد الفرنسيين، والذين جاءوا إلى الجزائر بعد "كلوزيل"، لم تكن لديهم أية إنسانية، ولا أخلاق تجاه عقيدة الجزائريين، فهذا الدوق "روفيقو" يقول[3]:" يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبدا لإله المسيحيين ". وهذا الجنرال "بيجو" يقول أيضا[4]:" إن الجزائريين لن يكونوا فرنسيين إلا إذا كانوا نصارى". وقد قام " كلوز يل" بتحويل عشرات المساجد إلى مستشفيات لجنوده، سواء برغبة الأهالي أو باستعمال القوة، حتى دور العلم والثقافة لم تنج من حماقته، فقد قام أيضا بتهديم محلات تدعى " القيصرية" كانت تباع فيها الكتب والمخطوطات، وكان لكوز يل هدف آخر، بتهديمه للمساجد، فقد كان يبحث عن الثروة، فبعض المساجد مزخرفة بالذهب والفضة[5]، حتى أن أحد الفرنسيين وهو"جان بوجولا" صرح قائلا[6]:" إن حربنا الإفريقية إذن ما هي إلا استمرارا للحروب الصليبية" وقد طلب هذا الأخير من حكومته توطين المارونيين في الجزائر[7].

وعملية تنصير الشعب الجزائري وتحويله من الإسلام إلى النصرانية هدف عملت من أجله فرنسا الكثير خلال تواجدها، وهذا عبر الخطوات التالية[8]:

---

(1) كلوز يل: Bertrand clauzel ولد في 12 ديسمبر 1772م في ميريبوا mire poix بفرنسا تولى عدة وظائف في الجيش والسفارة الفرنسية في إسبانيا، عمل في هولندا، وإيطاليا، حكم عليه بالإعدام سنة 1816، فر إلى أمريكا، وفي عام 1820 عفي عنه فعاد وأصبح نائبا في البرلمان تولى الحكم في الجزائر يوم 7 أوت 1830 خلفا " لدي بورمون " قائد الحملة الفرنسية على الجزائر، ثم أصبح ماريشال فرنسا سنة 1831م،ثم عين مرة أخرى حاكما للجزائر سنة 1835، وعزل بعد فشله في حملة قسنطينة سنة 1836، وخلفه الجنرال "دامرمون". راجع: أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص 91 من الحاشية ، وراجع أيضا : محمد العربي الزبيري: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الجزائر:م.ج.ط.ن.ت، 1982 ص 18 من الحاشية.

(2) أبو القاسم ، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1. ص ص 66-67

(3) عمار، قليل : ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج1، قسنطينة: دار البعث، 1991، ص 103

(4) المرجع نفسه: ص 103

(5) حمدان بن عثمان، خوجة: المرجع السابق، ص ص 275-281

(6) أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص243

(7) المرجع نفسه: ص 243

(8) رابح، تركي :" الشهاب لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر" الثقافة، العدد81 (شعبان –رمضان 1404هـ/ماي-جوان 1984م) السنة الرابعة عشر، الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1989، ص 189.

أ- الاستيلاء على المساجد العامة في المدن الكبرى وتحويلها إلى كنائس وكاتدرائيات، كما حـــدث في الجزائر ووهران وقسنطينة.

ب-إخضاع كل شؤون الدين الإسلامي للإدارة الاستعمارية، حتى أن قرار فصل الدين عن الدولة الـذي أصدرته فرنسا سنة 1907 م، طبقته على الديانة المسيحية والديانة اليهودية ما عدا الإسلام!

ج- القضاء على مراكز الثقافة الإسلامية، التي كانت تنشر التعليم الإسلامي بين أبناء وبنات الجزائـر، في قسنطينة وبجاية والجزائر وتلمسان .

ولا ننسى الدور الخطير للمبشرين، فتكالبهم وتهديدهم للجزائريين في عقيدتهم، جعل معظم الجزائريين في موقف لا يحسدون عليه، استعمار، قمع، مصادرة الأراضي، ثم المساس بالعقيدة، هذه الإجراءات جعلـت الجزائريين يرون في الهجرة، الحل الوحيد والأمثل، للاحتفاظ بدينهم ومقوما تهم العربية والإسلامية[1].

[1] عمار، هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 79.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

و يمكننا أن نقول أن فرنسا من خلال المراسيم والقوانين والإجراءات التي كانت تصدرها منذ جويلية 1830 م للتضييق على العقيدة الإسلامية، قد استطاعت إلى حد بعيد أن تؤمم الدين الإسلامي وتحتويه رسميا![1].

ونختتم الأسباب الدينية والثقافية التي دفعت بالجزائريين إلى الهجرة بتصريح المؤرخ الفرنسي " ألكسي دوتوكفيل" في تقرير عام 1847 م بما يلي[2]:" لقد استحوذنا على جميع الموارد (موارد المؤسسات الدينية التي كانت مخصصة لسد حاجات المعوزين وللتعليم العمومي) وصرنا نستعملها في غير ما كانت معدة إليه. لقد هدمنا المؤسسات الخيرية، وتركنا المدارس تندثر، وشتتنا المحاضر، لقد انطفأت الأنوار من حولنا وتوقف انتداب رجال الدين والقانون ومعنى ذلك ، أننا صيرنا المجتمع الإسلامي أكثر بؤسا وفوضى وجهلا وبربرية، أكثر مما كان عليه قبل أن نعرفه".

*** الأسباب الاقتصادية والاجتماعية:**

لقد أدت السياسة الفرنسية القمعية ضد الجزائريين إلى تحطيمهم اقتصاديا، فكانت الهجرة بالنسبة لهم، حلا اضطراريا لا اختياريا! وسمحت هذه الهجرة بخروج الرأسمال المحلي وتوقف الصناعات والحرف المختلفة، وسيطر اليهود علي الإنتاج والبنوك، لان المجال أصبح لهم وحدهم دون منافس[3].

وساهمت الأساليب الاستعمارية في تشتت الأسر الجزائرية، بسبب مصادرة الأراضي، فقد أصبح الاقتصاد الجزائري في خدمة ثلة من المستوطنين، وهذا بعد طرد الجزائريين منها.[4]خاصة في عهد " بيجو" الذي قضى على الرأسمالية المحلية، فوجدت بعض العائلات الجزائرية نفسها تمد يدها، لأن جل ممتلكاتها قد سلبت منها، فكانت الهجرة ملاذها الوحيد[5]. ففرنسا سلبت أراضي الجزائريين وصادرتها، وهذا بدون محاكمة، وأعطتها للمستوطنين الوافدين على الجزائر، فقد وزعت عليهم حوالي 110,000 هكتار بين سنتي 1842 و1845 م وقد وصل عدد المستوطنين في سنة 1845 إلى46000 مستوطن.[6]

ولا ننسى أسباب أخرى ساهمت في هجرة الجزائريين، ونقصد به هنا الجفاف والمجاعات، قد ساهما بشكل كبير في الهجرة[7]. والجنرال" بيجو" صاحب سياسة الأرض المحروقة، أعطى الأوامر لجنوده بأن يخلقوا في الجزائر جو من الرعب، تستحيل فيه الحياة المادية للجزائريين كحرق المحاصيل الزراعية وإتلافها، واحتجازه

---

(1) أحمد، الخطيب: المرجع السابق ص 51.

(2) عبد الرحمن، سلامة: التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، الجزائر: ش.و.ن.ت،1981، ص 20.

(3) أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ص250.

(4) عبد الحميد، زوزو: المرجع السابق، ص 35.

(5) أبو القاسم ، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، ص282.

(6) عبد الرحمن، سلامة: المرجع السابق، ص 20.

(7) عمار، هلال: الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام، من ص 19-20.

للنساء والأطفال للمساومة وخنق قبائل كاملة داخل الكهوف[1]. كما حدث في غار الفراشيش، الذي أشرنا إليه سابقا.

وهكذا أجود الأراضي الزراعية، استولت عليها فرنسا، في السهول والهضاب. وأراضي العرش ذهبت، والضرائب المختلفة فرضت، وتفككت الروابط الاجتماعية و لم يبق للجزائريين إلا الهجرة، وترك الأرض التي سلبت فيها كل حقوقهم المعنوية والمادية.[2]

2.2.1- الأسباب الخارجية :

تتمثل هذه الأسباب الخارجية، في موقف بعض الحكومات الإسلامية، من المقاومة الجزائرية، وكذا من الشعب الجزائري، فهذا سلطان المغرب الأقصى" مولاي عبد الرحمن" الذي كان في بداية الاحتلال، طرفا مؤيدا ومدعما للجهاد الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي الصليبي، لكن بسبب تعرضه للضغوط الفرنسية وخوفا علىعرشه، تحول إلى عدو للأمير عبد القادر وللشعب الجزائري، وبالتالي الدور الذي كان ينتظره الجزائريون من هذا السلطان انتهى، وانتهت آمالهم فيه، فهذا السلطان قام بمصادرة الأسلحة القادمة للأمير عبد القادر(1500 بندقية إنجليزية و400 بدلة من الجوخ). ولا ننسى الدور السلبي لبايات تونس، فمنذ الوهلة الأولى للاحتلال تواطؤوا مع الاستعمار الفرنسي وأصبحوا رهن إشارته وفي خدمته، واعتبروا أن فرنسا صديقة لهم ويعادون كل من يعاديها، وضيقوا على أحمد باي، وصادروا الإمدادات التي كانت تأتيه من المشرق العربي عبر تونس، مثل استيلائهم على المدافع التي أرسلها السلطان العثماني إليه بعد انتصاره على الفرنسيين في معركة قسنطينة نوفمبر 1836م.[3] فهذين الجارين، كان ينتظر منهما الكثير، لمساعدة الشعب الجزائري، لكن دورهما كان سلبيا، و لم يرق إلى العلاقات التاريخية والروابط الدينية وبالتالي خاب أمل الجزائريين فيهما، ورأوا أن الهجرة هي الحل الأمثل، ونضيف سببا خارجيا تمثل في الرسائل التي كانت تصل إلى الجزائريين من ذويهم الموجودين في بلاد المهجر، حيث يصفون لهم الحرية والأخوة في المشرق العربي، وبالتالي يشجعونهم على الهجرة والالتحاق بهم.[4]

---

(1) أبو القاسم، سعد الله : الحركة الوطنية الجزائرية، ط3، الجزء الثاني(1900-1930)، الجزائر: ش.و.ن.ت،1983، ص20.

(2) عمار، قليل : المرجع السابق، ص 103

(3) سهيل، الخالدي: المرجع السابق، ص ص17-18 وأنظر أيضا يحي بوعزيز ودو ايبالزا مكيل : المرجع السابق، ص-ص : 11-12

(4) أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 127.

3.1 – اتجاهات الهجرة :

الهجرة الجزائرية إلى الخارج بصفة عامة كانت متباينة ومختلفة ومتذبذبة وغير واضحة، فقد كانت أحيانا جماعية وأحيانا فردية، وهذا بفعل الظروف والإمكانيات المتاحة انذاك، فنجد عائلات من الغرب الجزائري، اتجهت إلى المغرب الأقصى لقربه، وعائلات من الشرق الجزائري، اختارت تونس لقربها وبعض العائلات المثقفة والمتعاطفة مع الأمير عبد القادر، إختارت المشرق العربي وخصوصا بلاد الشام ودمشق بالضبط[1].. والدولة العثمانية ساهمت بشكل غير مباشر في دعم هجرة الجزائريين، حيث وزعت الأراضي الزراعية على المهاجرين الجزائريين، في مناطق حوران جنوب دمشق و اللاذقية وحلب والجليل الفلسطيني.[2] وبعض الجزائريين اختاروا أبعد من هذه المناطق، حيث توجهوا إلى عاصمة الخلافة" أستا نبول" و"أزمير"و"الإسكندرية" ، و نجد بعض العائلات الجزائرية، أثناء الطريق، استقرت واختارت مصر مقاما، وهذا يعني أن الجزائريين تركوا الجزائر مضطرين، هدفهم العيش تحت مظلة دولة إسلامية لا أكثر، إذ نؤكد على شيء هام، هو أنه بعد إطلاق سراح الأمير عبد القادر من سجن " امبواز"على يد الإمبراطور نابليون الثالث[3] استقر بدمشق، فساهم بذلك في دفع الهجرة الجزائرية إلى الخارج خصوصا المشرق العربي ودمشق بالذات.[4]

من خلال تتبعنا وتحليلنا للأسباب المختلفة، لهجرة الجزائريين نحو الخارج خصوصا بلاد الشام، نتأكد بأن الاستعمار الفرنسي ودوره الهمجي ساهم كثيرا في طرد هؤلاء الجزائريين من وطنهم إلى بلاد بعيدة ومن حظهم أنها ترتبط بهم بواسطة العقيدة واللغة والتاريخ، وبالتالي هذا الطرد الاستعماري، ساهم في تفكك البنية الاجتماعية للجزائريين وفي نفس الوقت أدى إلى انخفاض عدد السكان، وحتى المقاومات الجزائرية أصابها الملل والركود، بسبب قلة العدد والنزيف المتواصل نحو الخارج. لكن هؤلاء المهاجرين، لم يقبلوا الأمر الواقع، بل عملوا على توحيد صفوفهم، لتقديم المساعدة لوطنهم، وهذا بمختلف الطرق والأساليب، فقد برز عدد منهم في المجال العلمي والثقافي والسياسي، ورفع من مكانتهم، حتى أن السلطات الاستعمارية، خافت منهم، وراقبتهم عن بعد خوفا من تأثيراتهم على أبناء وطنهم الذين يعيشون تحت نير الاستعمار الفرنسي، و لم تطمئن السلطات الفرنسية إطلاقا لهم، لأن نجاحهم ونشاطهم هناك في " المهجر"، سيعمل دون شك على تقويض أركانها في

---

(1) أبو القاسم ، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1، ص 250

(2) سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 32

(3) الإمبراطور نابليون الثالث : (1808-1873م) الإبن الثالث للويس بونابرت ملك هولندا أخو نابليون بونابرت الأول، بعد سقوط الإمبراطورية في 1815م، هرب مع أمه ودخل المدرسة العسكرية في طونTHOUNE شارك في الحركة الإيطالية الكاربوناري نشر في لندن كتاب "الأفكارالنابليونية" بعد ثورة 1848م عاد إلى فرنسا وأنتخب في المجلس الدستوري، ثم أصبح رئيسا للجمهورية الثانية الفرنسية إلى غاية ديسمبر 1851م حيث انقلب على النظام الجمهوري وسمي إمبراطورا، في سنة 1870 دخل الحرب ضد بروسيا، وانهزم وسقط أسيرا في سيدان في 2 سبتمبر 1870م ووضع في السجن ثم نفي إلى بريطانيا أين توفي في سنة 1873م. راجع: Grand Dictionnaire Encyclopédique Larousse, Tome 7 , Paris Libraire Larousse ,1984 P : 7275

(4) Jean Jaques Rager : o p. Cit. pp. 44 - 46

الجزائر، لأن هؤلاء الأعلام العلماء ساهموا في تكوين الشباب الجزائري الذي ذهب إلى المشرق العربي للدراسة، وعندما يعودوا يقودوا الحركة الإصلاحية، الفكرية والثقافية في بلادهم الجزائر، والشيخ الطاهر الجزائري، برز في بلاد الشام كعَلِم وقطب هناك، فكان له الفضل الكبير على أبناء المشرق العربي، وعلى الجزائريين الذين انتقلوا هناك للدراسة، وبالتالي هذه الهجرة في بعض جوانبها، كانت إيجابية جدا للشعب الجزائري.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- الشيخ طاهر الجزائري :

1.2 – مولده ونسبه:

هو طاهر بن صالح[1] (أو محمد الصالح) بن أحمد بن موهوب السمعوني الوغليسي[2] الجزائري، ثم الدمشقي، ولد بدمشق ليلة الأربعاء20 ربيع الثاني 1268هـ الموافق لسنة 1852م أبوه الشيخ صالح السمعوني عالم كبير، وفقيه أديب له اهتمام بالتاريخ،اشتهر بعلمه، تولى بدمشق منصب الإفتاء على المذهب المالكي ، أصله من زواوة، هاجر أبوه من الجزائر إلى دمشق في سنة 1264هـ الموافق لسنة 1847 م مع الهجرة الأولى التي قادها الشيخ محمد المهدي السكلاوي، الذي أشرنا إليه سابقا[3]، ينتهي نسب الشيخ طاهر إلى سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما، والشيخ الطاهر لم يذكر أبدا أنه حسني النسب، فقد كان شعاره، منذ صغره قول الرسول صلى الله عليه وسلم:" ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه"[4]، فقد كان يرى أن شرف الإنسان انتسابه إلى العلم وتحليه بالفضائل والأخلاق وبالعمل الصالح الذي يبقى بعد موته، لقد كان الشيخ طاهر الجزائري، أشهر العلماء المغاربة في المشرق العربي على الإطلاق، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فمكانته لا يضاهيها أحد ، حتى أنه غطى على شهرة أبيه.

وقد قال الشيخ صالح السمعوني عندما جاءه خبر ازدياد مولود له وهو يلقي درسا على تلامذته: طهره الله من رجس دنياه وبارك في عمره ورزقه العلم والعمل به[5]،وكانت دعوته مستجابة، فقد كانت حياة

---

(1) عمر رضا، كحالة: معجم المؤلفين، ط1 . ج2 ، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1993 ،ص 11 .

وأنظر أيضا : -محمد كرد، علي: المعاصرون، ط2، تعليق محمد المصري، بيروت: دار صادر .1993 ،ص 268

-محمد مطيع، الحافظ ونزار، أباضة: تاريخ علماء دمشق في القرن الربع عشر الهجري،ط1 ، ج1، دمشق: دار الفكر،1986م، ص 366

-خير الدين، الزركلي: المرجع السابق،ط7، م3 ، ص ص221-222

-عادل ،نويهض: المرجع السابق، ص ص 101-102

-عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص ص 327-338

-عدنان، الخطيب : المرجع السابق، ص ص 90-93

- محمد سعيد ، ألباني : تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، دمشق: مطبعة الحكومة العربية السورية، 1920 ص 139

- طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية . تقديم وتعليق محمد الصالح الصديق، الجزائر:د.م.ج، 1990 ص ص 11-13

(2) بني وغليس : قبيلة زواوية بالقبائل الصغرى حاليا موطنها دائرة سمعون ولاية بجاية.

(3) الشيخ صالح والد طاهر الجزائري أحد تلامذة الشيخ السكلاوي وربما يكون أحد المهاجرين مع شيخه. أنظر عمار، هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، ص 82

(4) الإمام أحمد: المسند، ج2، بيروت: دارالفكر (د-ت)،ص 252.

(5) عدنان، الخطيب: المرجع السابق،ص91

الشيخ طاهر نسقا واحدا، تمثل في العلم وطلبه ونشره بين الناس على مختلف مستوياتهم وعاش طاهرا من تراث الدنيا.

2.2- نشأته ونبوغه:

نشأ الشيخ طاهر الجزائري في بيئة ثقافية، عربية صرفة تهتم بالقديم وتعيش في تراثه الضخم[1]، فترعرع بذلك في بيت علم وثقافة ودين وأخلاق، بذل والده جهدا في تربيته وتنشئته، فكان بذلك معلمه وأستاذه الأول، نبغ في اللغة العربية و آدابها، حتى أصبح مضرب المثل فيها من معاصريه وهو لا يزال شابا[2].والآية الكريمة التالية: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾[3]. هي النبراس الذي مشى عليه الشيخ طاهر،فقد سخر حياته من أجل عمل الخير ونشره وفي الوقت نفسه، محاربة المنكرات بجميع أنواعها، خاصة الظلم والاستبداد و الجمود والتقليد المفروض على عامة المسلمين لتجهيلهم، فقد كانت غايته خدمة المسلمين، بما يملك من طاقة وجهد، ومحاربة كل الآفات، حسب استطاعته.

وهكذا نلاحظ أن الشيخ طاهر قد نشأ حيث العلم والمعرفة وحب الخير ومكارم الأخلاق، وحسب العلم على اختلاف فروعه، وعلم الطبيعة خاصة، فلم يغفل خلال دراسته الأولية العلوم الرياضية ولا الطبيعية والفلكية والتاريخية والأثرية. فقد أخذ بعض العلوم من علماء أتراك، فقد كان إذا رأى من هو اعلم منه في فن إلا واتصل به، و لم يبلغ الثلاثين من عمره حتى أتقن العربية والفارسية والتركية، وتعلم اللغة الفرنسية، ومن اللغات الشرقية تعلم السريانية والعبرانية، وأيضا الحبشية والقبائلية لغة الزواوة، ونظم الشعر بالفارسية كالعربية، فكان شعره كما يقال أرقى من شعر الفقهاء ودون شعر الشعراء، تعلم الخطوط القديمة ليتسنى له الوقوف على دراسة الآثار والمخطوطات القديمة [4]، وقد ظهر نبوغ الشيخ طاهر، مبكرا، فعندما بلغ من العمر ثلاثين عاما، كان كثير من علماء وأدباءوطلبة دمشق، يقصدونه في بيته، لحضور مجلسه، والاستفادة من مباحثه و علمه[5]، وقد كان منذ صغره مولعا ومغرما باقتناء المخطوطات، ولذلك من أجل تحقيق هدفه إنبرى لجمع المخطوطات، خاصة عندما رأى اهتمام علماء الغرب بها، وانطلق في جمع الكتب المطبوعة والمخطوطة، وعرف طبقات

---

(1) عبد الله، الركيبي : الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، الجزائر: ش.و.ن.ت،1981. ص 208

(2) طاهر، الجزائري: الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، (الجزائر)، ص12، وأنظر أيضا: منير، مشابك موسى: الفكر العربي في العصر الحديث(سوريا من القرن الثامن عشر حتى العام 1918م)، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1973م، ص 221.

(3) سورة آل عمران . الآية 103

(4) عدنان، الخطيب : المرجع السابق، ص 94

وأنظر أيضا : محمد مطيع الحافظ ونزار أباضة : المرجع السابق، ص 367

وأيضا : محمد، كرد علي : كنوز الأجداد، دمشق: مطبعة الترقي 1950م، ص 6

(5) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية ....(الجزائر)، ص 12

المؤلفين، وأماكن المخطوطات والنسخ المتفرقة، وهذا في الخزائن والمكتبات المختلفة.[1] فقد كان يشتري الكتب و المخطوطات من مصروفه اليومي الذي كان يمنحه له والده الفقيه،وهذا عندما كان في المدرسة الإبتدائية، وكلما اشترى كتابا أو مخطوطا طالعه في حينه وبإمعان، ويحافظ عليه، وهكذا استنار عقله وتفتحت أفكاره، ومع الزمن أصبحت له خزانة تظم بضعة آلاف من المجلدات، فيها نوادر المخطوطات والعناوين، التي قلما جمعها معاصر له[2].

و الرغبة في البحث والعلم وجمع المخطوطات، ربما تولدت لدى الشيخ طاهر الجزائري، بسبب تلقيه العلوم وهو لا يزال صغيرا، على مشاهير عصره من علماء ومدرسين.[3]فقد جمع المخطوطات و نوادر الكتب وهو إبن سبع سنين.[4] وقد كان يتلقف بشوق ما يسمعه من أحاديث العلماء الذين تلقوا العلم في المدارس العالية أو الأجنبية.[5]

ونظرا لهذا النبوغ والنشاط المبكر، عين معلما في المدرسة الظاهرية الابتدائية بدمشق سنة 1294هـ/1878م، وهنا بدأ نجمه يسطع فلم يمض زمن حتى أسس مع نخبة من علماء دمشق واعيانها " الجمعية الخيرية" في سنة 1878م التي كانت تهدف إلى نشر العلم والعمل به، و مساعدة طلاب العلم وبناء المدارس.[6]

وهذا التكوين الذي عرفه الشيخ طاهر الجزائري منذ صغره، واستمراره على نفس المنوال، وهو شاب، أصبح مرجعا فريدا للعلماء والطلبة في وصف المخطوطات، ومعرفة مميزاتها، وبفضل علمه الواسع نبغ وأصبحت له شهرة واسعة،ومكانة مرموقة بين مختلف الأوساط العلمية والأدبية بالأقطار العربية، وخارج هذه الأقطار، أي أصبحت له مكانة، ومنزلة كبيرة بين المستشرقين، وكانت بينه وبين هؤلاء صلات، علمية ومراسلات في مختلف الميادين، واصبح محل تقديرهم واحترامهم ومناط ثقتهم، وكثيرا ما اصبح المؤلفون ينوهون بآرائه وجهوده الثقافية، ومواهبه الفكرية المتنوعة.[7] فقد كان نابغة في كثير من الميادين وهذا لنشأته العلمية المميزة، التي لم تتوفر لأقرانه، إستغلها في نبوغه المبكر ورفعه لواء الإصلاح وهو شاب.

3.2- شيوخه:

كما سبق وأن ذكرنا أن والد الشيخ طاهر، الشيخ صالح السمعوني كان مفتيا بدمشق على المذهب المالكي وإلى جانب هذا المنصب كان أديبا بارزا ومؤرخا ومحدثا، لذلك فمن الطبيعي، أن تكون أول مدرسة

---

(1) محمد، كرد علي : المعاصرون ، ص 269

وانظر أيضا : طاهر، الجزائري: الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية،ط 2 ، بيروت: دار ابن حزم، 1998م، ص 7

(2) محمد، كرد علي :كنوز الأجداد، ص 6 .

(3) محمد، الأرناؤوط :" الشيخ طاهر الجزائري . رائد النهضة الفكرية الحديثة في بلاد الشام " الأصالة ،ع67 ،السنة الثامنة (ربيع الثاني 1339هـ/مارس1979م)، الجزائر: وزارة الشؤون الدينية، ص 74

(4) محمد، كرد علي:" الشيخ طاهر الجزائري" مجمع اللغة العربية، م1،1921 دمشق، 1921، ص 18

(5) محمد مطيع، الحافظ ونزار أباضة: المرجع السابق، ص 367

(6) عدنان، الخطيب : المرجع السابق ص 94

(7) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية .....(الجزائر) ص 18

يتخرج بها الشيخ طاهر هي مدرسة والده العالم، فهو شيخه الأول ومعلمه ومرشده، وناصحه وواعظه، وواضع أسس نبوغه وضلوعه في مختلف العلوم.[1]

وفي بداية عهده بالدراسة دخل الشيخ طاهر المدرسة الجقمقية[2] الإعدادية وتخرج على يد الأستاذ عبد الرحمن البستاني[3]، الذي أخذ عنه اللغة العربية وآدابها والفارسية والتركية ومبادئ العلوم، ثم اتصل بعالم عصره الشيخ عبد الغني الميداني الغنيمي[4]، الذي كان فقيها، واسع النظر، بعيدا عن التزمت والتعصب والجمود، والتقليد،معروف بتقواه وزهده وورعه الشديد، ثم انتقل الشيخ طاهر إلى دراسة العلوم الطبيعية والرياضية والفلكية والتاريخية والأثرية على يد علماء عصره، و لم يتجاوز الثلاثين من عمره حتى أتقن لغات عديدة.[5]

ومن بين الذين أخذ من علمهم، وحضر حلقات دروسهم، الأمير عبد القادر الذي درّس في المدرسة الجقمقية[6]. ويمكن أن يكون الشيخ طاهر، قد استفاد من علم الشيخ محمد عبده[7]الذي مكث ودرس بدمشق بعد نفيه من مصر سنة 1882م، بسبب تأييده لثورة أحمد عرابي[8]، ضد الملك سنة 1881م ، والشيخ طاهر

---

(1) المهدي، بوعبدلي:" الطاهر الجزائري" الأصالة، ع48، السنة الخامسة(شعبان 1397هـ/اوت1977م)، ص 44

(2) المدرسة الجقمقية: نسبة إلى جقمق، الملقب سيف الدين ، حكم دمشق من قبل الملك المؤيد سنة 822هـ، بني المدرسة الجقمقية في دمشق شمالي الجامع الأموي، وإليه ينسب سوق الجقمقية، وكان هذا الأمير محبا للعمران، راجع : خير الدين، الزركلي : المرجع السابق، ط5 ،م2 ، 1980، ص 131.

(3) عبد الرحمن، البستاني : أو البشناقي لم نعثر على ترجمته رغم بحثنا الكثير عنها لأهميته

(4) عبد الغني، الميداني الغنيمي : هو عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم بن سليمان الغنيمي الدمشقي الحنفي ، الشهير بالميداني ، فقيه أصولي مشارك في بعض العلوم ، ولد بدمشق (1222-1298هـ/1807-1881م) اخذ عنه الشيخ طاهر الجزائري، ساعد على تهدئة الحالة في حوادث الشام سنة 1860 ، توفي بدمشق من آثاره :

-شرح على القدوري، سماه اللباب في فروع الفقه الحنفي

-شرح على المراح في الصرف-كشف الالتباس فيما أورده البخاري على بعض الناس – إسعاف المريد في إقامة فرائض الدين-وشرح على عقيدة الطحاوي. راجع : عمر رضا ، كحالة: المرجع السابق، ج5 ، بيروت: دار إحياء التراث العربي (د-ت)، ص ص 274-275

(5) محمد، كرد علي : المعاصرون،ص 268 ، وأيضا محمد سعيد، ألباني: المرجع السابق، ص 73

(6) سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 116

(7) أبو القاسم، سعد الله : أبحاث وآراءفي تاريخ الجزائر، ط1، ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996 ص 200

(8) أحمد، عرابي : (1257-1329هـ/1841-1911م) هو أحمد عرابي بن محمد وافي بن محمد غنيم من أصول عراقية، هاجرت أسرته إلى مصر في القرن السابع الهجري ، ولد في الزقازيق، درس في الأزهر سنتين ثم انخرط في الجيش سنة 1271هـ/1855م، وبلغ رتبة " أميرالآي " في عهد الخديوي توفيق سنة 1881. وعند ما دخل الإنجليز مصر سنة 1882م /1299هـ، حكم عليه بالنفي إلى جزيرة سيلان حيث مكث 19 عاما وأطلق في أيام الخديوي عباس سنة 1319هـ/1901م، حيث عاد إلى مصر، وترك مذكرات، توفي بالقاهرة، أنظر : خير الدين، الزركلي:المرجع السابق،م1، ط5، ص ص168-169.

الجزائري، إن لم يدرس وينهل مباشرة من محمد عبده و السيد جمال الدين الأفغاني، فإنه بلا شك كان من المتأثرين بهما في بلاد الشام ومن أشهر العاملين بفكرهما، وهذا ما نلمسه في أقواله وافعاله وتوجيهاته.[1]

4.2- صفاته:

لقد كان الشيخ طاهر الجزائري من خلال مظهره، كأنه واحد من عامة الناس، سريع الحركة، زاهدا بالمال، معرضا عن لذائذ الدنيا ومتاعها، قانعا أبي النفس، لا يشكوا لأحد ما عنده من هم أو ضيق، كان دائما يتأبط بعض كتبه، لكي يطالعها إذ أتيحت له الفرصة وساعده الجو! كان سخيا مع المعوزين، حيث يوزع المال على قدر استطاعته، وكان كثير التردد على الفقراء والمساكين وكثير السؤال عنهم، مبتعدا عن الأغنياء، إلا إذا كان فيه ضرورة، كان طلق الوجه إذا لقي الناس، لطيفا مع تلامذته،كان شديد الذكاء، ودامغ الحجة، فصيح اللسان، وبهذه الصفات المميزة شاع ذكره وخبره بين الناس خصوصا في مدينة دمشق.[2]

كان يكره ويمقت كل أنواع القيود، ويبغض من الناس التقليد الذي يعتبر في حد ذاته نوعا من القيود والانقباض،وكان لا يقبل من أصدقائه و تلامذته تقليده في خصائصه، نجده يعيش حياته بطولها، أعزبا رافضا الزواج، بسبب قيود وواجبات المرأة و الالتزامات، فقد أعرض عن كل أنواع الترف و اللذائذ، لقد كان الكتاب صديقه العزيز المبجل، يحب مخالطة الناس لمعرفة أحوالهم، يحب الإطلاع ويعشق البحث الحر الذي ينير العقول و يحررها من الجمود والتقليد، كان شديد الكره للمتزلفين للحكام على حساب مبادئهم وضمائرهم، وكان شديد الحنكة في التصرف مع الحكام وأصحاب النفوذ والقرار.[3]

كان الشيخ طاهر الجزائري شخصا لا يعرف الملل والكسل طريقا إليه، شديد المطالعة حتى أثناء التأليف والتنقيح للكتب، لا يؤخر أعماله ولا يؤجلها ولا يتراجع عن مشاريعه إذا وضعها نصب عينيه، فهو لا يبالي بالأحداث المختلفة، وهذا لشجاعته، فنجده مثلا يشجع الناس على اقتحام المصاعب واحتقار المصائب، مهما عظمت، فقد كان يدعى بين أصحابه بمبدد الهموم ومحي الهمم، كانت الحرية أحب شيء له والتقيد أبغض شيء عنده، لم ينظم إلى أية طريقة صوفية من طرق المشايخ، وكان يكره التشدد في الدين، والورع البعيد عن روح الدين الاسلامي، كان كثير التواضع ويرفض الفخفخة و العظمة ويبتعد عن الحكام والظالمين المستبدين ويتقرب من المساكين وعامة الناس[4].

إن صفات الشيخ طاهر الجزائري، تجعله نموذجا للنشاط، فهو يدعو إلى النشاط ويكره المثبطين في جميع الأعمال وكل الأحوال، يرى أن التأليف الحقيقي هو اختراع جديد،وليس إعادة نشر الماضي[5]، و لم

---

(1) علي، المحافظة : الإتجاهات الفكرية عند العرب، في عصر النهضة 1798-1914،بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع، 1983، ص.87

(2) عدنان، الخطيب : المرجع السابق ، ص ص 95- 97

(3) المرجع نفسه : ص ص 98-99

(4) محمد سعيد، ألباني : المرجع السابق، ص ص 93-94

(5) المرجع نفسه : ص ص 68-69

يشكو أبدا الإملاق، و لم يسأل أحدا في حياته، وإذا اضطر يبيع كتابا أو كتابين، دون أن يطلع أحدا من أصحابه، بالإضافة إلى هذا كانت له شجاعة علمية نادرة، فهو يذكر كل محسن بحسناته وكل مسيء بإساءته، من أي جنس كان، ونظرا لبغضه للتقليد، فقد كانت مجمل أعماله إبداعية، واختراع جديد لم يسبقه أحد فيه و بالتالي لم ينج من انتقادات المحافظين على القديم المثبطين للعزائم، و لم يتراجع عن قصده[1].

وكان شديد الإعجاب بالأمة الأنجليزية، وبسياستها وساستها وطريقة تصرفهم،وربما كرهه الشديد للاستعمار الفرنسي هو الذي جعله يتجه إلى الإنجليز! وقد كان مجلسه روضة من رياض الجنة، بسبب ذكائه وفطنته وذاكرته القوية، التي توشك أن لا تنسى شيئا عرفته،فمجلسه لم يكن أبدا يخلو من فائدة، وجلسائه يستفيدون كثيرا من علمه، وحتى من نكته، لقد كان ينتقد ولكن لا يصرح بالاسم لقد كان هدفه من الانتقاد هو الإصلاح والإرشاد خاصة الأبناء، لأن الأباء قد يئس منهم، لقد كان أشبه بالفارابي أو الشهاب السهروردي بسبب زهده في الحياة وتواضعه الشديد، صفتان غلبتا على يومياته[2].

لقد كان الشيخ طاهر الجزائري يكره المتشدقين من المؤلفين خصوصا في الدين والسياسة، لأن بعض العلماء يلقون بأحاديث إلى السامعين تلقى الرعب والوهم في قلوبهم، فمذهب الشيخ طاهر، تقوية القلوب ورفع الهمم واحياء كل مقومات الأمة، لا طمسها، بإشاعة الخوف والجمود بين الناس، فهو يشبه الزعيم الهندي المها تاما "غاندي".[3] فالشيخ طاهر الجزائري يحاول أحياء كل ما هو آسيوي. من لغات وتقاليد، وان كان الزعيم الهندي " غاندي " صدع بما لديه، أما الشيخ طاهر فترك الأمور للشعب، الذي يجب أن يعي حقيقته ووضعه، ثم ينطلق في التغيير.[4]

إن الشيخ طاهر الجزائري كان عمليا في جميع أحواله، يصل إلى هدفه وغايته عبر أقصر الطرق، فهو لا يبالي بالمصاعب ولا يعطيها أهمية تذكر، يتصدق في السر، يقيم صلواته في أوقاتها، محافظا على عاداته، وأخلاقه، متشددا في دينه، له علاقات وصداقات مع علماء مختلف المذاهب، بعيدا عن التعصب، كان يدعو الأغنياء إلى تعليم أبنائهم، وكان كما سبق وذكرنا شديد الإعجاب بالحضارة الغربية خاصة النموذج الأنقلو-سكسوني(إنجليز،أمريكان، ألمان، واسكندنافيين) وكان سلاحه اليومي علمه ، كان يحب الرياضة سيرا على

---

(1) المصدر نفسه : ص ص91-100

(2) المصدر نفسه: ص ص 127-137

(3) المها تاما غاندي :(1869-1948) هو غاندي موهندس كرمشاند، زعيم وطني هندي ومصلح اجتماعي ومبتكر ورائد فلسفة اللاعنف في الحياة السياسية .لقب " بالمها تاما" أي " النفس العظيمة" أو " القديس " عمل على إصلاح الأوضاع الاجتماعية للهنود ، عارض الاستعمار الإنجليزي بعد سنة 1922، حتى تحقق الاستقلال للهند سنة 1947 و نهايته كانت مأساوية حيث قتله أحد المتعصبين الهندوس في 30 جانفي 1948 . راجع: عبد الوهاب الكيالي:المرجع السابق، ط 2 ،ج4، ص ص 315-319

(4) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد . ص ص 24 -26

قدميه، ويحب السباحة، حيث نجده يعوم في النهر والبحر. ولا يعتني كثيرا بثيابه، هذه الصفات جعلت بعض الناس يستغربون مما هو عليه من حالة.[1]

لقد كانت يومياته وسيرته، نمطا واحدا، فقد كان متعلما ومعلما وعالما، يحب العمل ويدعو إليه، جد في حركته، لا يبالي بالعوائق، ولا باندهاش الآخرين من تصرفاته ففي إحدى المرات أدركته الصلاة وهو في معرض في باريس (معرض سنة 1889)، فلم يبال بأحد و صلى صلاته في إحدى الحدائق العامة، حتى أن كبريائه وعزته جعلته يرفض راتبا شهريا منحه له خديوي مصر، الخديوي عباس الثاني[2] لأن نفسه ترفض الذل والمهانة، فعزة نفسه عنده لا يضاهيها أي شيء مهما كانت قيمته.[3]

ومن الصفات التي يمكننا أن نقول أنها سلبية، هي ولوعه بالتدخين إلا حد أنه لا يكف عنه إلا نائما، وهذه سلبيته الوحيدة التي لم يتراجع عنها، رغم ضررها له، بالإضافة أنه كان عصبي المزاج، خاصة إذا ضيع وقته بلا فائدة، أو أنفق بلا مقابل، أو انتهكت حرمة أو ديست كرامة،ولكنه مع ذلك يلتزم الأدب و لا يخرج عن حده[4].

ومن خلال سيرته وصفاته، يصعب على الشيخ طاهر الجزائري أن يشغل منصبا سياسيا أو قضائيا أو حتى إداريا، لأنه يرفض القيود والأوامر، والمجاملة والظلم والتقرب من الحكام ، ولكن هذا لا يعني أنه بعيد البعد عن هذه القضايا، بل يمكن أن يستشار في المسائل السياسية والإدارية والقضائية والتربوية، فآراؤه صائبة وسديدة، نابعة من وحي التجربة، والبحث، فقد كان له حدس قلما يخطئ وفراسة عجيبة، فهو في بعض القضايا، صاحب نظرة إستشرافية، نظرا لسعة إطلاعه، ومعرفته الدقيقة للأحداث.[5]

5.2-رحلاته واتصالاته:

بسبب الاضطهاد الحميدي من جهة والقمع التركي من جهة ثانية، المتمثل في الإدارة التركية في وطنه، هجر سوريا صفوة من الأدباء والشعراء والمفكرين إلى مصر وأوربا وأمريكا، حيث الحرية والديمقراطية والأمن، ومن تلك الأجواء التي إستقروا بها، إنطلقت صيحاتهم المتباينة، كل واحد في حدود إختصاصه وإيديولوجيته، ففي مصر حيث المجال أرحب وأوسع،أصبحت ملجأ للأحرار، حيث توافد كثيرون، أبرزهم

---

(1) المرجع نفسه: ص ص 272-273

(2) الخديوي عباس الثاني: (1291-1363هـ/1874-1944م) هو عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل حفيد محمد علي، يعرف بالخديوي عباس حلمي الثاني ولد بالقاهرة تولى الخديوية بعد وفاة أبيه سنة 1892، وأثناء الحرب العالمية الأولى خلعته بريطانيا، وتوفي بسويسرا، ودفن بمصر، في عهده، نبغ مصطفى كامل، ومحمد عبده، وأحمد شوقي وعشرات الأدباء والمؤرخين.راجع خير الدين، الزركلي: المرجع السابق،ط5،م3، ص ص260-261

(3) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد . ص ص12-13

(4) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية... (الجزائر).ص ص 13- 14

(5) محمد سعيد، الباني : المصدر السابق ص138

عبد الرحمن الكواكبي ومحمد كرد علي ورفيق العظم[1]،والشيخ عبد القادر المغربي[2]،وأيضا الشيخ طاهر الجزائري، بعدما يئس من الحكم العثماني، وخوفًا أيضا على حياته من ولاة الترك المستبدين، الذين أصبحوا يترصدون حركاته وسكناته، وفي مصر إشتغل أغلب هؤلاء في الصحافة السياسية والفكرية.[3] وهذا للدفاع عن قضية وطنهم وعلى العروبة عموما، التي أصبحت تقاسي من سياسة التتريك التي جاءت على الأخضر واليابس، ونشط هؤلاء في مصر لأن الإدارة العثمانية لن تستطيع الوصول إليهم، ولا إعتقالهم، فمصر خاضعة للسيطرة البريطانية، وكما هو معروف عن الدول الأوروبية تشجيعها للمناوئين للسلطنة العثمانية وهذا من أجل إضعافها و الإنقضاض على ما تبقى منها عندما تسمح لهم الظروف.

فالشيخ طاهر الجزائري من الذين فضلوا أن يضربوا في هذه الأرض، ويجولوا فيها مفضلين العيش في المنفى على الظلم والاستبداد والاحتلال، فالتنقل والترحال، من صفات ومميزات العلماء المصلحين، الذين يعملون على نشر أفكارهم ومبادئهم، ومن خلال هذه التنقلات كان الشيخ طاهر الجزائري ينشر فكره الإصلاحي ويترك أثره الطيب، وبصمات إبداعاته في كل منطقة تطأها قدماه. فقد ساح في بلاد المشرق والمغرب، زار باريس في سنة 1889م وحضر معرضها، وتعرف على كثير من علماء الغرب المستشرقين، زار الحجاز وأدى فريضة الحج، أما بلاد الشام، سوريا لبنان وفلسطين،فيعرفها شبرا شبرا، وهذا لكثرة تنقلاته فيها، خصوصا عندما كان مفتشا للمعارف في ولاية سوريا زمن الوالي مدحت باشا، وأيضا عندما عين مفتشا لدور الكتب العامة سنة 1898م، فقد جال وصال في ربوع بلاد الشام وأكسبته هذه الرحلات صداقات جمة ومعارف كثيرة.[4]

وتبقى رحلاته أو زياراته لبلاد المغرب العربي، ونقصد هنا موطن آبائه وأجداده الجزائر، غامضة، ومعلوماتها ناقصة، و لم يترك الشيخ طاهر الجزائري كتابا أو رسالة وصف فيها رحلته إلى الجزائر، لأنه توجد بعض الإشارات تبين وتؤكد زيارة الشيخ الطاهر للجزائر في سنتي 1893م و1912م، وإذا أمكن لنا في يوم من الأيام،سنحاول دراسة زيارته للجزائر بالتفصيل.

ففي سنة 1893م زار الشيخ طاهر الجزائر، حيث جال في منطقة زواوة خاصة بني وغليس بسمعون ولاية بجاية حاليا، ولكن لا نعرف الغرض من زيارته ولا المدة التي قضاها وفي هذه الرحلة، لاحظ الشيخ

---

(1) رفيق العظم:(1284-1343هـ/1867-1925م) عالم باحث من رجال النهضة الفكرية في سورية، ولد في دمشق ، استقر بمصر سنة (1316هـ/1898م)، ساهم في إنشاء الجمعيات الإصلاحية والسياسية والعلمية، توفي بالقاهرة .راجع خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ط5،م3 ، ص 30

(2) عبد القادر المغربي : من مواليد اللاذقية سنة 1867، كان أبوه قاضيا، إنتقل مع أبيه إلى طرابلس الشام،واستقر بها، تلقى العلم على أبيه وعلماء عصره، وسافر إلى استانبول سنة 1892 والتقى بالسيد جمال الدين الأفغاني،وفي سنة 1905 سافر إلى مصر والتقى بالشيخ محمد عبده وكتب في صحف مصر.. توفي في سنة 1956. راجع أحمد فهد بركات الشوابكة: المرجع السابق، ص 83

(3) سامي، الكيالي : الأدب والقومية في سوريا (د-م) مطبعة الجيلاوي، 1969 ص ص 196-197

(4) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق، ص ص 126-127

الطاهر كما لاحظ غيره، انغلاق أهل الزواوة على أنفسهم وعدم مخالطتهم للغير، ونقل هذه الملاحظة إلى الشيخ محمد السعيد بن زكري.[1] المفتي المالكي والمدرس بالمدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة.[2] والفترة التي زار فيها الشيخ طاهر الجزائر كان في أوج عطائه العلمي والإصلاحي وشهرته بدأت تسبقه إلى كل منطقة قبل وصوله إليها، وهذا لحيويته وعطائه، فهو لا يمر بمكان إلا وترك أثره الطيب فيه.

ثم قام بزيارة ثانية إلى الجزائر في سنة 1912م، قادما إليها من مصر التي كان يعيش فيها منفيا ، بعيدا عن جماعة الاتحاد والترقي التركية، وخلال إقامته بالجزائر التقى بصديقه الشيخ محمد السعيد بن زكري وتبادل معه الآراء[3] ونظن أن قضية وطنهما- الجزائر- كانت محور الحديث خاصة كيفية الإصلاح، من أجل نشله من سباته، ونشير هنا إلى نقطة هامة، وهي أن شهرة الشيخ طاهر الجزائري قد سبقته إلى الجزائر وفرنسا وادارتها الاستعمارية في الجزائر لم تبق مكتوفة الأيدي حول الزيارتين، لأن الشيخ طاهر لمعت شهرته في المشرق وأصبحت له منزلة بين كبار المصلحين، وأيضا بين المستشرقين، فقد قامت بالتحري والبحث عن عائلته في الجزائر[4] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على خوف فرنسا الشديد على مصالحها بالجزائر، وأيضا يمكن لنا القول أن فرنسا عندما عرفت منزلة الشيخ طاهر في بلاد الشام، ستحاول استغلاله لخدمة مشاريعها هناك ولكننا نعرف مدى حب الشيخ طاهر للإنجليز وسياستهم فهو نفسه كان يكره الاستعمار الفرنسي، كما أشرنا إلى ذلك.

أما رحلة الشيخ طاهر الجزائري إلى مصر واستقراره النهائي فيها، فقد سبقتها زيارات عديدة، فهو دائم التردد عليها، لكن عندما اشتد عليه الضغط الحميدي وجواسيسه، رحل خفية إلى مصر ووصلها في 4 ماي 1907م/1325هـ[5]، وبقي فيها مدة ثلاثة عشر عاما، و لم يتعلم فيها كلمة بالعامية المصرية ! وبقي على عاداته وأخلاقه وتقشفه، وحتى بعد إعلان الدستور سنة 1908م، لم يرجع إلى دمشق، فنظرته الاستشرافية للأحداث وحدسه الصادق، أكد له أن عهد الحرية الحقيقي ما زال، ولا تغريه قوانين الأتراك، التي لا تخضع

---

(1) محمد السعيد بن زكري : ولد سنة 1267هـ/1851م في منطقة بني زكري بمنطقة زواوة، حفظ القرآن الكريم في جامع القرية ثم التحق بزاوية الشيخ عبد الرحمن اليلولي وظل ينتقل بين الزوايا لإتمام دراسته إلى أن استقر بالجزائر العاصمة سنة 1297هـ/1890م وأصبح من أبرز مدرسي العاصمة وتولى منصب الإمامة والإفتاء، توفي سنة 1914.

راجع :أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي(1830-1954)، ط1 ،ج3. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 97

(2) أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2 ، بيروت: دار الغرب الإسلامي،1990، ص ص 146-147

وأنظر أيضا: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 523

(3) عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 338. وأنظر أيضا: المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص 47.

(4) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج3 ص 186

(5) علي حيدر، النحاري: " الشيخ طاهر الجزائري مقاطع من نثره وشعره في شبابه بمناسبة الذكرى الستين لوفاته" مجمع اللغة العربية.م55، دمشق 1980 ، ص 888

للمبادئ إطلاقا[1]، وبوصوله مصر استقبله علماؤها و المثقفين لأن شهرته قد ملأت أجواء الساحة الثقافية العربية، واستقر بالقاهرة متخذا من أحد بيوت حي عابدين مسكنا له، وعاش عيشة الزهاد، فلم يتملق لأحد كان، ورفض المناصب التي عرضت عليه، بل نجده يكسب قوت يومه بعرق جبينه، يشارك محررا في بعض الصحف القاهرية، وقد كان يبيع بعض كتبه عند الضرورة، رافضا كل المساعدات مهما كان نوعها[2]، وخلال إقامته بمصر كان بمثابة النبراس لأهل الفكر و الرأي، وهذا بأفكاره الجادة ونصائحه القيمة، وفي القاهرة صحب الشيخ محمد عبده[3] ولكن الشيخ عبده توفي سنة1905م قبيل مجيء الشيخ الطاهر الجزائري، ربما صاحبه في زياراته المتعددة لمصر، فالشيخ طاهر لم ينقطع عن زيارة مصر، وبالتالي،صداقته للشيخ محمد عبده أمر لا نقاش فيه خاصة أن أفكارهما متقاربة جدا، والشيخ طاهر بعد سنة 1900م اختفى عن الأنظار في بلاد الشام بعد تفتيش بيته في غيابه من قبل الأمن التركي، وربما خلال اختفائه انتقل إلى مصر.

وفي مصر أيضا قام بنشر أهم تآليفه العلمية إطلاقا، ونقصد هنا تأليفه لكتابه القيم الغزير المعلومات، في مصطلح الحديث وهو بعنوان" توجيه النظر إلى أصول الأثر "، الذي نشره في سنة 1328هـ/1910م وطبعه تحت رعايته المباشرة، جمع فيه زبدة أبحاثه وقراءاته المختلفة في كتب أصول الفقه ومصطلح الحديث ونظرا لأهمية هذا الكتاب قام صديقه المستشرق المجري " غولد زيهر"[4] بترجمته إلى اللغة الألمانية[5] وهكذا كان وجوده في مصر، مثمرا ومفيدا للثقافة العربية و الإسلامية.[6]

وفي مصر استقبل من قبل الخديوي عباس حلمي، فكتب مذكرة يصف فيها مقابلته وهي كالتالي:[7]

---

(1) محمد، كرد علي : كنوز الأحداد، ص 14

(2) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص ص111-113

(3) أنور، الجندي : المحافظة و التجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام (1840-1940) (د-م) مطبعة الرسالة ،1961 ص ص 284-285

(4) غولد زيهر : هو إجنتس غولد زيهر Ignaz Gold Ziher (1850-1921) ولد في 22 جوان 1850 بمدينة " اشتو لقيسنبرج" في المجر من أسرة يهودية . درس في بودابست سنة 1869 ثم جامعة ليبتسك، تحصل على الدكتوراه الأولى سنة 1870 ثم درّس بجامعة بودابست سنة 1872، ثم انتقل إلى فيينا وليدن وفي سنة 1873 رحل إلى المشرق، القاهرة ثم سوريا وفلسطين ودرس في الأزهر وأصبح عضو شرف في المجمع العلمي المصري وفي سوريا اتصل بالشيخ طاهر الجزائري الذي درسه اللغة العربية وكان يحسن اللغة العبرية، بلغت مجموعة أبحاث " غولد زيهر" 592 بحثا، ألف كتب حول الإسلام منها: دراسات إسلامية (جزئين)، وحول الوثنية والإسلام وحول الحديث. راجع عبد الرحمن، بدوي: موسوعة المستشرقين.ط1. بيروت: دار العلم للملايين، 1984، ص ص119-125 وأيضا: أحمد عطية، الله: القاموس الإسلامي،م1، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1963 ص 659 . وأيضا: جرجي، زيدان: تاريخ آداب. اللغة العربية. ج4.الجزائر : م. و. ف. م، 1993- سلسلة الأنيس ص 287

(5) لم نستطع أن نتأكد هل ترجم ونشر بالألمانية أم كان مشروعا فقط لغولد زيهر.

(6) محمد مطيع، الحافظ ونزار، أباضة: المرجع السابق، ص 372

(7) عدنان، الخطيب : المرجع السابق، ص 175

" في يوم الخميس السابع من صفر 1328هـ[الموافق لسنة 1910م] احتمعنا بحضرة الأمير الجليل نخبة الدولة العلوية بمصر(عباس حلمي) خديوها المبجل، وكان ذلك قبيل المغرب فاستقبلنا استقبالا يدل على شهامة ومحبة في العلم، وأجلسنا بلا فاصل عنه، وأخبرنا أنه بلغته أخبار كثيرة عنا لا سيما من الشيخ (علي يوسف)[1] المحب والمخلص ومن الدكتور هيس المحب لنا أيضا ويرغب في رؤيتنا، إلا أن سفر الحجاز عاق عن ذلك، والآن يعد اجتماعنا به يوما يذكر، وله في ذلك الحظ الأوفى، فقابلناه بما يليق بمقامه، إلا أن عبارتنا كلنت قاصرة، لكنها تدل على فرط إخلاص. ثم جرى البحث فأشرت عليه أن يغتنم الفرص في إبراز آثار مهمة، وذكرنا من ذلك شيئين أحدهما تأسيس مدرسة للغة العربية تقصد من كل جهة، والثانية تأسيس دار للترجمة، وعمل مطبعة لطبع ما يترجم، وجعل مصححين للترجمة، فسر بذلك كثيرا، وأبنّا له مقامه في النفوس وأن لا يعبأ بالمشاغبين.ولو أردنا شرح ما جرى لطال، غير أني سئلت عما ينتقد على مصر فقلت شيئان: أحدهما عدم إتمام الأعمال، والثاني إحتقار الأشغال الجزئية، والأمور الكلية تتم إذا أخذت من أقرب وجه" .

وفي سنة 1914م قبيل اندلاع الحرب العالمية الأولى، زار الشيخ طاهر الجزائري مسقط رأسه سوريا، خفية عن طريق ميناء طرابلس الشام، وخلال إقامته القصيرة بمدينة طرابلس أنهم من بعض حساده بأنه مبعوث من قبل الإنجليز. لأن الشيخ طاهر كان له حساد وأعداء يرفضون توجهاته الإصلاحية من جهة،وينتقدون ميله إلى سياسة الإنجليز.[2] وقد أشار الشيخ طاهر الجزائري، إلى هذه الحادثة في رسالة بعث بها سنة 1914م إلى تلميذه محمد كرد علي، يذكر له أنه حظي باستقبال كبير من قبل علماء وسكان مدينة طرابلس الشام، الذين احتفلوا بقدومه، واستمعوا واستفادوا من علمه كثيرا، حتى جاءه رجل أشار إلى حرفين من اسمه(ع-م) وربما يقصد هنا عبد القادر المغربي التلميذ الوفي والمتعصب للسيد جمال الدين الأفغاني- الذي اتهمه بالتردد على المدارس والمحافل الأجنبية ولما سمع أعيان طرابلس وسكانها بما فعل (ع-م) مع الشيخ طاهر، كادوا يبطشون به، واعتذر لهم، قائلا لهم: أنه بلغته رسالة من مصر مفادها أن الشيخ طاهر الجزائري مرسل من قبل الإنجليز

---

[1] علي يوسف:(1863-1913) درس بالأزهر، إتصل بالسيد جمال ، الدين الأفغاني اصدر في سنة 1887 صحيفة الآداب الأسبوعية مع الشيخ أحمد ماضي، في سنة 1889 أصدر صحيفته اليومية الشهيرة "المؤيد" التي دامت 23 سنة، كانت تربطه علاقات ودية مع الخديوي عباس حلمي، واصبح مستشاره السياسي، وأنشأ في 1907 حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية، ليمثل سياسة الخديوي ومصالحه.. راجع: عبد الوهاب الكيالي : المرجع السابق ،ط2، ج4، ص 193

[2] منير، مشابك موسى: المرجع السابق، ص 221

لتسليمهم البلاد، وفصلها عن الدولة العثمانية، فكاد أن يجعل الناس يعتقدوا بأنه قد أصابه جنون، وقد كانت هذه الحادثة بالنسبة للشيخ طاهر، زيادة في همته ونشاطه.[1]

وهكذا كانت حياة الشيخ طاهر الجزائري مليئة بالرحلات المفيدة، التي كانت جزءا من حركته الإصلاحية لبث أفكار الخير، هذا وبعد الإنقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني في 1908م طلب من الشيخ طاهر العودة إلى دمشق، لكنه رفض وقال لأصحابه: بأن هذا الانقلاب ما هو إلا انتقال من استبداد الفرد إلى استبداد الجماعة، وكان صاحب نظرة ثاقبة واستشرافية للأحداث، فالاتحاديون واصلوا قمعهم للعرب وأحرارها، وبقي الشيخ طاهر في مصر إلى غاية قيام الدولة العربية بدمشق في سنة 1919م ، حيث رجع خاصة بعد ازدياد المرض عليه، وفي دمشق استقبله علماؤها وأعيانها وسكانها وفي مقدمتهم ممثلو الحكومة العربية، وعين على الفور مديرا لدار الكتب الظاهرية التي كان قد أنشأها، وانتخب عضوا في المجمع العلمي العربي الذي تأسس خلال عام 1919م، والذي يرأسه آنذاك الأستاذ محمد كرد علي تلميذ الشيخ طاهر.[2]

6.2-صداقته:

بحكم مبادئه وفلسفته، والغاية التي يعمل من أجلها، فقد صحب الشيخ طاهر الجزائري كثيرا من العلماء والأعيان والحكام، وهدفه في ذلك بث روح الإصلاح في مسلمي عصره، من حكام وعامة، وصداقاته تجاوزت البلاد الإسلامية حيث إرتبط بعلاقات وطيدة مع بعض المستشرقين المعروفين آنذاك.وكل هذا يدل على سعة صدره، وتفتحه على الغير، فهو ينبذ التعصب والمتعصبين، همه البحث عن الحقيقة، وزرع بذور الإصلاح أينما حل.

1.6.2-صداقته مع العلماء العرب والمسلمين: إن الفترة الطويلة التي مكثها الشيخ طاهر بالقاهرة من سنة1907م إلى غاية 1920م، كانت خصبة، خاصة في مجال توطيد العلاقات مع أقرانه من علماء عصره، فقد إرتبط بصداقة متينة مع كل من العلامة أحمد تيمور[3]، والأديب أحمد زكي[4]، أبرز علماء مصر آنذاك وأغلب

---

(1) محمد، كرد علي : كنوز الأجداد، ص 45 (من الحاشية)

(2) محمد مطيع، الحافظ ونزار، أباضة: المرجع السابق، ص ص 372-373

(3) أحمد تيمور باشا(1288-1348هـ/1871-1930م) أحمد بن إسماعيل بن محمد تيمور عالم بالأدب، باحث ومؤرخ مصري، من أعضاء المجمع العلمي العربي، مولده ووفاته بالقاهرة، أصله من الأكراد، جمع مكتبة قيمة، تلقى مبادئ العلوم في مدرسة فرنسية وأخذ الأدب عن علماء عصره، ترك مؤلفات عديدة، نشرت بعد وفاته، بلغت مكتبته18 ألف مجلد نقلت إلى دار الكتب المصرية. راجع الزركلي:المرجع السابق، ط5 ،م 1، ص 100

(4) أحمد زكي باشا:(1284-1353هـ/1867-1934)أحمد زكي بن إبراهيم بن عبد الله، أديب بحاثة، مصري من كبار الكتاب ولد بالأسكندرية وتخرج من مدرسة الإدارة والحقوق بالقاهرة ،أتقن اللغة الفرنسية، كان يفهم الإنقليزية والإيطالية واللاتينية، منح لقب الباشا، اتصل بالمستشرقين، ساهم في أحياء الكتب العربية، بعد وفاته نقلت مكتبته الضخمة،10 آلاف مجلد إلى دار الكتب المصرية، راجع الزركلي: المرجع السابق، ط5،م1، ص ص 126-127

كتبه باعها لهما، وهذا لقربهما منه، وفي نفس الوقت لكي لا تقع بين أيدي المستشرقين وتحكم تكوينه، وشخصيته، كان الشيخ طاهر، متسامحا مع مختلف الملل والنحل وتجده يجالس ويصاحب المطران والحاخام ومقدم النصيرية وإمام الشيعة، مثل ما يجالس إمام السنية والمفتي والفقيه والصوفي ويناقشهم ضمن دائرة آداب البحث، يفيدهم ويستفيد منهم، لا عقدة ولا تعصب لديه.[1] وقد كانت للشيخ طاهر الجزائري علاقة وطيدة بالعالم المطران يوسف داو ود السرياني، فقد نجدهما يتناقشان ويتسامران، كل واحد منهما، استطاع أن يؤثر في صاحبه وهذا لطول صداقتهما، بالإضافة إلى هؤلاء، فقد كانت للشيخ طاهر علاقات مع الأرمن واليهود والكاثوليك و البروتستانت الأمريكان، وكان يقول: هؤلاء الناس أقرب إلينا،فهم يعتقدون بالله وباليوم الآخر وبخلود النفس. وهذه الصداقات جعلته محبوبا ومقربا من جميع الطوائف الدينية التي تحب قربه وكلامه[2]وكان يردد في هذا الموضوع[3]" الحمد لله لقد سالمنا كل الفرق". ونشير هنا أيضا أن الشيخ طاهر قد ارتبط بصداقة مع إمام الديار المصرية الشيخ محمد عبده، وربما علاقتهما الطويلة. جعلتهما يعتقدان ويتفقان أن أسلوب التربية والتعليم، هما الوسيلتان الرئيسيتان لإنهاض المسلمين.[4]

وقد ارتبط الشيخ طاهر، بعلاقة متينة مع شيخ الشام جمال الدين القاسمي[5] الذي كان أحد أعضاء حلقة الشيخ طاهر، ويعترف بنفسه أنه أخذ علوم وحوادث العصر ونوادر الكتب وغرائب المسائل عن الشيخ طاهر الجزائري.[6] وكذلك ارتبط الشيخ طاهر بعلاقة مع أمير البيان الأمير شكيب أرسلان)[7] في

---

(1) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق، ص ص 78-79.

(2) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 16

(3) المصدر نفسه: ص 16

(4) المصدر نفسه: ص15

(5) جمال الدين القاسمي: (1283-1332هـ/1866-1914) من سلالة الحسين السبط، إمام الشام في عصره، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد، أهم بأسس مذهب جديد" المذهب الجمالي " من قبل حساده. ورد التهمة. له عشرات التصانيف. راجع: خير الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط5، م2، ص135.

(6) محمد مهدي، الاستانبولي: شيخ الشام، جمال الدين القاسمي،ط1 ، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985 ص 16

(7) الأمير شكيب أرسلان : هو من أسرة آل أرسلان التي زودت العالم العربي والإسلامي بحكام وأمراء ومجاهدين وعلماء. ولد شكيب في الشويفات(بلدة بين بيروت وصيدا) يوم 1 رمضان 1286هـ/25 ديسمبر 1869. درس أولا في بيروت ثم رحل إلى مصر سنة 1889م جالس العلماء محمد عبده و أحمد زكي باشا، تعرف على رفيق دربه الشيخ محمد رشيد رضا (1865-1935) الذي لقبه بأمير البيان.انتقل الأمير شكيب أرسلان إلى برلين ثم جنيف، طالب باستقلال سوريا، لبنان وفلسطين، سافر إلى أمريكا الشمالية ، زار الاتحاد السوفيتي تلبية لدعوة رسمية، أدى فريضة الحج زار إسبانيا (الأندلس)، أسس مجلة باللغة الفرنسية بجنيف سماها " الأمة العربية" التقى بموسوليني ، عين عضوا بالمجمع العلمي العربي بدمشق، عاد إلى وطنه لبنان بعد استقلاله سنة 1946، توفي في 15 محرم 1366هـ/9 ديسمبر 1946، من مؤلفاته:خلاصة تاريخ الأندلس إلى سقوط غرناطة.-أعمال الوفد السوري الفلسطيني 1923. تاريخ غزوات العرب.-السيد رشيد رضا- لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟- حاضر العالم الإسلامي(علق عليه). بالإضافة إلى كثير من التصانيف والرسائل والمذكرات.... راجع: الأمير=

بيروت[1].وتجدر الإشارة هنا أن أمير البيان قد درس على يد الشيخ طاهر الجزائري[2] ولكن في دمشق أم بيروت! لم نستطع تأكيد هذه الفكرة.

وارتبط الشيخ طاهر بصداقة متينة مع الأديب محمد عبد الجواد القاياتي[3] صاحب الرحلة الشهيرة " نفحة البشام في رحلة الشام " فقد أشاد في رحلته بكتب الشيخ طاهر المطبوعة، واستحسنها ووصفها بأنها على الطريقة الأوربية، أي الطريقة الحديثة للتأليف المتبعة آنذاك، وقد أهدى الشيخ طاهر، إلى محمد عبد الجواد القاياتي كتابه المطبوع "مد الراحة لأخذ المساحة ".[4]

ولا ننسى علاقته الوثيقة بمفتي الجزائر الشيخ محمد السعيد بن زكري(1851-1914م) فقد كانت بينهما مراسلات واتصالات، وكذلك إقامة الشيخ طاهر الجزائري عند الشيخ محمدالسعيد بن زكري عندما زار الجزائر.[5]

وهكذا نلاحظ أن الشيخ طاهر، ارتبط بصداقات متينة مع علماء عصره في المشرق والمغرب العربيين، إن دل علي شيء فإنما يدل على المكانة التي كان يتبوأها في العالم العربي والإسلامي، فشهرته فسحت المجال لصداقات مختلفة، نفع بها وأنتفع بها أيضا.

2.6.2.-صداقته مع المستشرقين:

بالإضافة إلى الصداقة والعلاقات التي جمعته بالعلماء المسلمين، استطاع الشيخ طاهر، إقامة علاقات وصداقات متينة مع علماء الغرب، من إنجليز وفرنسيين وألمان ومجر وأسبان وإيطاليين وهولنديين وسويديين ونمساويين، فقد كان يراسلهم ويراسلونه، للاستفادة من علمه ولمناقشة بعض القضايا العالقة في ذلك العصر، خاصة في المسائل الإسلامية، فهؤلاء المستشرقين انبروا لدراسة تراث الحضارة العربية الإسلامية الضخم ، ومن هؤلاء المستشرقين، نذكر المستشرق المجري" غولد زيهر" والمستشرق الألماني " هرتن"[6]، أستاذ ألسنة الشرق

-شكيب، أرسلان: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم ؟مراجعة: حسن مميم، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1975، ص ص13-25.

(1) أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ط1 ،ج4 ، ص ص 117-119

(2) محمد، الأرناؤوط: المرجع السابق، ص 75

(3) محمد عبد الجواد القاياتي:(1838-1902) أديب مصري، من أنصار الثورة العرابية، من آثاره بالإضافة إلى رحلته، كتاب " غاية النشر في المقولات العشر" راجع المنجد في اللغة والأعلام، ص 432

(4) محمد عبد الجواد، القاياتي : نفحة البشام في رحلة الشام، بيروت: دار الرائد العربي، 1981 ص 122.

(5) أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، ج3، ص 99

(6) هرتن: هوماكس هورتن(1874-1945) مستشرق ألماني، اهتم بالفلسفة وعلم الكلام في الإسلام، أصدر عددا كثيرا من الدراسات والترجمات، فقد ترجم كتاب " النصوص للفارابي" وكتب كثيرة أضاف إليها تعليقاته، له كتاب مهم وهو" الفكر الديني عند المسلمين المثقفين في الإسلام في العصر الحاضر". راجع عبد الرحمن بدوي : المرجع السابق ،ص ص430-432

بجامعة "بون" والمستشرق الإنجليزي" مارغيلوث"[1]، وكذلك ارتبط بصداقة مع المستشرق الشهير " براون"[2]، ومع المستشرق الفرنسي المتخصص في علم الآثار" كاير موناكو" ومع المستشرق الإيطالي" كويدي"[3]، وقد زار الشيخ طاهر بعضهم خلال رحلاته إلى أوربا وزاره كثير منهم خلال رحلاتهم في بلاد المشرق، وهذا للإستفادة من علمه وفكره[4] وارتبط أيضا بصداقة وطيدة مع المستشرق "كود نبري" صاحب جريدة "الكوكب" بمصر.[5]

وكان للشيخ طاهر لقاء هام بالمستشرق الفرنسي الشهير" لويس ماسينيون[6]، وقد اعجب هذا الأخير

---

(1) مارغيلوث : D. S. Margiliouth من مواليد سنة 1858 وهو دافيد صموئيل مارغيلوث، بعدما تخرج من أكسفورد انتقل إلى دراسة اللغات السامية، وفي سنة 1905 نشر دراساته عن الإسلام في كتابه " محمد ونشأة الإسلام" وكان متعصبا وحاقدا على الإسلام، أنتقده كثير من المسلمين وحتى من المستشرقين أنفسهم، ورغم تعصبه عينه المجمع العلمي بدمشق عضوا مراسلا، سنة 1920، توفي سنة1940، من كتبه " معجم الأدباء" لياقوت الحموي ورسائل " أبي العلاء المعري"، "والجامعة الإسلامية" و" التطورات المبكرة في الإسلام "عين أيضا بالمجمع اللغوي المصري . وهو من محرري دائرة المعارف الإسلامية. راجع: عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق ص 379. وأيضا جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعه: منهج كتابه التاريخ الإسلامي لماذا وكيف؟ ط1 الجزائر دار الصديقية للنشر والتوزيع، 1989 ص 261

(2) براون :Eduard Gronville Browne (1862-1926)، مستشرق إنجليزي تخصص في الأدب الفارسي، ولد سنة 1862 من أسرة اشتهرت بالطب واللاهوت، وهو صاحب أفضل وأوسع كتاب في " التاريخ الأدبي لفارس" اهتم باللغات الشرقية بداية من عام 1877، قام برحلات عديدة للدول العربية والإسلامية، كمصر، تونس، وتركيا،اهتم بالمخطوطات الإسلامية، اقتناء وفهرسة، وكان دائما يشتري المخطوطات الفارسية والعربية. راجع: عبد الرحمن بدوي: المرجع السابق، ص ص 51-52

(3) كويدي :Guidi , Ignazio (1844-1935). كويدي إغناطيوس مستشرق إيطالي ولد في روما ودرس العربية في جامعتها ثم درسها. درّس في الجامعة المصرية أستاذا للأدب العربي جغرافيا وتاريخيا، وكان يلقي محاضراته باللغة العربية الفصحى. من أثاره: دراسة نص كليلة ودمنة ونشر قصيدة كعب بن زهير: بانت سعاد... وله أبحاث عديدة. راجع: نجيب، العقيقي : المستشرقون ، ط4. ج1 ،القاهرة: دار المعارف (د-ت) ص 425

(4) محمد سعيد، ألباني: المصدر السابق، ص ص 50-51

(5) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 170

(6) لويس ماسينيون Louis Mossignon مستشرق فرنسي من مواليد 1883/07/25 في باريس، له مكانة هامة بين المستشرقين، اهتم بالتصوف الإسلامي عامة وفي الحلاج خاصة، زار في بداية عهده الجزائر والمغرب الأقصى، درس اللغة العربية في المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية ، في سنة1906 تحصل على دبلوم في اللغة العربية الفصحى والعامية ومن ثم بدأ حياته الإستشراقية، تعرف على غولدزيهر حضر دروسا في الأزهر، شارك في الحرب العالمية الأولى برتبة ضابط، وكان ضمن الجيش الذي دخل القدس سنة 1917 بقيادة الجنرال الإنجليزي آلنبي Allenby عين عضوا في المجمع اللغوي المصري سنة 1933، وعضوا بالمجمع العلمي العربي السوري، من كتبه: الحلاج الصوفي الشهيد في الإسلام . صدر سنة 1922 . و له أبحاث عديدة.... راجع: عبد الرحمن، بدوي :المرجع السابق. ص ص 363-369. وأيضا جمال عبد الهادي محمد مسعود ووفاء محمد رفعت جمعه: المرجع السابق، ص 261.

كثيرا بالشيخ طاهر الجزائري، وأشار إلى مناقب الشيخ في محاضرة ألقاها في 19 نوفمبر 1920م [1]، و هذا يدل على إبداع الشيخ طاهر و دوره الثقافي.

ولكن يبقى المستشرق المجري " غولدزيهر" أفضل وأهم صديق للشيخ طاهر الجزائري، من بين عشرات المستشرقين الذين ارتبطوا به، بعلاقات مختلفة، فقد جمعتهما روابط وثيقة، فعندما زار هذا المستشرق المشرق العربي، وأقام بسوريا سنة 1873م تعرف على الشيخ طاهر وتتلمذ على يديه، فقد كان يدرسه اللغة العربية خلال إقامته[2]، وربما الشيخ طاهر فتح أمام " غولد زيهر" الباب للدراسات الإسلامية والفرق الإسلامية، فقد كان يعرف على الشيخ طاهر حبه للتراث الإسلامي مخطوطا ومطبوعا[3]، فقد كان مولعا ببعث التراث الإسلامي وتشجيع كل شخص يراه أهلا لذلك.

وبحكم العلاقة والصداقة المميزة بينهما، قام المستشرق" غولد زيهر" بترجمة كتاب الشيخ طاهر" توجيه النظر إلى أصول الأثر" إلى اللغة الألمانية.[4] وللأسف لم نتمكن من الوصول إلى التأكد من وجود الكتاب باللغة الألمانية.[5]

ولا نستغرب إذا قلنا أن الشيخ طاهر الجزائري قد ارتبط مع بعض الزنادقة بعلاقات وصداقات، رغم حقدهم على الإسلام والمسلمين، فكان يصبر على مواقفهم المتطرفة من جهة ومن جهة ثانية يعرف كيف يبث أفكاره في وسطهم، فكانت له طريقته الخاصة في تلقيح أفكارهم، حتى عاد بعضهم إلى حظيرة الدين، أما الغلاة من الشيعة والطوائف الأخرى فإنه بصداقته لهم وبأسلوبه الخاص استطاع تخفيف وتليين مواقفهم تجاه المسلمين[6].

إنه بهذا العمل وهذه الصداقات المختلفة مع علماء المسلمين والمستشرقين وعلماء الملل والنحل المختلفة، استطاع أن يضع لنفسه مكانة هامة بينهم يحسد عليها من أقرانه، فهو هنا يمثل المسلم الحقيقي، الذي أراد الإسلام تكوينه.

7.2- وفاته:

لقد كانت هجرة الشيخ طاهر الجزائري من دمشق إلى مصر في سنة 1907م، والمكوث بها مدة ثلاثة عشر عاما، هجرة اضطرارية لا اختيارية، وهي ميزة المصلحين والعلماء، وهذا بسبب القمع الحميدي، المتمثل

---

(1) محمد، كرد علي : " الشيخ طاهر الجزائري" مجلة مجمع اللغة العربية .م 1،ج1،(ربيع الثاني 1339ه/جانفي 1921) دمشق ص .28.

(2) محب الدين، الخطيب : "غولدزيهر والشيخ طاهر الجزائري" مجلة الأزهر م25 ، ج2، السنة 25(صفر 1373ه/أكتوبر 1953)، مصر، 1953،ص 173.

(3) أحمد، عطية الله: المرجع السابق، ص 659.

(4) محب الدين، الخطيب : "غولدزيهر والشيخ طاهر الجزائري"، ص 173.

(5) لنا دراسته حول الكتاب في الفصل الموالي.

(6) محمد، كرد علي : كنوز الأجداد، ص16.

في إدارته التي اتبعت سياسة القمع والمتابعة والتضييق على المفكرين العرب، لذلك لم يبق أمام الشيخ طاهر سوى اللجوء إلى مصر، قلعة الأحرار أنذاك، والبعيدة عن البطش التركي، ورغم الانقلاب الذي وقع ضد السلطان عبد الحميد الثاني سنة1908م، وابعاده من الحكم سنة1909م، ووصول جماعة الاتحاد والترقي[1] إلى دواليب الحكم في استانبول، هذا التغيير لم يغر الشيخ طاهر، فقد رفض العودة إلى سوريا عندما طلب منه أصحابه،لأنه رأى الإنقلاب مرحلة من مراحل القمع التركي للعرب، فانتقال الزعامة من السلطان عبد الحميد الثاني إلى جماعة الإتحاد والترقي، هو بالنسبة للشيخ طاهر إنتقال الاستبداد من الفرد إلى استبداد الجماعات كما صرح بذلك، وبقي في القاهرة، ومما زاده حقدا على الأتراك المجزرة التي قام بها أحمد جمال باشا السفاح[2] والي سوريا في حق الوطنيين العرب في سنتي 1915و1916م وكان من بينهم إبن أخيه الضابط سليم الجزائري.[3]

لكن بعد اندلاع الثورة العربية[4] سنة 1916م التي فجرها شريف مكة حسين بن علي[5]، ودخول الجيش العربي دمشق سنة 1919م وقيام حكومة عربية بها بعد نهاية الحكم العثماني في البلاد العربية، دقت

---

(1) **جماعة الاتحاد** والترقي: جمعية عثمانية، نشأت في أوربا كحركة مناوئة للاستبداد ومنادية بالتجديد في الدولة العثمانية، ركزت في بدايتها على النشاط الفكري، ثم تدرجت في نشاطها وكونت خلايا سرية في إستا نبول، وطاردهم رجال السلطان عبد الحميد الثاني، فنقلوا نشاطهم إلى باريس وسالونيك و انظم إلى صفوفهم عدد من يهود الدونمة الذين أصبحوا من قيادات الحركة بعد انقلاب 1908 واشتهر من قادة الحركة: طلعت وجا ويد وجمال (السفاح) وأنور وانظم إليهم بعض العرب مثل عزيز علي المصري وسليم الجزائري وعبد الرحمن الشهبندر، وقد خاب أمل العرب بعد تبني هولاء الأتراك للسياسة الطورانية وسياسة التتريك، وأنشأت هذه الجمعية فروعا لها في الولايات العربية.راجع: عبد الوهاب الكيالي:المرجع السابق،ط1،ج1، ص ص81-82

(2) **أحمد جمال باشا السفاح**:(1872-1922) ضابط عثماني ولد في إستا نبول تخرج من المدرسة الرشدية ومدرسة الأركان،كان أحد الثلاثة الذين حكموا تركيا خلال الحرب العالمية الأولى وخلال هذه الحرب قادة الجيش العثماني في بلاد الشام، فشل في غزو مصر، ثم عين واليا على سوريا فقمع الأرمن والعرب الذين هجّرهم إلى الأناضول وكان قاسيا على المناضلين العرب وحاكم عدد منهم في ديوان الحرب العرفي بعالية بتهمة الاتصال بالحلفاء، وفي سنة 1922 اغتاله أحد الأرمن.
راجع: عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ط1، ج2، ص 74

(3) **سليم الجزائري** : لنا دراسة حوله في الفصل الرابع.

(4) **الثورة العربية** : هي حركة مسلحة، دعت إليها الجمعية العربية السرية في المشرق العربي ضد الحكم العثماني، وأعلنت بزعامة الشريف حسين بن علي، أمير مكة في جوان 1916 بهدف إقامة دولة عربية مستقلة تظم الجزيرة العربية والمشرق العربي، وقد سبق إعلان الثورة اتصالات هامة مع بريطانيا وقد قامت بسبب المشاعر القومية العربية ضد سياسة التتريك التي اتبعها قادة جمعية الاتحاد والترقي بعد انقلاب 1908 والذين تحالفوا مع الحركة الصهيونية وبدأت المعارك الحربية في 13 جوان 1916 وسقطت مكة في 9 جويلية 1916 بيد الثوار و لم تنته سنة 1918 حتى طرد آخر جندي تركي من البلاد العربية .
راجع: عبد الوهاب الكيالي :المرجع السابق،ط 3،ج1، ص ص 909-910

(5) **الشريف حسين بن علي**(1270-1350هـ/1854-1931) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون من أحفاد أبي نمي بن بركات الحسني الهاشمي، ولد في استانبول عندما كان أبوه منفيا بها، عين أميرًا على مكة سنة 1326ه/1907م، عندما نشبت الحرب العالمية الأولى في سنة 1914، اشتدت جمعية تركيا الفتاة السرية في عملها بواسطة حزبها العلني" الاتحاد والترقي=

نبضات قلب الشيخ طاهر، وعزم العودة إلى مسقط رأسه دمشق الشام، وزاد المرض عليه فقد كان مصاب بداء " الربو" وتعب أيضا من الغربة، وأقفل راجعا إلى دمشق في خريف1919م، وخرجت دمشق لاستقباله، عامة وخاصة، علماء وممثلو الحكومة، وعين مباشرة مديرا لدار الكتب الظاهرية التي أنشأها في شبابه، وأنتخب عضوا في المجمع العلمي العربي، وهذا للاستفادة من خبراته، لكن المرض –الربو– كان يشتد عليه يوم بعد يوم، حتى فاضت روحه والتحق بالرفيق الأعلى يوم الاثنين 14 ربيع الثاني سنة 1338 هـ الموافق لـ 5 جانفي 1920م ودفن حسب وصيته في سفح قاسيون أحد جبال دمشق.[1] وحق لهذا الجبل–قاسيون– أن يفاخر بضم رفات علم من أعلام النهضة العربية الإسلامية، ومظهر من مظاهر العقل العربي الكبير في مصر والشام.[2] وقد حقق الله أمنية الشيخ طاهر في أن يموت في الأرض التي ولد بها[3] وترعرع فيها، وانطلق في عملة النهضوي منها.

وبوفاة الشيخ طاهر الجزائري تنطفئ شمعة من شموع الإصلاح والتنوير في العالم العربي والاسلامي، ولكن أثره الطيب يبقى خالدا، متجسدا في أعمال تلامذته الأوفياء لخطه الإصلاحي، وكذلك في المرافق التي أسسها من مدارس ومكتبات، هنا وهنالك.

وكما سبق وأن ذكرنا أن الشيخ طاهر مثل بقية المصلحين، قد دعا إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد، وتكييف الشرع الإسلامي مع روح العصر الذي نعيش فيه، فلكل عصر خصائصه، وحالاته، وتعرض لهجومات عنيفة من قبل العلماء التقليديين الجامدين، فخلال مرضه المزمن–الربو– الذي اشتد عليه، نشير إلى هذه الحادثة، ليس من باب الإستغراب، ولكن اليوم تمثل موضوع الساعة في الغرب، ونقصد بها ظاهرة القتل الرحيم، فيشير تلميذه الأستاذ محمد كرد علي، أن الشيخ طاهر، بسبب اشتداد المرض عليه، اقترح على الطبيب الذي يشرف على علاجه، أن يعطيه دواءا يميته حالا! قائلا له: إن في الشرع ما يبيح ذلك. فهرب الطبيب وحلف أن لا يعود إلى تمريض الشيخ.[4]

إذا كان طلب الشيخ طاهر الجزائري، قد قوبل بالرفض والإستغراب، والريب في عقله ! إلا أننا نؤكد هذه النظرة الإستشرافية له، وندعمها بما جادت به الساحة العلمية حاليا، من أبحاث ونظريات تؤكد، طلب الشيخ طاهر، الذي كان لا ينطلق من فراغ، وإنما اعتمادا على مطالعاته الكثيرة لأمهات الكتب في التفسير والفقه والحديث.فالشيخ طاهر لم يترك مخطوطا ولا مطبوعا وصلت إليه يده إلا وطالعه بتمعن وتدبر وإستجلى

=على تتريك العناصر العربية، فنمت فكرة الانفصال عن الترك من قبل العرب، ودعمت بريطانيا الأمير حسين بن علي الذي أعلن الثورة على الأتراك، وأطلق أول رصاصة بمكة في 9 شعبان 1334هـ/1916م. وتوفي سنة 1931 ودفن بالقدس الشريف. راجع: الزركلي: المرجع السابق،ط.7،م2، ص ص 249–250

[1] محمد، كرد علي : كنوز الأجداد، ص 14

[2] محمد، كرد علي : "الشيخ طاهر الجزائري" المقتطف،م56 ، (أفريل 1920)القاهرة 1920 ص 304

[3] محمد سعيد،الباني : المرجع السابق ص 140

[4] كنوز الأجداد، ص 14

معانيه، ففي التفسير نجده أحد المفسرين الكبار فقد ترك تفسيرا للقرآن سماه" التفسير الكبير"[1] وكذلك ترك عشرات التصانيف في الحديث والفقه والعقيدة.[2]

وبالتالي طلبه من الطبيب إذا كان يثير الاستغراب في زمانه! إلا أن هذا الطلب أو الحالة أصبحت اليوم أمرا عاديا في المجتمعات الغربية، فالصحف أصبحت تطالعنا، بأخبار ما سمي" الموت الرحيم" الذي كان الشيخ طاهر الجزائري، قد طلب من الطبيب القيام به في سنة 1920م. فهذا طبيب أمريكي ساعد 130 مريضا على الموت البطيء أو الرحيم منذ سنة 1987م، شرطه الوحيد على المريض أن يقدم شهادة طبية تثبت استحالة شفائه[3].

ولم يبق هذا الطبيب شاذا في ممارساته، بل توجد أصوات تطالب بضرورة تشريع قوانين في هذا المجال، كما طالب بذلك الشيخ طاهر الجزائري، الذي ألزمه المرض الفراش وذكر للطبيب بأنه يوجد في الشرع ما يبيح ذلك، وبالتالي طلب الشيخ طاهر، لا يثير أبدا الاستغراب وإنما يدعوا إلى البحث من جديد في تراثنا الإسلامي، لتأكيد طلبه الغريب حسب الطبيب ومعاصريه! أو نفيه.

وحاليا توجد أصوات في أمريكا وأستراليا وأوربا تطالب بإجازة الموت الرحيم، ففي فرنسا أعلنت "لجنة القيم الوطنية" يوم 3مارس 2000م أن القتل الرحيم للمرضى المزمنين المصابين بأمراض مستعصية، ربما يكون جائزا في حالات معينة، وأقرت هذه اللجنة بأن أعمال القتل الرحيم، أصبحت حقيقة واقعية في المستشفيات الفرنسية، فقد رأت هذه اللجنة التي ترعاها الحكومة الفرنسية، أن القتل الرحيم سيكون مقبولا في بعض الحالات الاستثنائية[4].

ولكن مهما كان الأمر فإننا لا نوافق الشيخ الطاهر في هذا الأمر، فعلى المسلم أن يصبر ويتجلد ويكون صلبا شديدا قوي العزم في مواجهة المصائب، فالإسلام لم يبح لنا الفرار من الحياة لمصيبة ألمت بنا مهما كانت شدتها.

---

(1) يوسف أسعد، داغر: مصادر الدراسة الأدبية،ج2، بيروت: (مطابع لبنان) منشورات أهل القلم في لبنان، 1956 ، ص267

(2) للمزيد من المعلومات أنظر الملحق

(3) جريدة الخبر:"يقتل المريض 131 أمام كاميرات التلفزيون" ،الخبر ، ع2517 ،السنة 9،(الأربعاء 1999/03/31م) ص 12،

(4) جريدة الخبر :" إجازة " القتل الرحيم استثنائيا بفرنسا"، الخبر، ع2804 ،السنة 9 (الأحد 2000/03/05)" ص 12.

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دوره التـــربـــوي والعلمـــي

1.– نشاطه التعليمي و الثقافي

1.1– حلقة دمشق الكبيرة

2.1– دوره في تأسيس المدارس ونشر التعليم

3.1– دوره في تأسيس المكتبات وجمع المخطوطات

2– منهجه في التربية و التعليم

3.– فكره وفلسفته

4.– ملامح من شعره ونثره

1.4– شعره

2.4– نثره

5.– دوره في مشروع كتاب "تاريخ زواوة"

6.– منهجه في التأليف: دراسة كتاب "توجيه النظر إلى أصول الأثر "

7. مكتبته ومؤلفاته

1.7– مكتبته

2.7– مؤلفاته

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- نشاطه التعليمي والثقافي :

إن الشيخ طاهر الجزائري لا يمثل شخصية إصلاحية فحسب، إنما هو ظاهرة متعددة الجوانب، ممتدة الأبعاد، فاهتماماته المختلفة جعلت منه محط الأنظار والإعجاب من قبل الآخرين، لقد اهتم الشيخ طاهر بالأسس القومية للنهضة العربية التي بدأت تلوح بظلالها على البلاد العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فهو لم يدخر جهدا في التأليف والتدريس، وبعث أمجاد العرب لدى الناشئة، فاهتمامه بالثقافة العربية جاء في زمن طغى فيه التتريك على جميع روافد الثقافة والعلم، لهذا سنرى الشيخ طاهر يبذل جهودا لإحياء آثار العرب وتراثهم، و بعثهم من سباتهم.[1]

1.1 - حلقة دمشق الكبيرة :

خلال سنة 1878م عرفت دمشق ظهور حلقة للشيخ طاهر الجزائري، كانت هذه الحلقة علمية ثقافية أدبية، يجتمع فيها عدد هام من رجال العلم والفضل، يتحلقون حول الشيخ طاهر الجزائري، ومن أبرز رجالات هذه الحلقة، الشيخ جمال الدين القاسمي، وعبد الرزاق البيطار[2] ومحمد كرد علي، وسليم الجزائري بن محمد السعيد شقيق الشيخ طاهر الجزائري.[3]

وقد كانت دمشق وبلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تعيش في سبات، فالحكومة بعيدة عن دورها الحقيقي، حتى تم تعيين الوالي مدحت باشا على سوريا في سنة 1878م، الذي ما إن وصل حتى فكر في الإصلاح، وبالتالي احتاج إلى مساعدين، كان من أبرزهم الشيخ طاهر الجزائري الذي وصلت سمعته إلى الوالي الجديد عن طريق أمين سر الولاية بهاء الدين بك، وهكذا عرفت الحلقة التقدم، وأصبح لها ولصاحبها السلطة في نشر أفكارها، فبعدما كانت تقوم بجهودها بإمكانياتها الخاصة، أصبحت بقوة القانون تنفذ أفكارها وبرامجها، لأن الشيخ طاهر الجزائري كان الساعد الأيمن لمدحت باشا، في نشر التعليم والثقافة، بل وجدنا الوالي مدحت باشا، يكلف الشيخ طاهر، بمهمة مفتش عام للمعارف في الولاية.[4] إن نشاط الشيخ طاهر الجزائري الكبير، جعل من حلقته حلقة لصفوة المتعلمين والنبهاء والمفكرين العرب، وهدفه من الحلقة الدعوة إلى تعليم العلوم العصرية ودراسة تاريخ العرب وتراثهم[5]، وأيضا الإصلاح، فقد كان لأعضاء الحلقة

---

(1) صالح، خرفي : " الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة. في المشرق " الثقافة العدد 26 السنة 5 (أفريل- ماي 1975) 1975 . ص 8 - 10.

(2) عبد الرزاق، البيطار : (1253-1335 هـ / 1837-1916) من مواليد دمشق، عالم بالدين، طليع في الأدب والتاريخ، من دعاة الإصلاح، سلفي العقيدة، من مصنفاته "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" ، بسبب أفكاره تعرض لمضايقات من الجامدين. توفي بدمشق . راجع: خير الدين، الزركلي : الأعلام، 5 . م3 . ص 351.

(3) سهيل، الخالدي : المرجع السابق . ص 14.

(4) مصطفى، الشهابي : القومية العربية (تأريخها وقوامها ومراميها) . ط 2 ، مصر: مطبعة الرسالة، 1961. ص50.

(5) المرجع نفسه ص 51.

دور في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية في سنة 1878م، وساهمت الحلقة في إشاعة جو من الوعي العربي[1] فالقومية العربية نشأت عن جذور ثقافية، ثم اتجهت إلى الناحية السياسية.[2] وهكذا نلاحظ ظاهر الحلقة ثقافي أدبي، علمي، ولكن في حقيقتها كانت تبث الوعي السياسي لدى الشباب العربي.

وسيظل التاريخ يشهد أن حلقة الشيخ طاهر الجزائري كانت أكبر حلقة أدبية ثقافية، وأعضاؤها أصبحوا روادا للنهضة العربية الحديثة ومنهم الشهيد عبد الحميد الزهراوي[3] ورفيق العظم ومحمد كرد علي وفارس الخوري[4] وعبد الرحمان الشهبندر[5] وسليم الجزائري وغيرهم كثير[6]، مثل شكرى العسلي[7] وعبد الوهاب الإنجليزي[8] اللذين لهما دور بارز في اليقظة العربية[9]، وقد التحق بحلقة الشيخ طاهر عدد من رموز

---

(1) عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية. دراسة في الهوية و الوعي، ط1، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، 1984، ص 195.

(2) عبد العزيز، الدوري : الجذور التاريخيةللقومية العربية . ط 1.بيروت: دار العلم للملايين، 1960.ص 61.

(3) عبد الحميد، الزهراوي: (1272-1334هـ/1855-1916) من زعماء النهضة السياسية في سوريا ولد بحمص، قاوم السياسة الحميدية، قبل بالدستور العثماني، أصدر جريدة "المنير" وكان يوزعها سرا، سافر إلى استانبول وأصدر بها جريدة بالتركية "معلومات" نفته السلطات الحميدية إلى دمشق، أعتقل ثم هرب إلى مصر، وبعد إعلان الدستور سنة 1908 عاد إلى دمشق، ساهم في تأسيس الأحزاب الوطنية، أنتخب رئيسا للمؤتمر العربي الأول الذي أنعقد في باريس سنة 1913، إستماله الإتحاديون إلى صفوفهم خلال الحرب العالمية الأولى، أتهم وحكم عليه بالإعدام شنقا في دمشق، له مؤلفات. راجع : خير الدين، الزركلي: المرجع السابق. ط 5، م2. ص 288.

(4) فارس، الخوري : (1873-1962) ولد بقرية الكفير التابعة لقضاء حاصبيا، وتعلم بالمدرسة الأمريكية بصيدا ثم بالكلية الإنجيلية السورية التي سميت بعد ذلك "الجامعة الأمريكية" أتهم بالتآمر على الدولة العثمانية خلال الحرب العامية الأولى، ثم أطلق سراحه بعد اعتقاله، له نشاط سياسي وأدبي كبير في سوريا، راجع : عبد الوهاب الكيالي : موسوعة السياسة، ط2، ج4، ص ص445-446.

(5) عبد الرحمان، الشهبندر : (1299-1359هـ/1882-1940م)، طبيب وخطيب من دمشق. درس بالجامعة الأمريكية في بيروت، مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، هرب إلى العراق ثم مصر، و لم يعد إلى سوريا إلا في سنة 1919، وعين وزيرا للخارجية سنة 1920، له مؤلفات، قتل بعيادته سنة 1940. راجع: خير الدين الزركلي : المرجع السابق، ط5 ، م 3، ص308.

(6) محمد عبد الرحمان، برج : دراسة في التاريخ العربي الحديث والمعاصر، (د.م) مكتبة الأنجلو-المصرية، 1974. ص 87.

(7) شكري العسلي : (1285-1334 هـ/1868-1916) من زعماء النهضة العربية الحديثة، ولد في دمشق و تعلم في مدارسها، ثم في استانبول، أنتخب نائبا عن دمشق في مجلس النواب العثماني، أصدر جريدة القبس اليومية، طالب باللامركزية، ولما إندلعت الحرب العالمية I حكم عليه بالإعدام ونفذ فيه في سنة 1916 بدمشق.

(8) عبد الوهاب، الإنجليزي: من مواليد دمشق التي تعلم بها، ثم درس الحقوق باستانبول، بسبب مواقفه القومية، تم شنقه بدمشق سنة 1916 ، راجع عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ط2، ج3 ، ص 861.

(9) علي، المحافظة : المرجع السابق . ص 132.

الفكر والسياسة أمثال خير الدين الزركلي[1] وحتى الأمير شكيب أرسلان، وهذا لما يتميز به الشيخ طاهر من تحرر فكري ووعي حضاري آنذاك، قلما نجده عند أمثاله بسبب القمع التركي، المناوئ لكل الأفكار القومية.[2]

وحلقة الشيخ طاهر الجزائري، ضمت بعض العلماء الجزائريين الذين هاجروا إلى المشرق العربي، أمثال: الشيخ المرتضي الحسني، والشيخ عبد القادر المبارك والشيخ محمد الخضر الحسين، وحتى الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في زيارته الأولى إلى دمشق[3] والذي كان له دور بارز وهام في حركة الإصلاح التي شهدتها الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، مع ثلة من أقرانه. وهنا نلاحظ أثر الشيخ طاهر، في رواد النهضة الجزائرية الحديثة.

وحلقة الشيخ طاهر الجزائري لم تكن أبدا متعصبة للعنصر العربي أو الإسلامي، بل ضمت إلى جانب هؤلاء، عناصر تركية نشيطة، فقد كان لرجال حلقة الشيخ طاهر علاقات متينة برجال حركة تركيا الفتاة[4] ويبقى الهدف الحقيقي الذي كانت تسعى إليه حلقة الشيخ طاهر، هو بعث الوعي بالعروبة والمطالبة بحقوق العرب الكاملة في إطار النظام اللامركزي[5]، فالشيخ طاهر الجزائري لم يسكت على مظالم وإستبداد الحكام، فقد كان ينتقد سوء الإدارة، ويدعو إلى الحرية والعدل والنظام، ونظرا لهذه المواقف أتهم بالخيانة الوطنية، والعمل على فصل البلاد السورية عن بقية السلطنة العثمانية لذا وجد عراقيل جمة في تنفيذ ونشر أفكاره الإصلاحية، وكان رواد حلقته وبتشجيع منه يطالعون الجرائد والصحف المصرية المستنيرة سرا، لأن هذه الصحف، كانت تدعو إلى الحرية ومحاربة الطغيان، وكان محب الدين الخطيب[6] هو الذي يحضر تلك الجرائد إلى دمشق[7].

وفي الأخير يمكن لنا القول أن حلقة الشيخ طاهر الجزائري، من المعالم الرئيسية للنهضة العربية الثقافية، واليقظة السياسية أيضا، لأنها ظهرت في وقت أحكمت فيه الأغلال على الأفكار العربية، التي تدعو إلى الوعي القومي والتحرر، واللحاق بالأمم المتقدمة لأن هدف الشيخ طاهر الجزائري من حلقته إشاعة الوعي القومي بين شباب العرب وهذا لتحقيق التقدم، والخروج من دائرة الإنحطاط والضعف.

---

[1] خير الدين الزركلي : من مواليد 25 جوان 1893 في بيروت، نشأ في دمشق وتعلم في مدارسها الأهلية، أصدر في سنة 1918 يومية "لسان العرب"، ثم يشارك في إصدار يومية " المفيد " عندما دخل الفرنسيون دمشق سنة 1920 غادرها وحكم عليه بالإعدام غيابا، وفي في 25 نوفمبر 1976. راجع : خير الدين الزركلي : الأعلام . ط 5 ،م 8، ص ص 267-270.

[2] محمد، الأرناؤوط: المرجع السابق . ص 75.

[3] صالح خرفي : المرجع السابق، ص 13.

[4] ناجي، علوش : الحركة القومية العربية (نشأتها ، تطورها، اتجاهاتها) . ط1 ، بيروت دار الطليعة. 1975 ص 25 .

[5] نادية، طرشون: الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين (نموذج سوريا) / إشراف: محمد خير، فارس. دمشق. قسم التاريخ 1985. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر .ص179.

[6] - تلميذ الشيخ طاهر الجزائري وأحد أعضاء حلقته، لنا دراسة حوله في الفصول الموالية.

[7] - سهيل، الخالدي : المرجع السابق ، ص 144.

2.1- دوره في تأسيس المدارس ونشر التعليم:

لقد كانت دمشق وبلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، في تخلف وسبات عميق، وصادف بروز الشيخ طاهر على مسرح الأحداث الثقافية، تعيين مدحت باشا واليا على سوريا، وبسبب الصداقة التي كانت تجمع الشيخ طاهر الجزائري بأمين سر الولاية، الشاب التركي بهاء الدين بك، تم لقاء بين الوالي و الشيخ طاهر الجزائري و عرض هذا الأخير على الوالي فكرة تأسيس مدارس حكومية على غرار المدارس التي أنشأتها الإرساليات الكاثوليكية والبروتيستانتينية، والتي كانت تشكل خطرا على أبناء المسلمين، وقبل الوالي طلب الشيخ طاهر الجزائري، لأنه لا سبيل لمقاومة أعمال هذه الإرساليات إلا بأسلوبها، ولدفع عملية الاصلاح التربوي، ونشر العلم والتعليم ومحاربة الأمية والجهل، عين الوالي مدحت باشا الشيخ طاهر الجزائري مفتشا عاما للمعارف في الولاية، ورغم إبعاد مدحت باشا من ولاية سوريا إلى ولاية أزمير، إلا أن الشيخ طاهر، بقي في منصبه في عهد الوالي الجديد حمدي باشا، وواصل تنفيذ خطته الإصلاحية التي كان قد شرع فيها، ووجدت خطته دعما، وهذا بتأسيس " الجمعية الخيرية " التي كانت شبه رسمية، فقد دعمت بالمال من الحكومة، وخصصت لها أبنية ومقرات وبدأت هذه الجمعية في فتح المدارس، وطبع الكتب خاصة المدرسية، بمطبعتها الخاصة[1]، وقد كلف الشيخ طاهر الجزائري، بعملية إصلاح أساليب التعليم، فقد كان يسهر الليالي الطويلة، منكبا على تأليف الكتب في مختلف العلوم الدينية و العربية و الرياضية، .مبسطا أساليبها، لتكون في متناول المقبلين على العلم، وقد كان يشرف بنفسه على طبعها.[2]

لقد استطاع الشيخ طاهر وضع الأسس الحديثة البيداغوجية والعلمية للمدرسة السورية وساهم في تكوين وتخريج كبار مشايخ وعلماء الشام.[3] فقد منح الإجازات العلمية لعلماء المشرق والمغرب العربيين.[4]

و لم يتوقف الشيخ طاهر الجزائري عند تعليم الطلبة وطبع الكتب المدرسية ونشرها، بل ساهم أيضا في تكوين وتعليم المعلمين وإعدادهم تربويا وعلميا، لممارسة مهنة التعليم على أحسن وجه، وإنجاح العملية التعليمية.[5] وهنا تكمن عبقرية الشيخ طاهر، فقد جمع عدة وظائف كالتدريس والتكوين والتأليف والطبع والنشر والإرشاد، وهذه الخاصية لم نقف عندها، عند بقية المصلحين سواء الذين سبقوه، أو الذين عاصروه أو حتى في وقتنا الحاضر. فهذه الخاصية والميزة تبين لنا الإرادة القوية وطول النفس، لدى الشيخ طاهر، فقد وصف الشيخ طاهر، بباعث للهمم ومبدد الهموم ومعارض لكل أنواع التثبيط وإلى جانب نشره للتعليم

---

(1) مصطفى، الشهابي : المرجع السابق . ص ص 49-50.

(2) محمد مطيع، الحافظ ونزار أباضة: المرجع السابق . ص 368.

(3) عمار، هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية الإسلامية . ص ص 337-338.

(4) أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، ج 7، ص 68.

(5) محمد، كرد علي : المعاصرون، ص 269.

وتأسيس المدارس، نجده قد حَمَلَ وأجْبَر الآباء على ضرورة تعليم أبنائهم[1] وإرسالهم إلى المدارس للانتفاع وترك الجمود، ومحاربة الأمية المتفشية في المجتمع العربي آنذاك. لقد كان أمل الشيخ طاهر في الناشئة كبير، لحساسية الفترة التي كانت تعيشها الأمة العربية، حكم الأتراك المستبد من جهة، و التغلغل الأوروبي من جهة ثانية.

ومن خلال ما سقناه من كلام، يتضح لنا أن الشيخ طاهر الجزائري بلا شك يعتبر الموجه الأول والأستاذ البارز للحركة الثقافية والعلمية في بلاد الشام[2]، فالتربية والتعليم يشهدان على ماذكرناه، والكتب المؤلفة في هذا المجال تنطق بذلك ولاريب! فقد تميز بأسلوب علمي متين في التفكير والبحث والتأليف، ومؤلفاته وأعماله، توضح ذلك، كلها تنبع من معين التفكير العلمي الحديث، والحرية العلمية، فلا وجود للقيود، والجمود في إنتاجه العلمي المختلف.[3]

إن هدف الشيخ طاهر من تأسيس المدارس في كل ناحية، ونشر التعليم وحث الآباء على تعليم أبنائهم، هو تكوين جيل جديد من الشباب يعي بقضية أمته، فالجيل الذي يرتبط بإسلامه وعروبته، وينهل من الحضارة الغربية، على تلك المقومات، بإمكانه إحداث نهضة حقيقية وشاملة. فالشيخ طاهر الجزائري، كثيرا ما واجه خصوم الفكر العربي واللغة العربية، فكشف شبهاتهم وأباطيلهم وحافظ على التراث العربي وساهم في تنميته. إن كتاباته تنصب في طريق واحد و هو المحافظة على التراث والإستفادة من أفكار المدنية الغربية وفق مبادئنا ومقوماتنا، وكللت مجهوداته في بعث الثقافة العربية وتكوين جيل من الأدباء والمفكرين والسياسيين[4]. وتبقى المكتبة العربية شاهدة على إنجازاتهم المختلفة، هذا ونشير أن بيروت قد عرفت نهضة ثقافية إسلامية بواسطة المدارس التي أنشأها هناك.[5]

والدافع الرئيسي، بالإضافة إلى الضمير القومي لدى الشيخ طاهر، في تأسيس المدارس، هو غيرته الشديدة على الدين الإسلامي وعلى أبناء المسلمين، لأن مدارس الإرساليات التبشيرية، كانت تظهر وتنبت كالفطريات في بلاد الشام، بالإضافة إلى سياسة التتريك التي اتبعها الحكام الأتراك في الولايات غير التركية، وهذا بفرض اللغة التركية، وبالتالي أبعدت اللغة العربية من دواوين الإدارة والتدريس وتراجعت في الميدان، فلا

---

(1) محمد، كرد علي : كنوز الأجداد ، ص ص 6--7.

(2) أسماء، الحمصي : " المدرسة الظاهرية " مجلة مجمع اللغة العربية ، م 42 (جانفي 1967)، دمشق. ص 127.

(3) جميل، صليبا : " الإنتاج الفلسفي خلال المائة سنة الأخيرة في العالم العربي " مجلة مجمع اللغة العربية. المجلد 37 (جانفي 1962) . دمشق، ص 64.

(4) أبو القاسم، سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط2، ج 4، ص 198.

(5) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، تقديم وتعليق محمد الصالح الصديق، ص 16.

بديل إذا عن تأسيس المدارس ونشر التعليم والعلم باللغة العربية، ووهب الشيخ طاهر حياته لهذا الهدف رغم صعوبة المهمة.[1]

وهكذا استطاع الشيخ طاهر بعمله وعلمه الواسع وإرادته القوية أن يساهم في تقدم المعارف في ولاية سوريا، فقد سعى في تمهيد طرق التعليم بأحدث الطرق السهلة في التدريس، وهذا بجمعه كتبا سهلة المأخذ والفهم من مختلف العلوم والآداب، والطبيعة والتاريخ وغيرها، ونضيف شيئا هنا، وهو استفادة قرى الجزائريين في بلاد الشام من حركة الشيخ طاهر الإصلاحية، فقد أسس في كل قرية مدرسة، وبعمله هذا فتح الباب أمام كثير من علماء الشام الذين ساروا على نهجه وخطاه، ومؤرخو وكتاب سوريا في القرن العشرين يؤكدون بل و يفتخرون بمجهودات الشيخ طاهر، خاصة عندما نجح في إقناع الوالي (مدحت باشا) بأن يعتمد عليه وعلى الجمعية الخيرية، في نشر العلم والتعليم وبناء المدارس وما يتصل بذلك. فقد استطاع تأسيس مدارس في فلسطين ولبنان وهذا للقضاء على احتكار العلم والثقافة من قبل بعض العائلات الكبيرة التي كانت تسيطر على الحياة العلمية والثقافية، مستفيدة بذلك من جهل أغلبية المجتمع[2] وهذا يعتبر بالنسبة لنا أكْبَر وأعظم جهاد قام به الشيخ الطاهر في مجال محاربة الجهل والأمية والأرستقراطية العلمية !.

و لم يشذ ميدان التاريخ عن توجهات الشيخ طاهر الإصلاحية، فقد شجع الطلاب ودعاهم إلى دراسة التاريخ، وهذا بإحياء أحداث الماضي، أي تاريخ الحضارة العربية الإسلامية المجيدة والاستفادة من انتصاراتها وحتى من إنكساراتها وهذا على أسس جديدة، أي دراسة التاريخ بفلسفة جديدة وبطريقة علمية تبتعد عن الطريقة التقليدية التي تتصف بالحفظ والسرد والجمود [3].

ومن أهم العوامل التي جعلت الشيخ طاهر يزداد إرادة وعزيمة في نشر العلم والتعليم، هو إعفاؤه من منصبه التعليمي، فسياسة التتريك التي اتبعها الحكام الأتراك في الولايات العربية أملت عليهم استبدال الشيخ طاهر بمعلم تركي لتدريس اللغة العربية في ثانوية دمشق (مكتب عنبر) وهذا أكبر استهتار لا بالشيخ طاهر الجزائري ولكن باللغة العربية وأهلها.[4]

وأظن أن هذا العمل الذي أقدم عليه الأتراك والشيخ طاهر في عنفوان شبابه، جعله يواصل مسيرته الإصلاحية، والعمل على تخليص أبناء الأمة العربية من براثن الترك، ولا يدخر في ذلك جهدا ووسيلة .

ورغم مكانته العلمية إلا أنه كان يحضر المجالس العلمية التي تعقد من حين لآخر وهذا لنشر أفكاره الإصلاحية، كأسلوب منه ! ففي إحدى المرات كان يحضر مجلسا علميا إلى جانب الشيخ جمال الدين القاسمي الذي كان يلقي درسا على طلبته، وخلال الدرس نطق أحد الطلبة بأنه بحاجة إلى قاموس، يستعين به في

---

(1) توفيق ، برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914م)، ط 1، دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991، ص 35.

(2) سهيل، الخالدي : المرجع السابق ، ص 233.

(3) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق، ص 33.

(4) سعيد، الأفغاني : من حاضر اللغة العربية، ط2، بيروت : دار الفكر، 1971، ص 24.

دراسته، فكان رد الشيخ طاهر في الحين نيابة عن الشيخ جمال الدين القاسمي، ناصحا الطالب، ببيع عمامته ويشتري بها القاموس الذي يريده! وقد سُرّ وأعجب الجميع بهذا التوجيه والنصح[1]، فهذه الواقعة تؤكد لنا حرص الشيخ طاهر على نشر العلم بمختلف الوسائل والسبل وتقديم أغلى ما نملك للوصول إلى المعرفة .

وفي سنة 1898م عين الشيخ طاهر مفتشا لمكاتب الشام، ولبث في هذا المنصب أربع سنوات، استغلها لنشر أفكاره الإصلاحية، وكذلك مواصلة العمل الذي بدأه منذ عشرين سنة تقريبا أي زمن الوالي مدحت باشا، وخلال مهمته الحكومية الأخيرة قدم خدمات جليلة لتنظيم المكاتب (المدارس) والنهوض بها لأنها بالنسبة له العمود الرئيسي لكل إصلاح أو نهضة لكن بسبب المضايقات الحميدية للمفكرين العرب وكل المصلحين القوميين، لم يستثن الشيخ طاهر الجزائري من هذه الممارسات القمعية، فعندما كان في مهمة تفتيش بالقدس، قامت السلطات التركية باقتحام منزله وعاثوا فيه فسادا، فتشوا داره وكتبه ودفاتره وأوراقه الخاصة، وعندما عَلِمَ بالأمر لم يرجع إلى دمشق خوفا على نفسه، إلا بعد أربع سنوات، وعندما رجع كان رجوعه في سرية تامة، حيث حمل معه ما استطاع من كتب قيمة ونادرة ومخطوطات وقصد القاهرة، فوصلها في سنة 1907م وسكن في بيت صغير في حي عابدين بالقاهرة، واتصل بالعلماء[2] وهكذا كان الشيخ طاهر عالما و معلما للأجيال ومتعلما يحب العمل ويدعو إليه، ويحث على العلم ونشره بين مختلف الشرائح الإجتماعية [3].

و لم تقتصر جهود الشيخ طاهر الجزائري على بث التعليم والتعلم في جميع الأوساط الاجتماعية وطبع الكتب وتأسيس المدارس، بل كان يشجع ويدعو إلى إنشاء الصحف السياسية والاجتماعية والمجلات العلمية والأدبية، ويشجع أيضا على نشر المواضيع المترجمة لمعرفة ما توصلت إليه الأبحاث في الضفة الأخرى، وكم من مجلة أو جريدة في القطرين السوري والمصري، أنشئت بدعمه المعنوي ومؤازرته القوية [4].

وقد كان سلاح الشيخ طاهر في عمليته الاصلاحية علمه، فهو صاحب ثورة في زمانه على الأوضاع الثقافية القديمة، فثورته فكرية، رغم طولها إلا أن نجاحها مضمون في النهاية كما كان يردد دائما، سلاحه علمه وجنوده طلابه، وميادين معاركه المدارس والنوادي والجمعيات وخصومه الجهل والمستبدين[5]. وتبقى النهضة العربية الإسلامية مدينة له، فجهوده وأعماله تضعه في صف كبار المصلحين المعاصرين له، أمثال السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) والشيخ محمد عبده (1849-1905م) وغيرهم من رموز النهضة العربية الإسلامية[6].

---

(1) محمد مهدي ، الإستانبولي : شيخ الشام جمال الدين القاسمي، ط1 ، بيروت : المكتب الإسلامي، 1985، ص 92.

(2) أحمد، تيمور باشا : أعلام الفكر الإسلامي ، ص ص 290-291.

(3) عمار، طالبي : ابن باديس حياته وآثاره ، ط 1 ، ج 4، بيروت : دار اليقظة العربية، 1968، ص ص 160-178.

(4) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق، ص 62.

(5) محمد، كرد علي : المعاصرون، ص 271.

(6) أبو القاسم ،سعد الله: أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، ص 150.

إن لغة الأرقام أصدق تعبير على الدور الكبير الذي قام به الشيخ طاهر في مجال التعليم وبناء المدارس، فعندما كان مفتشا عاما للمعارف، خطا التعليم خطوات سريعة إلى الأمام، فخلال ثلاث سنوات فقط من سنة 1879م إلى سنة 1882م، زاد عدد المدارس في دمشق ومعلميها ومعلماتها بمقدار السدس بالنسبة للمدارس والربع بالنسبة للمعلمين والمعلمات والربع بالنسبة للطلاب، وهذا بفضل جمعية المقاصد الخيرية التي ساهم مدحت باشا في تأسيسها، وعندما استبدلت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في سنة 1882م بمجلس للمعارف، ثم تعيين الشيخ طاهر نائبا للشيخ الشريف محمود أفندي مفتي دمشق الذي عيّن رئيسا أول للمجلس، وهذا كله يبين المكانة الإصلاحية التي تبوأها الشيخ طاهر بين معاصريه آنذاك[1].

من خلال إستعراضنا لدور الشيخ طاهر التعليمي بصفة عامة، يمكننا أن نقول أنه صاحب الفضل الأول، في تطوير التعليم في بلاد الشام، سوريا، فلسطين ولبنان، ليس في زمانه فحسب، بل من بعده أيضا، فالتطور الذي حصل خلال العشرينات وحتى الخمسينات من القرن العشرين، فإنه بلا شك يعود إلى مجهوداته، فقد وضع اللبنات الأولى لتلك النهضة والتطور وكما سبق وأن أشرنا أن مؤرخيا وكتاب سوريا في القرن العشرين، ينوهون بل ويفتخرون بمجهوداته الجبارة[2].

وختاما نقول أن حركة الشيخ طاهر الجزائري في هذا المجال، لم تكن سهلة، تلقى التشجيع والدعم المتواصل، بل عرفت عراقيل جمة، أبرزها وأخطرها جاء من الحكومة العثمانية في استانبول التي لم يسرها ويعجبها قيام نهضة عربية في بلاد الشام بإمكانياتها، حيث نجدها تعرقل جهود وأعمال الشيخ طاهر، تارة إلغاء " مفتشية المعارف "، ثم عرقلة نشاط " الجمعية الخيرية "، ثم اتهمت الشيخ طاهر بالتعاون والإشتراك مع جمعية " تركيا الفتاة " المعادية للسلطان عبد الحميد الثاني وسياسته الإستبدادية [3]، ومع تواصل هذه السياسة القمعية المتبعة من قبل الحكام الأتراك، خاصة بعد تفتيش بيته بعدما كان في مهمة عملية بالقدس، تأكد له سوء نوايا الأتراك به، وعزم على الرحيل نحو القاهرة، قبلة وملجأ أحرار العرب آنذاك.

1.3. – دوره في تأسيس المكتبات وجمع المخطوطات :

بالإضافة إلى دوره في تكوين حلقة دمشق الشهيرة التي تعتبر معلما هاما في تاريخ الحركة القومية العربية، ودوره أيضا في نشر التعليم وتأسيس المدارس في كل أنحاء بلاد الشام، إهتم الشيخ طاهر بتأسيس المكتبات الكبرى وجمع المخطوطات النادرة من هنا وهناك حتى وضع لنفسه مكانة بين المختصين في هذا المجال وأعني بهم علماء البيبلوغرافيا. ولقد بدأ الشيخ طاهر في شراء الكتب والمخطوطات وهو لا يزال في المدرسة الابتدائية، وقد بلغ عدد كتبه ومخطوطاته في خزانته بعد جمع طويل وصبر كبير ستة آلاف مجلد غنية بنوادر المخطوطات[4]، هذه الهواية المبكرة، كبرت معه، و جعلته يتنقل كثيرا في البلاد العربية والإسلامية، استفاد

---

(1) توفيق،برو:المرجع السابق، ص 35.

(2) سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 280.

(3) مصطفى، الشهابي : المرجع السابق ، ص 50.

(4) عمار، طالبي : المرجع السابق ، ص 154.

منها معارف جديدة ولقاءات مع العلماء والأدباء في البلاد التي زارها، وأصبح مرجعا يعتمد عليه في فن وصف المخطوطات ووصف مضامينها، ومواقع الكتب بصفة عامة[1].

ونظرا لحماسة الشيخ طاهر في هذا المجال، نجده يتعاون مع المجموعة التي كلفها والي سوريا (مدحت باشا) بالبحث عن المكتبات المهملة وجَمع ما يمكن جمعه منها في مكان واحد يكون قبلة للباحثين، وعين للمكتبة التي أراد تأسيسها، موقعا قرب التربة العادلية، في مكان يعرف بالظاهرية[2]. وأصبحت هذه المكتبة (الظاهرية) من أهم مكتبات البلاد العربية والإسلامية فقد تجاوز عدد المجلدات فيها الآلاف بين المطبوع والمخطوط، وفي جميع التخصصات، خاصة نوادر الكتب[3]، هذا و قد أنشئت خلال عام 1296هـ/1880م[4]. ويعود الفضل الكبير في إنشاء المكتبة الظاهرية التي أشرنا إليها، إلى جهود الشيخ طاهر الجزائري، صاحب الاختصاص في جمع المخطوطات والكتب النادرة ومعرفة مواطنها محليا وحتى إقليميا، فقد جمع فيها الكتب الموقوفة على المساجد والمدارس، مستغلا في ذلك منصبه الحكومي وسلطة الوالي مدحت باشا، الذي آل على نفسه إصلاح ما يمكن إصلاحه في زمن أصبحت الثقافة في وضع متردي جدا [5].

وهكذا يمكن لنا القول أن الشيخ طاهر الجزائري يعتبر مؤسسا لأول مكتبة وطنية في بلاد الشام في زمن قلنا أنه تميز بالركود والجمود الثقافي[6] وقد وضع لهذه المكتبة نظاما داخليا لخدمة قرائها وروادها من العلماء، وهذا لكي تساهم بفعالية في تطوير الحياة العلمية والتربوية والثقافية في بلاد الشام[7].

ويجب أن نشير هنا أن عملية تأسيس المكتبة مرت بسهولة و هذا بدعم من الوالي مدحت باشا، لكن بعد ذهابه، لم تكن مهمة الشيخ طاهر سهلة، خاصة فيما يتعلق بجمع الكتب لها، الموقوفة في المساجد، فقد لقي صعوبات جمة وذرائع مختلفة للحيلولة دون تحقيق مبتغاه، وهو جمع أكبر عدد من المخطوطات والكتب للمكتبة، فلقد هدد بالقتل !؟ إن لم يرجع عن قصده، من بعض الأطراف، التي ألفت استغلال تلك الأوقاف لصالحها، رافضة نشر العلم و المعرفة بين مختلف شرائح المجتمع، فكان هذا الأمر للشيخ طاهر، زيادة في إرادته، وعزيمته، لتحقيق أهدافه[8].

---

(1) أحمد، تيمور باشا: المصدر السابق، ص 289.

(2) الظاهرية : سميت نسبة إلى الملك الظاهر بيبرس ، حيث أقام ابنه الملك السعيد مدرسة سميت الظاهرية على قبره. والظاهر بيبرس (625-676 هـ/1228-1277م) تولى حكم مصر والشام بعد قطز، حارب التتار، توفي في دمشق وأقيمت حول مرقده كما قلنا المكتبة الظاهرية. راجع : خير الدين ، الزركلي : المرجع السابق، ط5 . م2، ص 79.

(3) جرجي، زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ،ج 4، ص 212.

(4) محمد، كرد علي: خطط الشام، ج6، دمشق، مطبعة المفيد، 1347هـ- 1928م، ص 205.

(5) مصطفى، الشهابي : المرجع السابق ، ص 50.

(6) سهيل، الخالدي : المرجع السابق ، ص 223.

(7) هايل، نوفل : تاريخ الكتب والمكتبات، دمشق: مطبعة خالد بن الوليد . 1986/1987. ص ص 168 - 170.

(8) أسماء، الحمصي : المرجع السابق ، ص 128.

وقد تأسست المكتبة الظاهرية خلال سنة 1880م، متوجة بذلك مجهودات الشيخ طاهر الجزائري ومن ورائه علماء الجمعية الخيرية، فغناها بالمخطوطات النفيسة والكتب النادرة جعل منها أفضل المكتبات في المشرق، وبدون شك لولا الشيخ طاهر الجزائري وحرصه الشديد، وإيمانه العميق بأهمية المكتبة كمركز إشعاع ونور لتبديد معاقل الظلام والجهل الذي ضرب أطنابه في المجتمعات العربية والإسلامية لأسباب مختلفة داخلية بفعل حكم الأتراك، وخارجية بتكالب الدول الاستعمارية على الشعوب العربية والإسلامية [1].

ولم يقتصر نشاط الشيخ طاهر على تأسيس المكتبة الظاهرية بدمشق، بل امتد نشاطه البيبلوغرافي إلى مناطق أخرى، حيث ساهم بشكل كبير وفعال في إنشاء المكتبة الخالدية[2] بالقدس في أخريات القرن التاسع عشر، وهذا بمساعدة من آل الخالدي، فهذه الأسرة مشهورة بأدبائها وعلمائها[3] وقد أضيفت لهذه المكتبة كتب مختلفة من مصادر متنوعة، وبلغ عدد مجلداتها بضعة آلاف[4]، وأصبحت مكتبة ذائعة الصيت بما احتوته من مخطوطات نفيسة نادرة وكتب قيمة، وهذه المكانة التي اكتسبتها و الشهرة التي عرفتها كان من ورائها، الشيخ طاهر الجزائري[5].

ومن خلال هذا النشاط الدؤوب، يمكننا وضع الشيخ طاهر كأبرز المختصين في المكتبة العربية وولوعا بجمع نفائسها دون كلل أو ملل[6]. وربما يكون وحيد زمانه في معرفة الكتب والمخطوطات فإطلاعه الواسع، جعله بجدارة منافسا لصاحب الفهرست (ابن النديم)[7]، و لصاحب كشف الظنون (حاجي خليفة) [8]، فقد سار على خطاهم في زمانه [9].

ونذكر هنا قصة طريفة تأكد ما قلناه حول الإطلاع الواسع للشيخ طاهر على مختلف العناوين قديمها وحديثها ! ففي إحدى المرات قام أحد الأمراء وهو من غلاة المتصوفة بحرق نسخة كتاب (العلم الشامخ في

---

(1) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية ... تحقيق محمد الصالح الصديق . ص 16. وأيضا : محمد، كرد علي : المعاصرون: ص 269 وما بعدها.

(2) الخالدية : نسبة إلى الشيخ راغب الخالدي.

(3) محمد، كرد علي : المعاصرون ، ص 269.

(4) جرجي، زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية . ج4 . ص 223.

(5) محمد مطيع، الحافظ ونزار، أباضة : المرجع السابق، ص 368.

(6) عمار، هلال : العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية ، ص 338.

(7) ابن النديم : هو محمد بن النديم، من أدباء بغداد البارزين ، عرف بالوراق توفي بعد سنة 1000 م . راجع : المنجد في اللغة والأعلام. ص 15.

(8) حاجي، خليفة: (1608-1657م) كاتب تركي موسوعي ولد في استانبول، اشتهر بمؤلفه الكبير "كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون" وهو معجم بأسماء نحو 15000 كتاب عربي، راجع المنجد في اللغة والأعلام، ص 211.

(9) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق . ص 64.

إيثار الحق على الآباء والمشايخ" تأليف الشيخ صالح المقبلي اليمني [1]، ويتضمن كتابه هذا فتاوي عديدة لكبار العلماء والقضاة، تدين المتصوفة وأعمالهم وعندما سمع بذلك الشيخ جمال الدين القاسمي، تألم كثيرا، لاعتقاده أن هذا العمل يبعد الحقيقة، ويحيي الباطل ويساعد على بقاء ثلة من الجاهلين متحكمين في رقاب الشعوب بأفكار لا تزيدهم إلا تخلفا وتعلقا بأوهام لا أمل من ورائها لكن باتصاله بالشيخ طاهر الجزائري، بدد له هذه المخاوف وطمأنه بوجود نسخة ثانية للكتاب في مكتبة القدس ولأهميتها في حاضرهما ومستقبل العلم بصفة عامة قام الاثنان بنسخها من جديد وأرسلت النسخة إلى الشيخ محمد رشيد رضا [2]، لطبعها ونشرها على نطاق واسع، لكي لا تصل أيدي المتطرفين إليها من جديد وهذا يبين أن الشيخ طاهر الجزائري كان على دراية واسعة بمختلف المخطوطات والكتب في عصره[3].

وقد أشار المهدي بوعبدلي [4] في إحدى مقالاته عن الشيخ طاهر الجزائري أنه أصدر بمصر في سنة 1917م، المجلة السلفية و لم أستطع التأكد من هذا [5] وربما يكون قد اشترك في إصدارها مع تلميذه محب الدين الخطيب.

وفي ختام هذا العنصر، يظهر لنا بشكل جلي لا يدع مجالا للشك والريبة ولا حتى المبالغة، إذا قلنا أن الشيخ طاهر الجزائري في بلاد الشام بمجهوداته الجبارة والمختلفة وحلقته الشهيرة وخريجيها من أعلام الفكر القومي العربي التحرري وتأسيسه للمدارس ونشره للعلم والتعليم، ثم مساهماته في تأسيس المكتبات العامة، لدليل على عظمته وعبقريته الفذة، وأنه بأعماله المختلفة قد تجاوز الكثير من أقرانه، سواء الشيخ محمد عبده في مصر أو الشيخ عبد الرحمن الكواكبي في حلب ومصر، وربما في مجالات أخرى قد تجاوز أيضا أعمال السيد جمال الدين الأفغاني ومحمد علي باشا، فهو مؤسس مدرسة أساسها تربوي تعليمي وفروعها إجتماعية

---

(1) الشيخ صالح المقبلي اليمني : (1074-1108هـ/1637-1696م) هو صالح بن مهدي بن علي المقبلي مجتهد ولد في قرية مقبل باليمن في الشمال الغربي من صنعاء، نبذ التقليد و بسبب أفكاره رحل إلى مكة و اشتهر بين علمائها. راجع: خير الدين الزركلي، المرجع السابق، ط5، م3، ص 197.

(2) محمد رشيد، رضا : (1282-1353 هـ/1865-1935م) ولد بقرية القلمون جنوب طرابلس الشام في بيت علم وجاه، تلقى العلم على يد العلامة حسين الجسر، في سنة 1315هـ / 1897م، رحل إلى مصر واتصل بالشيخ محمد عبده ولزمه، أول من أطلق اسم الإمام الأستاذ على شيخه محمد عبده في مصر، أصدر مجلته الشهيرة " المنار " في 1315هـ/1397 وبقيت تصدر حتى وفاته، ترك مصنفات عديدة ومتنوعة أهمها تفسير القرآن الكريم، راجع : الأمير شكيب، أرسلان: المرجع السابق، ص ص 27-32.

(3) محمود مهدي، الاستانبولي : المرجع السابق ، ص 29 و ص 56.

(4) المرجع السابق ، ص 46.

(5) نشير هنا أن محب الدين الخطيب تلميذ الشيخ طاهر، قد أسس بالقاهرة المكتبة السلفية. يرجى الإطلاع على ذلك في الفصل الرابع.

سياسية، فكرية لا تزول بزوال الرجال ! وقد شهد له بعلمه البعيد قبل القريب وأقصد هنا المستشرقين الذين تهافتوا على صداقته والتعاون العلمي معه [1].

2- منهجه في التربية والتعليم:

لقد آمن الشيخ طاهر الجزائري، كما آمن بعده الشيخ محمد عبده في مصر، والشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر من بعدهما، أن نهضة المسلمين، لن تفلح ولن تعرف طريق النجاح إذا لم يكن العلم رائدها، وأكدت الأيام أن العلم والتعليم هما السبيل الأنجع لنشل المسلمين من سقطهم وانحطاطهم وبعثهم إلى الأمام واللحاق بالركب الحضاري، لهذا نجد أن الشيخ طاهر، بمواهبه المختلفة وثقافته المتميزة وبطموحه اللامحدود، أصبحت العملية التربوية والتعليمية، شغله الشاغل طوال حياته فقد نعتبره بلا منازع أبو التعليم الحديث في بلاد الشام، كل همومه ومجهوداته كانت منصبة في هذا المجال، خاصة عندما عينه الوالي (مدحت باشا) مفتشا عاما للمعارف، فقد بذل جهدا، لا يمكن لأحد أن ينافسه في ذلك ولا يقارن بأحد في ذلك أيضا، لأن الظروف التي انطلق فيها، لم تكن هي الظروف التي واجهت غيره من المصلحين، وربما القدر اختار الشيخ طاهر الجزائري الذي وهب حياته لهذه المهمة النبيلة (التربية والتعليم)، فقد عزف عن الزواج وزخرف الحياة وواصل النهار بالليل من أجل المطالعة والتأليف لدفع عملية التعليم إلى أقصاها واستغلال السلطة والمنصب الحكومي أحسن استغلال، وهذا لخدمة المسلمين وأبنائهم وربما لوعين شخصا آخر في هذا المنصب، لاستغل قربه من الوالي، لخدمة مصالحه وأغراضه وعشيرته، ولا يلتفت إطلاقا إلى المهمة المنوطة به، فخصال الشيخ طاهر، تؤكد ما ذكرناه.

ونحاول في هذا العنصر أن نبرز منهج الشيخ طاهر في العملية التعليمية والتربوية، فقد كان منهجه مميزا عن غيره، يدعو إلى الاقتصار على لباب العلم دون التعمق بما لا يفيد، وكذلك يرى بضرورة التدرج في التعليم من البسيط (الجزئيات) إلى المركبات، أي التدريس بالأهداف والانتقال من عنصر إلى آخر، من السهل إلى الصعب وهكذا، وكان يركز في التعليم على من يرى فيهم الذكاء والحدة والنجابة، وهذا بأسلوب لا كلفة فيه والمتصلبين من التلاميذ كان يلقح أفكارهم من حيث لا يشعرون، وكان شديد الغيرة على العلم لا يضيعه ويرميه بين الجهال من الناس أو المتكبرين، حتى أنه أتهم من حساده وبعض الناس بالبخل والشح العلمي، لكنه كان في حقيقة الأمر يمنح الطلاب خاصة والناس عامة على حسب استعدادهم ويخاطب الناس على قدر عقولهم، وهذه لعَمْري قِمة مَا وصلت إليه البيداغوجيا من أبحاث، لكي تفيد المتعلم والعلم أيضا ولا تضرهما إطلاقا، لأنه من الحماقة والسخرية أن نتقدم أفكار علماء كبار لأطفال! والعكس أيضا. ولنشر أفكاره التربوية الإصلاحية بين أوساط الناس، كان يجلس أحيانا مستمعا في مجالس العلماء الذين يرى فيهم النباهة والأخلاق الحقيقية للعلماء، وهدفه من هذا، ليس الاستماع فحسب وإنما إفادتهم خلال الدرس بتدخلاته دون أن يشعرهم بشيء، وهذا لتوصيل أفكاره لا أكثر [2].

---

(1) المهدي، بوعبدلي : المرجع السابق، ص 45.

(2) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق، ص ص 75-77.

ولتجسيد منهجه التربوي والتعليمي ألف كتابه الشهير" إرشاد الألباء إلى تعليم ألف باء " الذي يعتبره تلميذه الوفي محمد كرد علي، بأنه من أهم الكتب في البيداغوجيا، وكذلك من ابتكاره و لم يقلد فيه أحـــدًا، والكتاب ألفه في سنة 1325هـ/1907م، وهذا تأكيد أيضا على حبه للتأليف والنشر لكـــي تصـــل أفكـــاره الإصلاحية إلى أبعد الأقطار عن طريق الكتابة [1].

و لم يتوقف دوره التربوي والتعليمي عند هذا الحد، بل تدخل في أشياء قد يعتبرها البعض منا أمـــورا خاصة، لكنها في الحقيقة تعني كل المسلمين الغيورين على هذه الأمة، فقد حمل الآباء على تعليـــم أولادهـــم وإرسالهم إلى المدارس والمساهمة أيضا في بناء المدارس، فبهذا العمل يمكننا القول أنه دعا إلى إجباريـــة تعليـــم الأبناء، وكان له ما أراد، فتسابق الأباء في دفع العملية التعليمية إلى الأمام، وكثرت المدارس الأهلية [2].

ومن منهجه التربوي والتعليمي، اختراق الأسر والعائلات وغرس بذور الإصلاح فيها، فالأسرة هـــي أساس كل إصلاح في المجتمع فقد رأى الشيخ طاهر في التعليم وسيلة مجدية لإصلاح بيوت النـــاس خاصـــة الأغنياء منهم، لأنه يرى أن تعليم أحد أبنائهم سيساهم بدوره في تعليم أسرته أو إحداث انقلاب في العائلـــة، وهذه حقيقة يؤكدها الواقع ولا تحتاج إلى برهان، فقد كان يقول [3]:

" لنخرجن من بيوت الأغنياء أولادا يحاربونهم بسلاح التربية الصحيحة " وقلما وجدنا من يفكر بهذا الشـــكل لا في عصره فحسب، ولكن حتى في وقتنا الحاضر، فهذه ميزة تحسب لصالح الشيخ طاهر الجزائري، الـــذي لم يترك وسيلة ولا طريقة إلا واستخدمها لتحقيق أغراضه الإصلاحية، والدليل أنه بهذا الأسلوب التربوي الفريـــد من نوعه، بعض العائلات الغنية، أصبحت وأضحت بيوتا للإصلاح والعلم بعدما كانت بيوتا لجمـــع الـــثروة والمال وحقق الشيخ طاهر مبتغاه [4].

و لم ير التعليم حكرا على أبناء المسلمين فحسب، بل كان يردد أمام أصحابه، أنه إذا طلب منه اليهود تعليمهم، لما تأخر ساعة عن إجابة طلبهم، لأنه كان يرى في تعليمهم، تقريبا لهم إلى المسلمين وإزالة أحقـادهم علينا [5]، ألا نعتبر هذا منهجا مميزا للشيخ طاهر، وأنه متفتح على جميع العقائد، وهذا لم يتوفر لغيره، لأنـــه انطلق من قاعدة إيمانية صحيحة قوية لا مجال للشك فيها، فهو يعتبر التعليم أداة ووسيلة وسلاح، يحقـــق بـــه أهدافه التي تعجز الجيوش عن تحقيقها.

ومن منهجه أيضا الدعوة إلى التجربة بعد الملاحظة، وعدم الاعتماد على المعلومات النظرية، التي تبقى بالنسبة إليه عديمة الفائدة، فقد دعا إلى إدخال الصنائع في المدارس الابتدائية، وتجربة ذلك على الأقل في مدرسة

---

[1] المعاصرون : ص 274.

[2] أنور، الجندي : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عـــام (1840-1940)، د-م، مطبعـــة الرســـالة، 1961، ص283.

[3] محمد، كرد علي : كنوز الأجداد ، ص 16.

[4] المصدر نفسه. ص 16.

[5] المصدر نفسه . ص 17.

واحدة، لمعرفة نتائجها، ثم تعميمها على بقية المدارس، فهو يريد من المتعلم، أن يطبق ما يتلقاه من علوم ومعارف في الميدان، وهذا لكي تعرف العملية التربوية النجاح، ولا تكون المعلومات مملة والأفكار بعيدة عن الواقع والتطبيق، فهو يدعو إلى التجربة العلمية [1].

وهذا المنهج التعليمي الذي دعا وأكد عليه الشيخ طاهر، هو المنهج الحاضر في جميع العمليات التربوية والتعليمية، فالمناهج المعاصرة، تدعو إلى مساعدة الطلاب على استخدام الأسلوب العلمي في التفكير والعمل معا، أي تطلب من الطلاب اختبار صحة المعلومات بالملاحظة العلمية الدقيقة وبالتجربة العلمية الحاسمة وباستخدام المنطق السليم للوصول إلى النتائج، أي لا تبقى المعلومات المكتسبة حبيسة، ثم تصبح مع مرور الزمن مملة وبعيدة عن واقع المتعلم [2].

و لم يبن منهجه على الأفكار القديمة، ويبقى حبيس الماضي، بل دعا إلى ضرورة الاقتباس من الأمم الراقية، وهذا لتطوير العلوم من جهة والاستفادة من تجارها، فهذه الأمم لم تصل درجة الرقي والتقدم التي تعيشها الآن إلا بعد عشرات التجارب والعثرات أيضا، ولاختصار الطريق للوصول إلى التطور والتقدم يجب تفادي الأخطاء التي وقعت فيها تلك الأمم وهذا لا يتأتى إلا بالاستفادة من تجارها ومعرفة أسرار تقدمها، عن طريق الترجمة والاقتباس، خاصة في المجال التربوي، الذي يعتبر الأساس الحقيقي للعملية الإصلاحية بالنسبة للشيخ طاهر، فهو يقول في هذا الصدد [3] : " إن الاقتباس عن الأمم المترقية دليل على النباهة لا كما يظن البله من أن في الاقتباس غضاضة، ونريد بالاقتباس ما يشعر به هذا اللفظ من تلقي الأمور النافعة ".

هذا وقد شجع تلميذه الوفي محمد كرد علي، بترجمة إحدى دوائر المعارف الفرنسية لأن الناس بحاجة إلى ذلك، طالبا منه خوض غمار الترجمة، فقضية المال اللازم لذلك بالنسبة للشيخ طاهر سهلة، فقط وجود مترجمين إلى جانبه (محمد كرد علي) لإخراج العمل في أسرع وقت، خاصة الدعم الذي لقيه الشيخ طاهر من السيد رشيد رضا الذي دعم مشروع الترجمة، وهذا دليل بالنسبة لنا يبين مدى إيمان الشيخ طاهر بأن الاقتباس ضروري جدا للعملية التعليمية [4].

إن المنهج الذي أراده الشيخ طاهر الجزائري في العملية التربوية والتعليمية هدفه، إصلاح العملية التعليمية في زمانه، أولا ثم ثانيا بث ونشر الملكات الصحيحة والقومية في أهل الإسلام عموما والعرب خصوصا لأنهم روح هذا الدين ووعائه الحقيقي، فمنهجه ثوري في حد ذاته، يعمل على قلب الأوضاع السائدة والثورة عليها دون مهادنة، ولكن ليس بالدماء ! وإنما تكون ثورة فكرية حتى وإن طالت، فثمارها مجدية ومضمونة الفائدة وهي بالنسبة للشيخ طاهر أفضل من التسرع والطرق العنيفة، التي كان ينادي بها في

---

(1) عدنان، الخطيب : المرجع السابق، ص 158.

(2) عبد المجيد سرحان، الدمرداش : المناهج المعاصرة ، ط 5 . الكويت : مكتبة الفلاح. 1405هـ/1985م. ص ص103-104.

(3) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية ...، تقديم وتعليق محمد الصالح الصديق. ص 22.

(4) محمد، كرد علي : كنوز الأجداد، ص 38.

عصره كثير من المصلحين ومن أبرزهم الشيخ جمال الدين الأفغاني ثم الشيخ عبد الرحمان الكواكبي، فَبُعد النظر لدى الشيخ طاهر وصَبره في طلب العلم، ونشره، أعطاه ملكة استشراف الأحداث والمستقبل [1].

وفي الأخير يمكننا اختصار المنهج التعليمي والتربوي عند الشيخ طاهر الجزائري في النقاط التالية[2] :

1- كان يدعو إلى اختيار أنجع الوسائل وأقرب الطرق لإصلاح أساليب التعليم والتأليف.

2- كان يدعو إلى دراسة العلوم المختلفة، الفكرية، السياسية والاجتماعية والمدنية وغيرها.

3- كان يدعو إلى تعلم اللغات القديمة والمعاصرة، لفهم أسباب التقدم والتطور بلغة أصحابه، وليس الاندماج في الغير والتخلي عن تراثنا الغني.

4- كان في منهجه يدعو إلى الأخلاق الكريمة والتربية القويمة.

5- يدعو في منهجه أيضا إلى الوطنية دون تعصب وإلى الإنسانية أيضا.

6- ويدعو في منهجه إلى الشجاعة والجرأة الأدبية، فقد كان ينتقد الأساليب القديمة البالية، التي تعتبر بالنسبة له بعيدة عن روح العصر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] المصدر نفسه: ص 11.

[2] محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق . ص ص 66-67.

3 – فكره وفلسفته :

لا يمكن لنا اعتبار أي عالم، مفكرا وفيلسوفا بتخصصه فقط، ولكن هناك جوانب أخرى يجب أن يتميز بها عن غيره، ونقصد ضرورة إطلاعه الواسع على علوم ومعارف الذين سبقوه أولا، وإطلاعه ثانيا على علوم عصره، والأفكار والقيم المتداولة، ويكون صاحب قدرة على التحليل والاستنباط والتأثير أيضا، لكي نعتبره مفكرا، وفيلسوفا وصاحب مدرسة تختلف عن مدارس الآخرين، والشيخ طاهر الجزائري بحكم صفاته وثقافته، يمكن لنا اعتباره مفكرا وفيلسوفا في المجال التربوي والبيداغوجي بدون مبالغة، فأعماله تشهد وتؤكد ذلك، فقد قال تلميذه محمد كرد علي في ثقافة أستاذه الشيخ طاهر[1] " جمع بين علوم الدنيا وعلوم الدين، وامتاز بأنه أحَبَّ العلم للدين والدنيا ... ".

لقد كان للشيخ طاهر الجزائري باع كبير في مختلف العلوم القديمة والحديثة، فقد درس اللغات الشرقية القديمة كالسريانية والعبرية، واللغات الحديثة كالتركية والفارسية والفرنسية، ولمطالعاته الواسعة وبمختلف هذه اللغات ورحلاته المختلفة ولقاءاته العديدة خصوصا بالعلماء المسلمين والمستشرقين تكونت لديه فلسفة مبنية على مبادئه التي اكتسبها في مراحل حياته فقد كان متسامحا مع أهل الأديان والمذاهب، يصحب رؤساء الفرق المختلفة ويخفف من تعصبهم لنحلهم وعقائدهم، وهذا مع طول العشرة والصداقة [2].

وهذه الطريقة في الحياة تجعله صاحب مدرسة فلسفية اجتماعية مميزة، وتتجلى فلسفته للحياة من خلال أقواله الهادفة وكلماته الوضيئة المشرقة التي كان يبثها في كتبه ورسائله أو يلقيها على أصدقائه وطلابه، وساهم في نشرها عن طريق الصحف، القاهرية، والدمشقية، والبيروتية تحت أسماء مستعارة، وهذا لبلوغ هدفه أي نشر فلسفته ونظرته للحياة ورؤيته للإصلاح الذي ينبغي أن يكون ومن كلامه الذي يعبر عن فكره المميز وفلسفته [3] " إن أفضل الطرق في إنهاض شعب، تثقيفه بثقافة العصر، وثقافة الدين، وطريق طويلة ولكنها أمينة الفائدة لا تخرج عن طريق النشوء الطبيعي، أما القول بالتراث وطرق العنف قد تنجح، ونجاحها قليل وليست مضمونة ".

ففلسفة الشيخ طاهر التربوية وأيضا الاجتماعية والحضارية، تقوم على العلم والعمل، والاتصال بالأمم الراقية للاستفادة من تجاربها وأفكارها لأن الاعتماد على الأفكار البالية والقديمة بحجة التراث وحمايته من جهة، والتغني بأمجاد الماضي، لا فائدة من ورائه، فلكل عصر رجاله وحضارته، أجدادنا أسسوا حضارة وعلينا إحياءها بإمكانياتنا وفق القوانين الطبيعية وليس ترديد تلك الأمجاد والحنين إليها، وحتى الثورة باستعمال السلاح، والعنف، لن تغير شيء، ربما فائدتها محدودة الزمن، لكن التغيير الذي يضرب العقول، وينفض غبار

---

[1] محمد، كرد علي : المعاصرون ص 278.

[2] محمد، كرد علي : " الشيخ طاهر الجزائري " المقتطف (أفريل 1920) المجلد 56. القاهرة 1920. ص 301.

[3] طاهر الجزائري : الجواهر الكلامية ... تعليق وتقديم محمد الصالح الصديق ، ص 21.

الاتكال والجمود والتقليد هو الذي يمكن الأمة العربية الإسلامية التي يقصدها الشيخ طاهر، من تحقيق النهضة الحقيقية لا الشكلية.

إن فلسفة الشيخ طاهر تقوم على مبدأ الأصالة والحداثة، ثقافة الدين وثقافة العصر الذي نعيشه، وهذا عن طريق تعلم لغات[1] الأمم المتقدمة والوقوف على سر وأسباب تقدمها، ودفع الطلاب إلى ذلك، وهذا دون التفريط أو التقصير في علوم الدين الإسلامي الذي يعتبر الركيزة والأساس للبناء الحضاري، وكما أشرنا سابقا أن من صفاته حبه الشديد للدين والأخلاق الكريمة[2].

وهكذا نلاحظ أن فلسفة الشيخ طاهر لم تكن أبدا مثالية أو خيالية فهي تقوم على الواقع والمنطق، ينبغي أن يكون العلم والعمل متلازمين، كل قول يصحبه عمل وفعل، وإلا فإن الفشل و لو بعد حين، سيكون النهاية لكل إصلاح لا يعتمد على هذين المبدأين (العلم والعمل). إن أي إصلاح لا يقوم على أسس متينة لا يحقق أهدافه إطلاقا، فيقول الشيخ طاهر في هذا المجال:[3] " كل إصلاح يقوم بسرعة وعلى غير أساس، يسقط بسرعة متداعيا، وكل ارتقاء لا تستند دعائمه إلى العلم الصحيح لا يتيسر الانتفاع منه ولا الاستمتاع به ".

وهذه الفلسفة التي يؤمن بها الشيخ طاهر ،والتي تقوم على عنصري الأصالة والحداثة نجده شغوفا بمطالعة الصحف العربية التي تكثر فيها الترجمات من الصحف والكتب الأجنبية، وهدفه الوقوف على ما وصلت إليه الأمم الراقية والمتقدمة فالاقتباس بالنسبة لنا جزء من تراثنا الحضاري العربي، فالدولة العباسية عندما حملت لواء العلم في القرن الثاني والثالث الهجريين، بدأت نهضتها بالإقتباس عن الأمم خاصة اليونان والفرس، ونعرف التشجيع وحتى الإغراءات التي كان يقدمها الخلفاء للعلماء من أجل الاقتباس و الترجمة، والشيخ طاهر قد شجع الاقتباس وكنا قد أشرنا إلى ذلك في منهجه التربوي والتعليمي، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد نبه إلى ذلك، في تعلم اللغات.

و من مذهبه في الحياة و فلسفته المميزة، دعوة طلابه خاصة و العامة إلى الاستفادة من العلم من جهة و كذلك تعلم أية حرفة أو صناعة و غرضه من هذه الدعوة قوله[4]: "تعلموا العلم وتعلموا معه صناعة تعيشون بها حتى لا تقفوا على أبواب أرباب السلطان". إنه بهذه الفلسفة، يدعو إلى الحرية الحقيقية في الفكر والعمل وعدم التقيد والرضوخ لأوامر الحكام وأهوائهم، التي في أغلبها تتعارض مع المثقف والمفكر، لأن هذا الأخير هدفه المجتمع ورفاهيته والسلطان هدفه السلطة وضرب كل معارض له! فالاختلاف أمرا طبيعيا،

---

[1] في هذا المجال طلب من تلامذته تعلم لغة مالطا، ربما يجيء وقت يحتاجون إليها، قائلا لهم: " تعلموا ما تيسر لكم تعلمه، ولو لغة مالطا، فقد يجيء زمن تحتاجون إليها، وإياكم أن تقولوا، إنها لا تدخل في نطاق اختصاصنا، فالعلم كله نافع، والمرأ يتعلم ما حسنت به الحياة " راجع : طاهر الجزائري : الجواهر الكلامية ... تعليق وتقديم محمد الصالح الصديق ص21 .

[2] محمد، كرد علي : المعاصرون ، ص ص 272-273.

[3] محمد، كرد علي :"الشيخ طاهر الجزائري " المقتطف م 56. ص 302.

[4] محمد، كرد علي : المعاصرون ، ص273.

وبالتالي ضرورة الحرية للمتعلم، لكي يستطيع نشر رسالته بين الناس دون حواجز وعراقيل، ودون الاعتماد على السلطان والمنصب الحكومي الذي يقيده ويضبط تحركاته ويعد أنفاسه، وربما حب الشيخ طاهر للحرية وعشقه الشديد لها جعله كبعض الفلاسفة والمفكرين مثل الشيخ جمال الدين الأفغاني، يعزف عن الزواج حتى لا يشغل ذهنه بزوج وأولاد، لكي يبقى على الدوام مطلق العنان، يسيح في الأرض متى أراد، فهو دائم الترحال والتنقل، كما أشرنا إلى ذلك في صفاته. وقد رفض أيضا المساعدات المادية من قبل أصدقائه وحتى من خديوي مصر عندما كان يعيش في منفاه الاختياري (القاهرة)، ورفض أيضا كل أنواع الهبات، لأنه يؤمن بالعمل أولا و يحب الحرية ثانيا ويرفض أن ترهن أفكاره وتشترى بجنيهات.

و لم يبن الشيخ طاهر فلسفته من فراغ، بل تأثر جدا بالفلاسفة القدماء، فقد كان مولعا بالفلسفة والحكمة القديمة والحديثة، وينتقد الذين أوْصَدوا بابها، فأظلمت العقول كما كان يردد دائما[1]، ولتنمية أفكاره لم يقبع في وطنه، بل سافر واتصل بفلاسفة ومفكري عصره، وتبادل معهم مختلف القضايا الدينية والفكرية وهذا لفكره المتفتح وبُعده عن التعصب والنظرة الضيقة، فالفلسفة تمثل ميزان العقل للأحداث وفاقدها يبقى عاجزا عن معالجة حوائجه اليومية البسيطة.

وقد كان شديد الإعجاب بفلسفة شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي عصر الشيخ طاهر، كان جمهور من الفقهاء يرمون ابن تيمية بالكفر و لم يجد الشيخ طاهر حلا لهذه المشكلة، إلا بإعادة نسخ كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وإرسالها إلى السوق مع من يبيعها، فتقع في أيدي هؤلاء المتعصبين المعادين لأفكار ابن تيمية، فيطالعونها، ويغيروا حكمهم، لأن آراء ابن تيمية تعتبر لُباب الشريعة الإسلامية[2] لأنها تدعو إلى العودة إلى المنابع الحقيقية لتعاليم الإسلام السمحة، وكان يشجع أيضا طلابه على قراءة كتب ابن القيم الجوزية تلميذ ابن تيمية، لأنها تحتوي على أفكار وبحوث تحذر من شر البدع والأباطيل والخرافات التي ألصقت بالإسلام[3].

أما فلسفته الدينية إنْ صَح التعبير، فهو متحرر جدًا، لم يُقيد نفسه بأحد المذاهب الأربعة، بل كان رجلا مسلما بما تحمل هذه الكلمة من معاني سامية! يأخذ مِن أصل الشريعة باجتهاده الخاص الذي بناه على ثقافته الواسعة، فهو يقدر أئمة المذاهب، وكثيرا ما انتصر لعلماء الشيعة أو الإباضية أو المعتزلة في مسائل تفردوا بها وضيق فيها أهل السنة، لأنه يمقت ويكره التعصب مهما كان نوعه.[4] إنه بلا شك يدعو إلى الاجتهاد في الدين وتكييف الفتاوي مع روح العصر، وتحرير المسلمين من قيود الماضي ويعني الشيخ طاهر الجزائري هنا العلماء، لأنهم يمثلون قدوة الأمة، وعامة الناس يرجعون إليهم في المسائل الدينية خاصة المعاصرة منها، التي لم تكن موجودة في أيام علماء السلف، فهو يدعو هنا إلى تحرير العقيدة والفكر، فالشيخ طاهر قبل

---

(1) محمد، كرد علي : المعاصرون، ص 271.

(2) محمد، كرد علي : كنوز الأجداد، ص 9.

(3) محمد ، الأرناؤوط : المرجع السابق، ص 76.

(4) طاهر، الجزائري: الجواهر الكلامية ... تعليق وتقديم محمد الصالح الصديق . ص 15.

كل شيء أستاذ وفقيه ومحدث ومفسر، كلمته بين العلماء مسموعة. و بسبب أفكاره ومطالبه التقدمية إن صح التعبير، لقي مقاومة عنيفة من أعداء الإصلاح الجامدين[1].

وهو بآرائه وفلسفته، اعتبره البعض أحد رواد الفكر النير المتحرر من الجمود في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين[2]، فهو صاحب ثورة فكرية لا ثورة دموية في جميع الميادين، التربوية، الاجتماعية والدينية وهذا لتغيير تلك الأوضاع التي ألصقت وفرضت على المجتمعات العربية الإسلامية وكانت سهامه الإصلاحية موجهة بالدرجة الأولى إلى العلماء المحافظين والرافضين لكل تجديد خوفا على مصالحهم، لأنهم يعون قبل غيرهم من العامة أن لكل عصر خصوصياته ومميزاته [3].

وفلسفته لم تقتصر على الميادين المألوفة التي أشرنا إليها، بل له فلسفة لم نجدها عند غيره، ولكن في مجال آخر، إنه مجال تأليف الكتب، فقد كان يرى أن لا فائدة من التأليف إلا إذا أتى المؤلف باختراع جديد وأبدع بأسلوب جديد و لم يعد و يكرر بأسلوب عقيم[4]، فهو هنا يتفق مع الموسوعي والمؤرخ التركي حاجي خليفة (1608-1657م)، الذي وضع شروطا في التأليف، نعتبرها قاعدة أساسية لكل مؤلف وكاتب وفي أي اختصاص، فهذا المؤرخ يقول:[5] " إنّ التأليف على سبعة أقسام، لا يؤلف عالم عاقل إلا فيها وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مغلق يشرحه أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه ".

إن رؤية الشيخ طاهر للتأليف تعتبر فلسفة، فزمانه تميز بالتقليد وإعادة كتب التراث دون تنقيح، أو شرح، يتلاءم مع روح العصر، لأن المؤلف الذي لا يأتي بالجديد، يمكن القول عنه أنه أعاد الماضي، وسلهم في إشاعة الغموض والخطأ، فمؤلف تلك المصنفات لم يكتب لهذا العصر. إن نظرة الشيخ طاهر للتأليف، تنبع من معين حبه الشديد لتقدم الأمة العربية وتجاوز انحطاطها وتخلفها، فهو بلا شك قد ساهم في إبراز معالم هذا الاختصاص لرواده.

وكان يكره الجدل العقيم، لذلك نجده يوجه طلابه إلى الكتابة والتأليف خاصة في مجال التربية وإصلاح العادات، لأن الجدل يبطئ العمل ويشغل الناس[6]. فهو مصلح وفيلسوف اجتماعي بأفكاره، ورغم طول مدة ثورته الإصلاحية لم يدب إليه اليأس والقنوط أبدا، فقد واصل كفاحه وجهاده في سبيل الأمة العربية والإسلامية، بلسانه وقلمه. ويقول عنه تلميذه محمد كرد علي [7]: " كان الشيخ طاهر فيلسوفا بكل ما في

---

(1) أنور، الجندي : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر ، ص 283.

(2) محمد، الأرناؤوط: المرجع السابق ، ص 76.

(3) محمد، كرد علي : " الشيخ طاهر الجزائري " المقتطف ، م 56، ص 302.

(4) محمد مطيع ، الحافظ ونزار أباظة: المرجع السابق ، ص 375.

(5) سيدة اسماعيل ، كاشف : مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت : دار الرائد العربي . 1983. ص 67.

(6) عدنان، الخطيب : المرجع السابق . ص 166.

(7) كنوز الأحداد، ص 14.

الكلمة من معنى شريف، لا تلتوي أخلاقه ولا ينـــزل بحال عن عاداته، متشددا في دينه، زاهدا في دنيـــاه، لم تبهره زخارف الحياة و لم يتزوج حتى لا يشتغل ذهنه بزوج وأولاد ... فما خلا ساعة من الاهتمـــام بـــأمر المسلمين وتحبيب العلم والعمل إليهم ولا سيما الناشئة منهم " .

ورغم علو شأنه بين العلماء والوجهاء والعامة إلا أنه عاش كبقية الفلاسفة الذين عرفوا الشهرة منـــذ قديم الزمان، فقد كان بسيطا في حياته اليومية، يلبس ويأكل وينام كعامة الناس، لا يوجد شيء من التكلف في حياته إطلاقا، كان التواضع سمته بين الناس وأقرانه، و لم يأخذ بعين الاعتبار آراء الناس في شخصه، بل كـــان مذهبه الفلسفي يحتم عليه تحقيق أهدافه دون الالتفات إلى القيل والقال كما كان يقول، ومن كلامه في هـــذا المجال مايلي [1]: " لو بلغني أن أهل البلد كلهم راضون عني، ليس لي من منهم عدو لعددت نفسي ســـاقطا، لأن من يرضى عنه الناس لا يكون إلا خداعا منافقا، يظهر لكل واحد بما يرضيه، والمصلح لا يخلو من أعـــداء وأصحاب ".

إن الشيخ طاهر الجزائري لم ييأس، و لم ير مستحيلا في إيقاظ هؤلاء العرب، الذين ناموا دهورا طـوالا تحت أغطية الجهل والعامية والخمول[2]. وهذه الفلسفة التي اتبعها في إيقاظهم قد جلبت له المتاعب من بعـض المشايخ الذين ألبوا عليه الحكام بالدسائس، لكن سمعته وأخلاقه وصراحته المعهودة بين الحكام وعامة النـــاس، حالت أمام تلك الإفتراءات، وواصل جهوده الإصلاحية [3].

وفي الختام نقول أن الشيخ طاهر الجزائري المفكر والفيلسوف قد جمع بين القديم والحديث، بين علـوم الدين وتراث علماء السلف، من جهة وعلوم وأفكار عصره من جهة ثانية، وهذا لكي لا يضيع ميراث أبنائنـــا الذي هو أساس النهضة وفي نفس الوقت لا يحرم نفسه من المكتسبات التي حققتها الحضارة الغربية [4].

ويبقى فكره وفلسفته مميزا عن أقرانه لتميزه عليهم في ثقافته، وطروحاته المختلفة التي أشرنا إليـــها في هذا الفصل الثاني وسندعمها في الفصول اللاحقة.

---

[1] طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية ... تعليق وتقديم محمد الصالح الصديق. ص 22.

[2] علي، الطنطاوي : رجال من التاريخ . ط 1 . دمشق : دار الفكر 1984م ص 367.

[3] محمد، كرد علي : كنوز الأجداد . ص 10.

[4] محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق . ص 78.

4.- ملامح من شعره ونثره:

1.4- شعره :

لقد أشرنا في نشأة الشيخ طاهر الجزائري العلمية، أنه لم يبلغ الثلاثين من عمره، حتى أتقن لغات عديدة، إلى جانب اللغة العربية التي برز في آدابها وبلاغتها، وقد تمكن بفضل موهبته وذكائه أن يبدع شعرا بالعربية[1]، حتى أعتبر أحد الشعراء الكبار في عصره، وهذا لنبوغه في الشعر[2]، ولكن لماذا لم يحافظ الشيخ طاهر الجزائري على هذه الملكة، بل ويطورها كبقية شعراء عصره الذين نبغوا؟ والجواب حسب رأينا هو انصراف الشيخ طاهر عن ميدان الشعر الذي اعتبره كهواية ومتعة ووسيلة فقط، إلى ميدان الإصلاح التربوي خصوصا والمناصب التي شغلها لا تسمح له بنظم القصائد ومنافسة الشعراء في ذلك، فعمله الإصلاحي يتطلب منه التفرغ الكامل، وبالتالي كما سنرى في بعض أشعار الشيخ طاهر، أنها نظمت من أجل مناسبات معينة فرضتها الظروف عليه، ويجب علينا هنا التنويه وتأكيد ما أشرنا إليه سلفا، فالشيخ طاهر. يعتبر عالما موسوعيا، ربما الوحيد في عصره الذي جسد صفات علماء السلف، فهو أديب، شاعر، لغوي، محدث، فقيه، مفسر، فيلسوف، مؤرخ، عالما في الحساب والفلك، لم يترك مجالا إلا ونشط فيه، قدم فيه أفكاره وأبحاثه، لهذا من الخطأ أن يلتزم بالشعر، ولو التزم به وعرف عن المجالات الأخرى، لفقدنا عالما موسوعيا، وكنا أمام شاعر لا أكثر وما أكثر الشعراء ! وانشغالات الشيخ طاهر الكثيرة، لم تترك له الفرصة حتى في صياغة رسالة إلى أصدقائه، فهو كان يصل النهار بالليل، في القراءة والتأليف والتحقيق .

وشعر الشيخ طاهر إن لم يكن جيدا، فهو أرفع قدرا من الشعر الجيد المعروف والذي ينظمه أصحابه في شؤون التغزل والمدح، فقد كان يعاتب ويلوم هؤلاء الشعراء المغرقين إلى الأذقان في الغزل والمدح والقدح، لأنه كان يرى في شعرهم، المؤلف أشبه بداعية إلى الفسق والفجور والنفاق، وشعره رغم قلته فقد غلب عليه طابع الوعظ و الحكم والإرشاد والنصح للعامة، وللخاصة وأقصد بهم الطلاب فمذهبه في الشعر تربوي اجتماعي، أي استغلال الشعر كوسيلة للإصلاح وبث روح العمل والأخلاق الكريمة، لا الدعوة إلى الفوضى والقدح والتفاهات[3].

إن هدف الشيخ طاهر من الشعر يختلف عن بقية أهداف الشعراء، ربما نشبهه فقط بالإمام الشافعي رحمه الله، الذي كان شاعرا و لم يخرج شعره عن الإرشاد والنصح وتحبيب العلم والأخلاق الفاضلة، لهذا شعرهما، كان قويا ومؤثرا، وإبداعا في مجاله، بسبب قوة الكلمة، وبلاغة العبارة، وسلامة الفكرة، ويضع

---

(1) محمد، كرد علي : " الشيخ طاهر الجزائري " مجلة مجمع اللغة العربية، م 1، السنة 1921، ص ص 17-21.

(2) منير، البعلبكي : معجم أعلام المورد، ط 1. بيروت : دار العلم للملايين، 1992، ص 157. أنظر أيضا : أحمد، عطية الله : القاموس الإسلامي، م 1، ص 604.

(3) محمد سعيد، ألباني : المصدر السابق ، ص ص 67-68.

الدكتور عبد الله الركيبي الشيخ طاهر الجزائري في مصاف الشعراء الكبار، عندما أشار إليه في كتابه " الشعر الديني الجزائري الحديث " فقد قال عنه[1] : " ... فهو شاعر ولكنه مصلح أكثر منه شاعرا ".

وقد كان الشيخ طاهر ينظم الشعر باللغة الفارسية [2] إلى جانب اللغة العربية، وكان يترجم أيضا الشعر الصوفي من الفارسية إلى العربية [3] وهذه ملكات أدبية لم نجدها عند الآخرين من الشعراء، فالشيخ طاهر، كان في شعره، يبحث عن كل جديد مفيد ولو بالترجمة، لأن الشعر بالنسبة له، وسيلة لنشر الفضيلة والأخلاق ودفع الهمم إلى الأمام. وفي مكتبة الأسد الوطنية بسوريا، قسم المخطوطات يضم العشرات من المخطوطات المختلفة الأحجام للشيخ طاهر، تتضمن بعض أشعاره المختلفة [4].

ولدينا بعض القصائد التي نضمها الشيخ طاهر الجزائري في مناسبات معينة، مراسلات مجاملة مع بعض أحبائه، أو قصائد موجهة إلى تلاميذ وتلميذات المدارس أو في الرثاء، تعبر كلها عن قوة كلماته، وسحر معانيها، فله قصيدة بعث بها إلى صديقه الشيخ (رسول النجاري) وهذا في شبابه ردا على قصيدة كان بعث بها هذا الأخير، ويقول الشيخ طاهر في هذه القصيدة [5]:

نسيج وحده من فاق صنعا كساني بردة تزري بصنعا
حواشيها الرقاق حوت طرازا بديعا مذهبا قد راق وضعا
أتتني وهي عامرة المعاني بوقت فيه أقوى الفضل ربعا
ومسألة الأديب لديه عالت فأضحى ممنه في الناس تسعا
وصار شرابه فيه سرابا فما يلفي لبل صداه نقعا
وأضحى عوده غربا ضعيفا لعاجمه وعهدي كان نبعا
ومن يقرأ يتيمته يتيم يدع لدي أُهيل الفضل دعا
وشنفت المسامع باللآلي فأصغت نحوها الأدباء سمعا
حوت لغزا بإسم إن يُصحَّف تراه ظاهرا للناس جمعا
فدام بصحَّة من قد وشاه ولا زالت له الأيام ترعى.

وهذه القصيدة تبين ما ذهبنا إليه، من قوة في الألفاظ، واختيار دقيق في وضعها، لكي تؤدي وظيفتها، وفي نفس الوقت، أن الشيخ طاهر الجزائري، قد إحترم المقام الذي هو فيه، فقصيدته هذه، رَدًّاعلى قصيدة فيها

---

(1) ص 281.

(2) محمد، كرد علي : المقتطف، ص 299.

(3) يرجى الإطلاع على المخطوطة رقم 711 11 بمكتبة الأسد الوطنية بسوريا قسم المخطوطات.

(4) صلاح محمد، الخيمي ومحمد مطيع، الحافظ : الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية . دمشق : مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1987، ص ص 569-576.

(5) علي حيدر، النجاري : المرجع السابق، ص 892.

لغز من صديقه الأديب، وبالتالي فهي متفردة في ألفاظها ومعانيها، لأنها موجهة إلى أديب، يعرف سحر الكلمة، ولا يقبل بأقل من ذلك.

وكما أشرنا، لديه أشعار خاصة بالطلاب، لدفعهم نحو طلب العلم والصبر عليه، فهذه أبيات من أرجوزة في موعظة الأطفال، كان يوزعها على تلامذة المدارس حينما كان مفتشا للمعارف ويقول فيها [1] :

من رام نظمه بسلك السعدا فليسعد الغير ليبقى مسعدا

يحب مثل ماله لغيره يعطي أخاه جانبا من خيره

هل ذل عند الناس عبد يقنع أو عز سيد[هم] لديهم يطمع

إن رمت أن تشوق الأولادا وأن ترى من نجلك اجتهادا

فخذه بالإتحاف يوم العيد وقدم الوعد على الوعيد

فضل البنات الشغل والتطريز ومن حوت علما به تفوز

في سائر الأحوال الاحتشام من جنسهن والحيا يرام

ومن خلال هذه الأبيات الشعرية يمكن لنا تأكيد ما ذهبنا إليه سابقا في أن الشيخ طاهر يبقى مميزا عن غيره من المصلحين، فهذا شعره التربوي والإجتماعي يؤكد مدى حب الشيخ طاهر لعمل الخير، ولن يرى السعادة إلا بعدما ترتسم تلك السعادة على وجوه الآخرين، ويرى أن القناعة الحقيقية لن تعتبر أبدا ذلا لصاحبها، بل الإنسان الذليل الذي يطمع في كل شيء، وبالتالي يرمي بعزته وكرامته من أجل أشياء مادية لا تغني ولا تسمن من جوع ! وهذا الكلام موجه بالدرجة الأولى إلى النشئ، لأنهم يمثلون المستقبل، ويطلب من الآباء أن يشجعوا أبنائهم بالهدايا، لا بالعقوبات عند الإخفاق، و هذه الطريقة التربوية لتحسين العملية التعليمية عند الأبناء، وفي نفس الوقت متيقن بأن المجتمع والتطور يكون على قدمين، هما الرجل والمرأة، فيقدم النصح لنساء المستقبل، أي البنات، ويحثهن على المهن المتعلقة بهن كالطرز، ويرى في تعلمهن مع الحشمة والحياء، قمة النجاح والفوز، وهكذا نرى شعره، وسيلة لبلوغ أهدافه الإصلاحية، فالشيخ طاهر الجزائري، عرف وقع الكلمات على بعض الآذان، فاتخذ من الشعر، مطية لتهذيب الأخلاق عند النشئ وتشجيعه أيضا.

ومن بين شعره هذه القصيدة في رثاء الأمير عبد القادر الذي وافته المنية في يوم 24 ماي 1883، وفيها يبين الفاجعة التي ألمت بالعرب والمسلمين وينوه، بخصال الأمير عبد القادر الجزائري ويقول فيها[2] :

خطب جسيم عم بالأكدار ما بعده، لسواه، من مقدار

لو يعترى صم الجبال، لأصبحت دكا تناثر مثل نثر غبار

ولو اعترى نوع النبات، لما نما ولصار مثل الترب والأحجار

---

[1] محمد مطيع، الحافظ ونزار أباظة : المرجع السابق، ص 375.

[2] محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2 (جزئين). شرح وتعليق : ممدوح حقي، بيروت : دار اليقظة العربية، 1964، ص ص894- 895.

ولو اعترى الشمس المنيرة، أظلمت وغدا الأنام، بغير ضوء نهار
ولو اعترى زهر النجوم، تقصقصت ونحا بديع نظامها، لنثار
ولو اعترى البحر المحيط، تطايرت أجزاؤه، وتحولت لبحار
ولو اعترى الفلك المدار؛ لعطلت حركاته ولصار غير مدار
خطب تبدلت الدموع به دما تجري كغيث هاطل مدرار
وغدت به الأكباد، وهي كليمة حراء حامية كجذوة نار
صعقت جميع الناس فيه، كأنهم في طور سينا، إذ تجلى الباري
ويحق ذاك. وكيف لا ؟! والترب قد وارى إمام السادة الأخيار
مهدي هذا العصر، وسطى عقده بحر الحقائق كاشف الأسرار
الغوث، عبد القادر، السامي الذري شمس الهداية، مظهر الأنوار
مولى، مناقبه تجل وتعتلي عن عهدها، كالقطر في الأمطار
واحسرتا للمعتضين !! فإنهم من بعده، في خيبة وخسار
ذهب الذي، قد كان يجبر كسرهم ويثيب بمناهم أجل يسار
يعطيهم الآلاف، معتذرا لهم طلق المحيا، بادي الإسفار
واحسرتا للائذين !! فإنهم من بعده، في ضيعة وصغار
ذهب الذي يحميهم، شر يقيهم ويذود عنهم، أعظم الأخطار
ويفل عنهم؛عضب كل ملمة فتراهم كالطير في الأوكار
واحسرتا للطالبين !! فإنهم من بعده، صاروا بغير منار
ذهب الذي، يجلو الغواص عنهم من بعدما أعيت على الأفكار
...[1] كل دقيقة معتاصة بأدلة يسكتن كل ممار
واحسرتا لليل !! من ذا بعده يحييه، بالطاعات و الأفكار؟!
و ينير طرته بأبهى غرة تربى محاسنها على الأقمار
ذهب الذي، قد كان برا عابدا مستغفرا لله، في الأسحار
لهفي على الفقراء !! من ذا بعده ينجيهم من مخلب الإعسار؟!
ويرد ناب البؤس عنهم، نائبا وينيل ما راموا من الأوطار
لهفي على الأيتام !! من ذا بعده يلقون، من ضنك ومن إقتار ؟!
ذهب الذي،قد كان خير أب لهم يوليهم فيض الندى المدرار
لهفي على الأدباء !! من ذا بعده يلقونه، ببدائع الأشعار؟!
ذهب الذي، قد كان يغلي سعرها ويجيز بيت الشعر، بالدينار

[1] بسبب غموضها المطبعي وعدم وضوحها حذفنا تلك الكلمة فمعذرة.

صبرا على هذا المصاب، وإن يكن زند الأسى والحزن، فيه وارى
فالله، قد وعد الصبور مثوبة وجزيل إنعام، بدار قرار
لو كان في الموت الفداء، فداه كل سميدع ندب من الأحرار
لكنه أمر، على كل الورى متحتم، في سابق الأقدار
والموت عند ذوي البصائر، نعمة عظمى، لأرباب التقى الأبرار
أرواحهم، ترقى إلى أعلى العلى من بعده وتحل أكرم دار
حي الكريم البر روحك، بالرضا وأثاها - منه - بخير جوار
وأدام طيب ثراك، فضلا إنه يسمو -بنفحته- على الأزهار
وأنار قبرك، مثل قلبك إنه يوفي على الأفلاك، في الأنوار
وأقر أعيننا، القريحة بالبكا ببقا بنيك، الكمل الأخيار
لا سيما، المولى الهمام ومن غدا في حلبة العليا، بغير مبار
السيد السند الأمير محمد كنز الفضائل، معدن الأسرار
وأنا لهم خير الأماني، إنهم محيو مآثر ذلك المختار

وما يقال على شعر الشيخ طاهرالجزائري أنه أفضل من شعر الفقهاء وأقل من شعر الشعراء ؟! فلو اهتم به قليلا وأعطاه بعضا من وقته المليء بالمشاغل لعد من كبار الشعراء في القرن العشرين، ولكن انصرافه إلى مهمته الأولى وهي الإصلاح وبث روحه في المجتمع العربي والإسلامي، حالت دون ذلك ولكن مهما كان الأمر، فإنه بحاجة إلى دراسة في هذا الباب، أي الشعر، فله عشرات القصائد[1]، فقط نقوم بجمعها ودراستها، من جديد، ربما نعيد له الاعتبار في هذا الباب الذي همش فيه!.

2.4- نثـــره :

في الحقيقة نثر الشيخ طاهر الجزائري متنوع، فتآليفه الكثيرة المتنوعة والمختلفة الميادين، من مطبوع ومحقق ومخطوط، تعبر عن نثره وأسلوبه في الكتابة، وإن كانت الكتابة في مؤلفاته المختلفة والكثيرة، بعيدة عن العاطفة والأحاسيس، لأن هذه المؤلفات تتطلب الطابع العلمي والموضوعية في الطرح ولا مجال للعاطفة فيها.

ولكن يمكننا تمييز منثور الشيخ طاهر عن مؤلفاته العلمية، وهذا بالرجوع إلى رسائله الخاصة إلى أصدقائه وطلبته، بالإضافة إلى بعض المذكرات التي خطها عن رحلاته ولقاءاته، فمن خلالها يمكن استنباط بعض الصور البلاغية والوقوف على أحاسيسه، وخلجات قلبه!.

ولمعرفة مكانة الشيخ الأدبية، نحاول استعراض بعض ما جاء في رسائله الخاصة، التي كان يتبادلها مع بعض أصدقائه وطلبته، والتي تعبر بصفة عامة عن مستواه الأدبي الرفيع، وفي نفس الوقت تعكس لنا شخصية

(1) أهم المخطوطات التي تتضمن أشعاره موجودة في الملحق بأرقامها وسنوات نسخها، يرجى الاطلاع على ذلك.

الشيخ طاهر العاطفية المرهفة الحس وهذا من خلال الألفاظ القوية والمعبرة التي اختارها عن دراية، فهو يؤمن بأن لكل مقام مقال.

وهذه رسالة كتبها إلى صديقه الشيخ (رسول النجاري) جمع فيها غرائب الألفاظ، وأقواها على الأذن، وأرقها على القلب، يحس قارئها، كأنها مياه عذبة تنساب في هدوء، وفي حديقة متنوعة الأزهار والورود المفعمة بأزكى الروائح أوَ ليس الشيخ طاهر قد اخترق التراث العربي ذهابا وإيابا، و لم تعد له كلفة في الكتابة والإنشاء. ويقول لصديقه الشيخ(رسول النجاري) مايلي[1]: " إلى الأديب الذي جعل لأهل الأدب في عصره شرعة ...[2] هم في سماء البيان ... الطاهر النفس و النَّجار، البارع الألمعي الشيخ رسول أفندي النجار.

بعد إهداء تحيات رسولها الصبا، وواشيها زهر الربا، تحكي في اللطافة راء قامة الحبيب إذا مالت من العجب وإن جاء .. سين الطرَّة إذا شوشها النسيم وإن شوشت فكر الصب، وقيدت سلاسلها واو الصدغ وإن لسع عقربه، ولام العذار وإن اشتد ظلامه وغيهبه.

أبدي أنه قد وصلتني رسالتك التي آمن بآيتها كل أديب نطق بالضاد، وحمله الإنصاف على أن لا يكون مضادا، فوجدها مع كونها من الممتنع منالاً، من نوع السهل، وذكرتني بأديب حمص المغرب (إشبيليه) ابن سهل، فبادرت للجواب عليها بأبيات[3] هي ابنة وقتها من قريحة ناضبة، ومهجة ناصبة، وحملني على الاستعجال حضور امتحان المدارس، التي أصبح رسمها أخفى من الطلل الدارس ".

وهكذا نلاحظ قوة الألفاظ ومعانيها التي لا تتداول إلا بين الأدباء الكبار، ففيها أشاد الشيخ طاهر، بصديقه الشيخ رسول النجاري، وأشاد أيضا بكل حرف من اسمه (رسول) وهذا إختراع وإبداع منه، لم نقف عليه إطلاقا من قبل.

ومن بين نثره، نأخذ بعض ما جاء في رسالة كتبها إلى أمينة سر حاكم العراق مس (بيل)[4] الذي

---

[1] على حيدر، النجاري: المرجع السابق، ص891.

[2] فراغ من الأصل .

[3] أشرنا إلى قصيدته في شعره.

[4] مس بيل : جر ترود بيل . Bell , Miss Gertrude.1 (1868-1926م)، مستشرقة إنقليزية، تخرجت من لندن وأكسفورد، زارت إيران، سوريا، الجزائر وبلاد العرب (1892-1913م) عينت مترجمة في السفارة البريطانية في مصر سنة 1915 وفي البصرة سنة 1916 وفي بغداد سنة 1917 لقبت بعد الحرب العالمية الأولى بملكة العراق غير المتوجة وأنشأت في بغداد متحفا، وبقيت توفيت. تتقن اللغات العربية، الفارسية، الألمانية،والفرنسية، ألفت كتابا حول سوريا. راجع: نجيب، العقيقي: المرجع السابق، ج2،ص 95

جمعته بها صداقة متينة، وهذه الرسالة تعبر عن عاطفته الجياشة والألفاظ القوية التي أحسن اختيارها، ومما جاء في الرسالة [1]:

" حضرة الصديقة الجليلة الفاضلة الشهمة المحبوبة مس "بيل" دام إقبالها : أحييك بخير التحايا، وأثنى على تلك السجايا، وأذكرك بالأيام المسعودة التي جمعتنا في دمشق الشام ثم أذكر لك أن الداعي إلى المكاتبة هو أمران أحدهما تجديد العهد السابق والشكر على حسن ظنك بهذا المحب المخلص، فقد ذكر لي بعض أصدقائي ترجمة ما كتبتيه في حقي في رحلتك إلى سورية مما يدل على حسن الطوية.

والأمر الثاني إقتضاء الوقت لذلك، فإن هذا الزمان الذي هو أغرب الأزمنة مطلقا يجب الانتباه فيه لما يلزم وعدم تضييع الفرص فإنما تمر مر السحاب، هذا ولما كنت أعتقد أن أحسن من يخلص له العرب الود هو دولة بريطانيا العظمى، لما خبرته من الأحوال ومقتضيات الأمزجة ونحو ذلك.

والمودة لما كانت واجبة أن تكون من الطرفين، اقتضى الأمر أن يقع التفاهم بينهما ليستمر هذا الأمر، فرأيت أنه ينبغي لانكلترا العظمى أن تعتني بأمور: [وهنا قدم بعض النصائح] ...".

ومن بين نثره أيضا رسالة بليغة بعث بها إلى الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري يعزيه في وفاة والده الأمير عبد القادر، أرسلها إليه من بيروت ومما جاء فيها[2]:

" السيد الذي هو لمجد الأسلاف وإرث والسند، الذي يتعلم منه الصبر، عند أشد الحوادث، شريف الأمراء. وأمير الأشراف، مولانا وسيدنا، محمد الشيم والأوصاف.

غبّ الدعاء، ببقاء ظلك الوارف، الذي يستظل به القاصي والداني. ودوام عزك، وحصولك على أقصى الأماني. يعرض الداعي، الذي لم يزل، إليكم منسوبا وفي عداد الصادقين، في خدمتكم محسوبا، إنه بلغه النبأ العظيم الذي أصم الأسماع، وأحمى القلوب. وحكى حزن الناس وصبرهم فيه، حزن يعقوب، وصبر أيوب، فضاقت عليه الأرض وهو يسير في رحبها. وود أن لو كان في قلبها. وهذا أمر يشركه فيه ألوف الألوف، ممن شملهم إحسان ذلك القطب، الذي سار فضله وإحسانه، مسير الشمس. وصار إليهم أحب من المال والأهل، والنفس، فلم يجد غير : حزن القلب، ودمع العين، والتسليم لمن اختاره، لينيله في جواره : أعلى الحسنيين. وقد سلاه : أن ذاك القطب، قد خلف بك من يقوم مقامه. ويحي مآثره وينشر أعلامه.

تأسى بخير الخلق، يا مفرد العلا !! ومن فضله، لا يستطاع له حد !

فإن يك مولانا، وسيدنا قضى فإنك ماء الورد، إن ذهب الورد"

ومن خلال هذه الرسالة، نستشف البلاغة الأدبية في أسمى صورها، ولكن كما سبق وأن ذكرنا، أن الشيخ الطاهر، لم يعط قيمة، لشعره ونثره فهو رجل إصلاح قبل كل شيء، لذلك الوقت لم يسمح له بامتهان هذا المجال.

---

[1] محمد، كرد علي : كنوز الأجداد ، ص ص 43-45، ولمزيد من المعلومات يرجى الإطلاع على الملحق .

[2] محمد بن عبد القادر، الجزائري : المصدر السابق ، ص ص 877-878.

وكذلك نثر الشيخ طاهر نجده في رسائله الكثيرة مع المستشرقين وكذلك مع تلامذته خصوصا تلميذه الوفي محمد كرد علي الذي جمع عشرات الرسائل التي أتحفه بها أستاذه في جميع الميادين [1] ففي إحدى الرسائل كتب إلى تلميذه محمد كرد علي حول الشعوبية مايلي [2]: " وأما الزمن الذي ظهرت فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء والوقوف على أوائل الأشياء من أصعب المسائل وأدقها إلا أن الذي ظهر لي أن ذلك حدث بعيد عصر الخلفاء الراشدين لوجود الداعي إلى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات الجاهلية التي أدى الدين بإبطالها ..."

وفي هذه الرسالة الأخيرة التي تحمل ردا علميا على سؤال كان قد وجهه له تلميذه نلاحظ خلوها من العبارات البلاغية والأدبية، لأنها لا تدعم موقفه ولا تنقص منه شيئا، وهذه عينة من أغلب الكتابات التي كان الشيخ طاهر الجزائري يقوم بها لتأدية رسالته الإصلاحية.

وحول الحرية كتب نثرا ولكن غلب عليه الطابع العلمي فلا وجود للصور والألوان البلاغية، حيث يقول [3]: " وقد وقفت على كثير من الجرائد الجديدة فوجدت جل مباحثها في بيان فوائد الحرية. ورأيت الناس قد ملوا هذا البحث لأن الحرية إن كانت على المعنى الذي يقول به الحكماء فهي مما لا يختلف فيه إثنان من ذوي النباهة. وإن كانت على وجه آخر فربما كان ضررها أكثر من نفعها ... ".

وعن التاريخ الهجري الذي يطالب بعض الناس في عصره باستبداله بالتاريخ الميلادي، فيكتب فيه محذرا [4]:

" عجبت لمن يسعون في أن نهجر التاريخ الهجري، ويفاتحوننا في ذلك كأنهم لا يعلمون أنا نعلم ما يرمون إليه عن بعد. لكل أمة شعار إذا تركته طمع فيها، وأستضعف جانبها، وربما صارت بعد مدجة في غيرها. وقد سعى أناس منذ عهد بعيد في أن يضعفوا ما يقوي أمر الإسلام عموما والعرب خصوصا، فنجحوا بعض النجاح، فطمعوا في أن يقضوا عليه فلم يجدوا أقرب إلى ذلك من إضعاف أمر اللغة العربية والسعي في تبديل خطها والتزهيد في الكتب التي كتبت بها ... حتى أثروا في كثير من أبناء جلدتنا الذين يظنون أنهم على غاية من الذكاء والوقوف على أسرار الأمم ... ثم زاد الأمر فطمعوا في تبديل التاريخ الهجري ... وليت شعري كيف يلام المسلم على أن يؤرخ كتابه بالتاريخ الهجري، فهل انقرض التاريخ الهجري. وهل يريدون أن ينقرض وأصحابه أحياء؟؟ ...".

ويمكننا القول على نثر الشيخ طاهر الجزائري، أنه متنوع وكثير، كثرة مصنفاته، ولكن يغلب عليه الطابع العلمي والأكاديمي، فلا مجال للصور البلاغية، والعبارات الرنانة والكلمات الرقيقة، عدا، في رسائله إلى أصدقائه وأحبابه وطلابه، فهو يحاول مجاراة الأدباء، أو الكتابة بأسلوبه وطريقته الخاصة، فهو مبدع في كل

---

[1] محمد، كرد علي : كنوز الأجداد ، ص 30

[2] المصدر نفسه: ص ص 30-31

[3] المصدر نفسه: ص 41

[4] المصدر نفسه : ص ص 38 -39

شيء، ابتعد عن التقليد بكل ما أوتي من قوة، فهو مع التجديد وإدخال الأساليب الحديثة، وهذا ليس ضربا للغة العربية، وإنما تجديدها بالألفاظ والإبتعاد عن أساليب العصور الأخيرة التي عرفت فيها اللغة العربية جمودا.

5- دوره في مشروع كتاب " تاريخ زواوة " :

إن قصدنا بدور الشيخ في هذا الكتاب، هو إشارة إلى علاقة الشيخ طاهر الجزائري مع أحد العلماء الجزائريين البارزين، وفي نفس الوقت نستخلص المواقف الفكرية وحتى السياسية، للشيخ طاهر، والكتاب الذي نحن بصدد مناقشة فكرة تأليفه لأحد علماء الزواوة وهو الشيخ" أبي يعلى الزواوي" [1] وكما ذكرنا سابقا أن الأصول الحقيقية للشيخ طاهر، هي زواوية، قرب بجاية.

وقد أراد الشيخ أبي يعلى الزواوي نشر كتابه حول " تاريخ الزواوة " قومه لكنه، كان مجهولا، خاصة في المشرق العربي، فرأى في شخص الشيخ طاهر الجزائري (الزواوي) الرجل الوحيد الذي يمكنه دفع ذلك الكتاب إلى الشهرة، وكذلك الإشهار لقومه الزواوة ! فالشيخ طاهر، كان ذائع الصيت، في بلاد المشرق والمغرب، والأنظار متجهة نحوه، من العرب والأوروبيين على حد سواء. ولكن بحكم عالمية الشيخ طاهر، وكرهه الشديد للشعوبية التي تفرق بين أبناء الوطن الواحد والدين الواحد، كما حدث للمسلمين في العصر الأموي، بسبب الصراع بين اليمنية، والقيسية، وبين القحطانية، والعدنانية، والعجم، وما سببته هذه النزعات من تصدع وتفكك في الدولة العربية الأولى (الأموية) [2] كل هذه الأسباب جعلت الشيخ طاهر يعزف عن الاستجابة لطلب الشيخ أبي يعلى الزواوي. ولكن نحن نحاول الإشارة إلى مادار بين الشيخين في هذا الموضوع وهذا في حدود المعلومات المتوفرة لدينا.

وتجدر الإشارة هنا، أن الشيخ أبي يعلى الزواوي لم يلتق بالشيخ طاهر الجزائري قبل سنة 1912، وإن كانت بينهما اتصالات، فشهرة الشيخ طاهر الجزائري، ربما جعلت الشيخ أبي يعلى الزواوي من أتباعه والمتأثرين بخطه الإصلاحي، والزيارة الأولى التي قادت الشيخ طاهر إلى الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر أي سنة 1893 كان الشيخ أبي يعلى الزواوي خلالها متواجدا بتونس، وفي الزيارة الثانية التي قادت الشيخ طاهر إلى الجزائر في بداية القرن العشرين، أي في سنة 1912، كان خلالها الشيخ أبي يعلى الزواوي في دمشق موظفا في

---

[1] أبي يعلى الزواوي : هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي. بن يحي بن الحاج من آيت سيدي محمد الحاج بزواوة، ولد بقرية تعاروست بزواوة حوالي سنة 1862، تعلم ودرس على شيوخ المنطقة، ينتسب إلى الأشراف الأدارسة، تعلم اللغة الفرنسية،وتولى وظائف رسمية، إنتقل إلى المشرق وعمل في القنصلية الفرنسية بدمشق سنة 1912 (وهي السنة التي حل بها الشيخ طاهر الجزائري بالجزائر)، اهتم بالشؤون الإسلامية وكان له نشاط كبير، حيث كتب في المقتبس لصاحبها محمد كرد علي، وجريدة " البرهان " لعبد القادر المغربي، كتب في " المؤيد " وفي " ثمرات الفنون " بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عاد إلى الجزائر، وانضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم ناصبها العداء، إضافة إلى كتاب " تاريخ زواوة " له كتب أخرى أهمها : الإسلام الصحيح " طبع سنة 1947، وكتاب " جماعة المسلمين " طبع سنة 1948. توفي في 1 جوان 1952 بمدينة الجزائر راجع : أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ط2،ج2، ص ص 145-147.

[2] محمد، كرد علي : كنوز الأجداد ، ص ص 30-31.

القنصلية الفرنسية، وبالتالي لم يلتق الشيخان، وحالت الظروف بينهما، لأن الشيخ طاهر كان قد فر من سوريا بسبب الطغيان التركي ولجأ إلى القاهرة.[1]

ومضمون كتاب الشيخ أبي يعلى الزواوي حول " تاريخ الزواوة " وإبراز محامدهم ومزاياهم يقوم على الأفكار الأساسية التالية [2]:

01 - الإعتماد على أقوال ابن خلدون (1334-1406م) والشيخ طاهر الجزائري وغيرهما في وصف أهل الزواوة وابراز تميزهم عن غيرهم، وخاصة ما يتعلق بانغلاقهم عن الآخرين وأسباب ذلك ! .

02 - كذلك الاعتماد على آراء بعض الفرنسيين الذين أشاعوا فكرة الأصول الآرية لأهل الزواوة !.

03- رأي الأمير عبد القادر في أهل الزواوة .

04- خصائص أخرى جمعها حول أهل الزواوة وتميزهم عن غيرهم رآها إيجابية، أراد التنويه بها !

ويجب أن نشير هنا أن الفترة التي أراد فيها أبي يعلى الزواوي، تأليف كتابه تميزت بانتقال فرنسا من الاستعمار العسكري إلى الاستعمار الفكري والثقافي وتمزيق أواصر الشعب الجزائري بمختلف الوسائل، والشيخ أبي يعلى الزواوي أحد الموظفين الرسميين في الإدارة الاستعمارية الفرنسية، بالجزائر وحتى خارج الجزائر؟.

وقد أرسل الشيخ أبي يعلى الزواوي مشروع كتابه إلى الشيخ طاهر الجزائري الذي كان متواجدا بالقاهرة، وكان الزواوي أنذاك بدمشق، وبعث كتابه بتاريخ 07 جمادى الأولى سنة 1331هـ / 1913م. ويقول الزواوي أبي يعلى في رسالته المتضمنة الخطوات الأساسية لمشروعه مايلي [3] :

" ... أقترح عليكم وأطلب منكم تأليف مختصر في تاريخ بلادنا الزواوة يشتمل على ما تيسر من خصائصهم ومحامدهم ومزاياهم، وأنتم الذين نبهتمونا إلى البعض منها،وقد حدثني بذلك الأستاذ إبن زكري المفتي، والفضل لكم فقال أنكم قلتم أن الزواوة قوم خالصون غير مختلطين بغيرهم من الأجناس ... فاستقرينا هذا الخبر المعتبر فوجدناه صحيحا صادقا.

ومن مفاخر الزواوة ما وقفت عليه لبعض المؤرخين أظن، والله أعلم، لابن خلدون قال: إن القوى المتنازعة في المغرب يكون الظفر بجانب الذي معه الزواوة ... والمقصود من هذا التأليف وأفراده تاريخا خاصا بالزواوة مصالح كثيرة ومنافع للزواوة ومثلكم من لا تخفي عليه فوائد التاريخ، فإن النشئ إذا درس تاريخ سلفه القديم المجد يبقى حيا عاملا نشيطا ويتخلق بمكارم الأخلاق ... وخلاصة القول أن هذه المسألة وهذا الموضوع، تاريخ زواوة، صالح جدا ومفيد لهذه الطائفة، ولا يقدر على هذا التاريخ من بين هذه الأمة البالغة ملايين من البشر سوى سيادتكم ولا يوفى هذا الباب حقه غيركم ولا محقق ولا واسع الإطلاع غيركم ...

---

(1) أبو القاسم، سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ط2، ج2. ص ص 146-147.

(2) المرجع نفسه : ص 151.

(3) المرجع نفسه: ص ص 156-167.

ولشهرتكم وتحقيقكم ينتشر الكتاب ويترجم إلى اللغة الإفرنسية وغيرها من اللغات، فيعم النفع ...والرجل هو الذي يخدم جنسه وملته. [هنا تبرز إقليمية وجهوية الشيخ أبي يعلى الزواوي]".

ومن خلال هذه الرسالة تبرز إقليمية وعصبية الشيخ أبي يعلى الزواوى لقومه الزواوة، وما إتصاله بالشيخ طاهرالجزائري إلا لشهرته الواسعة لدى علماء الغرب المستشرقين وعلماء المسلمين، وبذلك إذا قبل الشيخ طاهر، هذه المهمة، فإنه يعطي لهؤلاء – القوم – شهرة لا نظيرلها، لأن الشيخ أبي يعلى لا يمكنه ذلك فهو مجرد موظف في الإدارة الفرنسية ولا يملك مقومات الشهرة خارج وطنه، وكما سبق وأن ذكرنا، أن الشيخ أبي يعلى متأثر جدا، بفكرة القومية التي ظهرت في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، ويريد جر قومه الزواوة إلى ذلك، ولن يكون إلا بتمهيد الطريق الفكري والثقافي شأن كل قومية ظهرت في تلك الفترة.

والشيخ طاهر بحكم أنه شخصية عالمية،ويعرف جيدا المكانة التي وصل إليها بأعماله ومجهوداته، ويعرف قدره جيدا، بين العرب وغير العرب، لهذا نراه يتعالى عن هذا الأمر، ويترفع عنه، وكأنه يعرف النوايا الحقيقية من وراء هذا العمل، فالشيخ أبي يعلى الزواوي، يمكن أنه شجع من قبل الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر، ففكرته نقول عنها أنها صادقة ولكن مهما كان الأمر فقد أريد بها باطل، فالجزائر في تلك الحقبة الحزينة، لم تكن في حاجة لمن يكتب عن الزواوة أو الميزابيين أو الشاوية أو الطوارق، ولكنها في أمس الحاجة، لمن يكتب تاريخها عامة، خاصة تاريخها الإسلامي، لأنها بالإسلام تشكلت الأمة الجزائرية التي ننعم الآن بوجودها بين الأمم والشيخ طاهر بحكم كرهه الشديد للشعوبية والعنصريةرفض هذا الطلب بطريقته الخاصة، دون أن يشعر الشيخ أبي يعلى الزواوي بذلك، ورغم عشرات المخطوطات والمؤلفات للشيخ طاهر الجزائري، إلا أننا لم نجد إشارة إلى هذا الكتاب.

ولكن الشيخ طاهر الجزائري، كتب إلى الشيخ إبي يعلى الزواوي، رسالة مقتضبة، تبين وجهة نظره الحقيقية نذكرها ثم نعود إليها بتحليل وجيز.[1]

" أحيي فيك نزعة إصلاحية ونهضة زواوية.و قد أثبت لي كتابك، هذا ما بلغني عنك من غير واحد. ثم أعلم أن تاريخ الزواوة مجيد وتراجم علمائهم أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر، وإنما يلزم أن تحرر لنا رسالة في لسانهم قبل الشروع في تاريخهم".

وقراءة بسيطة لهذه الرسالة، نستشف منها، شخصية الشيخ طاهر، وترفعه، من جهة وفي نفس الوقت، دعوة للشيخ أبي يعلي الزواوي، أن يبحث في لهجة أهله (الزواوة)، لأن دراسة هذا الأمر، سيحيله إلى لهجات حمير، ويكتشف ما قاله ابن خلدون حول البربر وأصولهم العربية القديمة، وفي نفس الوقت تعتبر اللغة إحدى المقومات الأساسية لكل أمة، ومن الصعب على الشيخ أبي يعلى الزواوي أن يتم هذا الأمر بيسر

[1] أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط 1،ج 7، ص 350.

وسهولة، وفي ذلك دفع من الشيخ طاهر، لهذا الأخير أن يبتعد عن التاريخ المحلي الجهوي، لأنه يدعو إلى الفرقة والعصبية.

ويجب علينا أن نلتمس بعض الأعذار للشيخ أبي يعلى الزواوي، الذي نشأ في بيئة مغلقة، خاصة أن الإستعمار الفرنسي عمل بكل إمكانياته على التشكيك في تاريخ الجزائر برمته، وأول سهامه في هذا المجال اتجهت إلى هذه المنطقة (القبائل) من الجزائر، والشيخ الزواوي، هدفه من التاريخ هو إبراز محامد ومزايا هؤلاء (الزواوة)، خاصة عندما أقنعه أحد الفرنسيين الكبار على حد قوله في إحدى مقاهي باريس، حول الزواوة وتميزهم [1]... الخ، ونضيف شيئا هاما أن الزواوي بحكم ثقافته العربية والفرنسية، تأثر لا محالة بصراع القوميات الذي شهدته أوروبا في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وأيضا تأثر بذلك عندما كان موظفا بالقنصلية الفرنسية في دمشق، حيث كان شاهدا على النشاط الكبير الذي بلغه القوميون العرب في بلاد الشام ضد سياسة التتريك والطورانية المتبعة من قبل جماعة الإتحاد والترقي التركية التي كانت تضرب بسيف الحكومة كل الجمعيات والشخصيات العربية الداعية للتحرر من النير التركي.

والكتاب إنتهى الشيخ أبي يعلى الزواوي من تأليفه نهائيا في سنة 1918، وطبعه بدمشق في سنة 1924، وربما قد أدخل عليه تغييرات بحكم تأثره بنصائح الشيخ طاهر الجزائري[2]، لأن هذا الأخير ربما قد دعا الشيخ أبي يعلى الزواوي إلى القاهرة، حيث سكنا معا مدة خمس سنوات، وكان الشيخ طاهر يكلف الشيخ الزواوي، بتحرير مقالات في الأدب وفي الإصلاح، وهذه الصداقة ربما تمثل نقطة التحول في أفكار الزواوي من النظرة المحلية الضيقة إلى الفكرة العربية الواسعة [3]. فالشيخ أبي يعلى الزواوي قد غير من أفكاره كثيرا، بحكم مكوثه فترة طويلة بالقاهرة، ولقاءاته برموز الفكر العربي، خاصة صداقته المتينة بالشيخ طاهر الجزائري، الذي يكون قد رفض مبادرة الشيخ أبي يعلى الزواوي، خوفا من وجود يد فرنسية في ذلك، ونعرف كرهه الشديد لفرنسا[4]. وكان الشيخ طاهر، قد أكد لصديقه الشيخ أبي يعلى الزواوي، أن العرب لما فتحوا افريقيه اختلطوا بسكانها، والزواوة عرب الأصل من اليمن ومن شعوب حمير.[5]

وفي الختام، هذا الكتاب ومشروع تأليفه يمثل لنا جانبا هاما من شخصية الشيخ طاهر العالمية، والقومية، التي ترفض النزعات المحلية، التي تفكك أواصر الوطن العربي الواحد.

6-منهجه في التأليف: دراسة كتاب " توجيه النظر إلى أصول الأثر ":

لقد كتب الشيخ طاهر الجزائري، كتبا كثيرة وترك عشرات المخطوطات، في جميع الفنون والآداب والعلوم، كانت له ملكة الكتابة دون تكلف، وهذا لثقافته الواسعة ومطالعاته المتنوعة، وتفتحه على جميع

---

(1) أبو القاسم ، سعد الله: ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ط 2 ، ج 2 ، ص 158.

(2) أبو القاسم، سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1 ، ج 7 ، ص 351.

(3) سهيل، الخالدي : المرجع السابق ، ص 227.

(4) أبو القاسم، سعد الله : أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، ص151.

(5) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1، ج7، ص 340.

الثقافات دون تعصب، ومجالسته ومصاحبته، لكل العلماء دون أن يأخذ عقائدهم ومذاهبهم، بعين الاعتبار فكانت لديه الثقة الكاملة في تكوينه، وبالتالي أنتج لنا عشرات الأبحاث التي ملأت المكتبة العربية، ونحن اليوم، بحاجة إلى نشرها من جديد بعد دراستها وتحقيقها، فعصرنا يختلف عن عصر الشيخ طاهر.

ومنهج الشيخ طاهر في التأليف يختلف من كتاب لآخر، وهذا حسب الاختصاص، وحسب الطبقة الموجهة إليها. لهذا سنحاول خلال دراسة كتابه الموسوم " توجيه النظر إلى أصول الأثر " وهو في الحديث ومصطلحه. إبراز المنهج والأسلوب، فهو يمثل قمة الإنتاج الفكري والعلمي لدى الشيخ طاهر الجزائري من جهة، وكذلك من أهم الكتب التي ألفت في تلك الفترة أي في بداية القرن العشرين. وقبل استعراض الكتاب ، نذكر هذه المقولة للشيخ طاهر في وصف الكتب التي تحق في حاجة إليها، فهو يقول لتلميذه الوفي محمد كرد علي ما يلي:[1] "من أراد وصف كتاب ينبغي له أن ينظر فيما قاله مؤلفه في مقدمته أو في خاتمته أو فيهما معا ويأخذ خلاصة ذلك. والوصف عندهم ليس عبارة عن النقد، بل بيان موضوع الكتاب والداعي إلى تأليفه وما في الكتاب من خصائص ".

وقد سبق وأن ذكرنا، أن الشيخ طاهر الجزائري، يشترك مع العالم الموسوعي التركي حاجي خليفة، في فن التأليف والكتابة.

وقد اخترت كتابه المهم في الحديث، الذي ألفه وطبعه في سنة 1328هـ/1910م بالقاهرة، لأنه مثل قمة إبداعه، من جهة وفي نفس الوقت لقي، ارتياحا واحتراما كبيرين من قبل المفكرين والعلماء، حتى أن صديقه المستشرق (غولدزيهر)، قد قام بترجمته إلى اللغة الألمانية وهذا دليل كبير على أهمية هذا الكتاب.[2]

وللشيخ طاهر كتاب آخر، في مصطلح الحديث تحت عنوان " مبتدأ الخبر في مبادئ علم الأثر "، لكنه لم يعرف الشهرة كالكتاب السابق.[3]

إن الكتابة في تاريخ الحديث ومصطلحه من الأمور الصعبة والمضنية جدا، لما للحديث من مكانة سامية في مسيرة الدعوة الإسلامية بعامة، ولما يمثله هذا التراث العظيم من رصيد كبير وضخم في حياة المسلمين ومعاملاتهم في الدنيا. وصعوبة الكتابة تكمن في عمق المسؤولية، الملقاة على الذي ينبري لذلك، ونقصد مسؤولية التحري والغوص في كل ما يتعلق بهذا العمل، بكل صدق وموضوعية، ويكون مجردا أيضا من كل الأهواء والأنانية والتعصب [4]. فالحديث النبوي، ركن أساسي في تكوين صحابة الرسول صلى الله عليه

---

(1) محمد، كرد علي : كنوز الأحداد ، ص 36.

(2) عدنان، الخطيب : المرجع السابق ، ص 114.

(3) أحمد، تيمور باشا : المصدر السابق ، ص 292.

(4) عبد الكريم، الرديني : مباحث في تاريخ الحديث ومصطلحه،(باتنة): شركة الشهاب،1990.ص 7.

وسلم، فقد ساهم في تكوينهم الفكري، وأثر في سلوكهم الخلقي والعملي، لأنهم كانوا يقتدون برسول الله صلى الله عليه وسلم في كل صغيرة وكبيرة.[1]

وكتاب الشيخ طاهر الجزائري " توجيه النظر إلى أصول الأثر " من أفضل ما ألف في علم المصطلح في القرن الرابع عشر الهجري، طبعه صاحبه في سنة 1328هـ/1910م بالقاهرة، وأشرف بنفسه على طبعه وتصحيحه وإخراجه، اتسع إلى 419 صفحة، بخط صغير ودقيق، ثم طبع الكتاب بعد ذلك في بيروت ودون تاريخ وهذا تصويرا عن الطبعة الأولى التي اعتنى بها الشيخ طاهر في سنة 1910م.[2]

وقبل استعراض الكتاب [3]، نقدم لمحة تاريخية وجيزة، عن تاريخ التأليف في فن مصطلح الحديث ورواده الأوائل وهذا لأهمية المصطلح لطلاب الحديث من جهة وفي نفس الوقت للوقوف على أن الشيخ طاهر بتأليفه هذا الكتاب قد ساهم بشكل كبير في هذا الفن الذي لا يمكن إلا لعالم موسوعي في اللغة و الفقه والتفسير و التاريخ أن يصبر أغواره.

ويعتبر " الشيخ علي بن المديني" شيخ الإمام البخاري، أول من ألف بعض بحوثه في ميدان الحديث، ولكن تآليفه كانت عبارة عن رسائل مجردة و لم يضم بعضها إلى بعض. لكن أول من صنف في هذا الفن تصنيفا علميا، بحيث جمع كل أبوابه وبحوثه في مصنف واحد هو القاضي " أبو محمد الرامهر مزي " المتوفي في سنة 360هـ وهذا في كتابه " المحدث الفاصل بين الراوي والسامع " ثم جاء بعده، الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المتوفي سنة 405 هـ الذي ألف كتابه " معرفة علوم الحديث "، ثم توالت التآليف، مثل كتاب " مقدمة ابن الصلاح " للشيخ " الحافظ تقي أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهر زوري الدمشقي"[4] المتوفى سنة 642هـ، وكتابه هذا، كان شاملا لكل ما تفرق في غيره من كتب الأقدمين، ولهذا عكف الناس عليه واهتموا بشرحه، بين ناظم وناثر، كألفية العراقي وشرحها للحاوي والتقريب للنووي وشرحه التدريب للسيوطي، وغير ذلك من المصنفات.[5]

---

(1) المرجع نفسه: ص ص 32-33.

(2) طاهر، الجزائري: توجيه النظر إلى أصول الأثر ،ط1،ج1، اعتنى به وعلق عليه: عبد الفتاح أبو غدة، بيروت : مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ، 1995 ، ص ص : 5-6

(3) سنعتمد في دراستنا على طبعة دار المعرفة ببيروت التي صورت على طبعة 1910 والتي أشرف عليها الشيخ طاهر بنفسه ونستعين أيضا بطبعة 1995 التي اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة لأهميتها وسنشير إليها في الهامش، ط 1 (1995).

(4) الشهر زوري : ولد في شرخان قرب شهر زور، علم وأفتى في دمشق، التي توفي بها سنة 642هـ/1245م، وهو فقيه شافعي. من كتبه " معرفة أنواع علم الحديث " ويعرف بمقدمة ابن الصلاح وله " الفتاوي " و" الأمالي " و " شرح الوسيط". راجع: المنجد في اللغة والأعلام. ص 10

(5) عبد الكريم، الرديني : المرجع السابق . ص ص 79-80.

دواعي التأليف :

قال الشيخ طاهر الجزائري عن دواعي تأليفه لكتابه[1]: " الداعي إلى تأليف هذا الكتاب ما وقع العزم عليه من تحرير الكلام في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، مما لخصه في كتابه الإمام عبد الملك بن هشام، ليكون الناظر فيه وفيما شاكله على بصيرة من أمره " .

وبالتالي نلاحظ أن هدف الشيخ طاهر من تأليف كتابه في الحديث ومصطلحه، بالنسبة له المعيار الحقيقي والدقيق لنقد الأخبار وتنقية كل ما جاء أو روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا مقصد نبيل من الشيخ طاهر، فهدفه خدمة الحديث النبوي الشريف وتحريره من كل الالتباسات، ومساعدة الطلاب والباحثين في ذلك.[2]

ونذكر أننا في استعراضنا للكتاب، اعتمدنا على طبعة 1910م، التي قام الشيخ طاهر بإخراجها وتصحيحها.

فالمقدمة قليلة الكلمات، ومختصرة جدا، جاءت في هذه العبارات [3]: "... فهذه فصول جليلة المقدار ينتفع بها المطالع في كتب الحديث وكتب السير والأخبار، وأكثرها منقول من كتب أصول الفقه وأصول الحديث ". أما المتن، فقد قسمه إلى سبعة فصول، مختلفة ومتباينة في أفكارها، وعدد صفحاتها، وهذا لأهمية كل فصل، تطرق إليه في دراسته هذه.

الفصل الأول :

وضعه تحت عنوان : " في بيان معنى الحديث " وهو من الصفحة 2 إلى الصفحة5. وفيه يعرف الحديث اصطلاحا، ويرى الشيخ طاهر أن الاختلاف في تعريف الحديث يعود إلى اختلاف العبارات، لا إلى اختلاف الاعتبارات، ولتعريفه للحديث يجمع أدلة كثيرة، لتأكيد رأيه، وهذه الأدلة التي جمعها أقوال لعلماء أصول الفقه، وعلماء الحديث.[4]

وفي هذا الفصل، يلج الشيخ طاهر، باب التفسير أيضا، ويؤكد على اختلاف العبارات فقط بين المفسرين، رغم اللفظ الواحد، لأنه بالنسبة للشيخ طاهر لا يوجد اختلاف بين المفسرين، ولكن فقط في اختيار العبارات، فكل واحد منهم يبحث عن العبارة الجيدة التي يستطيع بها توصيل المعنى.[5]

الفصل الثاني :

وقد وضعه تحت عنوان " في سبب جمع الحديث في الصحف وما يناسب ذلك " وهذا من الصفحة رقم 5 إلى الصفحة رقم 10 .

---

(1) طاهر، الجزائري: توجيه النظر إلى أصول الأثر ، ط1، (1995). ص 7.

(2) المصدر نفسه : ص 8

(3) طاهر، الجزائري : توجيه النظر إلى أصول الأثر، بيروت : دار المعرفة (د-ت) ص2.

(4) المصدر نفسه: ص 2

(5) المصدر نفسه : ص ص 4-5

ويبدأ هذا الفصل بهذه العبارة [1]: " كانت الصحابة رضي الله عنهم لا يكتبون عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن " وهذا يعود إلى نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ذلك، خشية اختلاط كلامه بالقرآن الكريم، وأول من أمر المسلمين بجمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخليفة الأموي "عمر بن عبد العزيز" (99-101هـ) الذي دعا إلى كتابة الحديث خوفا من ذهابه مع ذهاب العلماء.[2]

الفصل الثالث :

وقد وضعه تحت عنوان: " في تثبت السلف في أمر الحديث خشية أن يدخل فيه ما ليس منه ".

وهذا من الصفحة رقم 10 إلى الصفحة رقم 19.

وفي هذا الفصل يبرز لنا الشيخ طاهر الجزائري، مدى عناية واهتمام الصحابة في معرفة الحديث وفي نقله، حتى أنه كان فيهم، من سافر مسيرة شهر من أجل حديث واحد [3]. وفي هذا الفصل يبين لنا أيضا، مدى أهمية ناقل الحديث وجامعه، وفي نفس الوقت يذكر ويؤكد على فكرة اختلاف العبارات من محدث إلى آخر، ويدعم قوله بأمثلة كثيرة، تعبر عن الأهمية القصوى في نقل وكتابة الحديث بصدق وأمانة، خشية من الإضافات أو النقصان، التي تحدث، إذا كان الناقل تنقصه الخبرة والثقافة والأخلاق أيضا.

الفصل الرابع :

وهو تحت عنوان : " في تمييز علماء الحديث ما ثبت منه مما لم يثبت ".

وهو من الصفحة رقم 19 إلى الصفحة رقم 33.

ويقول في هذا الفصل [4]: " إعلم أن أئمة الحديث لما شرعوا في تدوينه دونوه على الهيئة التي وصل بها إليهم ولم يسقطوا مما وصل إليهم في الأكثر إلا ما يعلم أنه موضوع مختلف، فجمعوا ما رووا منه بالأسانيد التي رووه بها، ثم بحثوا عن أحوال الرواة بحثا شديدا حتى عرفوا من تقبل روايته ومن ترد ...".

وفي هذا الفصل كثير من المطالب، يسميها الفائدة، الأولى والثانية ... وفي كل فائدة، يختار مسألة يجمع لها ما يدعم أقواله، مستعينا بأقوال وآراء العلماء، خاصة علماء أصول الفقه وعلماء التفسير وعلماء الحديث.

الفصل الخامس :

وهو تحت عنوان " في أقسام الخبر " وهو من الصفحة رقم 33 إلى الصفحة رقم 64، وفي هذا الفصل، يطيل في شرح الخبر المتواتر ثم يعرف الخبر الآحاد، وهذا عبر شرح وافي، مستفيض.

---

[1] المصدر نفسه : ص 5

[2] المصدر نفسه : ص ص 5-7

[3] المصدر نفسه: ص 10

[4] المصدر نفسه : ص 19

الفصل السادس:

وقد وضعه تحت عنوان : " في أقسام الحديث " وهو من الصفحة رقم 64 إلى الصفحة رقم 298. وبذلك يعتبر أطول الفصول وأغزرها من حيث المادة العلمية، فقد أبدع فيه، وجمع فيه الكثير من المعلومات المتعلقة بموضوع الكتاب. فقد أشار فيه إلى معنى السند والإسناد والمسند إليه، ويقسمه بعد ذلك إلى ثلاثة مباحث، المبحث الأول ويتطرق فيه إلى " الحديث الصحيح "، حيث يعرفه، ويشير إلى الشروط التي وضعها العلماء لقبوله[1]. ثم ينتقل إلى المبحث الثاني الذي أفرده إلى دراسة " الحديث الحسن "، ويورد هنا آراء العلماء وأقوالهم المختلفة في هذا الباب أي الحديث الحسن [2]. ثم ينتقل إلى المبحث الثالث الذي خصصه لـ: "الحديث الضعيف " حيث يعرفه ويقسمه، ويجمع في ذلك مختلف الآراء المتعلقة بهذا النوع من الأحاديث[3]. ولا تخلو هذه المباحث من آرائه، بين نقد وتمحيص وترجيح، فهو هنا لا يعيد ويكرر نفس الكلام الذي تطرق إليه الأقدمون، ولكن يحاول من حين إلى آخر إبداء رأيه وموقفه، مدعما آراؤه بما يملك من ثقافة في هذا الميدان، وبدون رياء أو غرور، لأنه نفسه في البداية أشار إلى الباحث في هذا الميدان "أي الحديث ومصطلحه" و الصفات التي يتوجب أن يتحلى بها.

ولا يخلو هذا الفصل من الإضافات والفوائد والمسائل، حيث يتحفنا بما جاءت به ذاكرته من معلومات وقراءات، حيث يعرج على التاريخ فيعرفه لنا[4]، وكذلك لا يخلو أي مبحث من فوائد، فقد نجد بعض المختصرات لكتب مهمة في مصطلح الحديث مثل كتاب "علوم الحديث " للحاكم أبي عبد الله النيسابوري حيث يشير الشيخ طاهر، إلى خطبة ومقدمة الكتاب.[5]

الفصل السابع :

وقد وضع هذا الفصل تحت عنوان : " في رواية الحديث بالمعنى وما يتعلق بذلك". وهو من الصفحة رقم 298 إلى الصفحة رقم 419.

خصص الشيخ طاهر الجزائري هذا الفصل الأخير، إلى دراسة اختلاف العلماء في رواية الحديث بالمعنى، فمن العلماء من منع ذلك منعا مطلقا، ولكن أغلب العلماء أجازوا الرواية بالمعنى، ولكن حددوا لذلك شروطا، ينبغي أن تتوفر في الراوي، خصوصا معرفته لدقائق الألفاظ العربية [6]. وكبقية الفصول، لا يخلو هذا الفصل من الفوائد والمسائل والانتخاب، فقد كان الشيخ طاهر من حين لآخر يوظف أهم ما جاء في الكتب في هذا الفصل، ليزيد القارئ متعة، ولا يمل أيضا ؟.

---

[1] المصدر نفسه : ص ص 68-144

[2] المصدر المرجع نفسه : ص ص 145-238

[3] المصدر نفسه : ص ص 238-298

[4] المصدر نفسه: ص 118 وسنقدم في العناصر اللاحقة رأي الشيخ طاهر في التاريخ.

[5] المصدر نفسه : ص 162

[6] المصدر نفسه : ص 298

وقد أشار الشيخ طاهر في هذا الفصل إلى الآداب التي يجب على طالب الحديث الالتزام بها، حيث يقول [1] : " علم الحديث علم عظيم الشأن، يناسب مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فمن عزم على طلبه فليقدم إخلاص النية وليسأل الله أن يوفقه ويعينه عليه فإذا أخذ فيه فليجد في الطلب وليحرص على التحصيل ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز " [ويدعم رأيه بأقوال للعلماء] ... وليبدأ بشيوخ بلده وينبغي أن يتخير المشهور منهم ... وليأخذ المهم مما عندهم ...".

وفي هذا الفصل أيضا يقدم نصائح لطالب الحديث، مثل ضرورة معرفة مصطلح الحديث، ثم يبدأ بالصحيحين ثم بسنن أبي داوود والنسائي والترمذي، ثم كتب المسانيد وكتب الجوامع المصنفة في الأحكام وكتب علل الحديث وكتب معرفة الرجال وتواريخ المحدثين، والهدف من هذه النصائح أن ينجح طالب الحديث في مهمته، ويأتي بجديد في مجال الحديث ولا يعيد ما كتبه السابقون، لأن في تلك الإعادة، ربما إعادة للأخطاء والمغالطات وبالتالي يبتعد طالب الحديث عن المهمة التي انبرى لها.[2]

ولا يخلو هذا الفصل كما أشرنا من فوائد وانتخابات، أتحف بها الشيخ طاهر كتابه هذا، ليكون مكتبة حقيقية في كتاب واحد، حيث يشير إلى الخط العربي وعلامات الوقف والفصل والحركات والسجع.[3]

ويختم الشيخ طاهر كتابه، بمقالة مهمة للعلامة مجد الدين المبارك ابن الأثير، الذي يقول[4]: " وبعد فإن شرف العلوم يتفاوت بشرف مدلولها، وقدرها يعظم بعظم محصولها، ولا خلاف عند ذوي البصائر أن أجلها ما كانت الفائدة فيه أعم، والنفع به أتم... ".

و قد فرغ الشيخ طاهر من تأليفه لهذا الكتاب "توجيه النظر إلى أصول الأثر" في سحر ليلة الأربعاء لثلاث بقيت من ذي القعدة، من شهور سنة ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين من الهجرة وذلك في مصر. أين كان يعيش بعدما هرب من قمع الأتراك.[5]

ومما جاء في الكتاب، مطلب حول التاريخ وأهميته، لما للتاريخ من أهمية في معرفة الأحاديث والرد على الكذابين، ويستعين في ذكر مزايا التاريخ بمقولة لسفيان الثوري، الذي قال في هذا المجال : لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ.[6]

والشيخ طاهر الجزائري لم يعد كلام الذين سبقوه حول التاريخ وأهميته، بل قدم لنا نظريته في ذلك،

---

[1] المصدر نفسه : ص ص 322-323

[2] المصدر نفسه : ص ص 326

[3] المصدر نفسه : ص ص 365-404

[4] المصدر نفسه : ص 418

[5] المصدر نفسه : ص 419

[6] المصدر نفسه : ص 119

حيث يقول [1]:

" والتاريخ في اللغة الإعلام بالوقت، يقال أرخت الكتاب وورخته بمعنى بينت كتابته، قيل إنه ليس بعربي محض، هل هو معرب من الفارسية وأصله ماه روز، فماه القمر وروز النهار والتعريب فيه على هذا الوجه غير ظاهر، ومن الغريب أن بعض الناقلين ذكر أن الأصمعي قال: بنو تميم يقولون ورخت الكتاب توريخا وقيس تقول، أرخته تأريخا وقد نقل بعضهم ما يشعر بأن لفظ التاريخ يمني فقال روى ابن أبي خيثمة من طريق محمد بن سيرين قال : قدم رجل من اليمن فقال رأيت باليمن شيئا يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا فقال عمر[2] : هذا حسن فأرخوا ".

منهج المؤلف :

يتميز الشيخ طاهر الجزائري، بمنهج فريد في تآليفه المختلفة، فلكل كتاب منهجه، وهذا على قدر الطبقة الموجهة إليها، لهذا لا نعجب أن نجد في بعض كتبه، مثل كتاب " الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية " والذي ألفه على طريق السؤال والجواب، وهدفه تسهيل العبارات والفهم لدى الطلاب، لكن في هذا الكتاب " توجيه النظر إلى أصول الأثر " الذي أصبح في يومنا هذا لا يقدر على صبر أغواره إلا عالم متخصص في الحديث. فالشيخ طاهر اتبع في تأليف هذا الكتاب، أسلوب التحقيق والتمحيص، لترجيح المباحث الاصطلاحية، وكذلك إعتمد على النقل لتدعيم موقفه، وتوضيح كل غموض موجود، بالإضافة إلى النقد والتعليق في آن واحد، ومناقشة الآراء والأقوال الضعيفة، وهذا بإيجاز وقوة وأمانة وأدب علميين، فهو عندما ينقل من الكتب، يضيف لها أو ينقص، من أجل توضيح المعنى وتبسيطه وتحسينه، وتحبيبه أيضا للقارئ. والشيء الذي يؤاخذ على الشيخ طاهر الجزائري في كتابه هذا الهام، هو عدم إشارته إلى بعض الكتب وأصحابها رغم أهميتها.[3]

قيمة المؤلف :

نستطيع تحديد قيمة الشيخ الطاهر الجزائري كمؤلف بارع وهذا للخصائص التالية:

- سعة إطلاعه وعمق تحقيقه وطول صبره على البحث والتمحيص، فكتابه جاء جامعا وشاملا ومدققا في جميع المسائل التي طرحها.

- يتصف صاحبه بالتواضع والأدب العلمي في طرح وجهات نظره. ويبرز عبد الفتاح أبو غدة قيمة الشيخ طاهر في هذه العبارات [4]: " عالما متقنا ومحدثا متمكنا، ونخابا ذواقة، فطنا، وفقيها بارعا، وأصوليا لامعا، ومؤرخا واعيا، ولغويا ضليعا، وحبرا بالقرآن وعلومه، وبالقراءات ووجوهها، وبالبلاغة وفنونها،وبالشعر ونقده وعروضه وأوزانه وبالوقف والابتداء وأنواعه، وبالرسم للكتابة وقواعدها ".

---

[1] المصدر نفسه : ص 119

[2] يقصد الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[3] طاهر، الجزائري : توجيه النظر إلى أصول الأثر، ط1 (1995). ص ص 9-10.

[4] المصدر نفسه : ص 8

قيمة الكتاب:

يعتبر أوسع الكتب المؤلفة في علم المصطلح، التي ألفت في القرن الرابع عشر للهجرة، فهو ثقيل المضمون، مكنوز العلم، مرصوص العبارة دقيق المباحث، طويل النقول و المناقشات، يتعرض للعويصات من المشاكل، مدعم بنقول هامة من كتب المصطلح وأصول الحديث، والشيخ طاهر، لم يغفل و لم يترك أي علم إلا ودعم به مؤلفه، فقد استعان بكتب التفسير والحديث والعقائد والنحل والرجال والتاريخ واللغة والنحو، ويمكننا أن نقول أنه لا يستطيع أحد جمع هذه العلوم المختلفة في كتاب واحد، إلا الشيخ طاهر الجزائري فهو وحيد في هذه العمل الضخم، وهذا لإضطلاعه في مختلف العلوم والآداب، فهذا الكتاب يعتبر بحق موسوعه أو مكتبة، جمعت فيها كل المصنفات، فإلى جانب علم المصطلح الهدف الأساسي من تأليف هذا الكتاب، نجد مباحث حول الخط العربي، وعلامات الفصل والكلام على الحركات العربية والوقف والابتداء والسجع، وقد، إستطاع الشيخ طاهر، انتخاب كتب هامة، ضمها في كتابه هذا، مثل كتاب "معرفة علوم الحديث" للإمام الحاكم أبي عبد الله النيسابوري، كما انتخب كتاب " العلل في الحديث " للإمام أبي الحاتم الرازي، وكان هذين الكتابين في زمن الشيخ طاهر من المخطوطات النادرة، وبالتالي نراه قد ساهم بدون أن يشعر في بعثهما وإحيائهما، وتبقى قيمة الكتاب الحقيقية في ما مدى إستفادة العلماء منه ؟ وبالفعل قد إستفاد منه العشرات منهم، خاصة المحققون الكبار، فيهم من أثنى على الشيخ طاهر ومجهوده وفيهم من جحد ذلك.[1]

وفي هذا الكتاب مبحث خاص بالخط العربي وأنواعه، وأيضا تاريخ الخطوط العربية وعلاقتها بالخطوط السريانية والعبرانية، ولا يمكن لباحث أو طالب في مجال الخط وتاريخه الاستغناء عن هذا الكتاب، وهذا لأهميته طبعا.[2]

وللأسف لم يقبل طلبة علم الحديث على هذا الكتاب، و لم يعرف شهرة واسعة بينهم، وهذا لثقله العلمي واتساع مباحثه، لهذا احتاج هذا الكتاب إلى عالم بحاثة، له باع طويل في ميدان الحديث وتحقيقه وعلم المصطلح [3]. وربما تحقيق الباحث عبد الفتاح أبو غدة قد فتح الطريق أمام الباحثين للاستفادة من مادته العلمية الغزيرة المختلفة الألوان والغنية بالفوائد و المسائل و الانتخابات.

وفي الختام نقول أن الشيخ طاهر الجزائري في كتابه هذا، كان قوي الشخصية، حسن الترتيب للموضوعات فقد كان يتنقل من مبحث لأخر بطريقة علمية ومنطقية، ألفاظه تتميز بالجزالة و الوضوح في المعاني، فهو كثير الاعتناء بأسلوبه، جمع أحسن الألفاظ إلى بعضها البعض، وتكوينه الموسوعي سيطر على تفكيره وكتابته، وهذا ما يعبر عنه كتابه الضخم، ففي هذا الكتاب تتجلى روح الباحث، ومدى غوصه في المسائل الدقيقة قل أن يتسنى لغيره ممن عاصره الوصول إليها.[4]

---

[1] المصدر نفسه : ص ص 6-9

[2] طاهر، الجزائري : توجيه النظر إلى أصول الأثر، دار المعرفة (د ـ ت). ص ص 360 ـ 369

[3] طاهر، الجزائري : توجيه النظر إلى أصول الأثر، ط1 (1995) ص 6

[4] محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 29

وتعتبر ترجمة المستشرق غولد زيهر صديق الشيخ طاهر، لهذا الكتاب لدليل على أهميته القصوى بين كتب الحديث.[1]

إن كتاب " توجيه النظر إلى أصول الأثر " كتاب قيم ونفيس، جمع فيه الشيخ طاهر الجزائري، زبدة ما جاء في كتب الأقدمين، من علوم المصطلح وعلوم الحديث وكتب التفسير والفقه واللغة والبلاغة، والنحو والتاريخ والخط ... فهو كتاب لا يستغني عنه، علماء الحديث والمصطلح، وحتى طلبة مختلف العلوم والفنون، إنه بحق كتاب جامع لما سبقه من كتب ! ..

7-مكتبته ومؤلفاته:

1.7- مكتبته :

هنا نشير إشارة خاطفة، لأنه في الواقع لا توجد مكتبة تضم تراث الشيخ طاهر الجزائري، أي كتبه ومخطوطاته التي جمعها في مكتبته، خلال مشواره العلمي والعملي.

وكما هو معروف عن الشيخ طاهر الجزائري، حبه الشديد للكتب والمخطوطات، فقد إستهوته هذه العملية- شراء الكتب النادرة والمخطوطات- منذ أن كان تلميذا فقد كان يشتري كل ما تقع عليه عينيه، من مطبوع أو مخطوط، وهذا من مصروفه اليومي، الذي كان يمنحه إياه، والده الشيخ صالح، ولا ننسى أيضا تنقلاته العديدة، في إطار عمله كمفتش للمعارف، أو للسياحة، جعله يجمع ثروة هامة في هذا المجال، حيث تجاوزت مكتبته آنذاك بضعة آلاف من المجلدات والمخطوطات، لكنها تبعثرت لأسباب كثيرة، كما هو معروف، فبعد تفتيش مترله في سنة 1902 من قبل السلطات التركية، وهو في مهمة بالقدس، توارى عن الأنظار مدة أربع سنوات، ورجع إلى دمشق خفية، وحمل معه أهم كتبه ومخطوطاته، واتجه إلى مصر، وخلال الثلاثة عشر سنة التي قضاها في مصر، كان يقتني نوادر الكتب والمخطوطات من حين لآخر، ولكن بسبب الحاجة والضرورة، ورفضه للمساعدات المادية من قبل أصدقائه، وحتى الراتب الشهري الذي منحه إياه خديوي مصر، نجده يبيع كتابا أو كتابين، من مكتبته، على أن يمد يده، وهذا لعزة النفس التي كان يتميز بها، ومع مرور الأيام، واشتدادها أيضا، باع مكتبته النفسية في القاهرة، إلى المكتبات العمومية، لكي تبقى كتبه ومخطوطاته في البلاد العربية الإسلامية، ولا تنتقل إلى البلاد الأوروبية، فقد باع جزءا إلى مكتبة دار الكتب، وجزءا إلى المكتبة التيمورية والمكتبة الزكية [2]، وجزءا وضعه في دار الكتب الظاهرية بدمشق، والآن أغلبية مخطوطاته، بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق، لقد كان الشيخ طاهر الجزائري صاحب مكتبة زاخرة ومتنوعة بحق[3].

---

[1] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 114

[2] نسبة إلى صديقيه أحمد تيمور باشا وأحمد زكي.

[3] أبو القاسم، سعد الله:: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص ص 385-386.

2.7- مؤلفاته :

نحاول في هذا العنصر، أن نشير إلى تآليف الشيخ طاهر الجزائري، المختلفة بصفة عامة، حيث سنتكلم عن مؤلفاته المطبوعة، المحققة والمخطوطة. فمؤلفاته، غزيرة ومتنوعة ومختلفة أيضا، شملت كل الميادين، من تفسير وعقيدة وفقه وحديث ولغة وتراجم وتربية وفلك وحساب، ومؤلفات مترجمة من الفارسية والتركية إلى اللغة العربية، ومن العربية إلى هذه اللغات .

وقد سار في أغلب تآليفه على طريق القدماء كما أشار إلى ذلك تلميذه محمد سعيد ألباني [1]، ولكن الشيخ طاهر حاول أن ينوع في طريقة تأليفه وهذا من خلال بعض مؤلفاته التي اطلعنا عليها، لأن الشيخ طاهر كان من دعاة التجديد ونبذ التقليد، ومؤلفات الشيخ طاهر المتنوعة، لا تتناسب إطلاقا مع علمه الواسع، لأن بعضها، ألفه في شبابه للناشئة وهذا لنفعها وسد الفراغ الموجود آنذاك في المكتبة العربية التي كانت تعاني فراغا رهيبا من الكتب المدرسية، فتأليفه صورة صادقة لمسار حياته والمهام العلمية والعملية التي أسندت إليه [2]. والشيخ طاهر لم ينقطع عن الكتابة والتأليف، منذ كان في سن طلب العلم، ونظرا لطول المدة التي قضاها في مجال التأليف والتنقيب عن الكتب، ساهم بشكل فعال في إحياء التراث العربي والإسلامي [3]. ولو عاش في بيئة مثل مصر، بعيدا عن الاضطهاد والقمع التركي، لتضاعف إنتاجه لا محالة وتنوع أيضا، فتأليفه لكتاب " توجيه النظر إلى أصول الأثر " دليل على ما نقول. ولكن إنتاجه الضخم والمتنوع في الظروف السيئة التي كان يعيشها في بلاد الشام، دليل كبير على صموده وصبره ومقاومته لشتى العراقيل، من أجل عمليته الإصلاحية التي تصدى لتحقيقها على أرض الواقع. [4]

لقد كانت الدواعي كثيرة، لتآليفه المختلفة، فقد ألف بعض كتبه لحاجة المدارس والناشئة، عندما كان مفتشا للمعارف، وألف كتبا تحقيقا لرغباته، ونجده أيضا يؤلف كتبا تحقيقا لرغبات بعض الناس، خاصة العلماء، ففي مصر اقترح عليه علماؤها تأليف كتاب في المقاصد، فقبل. وحقق لهم رغبتهم، وهو مخطوط" جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع ".[5] ومن خلال مخطوطاته [6] وآرائه نجده يشجع على التعريب والترجمة، وهذا دليل على معرفته الحقيقية لمفهوم التفتح على الحضارة الغربية [7]، فالترجمة عند الشيخ طاهر الجزائري، ضرورية، لتحقيق النهضة الحقيقية، ومن خلال بعض مخطوطاته، نجده يترجم آيات من القرآن الكريم إلى اللغة التركية [8]. وكذلك

---

(1) تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، ص 71

(2) محمد، كرد علي : كنوز الأحداد ، ص 27

(3) محمد، كرد علي : المعاصرون ، ص ص 274-275.

(4) محمد، كرد علي : كنوز الأحداد ، ص ص 29-30.

(5) طاهر، الجزائري : الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، تعليق محمد الصالح الصديق ص20.

(6) القائمة الكاملة لمخطوطاته الموجودة بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق في الملحق

(7) صالح، خرفي : " الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق " الثقافة ، ع 26. ص 10.

(8) يرجى الرجوع إلى المخطوط رقم 11652 بمكتبة الأسد الوطنية.

ترجم كتاب من اللغة التركية إلى اللغة العربية وهو موجه للأطفال، "منية الأذكياء في قصص الأنبياء."، ترجمه في سنة 1299هـ/1881م.

وهكذا نستنتج أن الشيخ طاهر الجزائري، كان همه الكتاب، سواء كان مطبوعا، محققا، مخطوطا أو مترجما، المهم بالنسبة إليه نشر التراث وتقديمه للقارئ العربي من أجل إحداث النهضة.

وكتبه المطبوعة هي كالتالي[1] :

1- إتمام الأنس في عروض الفرس. دمشق، 1321 هـ.

2- إرشاد الألباء إلى طريق تعلم ألف باء. بيروت، 1325هـ.

3- التمرين على البيان والتبيين، بيروت، 1325هـ.

4- تدريب اللسان على تجويد البيان. بيروت، 1325هـ.

5- بديع التخليص وتخليص البديع. دمشق، 1296هـ.

6- تسهيل المجاز إلى فن المعمى والألغاز. دمشق، 1303هـ.

7- تمهيد العروض إلى فن العروض. دمشق، 1304هـ.

8- توجيه النظر إلى أصول علم الأثر[2]. مصر، 1320هـ.

9- جدول الحروف العربية القديمة والحديثة والهندية واليونانية. دمشق، 1313هـ.

10- جدولان للحروف الشرقية والغربية ثم للخطوط السريانية. دمشق، 1901م.

11- الجواهر الكلامية في العقائد الإسلامية. دمشق، 1313هـ.

12- الجوهرة الوسطى. د-م، د-ت.

13- عقود اللآلي في الأسانيد العوالي. د-م، د-ت.

14- حدائق الأفكار في رقائق الأشعار. دمشق، د-ت.

15- دائرة في معرفة الأوقات والأيام. دمشق، د-ت.

16- الحكم المنثورة. مصر، د-ت.

17- رسائل في الخط العربي وأصوله. مصر، د-ت.

18- شرح خطبة الكافي (أصول اللغة ونشأتها). مصر، د-ت.

19- أشهر الأمثال. مصر، 1919م.

20- عمدة المغرب وعدة المعرب. دمشق، د-ت.

21- الفوائد الجسام في معرفة خواص الأجسام (طبيعيات). دمشق، 1300 هـ.

22- مدخل الطلاب إلى علم الحساب. دمشق، د-ت.

---

(1) يوسف أسعد، داغر : مصادر الدراسة الأدبية، ج 2، بيروت : مطابع لبنان، 1956. ص ص 265-267.

(2) هذا الكتاب عنوانه الأصلي: توجيه النظر إلى أصول الأثر، نشر سنة 1328هـ-1910م ولكن هنا الكاتب (يوسف أسعد داغر) وقع في خطأ عندما أضاف كلمة (علم) للعنوان، وجعل سنة 1320 سنة نشره !.

2 3- مد الراحة لأخذ المساحة. دمشق، 1310هـ.

2 4- منية الأذكياء في قصص الأنبياء [1]. دمشق ، 1299هـ.

2 5- ميزان الأفكار، شرح معيار الأشعار [2]. الهند، 1900م/1300هـ.

2 6- التقريب لأصول التعريب. مصر، 1919م.

بالإضافة إلى بعض الكتب التي لم يشر إليها (يوسف أسعد داغر)، تتمثل في كتاب: مبتدأ الخبر في مبادئ علم الأثر، وكتابي: التبيان الصادر في مصر سنة 1916، وكتاب : القرآن الصادر أيضا في مصر سنة 1919م.[3]

وحسب رأينا من الصعب، جمع كل كتب الشيخ طاهر الجزائري، بسب اختلاف أماكن طبعها، وقدم طبعاتها أيضا.[4]

أما الكتب التي قام الشيخ طاهر بتحقيقها، فهي كثيرة ومتنوعة، لأن هدفه بعث التراث العربي والإسلامي، فقد كان يشجع تلامذته في مجال تحقيق الكتب، وربما تعود علاقاته الكثيرة بالمستشرقين إلى إهتمامهم بكتب التراث الإسلامي، والشيخ طاهر الجزائري آنذاك أحد العلماء البارزين في مجال التحقيق، وكتبه المحققة هي كالتالي [5]:

1- الفوز الأصغر، لابن مسكويه.

2- شرح خطب، ابن نباته .

3- تفصيل النشأتين، للراغب الأصفهاني.

4- أمنية الألمعي ومنيه المدعي، لابن الزبير الأسواني.

5- كتاب الأدب والمروؤة، لصالح بن جناح.

6- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي.

7- الأدب الصغير، لابن المقفع.

8- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد، لابن ساعد الأنصاري.

9- مختصر البيان والتبيين، للجاحظ.

وقد قام أيضا بتصحيح كتاب " الحنين إلى الأوطان " للجاحظ، حيث أضاف إليه، وطبعه بمصر في سنة 1915.

---

[1] مترجم من اللغة التركية.

[2] الكتاب الوحيد الذي نشره خارج البلاد العربية، ربما بسبب مطاردة السلطات التركية له بعد تفتيش بيته سنة 1898م.

[3] سهيل، الخالدي : المرجع السابق ، ص 234.

[4] مؤلفات الشيخ طاهر الجزائري ، تحتاج إلى دراسة دقيقة مثل إعادة طبع كتبه المؤلفة والمحققة، والقيام أيضا بإحصاء جديد لمخطوطاته، وطبعها بعد تحقيقها، نتمنى من أصحاب الإختصاصات المختلفة القيام بهذا العمل.

[5] يوسف أسعد، داغر: المرجع السابق، ص 267.

ومن أهم المخطوطات التي تركها الشيخ طاهر الجزائري نذكر [1]:

1- التذكرة الطاهرية وهي في أكثر من 20 مجلدا، تبحث في نوادر المخطوطات، ومحل وجودها ومزاياها.

2- المعجم العربي.

3- التفسير الكبير (4 مجلدات مخطوطة).

4- السيرة النبوية.

5- مقاصد الشرع.

6- جلاء الطبع في معرفة مقاصد الشرع.

ويمكننا القول، أن مصنفات الشيخ طاهر الجزائري كثيرة ومتنوعة راعى فيها صاحبها احتياجات المجتمع آنذاك فقسم منها موجه إلى الناشئة بسبب ندرة الكتاب المدرسي فله السبق في هذا المجال وأيضا ساهم في بعث كتب من التراث لأهميتها في عصره، وعصرنا أيضا، أما مخطوطاته التي تجاوزت المائتين، فهي متنوعة، والتي ذكرناها سالفا تؤكد لنا إبداع الشيخ طاهر، وثقافته الغزيرة والمتنوعة، فهو موسوعي، يشبه علماء السلف، الذين لهم كلمة ورأي في كل العلوم والفنون، غير متقيدين بعلم دون آخر.

وإضافة إلى مصنفاته، تبقى مقالاته الكثيرة في الصحف المصرية، والسورية والبيروتية، بحاجة إلى جمع وتصنيف، وخاصة أن الشيخ طاهر كان يكتب في هذه الصحف الكثيرة، تحت أسماء مستعارة.[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] المرجع نفسه : ص ص 267-268 وللمزيد من المعلومات يرجى الإطلاع على الملحق في الأخير.

[2] أظن أن جمع كل مطبوع ومحقق ومخطوط ومقالات الشيخ طاهر الجزائري، يحتاج إلى عقد من الزمن، أو مجموعة من الباحثين المتخصصين، لأنه موزع بين مصر وسوريا، وفلسطين ولبنان وحتى في أوروبا وهذا لعلاقته بالمستشرقين.

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

دوره القومي و السياسي

1.- بدايات الشيخ طاهر الجزائري السياسية

2.- لقاؤه بمدحت باشا

3.- نشاطاته السياسية

4.- أثره في تكوين الجمعيات القومية و السياسية

1.4-حلقة دمشق الصغيرة

2.4- جمعية النهضة العربية

3.4- الجمعية القحطانية

4.4- جمعية العهد

5.4- جمعية الجامعة العربية

6.4- جمعية الشورى العثمانية

7.4- حزب اللامركزية الإدارية العثمانية

8.4- المؤتمر العربي الأول 1913

9.4- طلبة الشيخ طاهر الجزائري شهداء القضية العربية

5.- مواقفه السياسية

6.- انضمامه إلى الماسونية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-بدايات طاهر الجزائري السياسية:

لقد غلب على نشاط الشيخ طاهر الجزائري، النشاط التربوي والتعليمي بصفة عامة، ونظرا لإيمانه بهذه الرسالة ودورها الهام والخطير في آن واحد، على المجتمعات العربية والإسلامية نراه، يشارك في الأعمال السياسية بدور نقول عنه أنه محتشم، رغم إمكانياته وشهرته، وربما ولوجه عالم السياسة أسقطه في نظر الذين رأوا فيه مصلحا تربويا واجتماعيا. لكن مهما كان الأمر فإن الأيام والظروف، فرضت على الشيخ طاهر الجزائري، تحديد مواقفه السياسية من الوضع الراهن أنذاك، والذي يتميز على الخصوص بالاستبداد الحميدي، وبقاء البلاد العربية الخاضعة للأتراك في ظلام دامس وتخلف بالإضافة إلى التغلغل الكبير للجاليات الأوربية، التي عملت على تمهيد الطريق للاستعمار.

وفي خضم هذا الوضع، وبحكم موقع الشيخ طاهر الجزائري كرجل مثقف، لم يبق قابعا على نفسه، بل انخرط في العمل السياسي بطريقته الخاصة، ففي سنة 1878، أسس حلقة بدمشق عرفت بـ"حلقة دمشق الكبيرة " التي كانت بمثابة تجمع لأبرز رجالات بلاد الشام وشبابه، أمثال الشيخ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار، محمد كرد علي وسليم الجزائري، وغيرهم من الشخصيات البارزة أنذاك، فرغم أن هذه الحلقة كانت تدعو إلى العلم والتعليم ودراسة تاريخ العرب وتراثهم، إلا أنها كانت بالمقابل، تنشر أفكارهم السياسية بهدوء، نظرا للقمع التركي الذي حبس الأنفاس، و لم يسمح لهؤلاء العرب التحرك، والمطالبة بحقوقهم كبقية الشعوب[1].

وهذه النهضة الأدبية التي قام الشيخ طاهر الجزائري بوضع لبناتها الأولى في بلاد الشام، ستساهم لا محالة في ظهور نهضة فكرية وقومية تطالب بحقوق العرب وضرورة إقامة الدولة العربية المستقلة عن الدولة التركية، لأن الحركات الفكرية كما نعرف هي التي تمهد الطريق للحركات السياسية القومية.[2]

وربما الشيء الذي أكسب الشيخ طاهر الجزائري، موقعا سياسيا ودورا قوميا هو تحرره الفكري، فهذه الميزة، جعلت عددا من رموز الفكر والسياسة العرب يلتحقون بالحلقة التي أنشأها وبذلك يساهمون في دفع الشيخ طاهر إلى الأمام، ومن أبرز هؤلاء السياسيين، الأمير شكيب أرسلان[3] وقد ضمت حلقته أسماء جزائرية كالشيخ المرتضي الحسني والشيخ محمد البشير الإبراهيمي وغيرهم[4]، وظروف الاستعمار الفرنسي هي التي جعلتهم يهاجرون إلى المشرق ، وفي هذا الموقف لا أظن أن الشيخ طاهر الجزائري سيبقى يؤكد لهم أهمية العلم ، بل ساهم في توعيتهم من أجل قضية بلادهم الجزائر ، موطنه الأصلي. وهذا لا يكون إلا بنشر الأفكار السياسية. ومع مرور الأيام أصبحت لحلقة الشيخ طاهر الجزائري علاقات برجال " تركيا الفتاة"، لأن

---

(1) مصطفى، الشهابي: المرجع السابق . ص ص 49-51. وأنظر أيضا : سهيل، الخالدي: المرجع السابق ص 14

(2) ماجد، فخري : دراسات في الفكر العربي، بيروت: دار النهار للنشر، 1970، ص 221

(3) محمد، الأرناؤوط : المرجع السابق، ص 75

(4) صالح، خرفي: " الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق" الثقافة، ع26، ص 13

الجميع يئن ويشتكي من تسلط السلطان عبد الحميد الثاني وجواسيسه ولرفع هذا الظلم والقمع، كان العمل المشترك بين أحرار العرب وأحرار الأتراك.[1]

لقد كان الهدف البعيد من الحلقة وأفكارها هو بعث الأفكار القومية العربية ومطالبة الدولة العثمانية بنظام لا مركزي، يسمح للعرب بحكم أنفسهم دون الرجوع إلى استانبول، في كل صغيرة وكبيرة من شؤونهم،[2] وكان الشيخ طاهر الجزائري من حين لآخر، يندد بالاستبداد التركي علانية خاصة ولا تهم حيث ينتقد سوء تسييرهم، ويدعوهم إلى العدل والنظام، حتى أتهم بأنه يدعو إلى استقلال سوريا عن السلطنة العثمانية،[3] ورغم هذا الجو المشحون بالتوتر والدسائس، بقي الشيخ طاهر يناضل بقلمه ولسانه لتحقيق أمنيته فبواسطة الثقافة، تنضج الأفكار السياسية، ويمكن في ذلك الوقت الجهر بالمطالب القومية العربية، لأن المجتمع يكون مستعدا لتقبل فكرة الاستقلال ولو بالثورة الدموية!.

وهكذا يمكن لنا القول، أن البدايات السياسية للشيخ طاهر الجزائري، كانت هادئة وعفوية أيضا، لم تتميز بالثورية والانخراط في العمل السري، بل كانت حلقته العلمية، التي كانت تهدف إلى نشر الثقافة والتراث العربي ودفع الهمم لذلك، هي الأساس الذي انطلقت منه مواقفه السياسية وهذا باحتكاكه بالكثير من رجال القومية والعروبة أمثال الأمير شكيب أرسلان، وتميزت الفترة التي بدأ يبرز فيها نجمه بأحداث سياسية هامة، لا يمكن لأي مثقف أن يبقى بعيدا منعزلا عن تلك الأحداث، مثل الحرب الروسية- العثمانية 1875-1877م، وانعقاد مؤتمر برلين الأول في سنة 1878م، وقبله الوحدة الألمانية1871م واحتلال تونس1881م من قبل فرنسا ثم سيطرة بريطانيا على مصر سنة 1882م. ووجود الأمير عبد القادر في دمشق. وغيرها من الأحداث، كلها ساهمت شيئا فشيئا في بناء شخصية الشيخ طاهرالجزائري السياسية والتي كانت نموذجا فريدا، فالشيخ طاهر سيكون الرجال، وقود الحركات السياسية التي عرفتها البلاد العربية في بداية القرن العشرين، فهو يؤمن بمبدأ التريث والتخطيط البعيد، لتحقيق الهدف الدائم، وكأنه يسير على طريق القائد الروماني " فابيوس " "fabius ".[4]

ويشهد التاريخ أن أغلبية أعضاء حلقة الشيخ طاهر الجزائري هم الذين تزعموا النهضة العربية الحديثة الثقافية والسياسية في القرن العشرين.[5]وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على طريقة الشيخ طاهر السياسية، وهذا بحكم استقرائه لظروفه وظروف المنطقة العربية.

---

(1) ناجي،علوش: الحركة القومية العربية(نشأتها، تطورها، اتجاهاتها)، ط 1، بيروت: دار الطليعة، 1975، ص 25.

(2) نادية، طرشون: المرجع السابق، ص 179

(3) سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 114

(4) فابيوس كانتوس fabius' : قائد روماني شهير، كان يحقق إنتصاراته بالصبر والتأني وكان عدو الاندفاع ولذلك كان ينجح دائما، وهذا الأسلوب أصبح يستخدم من قبل الأفراد والأحزاب لتحقيق غاياتهم.

(5) محمد عبد الرحمان، برج: المرجع السابق، ص 87

2-لقاءه بمدحت باشا :

من أكبر المحطات الهامة في تاريخ الشيخ طاهر الجزائري وحتى في تاريخ النهضة العربية الحديثة ، هو لقاء الشيخ طاهر وتعاونه مع مدحت باشا واليي سوريا (1878-1880م)، إنه لقاء الأدب والفكر والإصلاح، بالسياسة والسلطة ، ولقاءهما إنجر عليه انعكاسات هامة على مجرى الأحداث، خاصة الثقافية في بلاد الشام، وكان للشيخ طاهر الجزائري، الفضل الكبير في توجيه السلطة أي الوالي (مدحت باشا) نحو هدفه وهدف كل المصلحين الذين يسعون في تحقيقه، وهو انتشال المسلمين من سقطهم وتخلفهم ودفعهم إلى التقدم والحرية.

ويمكن لنا القول أن لمدحت باشا دور بارز وخطير في بروز الشيخ طاهر على مسرح الأحداث، فقد أعطاه فرصة للعمل والإصلاح، وخوله سيف الحكومة في ذلك ربما لم تتوفر لغيره من المصلحين، وهذه ميزة إيجابية للشيخ طاهر، فقد استطاع استغلال السلطة، لأغراض نبيلة نقصد بذلك الإصلاح والعمل الخيري، الذي ينقص مجتمعه آنذاك، وقبل الحديث عن لقاء المصلحَين ودورهما معا في نهضة بلاد الشام، نتكلم قليلا عن الوالي مدحت باشا، وهذا لدوره في حياة الشيخ طاهر وفي الشهرة التي عرفها أيضا، ولا يمكن لمنصف درس حياة الشيخ طاهر الجزائري أن يغفل دور مدحت باشا وأثره في مسار الشيخ طاهر.

ولد مدحت باشا في سنة 1238هـ /1822م في إستانبول، كان أبوه الحاج حافظ محمد أشرف قاضيا شرعيا، عرف بالاستقامة والميل إلى التجديد والإصلاح، أدخله والده إلى الديوان الهمايوني وعندما تخرج اختير له اسم مدحت، الذي اشتهر به، لأن اسمه الحقيقي أحمد شفيق .وقد درس مدحت اللغة العربية وآدابها، ودرس البلاغة، المنطق، الفقه والحكمة، وأتقن أيضا اللّغة الفارسية ومن أساتذته " عارف بك " [1] وهو عالم مستنير من الداعين إلى الإصلاح والمبادئ الدستورية الحرة. [2]

ومما زاد في تكوين مدحت باشا، تنقلاته العديدة مع والده، حتى استقر نهائيا في استانبول سنة 1836، فهذه التنقلات ساعدته على معرفة البلاد العثمانية وأحوالها وظروف حياتها، وفتحت له أبواب العمل، بعد دخوله سكرتارية الصدارة العظمى في استانبول، حيث شغل مناصب كثيرة ومختلفة في البلاد العثمانية، كولاية الشام التي حكمها في الأربعينات، وبحكم هذه الوظائف، اطلع على خبايا الأمور في السلطنة العثمانية. [3]

وقد ساهمت زيارته لأوروبا في تكوينه، حيث طاف بأهم عواصمها، لندن، باريس، فيينا، بر وكسل، وقد درس العلوم السياسية والنظم المختلفة، وتعلم أيضا اللغة الفرنسية رغم كبره وبالتالي امتزجت الأفكار في ذهنه ، وتنوعت ثقافته، وكان لايعرف ولا يتقن أبدا فن المجاملات وحادا في طبعه، وهذا التكوين هو الذي سلهم في

---

(1) عارف بك : هو عارف حكمت (1786 -- 1859) شاعر تركي ، شيخ الإسلام في سنة 1845، له ديوان بالعربية والتركية والفارسية.راجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص 362.

(2) قدري، قلعجي : مدحت باشا ، ط 3. بيروت : دار العلم للملايين، 1958، سلسلة أعلام الحرية رقم 3، ص ص 8-9.

(3) جرجي، زيدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر. ج1. بيروت : دار مكتبة الحياة ، (د-ت) . ص ص 441-443.

قوة شخصيته[1]. وقد تمتع مدحت باشا بموهبة عظيمة في الإدارة والتسيير، فهو في كل ولاية تولى شؤونها، إلا وترك بصماته جلية خاصة بين الرعية،فالولاة في زمانه يوجهون جهودهم إلى نهب الدولة وإذلال الرعية، وخدمة أنفسهم وحاشيتهم، لكن مدحت باشا بحكم ثقافته كان هدفه في كل ولاية يحكمها، خدمة الوطن والمصلحة العامة، فعندما تولى بغداد في سنة 1870م بادر إلى توليد الأمن بنفسه، مجابها المخاطر وقام أيضا بإصلاحات كثيرة في جميع الميادين، فقد أنشأ أول مطبعة في بغداد، وأصدر بها جريدة " الزوراء" [2] كما أنشأ أول شركة " ترامواي" في الولايات العثمانية، تربط بين بغداد والكاظمية.[3]

وفي عهد السلطان عبد العزيز (1861-1876م)تم تعيين مدحت باشا صدرا أعظم، خلفا لمحمود نديم، لكنه لم يلبث في منصبه هذ إلا خمسة وسبعين يوما، بسبب رفضه مهادنة السلطان والانصياع لأوامره [4]وهذه التجربة الهامة أكدت لمدحت باشا، بأن طريق الإصلاح طويل وصعب، ويحتاج إلى الدهاء والتخطيط الدقيق، ولتحقيق ما يصبوا إليه، قام مع مجموعة من رفاقه بخلع السلطان عبد العزيز، وتنصيب مراد سلطانا (1840-1904)، الذي لم يستقر في الحكم إلا بعض الأشهر ، وألف مدحت باشا مجلس للشورى، يهدف من ورائه إعلان الدستور، ولكن السلطان الذي اختير لتحقيق هذا الهدف أصيب بالجنون، فعزل وعوض بالسلطان عبد الحميد الثاني في 30 أوت 1876م و الذي كان له شأن كبير داخل وخارج الدولة العثمانية!. [5]

ولمكافأة مدحت باشا على مجهوداته، عينه السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) في 19 أكتوبر1876 صدرًاأعظم، ولقي هذا التعيين القبول والترحيب من الغيورين على الإصلاح . وفي 12 ديسمبر 1876، أعلن عن الدستور الذي يتكون من 140 مادة [6] ،وقال مدحت باشا بخصوص الدستور[7] : " لقد نلنا بنعمة الدستور حقوقا جديدة . إن الدستور سراج منير سيرشدنا ويهدينا إلى الكمال الحقيقي ..."

وكان مدحت باشا ، يظن أنه بواسطة الدستور، يستطيع تنظيم الحياة السياسية ويضع حدا لاستبداد السلاطين العثمانيين، ولكنه بالطبع انخدع بالمظهر المسالم والمهادن للسلطان عبد الحميد الثاني، وفي 18 جانفي 1877م، رفع مدحت باشا تقريرا إلى السلطان، يوضح له الغرض من الدستور ويذكره بواجباته وصلاحياته المخوله له ، لكن نشأة السلطان عبد الحميد الثاني في الإستبدادية، لم تغيرها الظروف فقد أصدر قرارا في 24 جانفي 1877م، يعزل فيه مدحت باشا من الصدارة وينفيه أيضا وحينذاك، قال مدحت باشا: أعان الله وطني.

---

(1) أحمد، أمين : المرجع السابق، ص ص 40-41.

(2) الزوراء : أنشأها الوالي مدحت باشا ، صدر العدد الأول منها في 16 جوان 1869 واستمرت تصدر بانتظام مدة 49 عاما أي إلى غاية دخول الجيش البريطاني بغداد في 11 مارس 1917 . راجع : عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ط2، ج3، ص 605.

(3) قدري، قلعجي : المرجع السابق، ص ص 12-14.

(4) المرجع نفسه: ص 22.

(5) المرجع نفسه : ص ص31-42.

(6) المرجع نفسه : ص ص 45 – 56.

(7) المرجع نفسه : ص 56.

حتى أن الملكة فكتوريا [1] عندما سمعت بخبر عزل مدحت باشا من الصدارة العظمى قالت :يظهر أن الأتراك يستعدون للانتحار، لأنها كانت على اطلاع بما يجري داخل الدولة العثمانية، وتعرف مكانة مدحت باشا الثقافية والسياسية[2].

وهكذا نلاحظ أن كل إصلاح داخل الإمبراطورية العثمانية، في تلك الفترة وحتى التي سبقتها، كان يجابه وينظر إليه على أنه فتنة، قد تهز أركان الإمبراطورية فكان لسان حال المعارضين لكل إصلاح مهما كان نوعه : سلطان غشوم (ظلوم) ، خير من فتنة قد تدوم[3] وهذا طبعا لتخويف العامة من الناس من الانقياد للأفكار الإصلاحية. وخلال نفيه زار مدحت باشا نابولي بإيطاليا، ثم إسبانيا، فرنسا، بريطانيا، والنمسا، وفي كل مكان يقف على ما وصلت إليه تلك البلدان من تقدم وتطور، ووطنه في تراجع وتطور إلى التخلف والانحطاط.

ونضيف هنا أنه في 13 فبراير 1878م، قام السلطان عبد الحميد الثاني بحل المجلس النيابي، وإلغاء الدستور مؤقتا، بسبب ظروف تلك الفترة أي الحرب التي أعلنتها روسيا على الدولة العثمانية، و لم يعمل بالدستور بعد ذلك إلا بعد مرور ثلاثين عاما.[4]

وكانت آمال مدحت باشا معلقة على الإصلاح كوسيلة مثلى، لتغيير الظروف التي تعيشها السلطنة آنذاك، فالتبذير منتشر على كافة المستويات والمناصب تباع وتشترى من الصدر الأعظم، بالإضافة إلى تذمر المسيحيين داخل الدولة العثمانية ، وشعورهم بالتمييز الممارس ضدهم وانعدام حريتهم ، وحتى المسلمين كانوا يرون أنفسهم خاضعين، وفاقدين لحريتهم أمام العنصر التركي بصفة خاصة ، وحاول مدحت باشا إصلاح ما يمكن إصلاحه، ولكن التيار كان يسير عكس توجهاته والمرض قد تفشى واستعصى علاجه. [5]

وربما توجهات مدحت باشا الإصلاحية ، قد تعود إلى تأثره الكبير بمدنية الغرب الحديثة ، سواء عن طريق ثقافته وعلمه، أو وقوفه على إنجازاتها، خلال زياراته الكثيرة إلى أوروبا ، فقد أراد أن يتخذ من أسباب تقدمها ، أساسا لإصلاح الدولة العثمانية. [6]ولكنه أهتم بالبدع والعمالة وعلى الخصوص المساس بالخلافة الإسلامية كمؤسسة مقدسة لا ينبغي له ولا لغيره مناقشة وضعها .

وفي الأخير رق قلب السلطان عبد الحميد الثاني ، الذي لا يعرف في حقيقة الأمر أية شفقة، رق على مدحت باشا وعينه واليا على سوريا ، التي كانت تعتبر من أصعب الولايات العثمانية ، فمشاكلها معقدة

---

[1] الملكة، فكتوريا : (1819-1901) ملكة بريطانيا في سنة 1837، وإمبراطورة الهند في سنة 1876. راجع : المنجد في اللغة والأعلام . ص416.

[2] قدري، قلعجي: المرجع السابق، ص ص 66-70

[3] أحمد، أمين : المرجع السابق، ص 47.

[4] قدري، قلعجي : المرجع السابق، ص ص 73-77 .

[5] أحمد، أمين : المرجع السابق، ص ص 48-53.

[6] زاهية، قدورة : تاريخ العرب الحديث، بيروت : دار النهضة العربية، 1985، ص 233.

وكثيرة بكثرة الطوائف، ففرنسا تتخذ من الموارنة ذريعة للتدخل في لبنان ، وبريطانيا لها مصالح مع الـــدروز ولكل دولة مسيحية مصالح في تلك المنطقة من العالم، حيث كانوا يتنافسون في بناء المدارس والكنائس.[1]

وعندما علم سكان الشام بتعيين مدحت باشا ، استبشروا خيرا، فهم لم ينسوا أبدا إصلاحاته التي قام بها في الأربعينات ، مثل إنشائه لمدرسة الصنائع والفنون ، ومدرسة للأيتام ، وكذلك فتحه للشوارع، ونشـره الأمن في ربوع الولاية وتمهيد الطرق، وإطلاق الحرية للناشرين ، ونشر الكتب والمطبوعات وتشجيع الكتـاب والأدباء والشعراء ، فقد تألفت في عهده الجمعيات السياسية والعلمية، ولكن سياسة القمع والقسوة التي اتبعها السلطان عبد الحميد الثاني وجواسيسه، شلت يد مدحت باشا و لم تتركه يحقق آمالـــه الإصلاحيـــة[2] لأن مدحت باشا يمثل الحاكم المتفتح والمصلح المؤمن بالتطوير والتقدم ونبذ التقليد ، و في كل قطـــر حكمـــه إلا وترك فيه بصماته شاهدة على إيمانه بالإصلاح وسيلة مثلى لتقدم المسلمين.[3]

والآن نصل إلى لقاء هذا الرجل المصلح، بالشيخ طاهر الجزائري الذي كان ينشط في حقل التعليـــم والتربية، فقد كان للشيخ طاهر صداقة متينة مع رئيس ديوان الولاية و هو شاب تركي يدعى بهاء الدين بك، الذي كان شديد الإعجاب بالشيخ طاهر وبمجهوداته، خاصة في مجال الإصلاح التعليمي، فلم يتأخر وقدمـــه إلى الوالي مدحت باشا، لعله يجد فيه ما يصبوا إليه لأن الوالي كان بحاجة إلى رجال مصلحين، يشدوا عضده، وبالفعل حدث التفاهم بين الرجلين من أول لقاء حيث إتفقا على سبل الإصلاح في الدولة العثمانية، وطـرق تحقيق نهضة المسلمين ووضع الوالي مع الشيخ طاهر مخططا للإصلاح الشامل، يشمل دمشق وســـائر بـــلاد الشام، وطلب الشيخ طاهرمن الوالي تدعيم الجمعية الخيرية في أعمالها ونشاطاتها، وكما معلوم أن الجمعيـــة تأسست قبل مجيء الوالي مدحت باشا وضمت علماء وأعيان من دمشق، مـــن أبرزهـــم الشـــيخ طـــاهر الجزائري،و لم يمانع الوالي وأمد الجمعية بالإمكانيات اللازمة لمواصلة نشاطها المتمثل، في نشر العلم والتعليـــم، وأخذ أعضاء هذه الجمعية في توعية الناس، وحثهم على العمل والعلم و في وقت وجيز استطاعت الجمعيـــة تحقيق المخطط الذي رسمه الشيخ طاهر الجزائري مع الوالي مدحت باشا، وهكذا يمكن لنا القـــول، أن هـــذه الجمعية قد أسست للنهضة العلمية الحديثة في بلاد الشام.[4]

ومن نشاطات الجمعية الخيرية، قيامها بافتتاح مدرستها الأولى في 5 فبراير 1879م والذي أعتبر يومـــا مشهودا في تاريخها، ثم توالت بعد ذلك عملية افتتاح المدارس، ودخول التلاميذ بالعشرات، ومطالبة المواطنين بالمزيد من المدارس. لتعليم أبنائهم، ولأهمية تعليم البنات إفتتحت مدارس خاصة بهن، ولما رأى مدحت باشـــا ما حققته الجمعية الخيرية في مدة قصيرة، تأكد له الدور الهام الذي لعبه الشيخ طاهر في ذلك، فقام بتعيينـــه

---

[1] أحمد، أمين : المرجع السابق، ص 70.

[2] زين نور الدين ، زين : نشوء القومية العربية (مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية-التركية)، بيروت: دار النهار للنشـــر، 1968، ص 59.

[3] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 103

[4] المرجع نفسه: ص ص 105-106

مفتشا عاما للمعارف في ولاية سوريا، ونظرا لأهمية المنصب وحساسيته، فقد قام الشيخ طاهر ببذل مجهودات جبارة، لإنجاح عملية التعليم، فقد كان يقدم الإرشادات والنصائح للمعلمين، ويؤلف الكتب المدرسية في مختلف العلوم والتخصصات للمعلمين لأداء مهمتهم وللناشئة أيضا، فقد كانت المكتبة العربية أنذاك خالية من هذه الكتب المتخصصة، ومؤلفاته تبقى شاهدة على ذلك مثمنة عمله.[1]

ويعود سبب دعم الوالي مدحت باشا للجمعية الخيرية، ولمجهودات الشيخ طاهر الجزائري، ومنحه سلطات واسعة في قطاع التعليم، هو دهشته الكبيرة عندما حل بسوريا، حيث وقف على الجهل المنتشر بين المسلمين عكس النصارى،فآل على نفسه تصحيح هذا الخطأ وفكر في تعليم أبناء المسلمين وإصلاح المدارس، وشكل لذلك الجمعيات وفتح المدارس، وأصلح المساجد وجعلها مدارس يؤمها التلاميذ، بل وصل به الأمر إلى وضع عقوبات للأباء الذين لا يرسلون أبناءهم البالغين السادسة من عمرهم إلى المدارس.[2] وهذا يدل على إجبارية التعليم التي كان الشيخ طاهر قد دعا إليها وهذا بحمل الأباء على تعليم أبنائهم كما أشرنا إلى ذلك في الفصل الثاني. وحث مدحت باشا سكان بيروت على إنشاء جمعية المقاصد الخيرية وجمعية زهرة الإحسان، فهو يدرك مخاطر التنصير والإرساليات في لبنان،[3] وهكذا نلاحظ التعاون الكبير بين المصلحين، الشيخ طاهر والوالي مدحت باشا، و لم يتوقف التعاون على نشر التعليم وبناء المدارس، بل سمح الوالي للشيخ طاهر بتأسيس مكتبة عامة، تحولت فيما بعد إلى المكتبة الظاهرية الموجودة بدمشق حيث أمده بالقوة المعنوية والمادية، خاصة في جمع الكتب والمخطوطات لها.[4] ومع مرور الزمن أصبحت من أهم مكتبات المشرق العربي، وقبلة للباحثين والطلاب،فقيمة المكتبة ليس في عدد كتبها ومخطوطاتها وإنما تكمن قيمتها الحقيقية في احتوائها لنوادر المخطوطات التي لا نجد لها أثرا في المكتبات الأخرى.[5]

إن وجود المصلحين معا جنبا إلى جنب، قد ساهم في عملية الإصلاح بشكل كبير في دمشق، وكل ربوع بلاد الشام، فالشيخ طاهر الجزائري، لم يترك هذه الفرصة تمر دون أن يحقق آماله، وهو نشل العرب من تخلفهم الثقافي ودفعهم إلى اليقظة والنهضة واللحاق بالأمم الراقية، وهذا لا يكون إلا بسلاح العلم.[6]

إن عملية الإصلاح التي شرع فيها الوالي مدحت باشا بمعية الشيخ طاهر الجزائري، لم تكن سهلة، وتلقى الترحيب والمساندة. من السلطان وحاشيته، بل كانت الشكوك تحوم حوله، والجواسيس يترقبون زلاته، أو ليس مدحت باشا هو واضع الدستور، وصاحب القرارات الحاسمة في تاريخ الدولة العثمانية، هذه الأعمال التي قام بها، جعلت السلطان عبد الحميد الثاني، لا يطمئن إليه إطلاقا ولا إلى مقربيه وعندما جاءت الفرصة

---

(1) المرجع نفسه: ص ص 106-108

(2) أحمد، أمين :المرجع السابق، ص 70

(3) قدري، قلعي : المرجع السابق، ص 75

(4) عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية و الوعي، ص 155

(5) محمد، كرد علي: خطط الشام، ج 6، دمشق: مطبعة المفيد،1347هـ/1928م،ص 205

(6) محمد عبد الرحمن، برج: المرجع السابق، ص 84

أزيح مدحت باشا من منصبه، وعين واليا على أزمير، ولكن الشيخ طاهر بقي في منصبه مع الوالي الجديد ينفذ المخطط الإصلاحي الذي رسمه بمعية مدحت باشا[1]. وقد عزل من منصبه بتهمة التعامل مع بريطانيا، لفصل سوريا عن الدولة العثمانية،[2] وهذا ظلم واتهام باطل، فقد عاش وتربى في القصر وبين دواوين السلطنة، فكيف يعمل على تجزئتها،ويوجد من يعتقد أن بريطانيا لها دور في تعيين مدحت باشا واليا على سوريا وهذا لحيوية المنطقة بالنسبة لها.[3] ونضيف هنا شيئا ، أن مدحت باشا كان من المعجبين ببريطانيا ونظامها البرلماني.[4] وربما قد أثر في صديقه الشيخ طاهر، الذي هو شديد الإعجاب بالإنجليز وتربيتهم وسياستهم، ولكن مهما كان الأمر، لا يعتبر هذا سببا لعزل مدحت باشا من ولاية سوريا وتعيينه على ولاية أخرى، بل خوف السلطان وحاشيته، من الوعي الذي بدأ ينتشر في البلاد العربية، بسبب الإصلاحات الثقافية التي كان ينفذها الشيخ طاهر بمؤازرة من الوالي مدحت باشا.

وبعد نقل مدحت باشا إلى أزمير في نهاية سنة 1880م أتهم بالجنون، ثم ألصقت به تهمة قتل السلطان عبد العزيز، وحكم عليه بالإعدام، لكن السلطان عبد الحميد الثاني غير الحكم بنفيه إلى الحجاز وتوفي في 10 أفريل 1883م في السجن بالطائف، وقيل مات مقتولا.[5]

ولا نترك هنا الفرصة تمر دون أن نشيرأنه خلال حكم مدحت باشا، لولاية سوريا ظهرت قصائد تحرض العرب على الاستقلال عن الدولة العثمانية، وأيضا ظهرت مناشير في سنة1880م، تطالب بالاستقلال وتندد بالقمع التركي[6] ونحن هنا لا نقول أن الوالي وراء هذه المطالب، ولكن عهده الذي تميز بنشر الثقافة والتعليم بين الناس، ودور الشيخ طاهر في ذلك من جهة، ودعم الوالي لدور النشر والشعراء، ومنحهم مجالا كبيرا من حرية الرأي هو الذي ساهم في انتشار هذه الأفكار المضادة للدولة العثمانية، ومن أبرز هذه القصائد السينية الشهيرة لإبراهيم اليازجي[7] المعروفة بـ " دع مجلس الغيد الأوانس" وكذلك قصيدته الشهيرة :

---

[1] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 109

[2] أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص ص 35-38

[3] عبد الرؤوف، سنّو: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881، ط1، بيروت: بيسان للنشر والتوزيع، 1998، ص72

[4] أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص ص35-38

[5] قدري، قلعجي: المرجع السابق، ص ص 81-105

[6] زين نور الدين، زين : المرجع السابق، ص ص 62-63

[7] إبراهيم اليازجي : هو ابن الشيخ ناصيف اليازجي، ولد في 2 مارس 1847 ببيروت درس على يدي والده، ثم في المدرسة البطريكية في بيروت، ثم انتقل إلى مصر واكب على المطالعة، درس الفقه الحنفي، أحب الشعر، وأصبح في عصره حجة في اللغة وإمام في الإنشاء، إشتغل في الصحافة، وأنشا المجلات وأنشأ جريدة" النجاح" من مؤلفاته: المترادف والمتوارد... وكتب في مختلف العلوم، توفي في سنة1906 . راجع : حنا، الفاخوري: المرجع السابق، ص 1058. وجرجي، زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية،ج4، ص ص 428-429، و عيسى ميخائيل، سابا: الشيخ إبراهيم اليازجي(1847-1906). دار المعارف، (د-م)، سلسلة نوابغ الفكر العربي، 1955، رقم 14، ص ص 13-14

تنبهوا واستفيقوا، وكذلك الميمية الشهيرة في مدح العرب، وكانت هذه القصائد سرية، يتناقلها الناس والقوميون خوفا من بطش وقمع الأتراك.ومما جاء في قصيدته الميمية ما يلي: [1]

سلام أيها العرب الكرام وجاء ربوع قطركم الغمام
لقد ذكر الزمان لكم عهودا مضت قدما فلم يضع الذمام
وما العرب الكرام سوى نصال لها في أجفن العليا مقام
لعمرك نحن مصدر كل فضل وعن آثارنا أخذ الأنام
ونحن أولوا المآثر من قديم وإن جحدت مآثرنا اللئام
فقد علم العراق لنا قديما أيادي ليس تنكرها الشام
وفي أرض الحجاز لنا فيوض يسيل لها إلى اليمن انسجام
وفوق الأندلوس لنا بنود لهامات النجوم لها إعتمام
وسل في الغرب عن آثار فخر لها في جبهة الزمن ارتسام
ولسنا القانعين بذكر هذا وليس لنا بعروته اعتصام
ولكنا سنجهد في المعالي إلى أن يستقيم لها قوام.

وهذه القصائد القومية والمناشير السرية، التي تدعوا العرب إلى الاستقلال والتخلص من السيطرة التركية، ساعدها بلا شك الجو السياسي، الذي يعود الفضل فيه إلى الوالي مدحت باشا، الذي آمن بالتحرر والتطور، وأيضا الجو الثقافي السائد الذي كان رائده بلا منازع الشيخ طاهر وبعد عزل مدحت باشا تعرض أصحابه ومقربيه أمثال الشيخ طاهر الجزائري للمراقبة، فقد ألغيت وظيفة مفتش المعارف،لأن السلطة التركية في استانبول لا يروق لها أن ترى نهضة عربية تقوم بإمكانياتها، ولزم الشيخ طاهر بيته منتغلا بين المطالعة والتأليف، وكان يسافر من حين لآخر متنقلا داخل البلاد العربية والعثمانية والأوربية يجتمع بالعلماء والمفكرين، ويتحلق حوله جمع من علماء الشام، كالشيخ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار، وشباب كثيرين متعطشين للثقافة العربية، كان يزرع في لقاءاته بذور الإصلاح والوعي القومي.[2] وفي سنة1898م عرضت على الشيخ طاهر مهمة " مفتش دور الكتب العامة" فقبلها وإنطلق في عمله الجديد، لعله يستطيع ربط هذه المهمة، بوظيفته الأولى، فهو لم يعرف الكسل ولا الملل، ومتأكد بأن طريق الإصلاح طويل وشاق أيضا، بقي في منصبه هذا أربع سنوات،[3]وتوارى عن الأنظار في سرية تامة عندما أحس باستهداف الأتراك

[1] لويس ، شيخو: الآداب العربية في القرن 19م، ج2، (1870-1900). بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1910، ص ص 38-37

[2] محمد مطيع، الحافظ ونزار، أباضة: المرجع السابق، ص 369

[3] عدنان، الخطيب : المرجع السابق، ص 111

لشخصه،وفر بعد ذلك إلى مصر قلعة الأحرار، وواصل مجهوداته الإصلاحية وأعلن عن مواقفه السياسة صراحة، فأيدي الأتراك بعيدة عنه.

3-نشاطاته السياسية:

في الحقيقة لا يمكننا تحديد السنة التي إنخرط فيها الشيخ طاهر الجزائري في العمل السياسي بصفة فعلية، ونقصد بذلك إعلان مواقفه الرافضة للاستبداد التركي، والقمع المسلط على العرب، لأن الشيخ طاهر الجزائري بدأ العمل الإصلاحي مبكرا قبل مجيء الوالي مدحت باشا إلى ولاية سوريا، ولا يمكن لنا ولا لأي أحد أن يفصل العمل الثقافي التربوي عن العمل السياسي فيوجد تداخل كبير وما العمل التربوي التعليمي إلا تعبير عن مواقف سياسية، إن إهمال الدولة العثمانية للتعليم والثقافة خاصة في البلاد العربية، ولدت لدى الشيخ طاهر الجزائري، شعورا بأنه وراء هذا الإهمال يد تركية ومخطط له بحكمة، فالدولة العثمانية وسلاطينها يعون جيدا معنى قيام نهضة ثقافية حقيقية في الولايات العربية، لهذا فمحاربة الشيخ طاهر للجهل، هو في الحقيقة رفض للحكم التركي المتعفن الضعيف من جهة والمستبد من جهة ثانية. ولكن مع التقاء الشيخ طاهر بالوالي مدحت باشا، وولوجه عتبات دواوين الحكم،بدأ خطواته الفعلية في عالم السياسة وبالتالي وضع خطوات في طريق الحركة القومية العربية، التي كانت في بدايتها الأولى لم تعرف بعد النضج الكامل.[1] فقد أصبح الشيخ طاهر، ينتقد علانية حكومة الأتراك، وتقصيرها في حق العرب وزادت انتقاداته لها بعد إقالة الوالي مدحت باشا من منصبه في سنة 1880م، وزيادة الظلم والقمع التركي،وأنذرها بالانقراض لأعمالها القمعية، وزاد في كراهيته للأتراك بعدما ضغطوا على الأفكار الحرة، وعرقلوا العملية التعليمية مستهدفين بذلك العقل العربي لكي لا يفكر في التحرر ورفع الظلم المسلط عليه.[2]

إن الشيخ طاهر الجزائري إختار أنسب الطرق في نشاطه السياسي وهذا بحكم ثقافته الواسعة وشخصيته المعروفة آنذاك.

والإنتقادات التي كان يوجهها والمواقف المختلفة التي كان يبديها، جعلته محل مراقبة ومطاردة من جواسيس السلطان العثماني ومن ولاة سوريا، فقد كان إلى جانب اختصاصه الأول، أي رجل الإصلاح التربوي والتعليمي، رجلا سياسيا يحمل هموم الأمة العربية والإسلامية، يدافع عنها ويعمل من أجل حريتها السياسية بمختلف الطرق.[3] فقد كان ينتقد سياسة السلطان عبد الحميد الثاني علانية منددا باستبداده، مما جعله عرضة للمتابعة كما أشرنا إلى ذلك، وقد كانت داره محل تفتيش من الأمن التركي في العديد من المرات وهو لا يأبه بذلك،[4] وربما جزائرية الشيخ طاهر هي التي جعلت الأتراك يرتابون منه، ولا يطمئنون إليه، وهذا

---

[1] مصطفى، الشهابي : المرجع السابق، ص 45

[2] صالح، خرفي:" الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق" الثقافة. ع 26، ص 23

[3] عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 338. وأنظر أيضا أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر. ج4، ص 198.

[4] منير مشابك، موسى: المرجع السابق، ص 221

بسبب وجود جالية جزائرية كثيرة العدد في بلاد الشام،فقد خافت من تأثير الشيخ طاهر عليهم، بأفكاره القومية العربية التي كانت تعرف اشتدادا وأنصارا جددا كل يوم، وفي المقابل انتشار الحركة الطورانية التركية، وهذا الوعي مهما كان نوعه وهدفه، لا يطمئن السلطات في إستانبول، لأنه يمس بمصالحها.[1]

وتجدر بنا الإشارة هنا أن الشيخ طاهر الجزائري لم يتعصب أبدا للعنصر العربي،فقد كان في بداية نشاطه السياسي يدعو إلى الجامعة العثمانية التي تجمع شمل كل المسلمين، ولكن بعد معايشته للاستبداد التركي ووقوفه على الاضطهاد والظلم، والتضييق على الحريات العامة والخاصة، أخذ يدعوا إلى فكرة الأمة العربية والقومية العربية كمبدأ، بل وأصبح من دعاة التعاون مع الإنجليز لتحرير البلدان العربية من الأتراك، وزاد كرهه للأتراك في عهد الاتحاديين، الذين حاربوا الفكرة العربية، ووصل بهم الحد إلى إعدام العشرات من أحرار العرب و الذين من بينهم، سليم الجزائري إبن أخ الشيخ طاهر الجزائري.[2]

إن مواقف الشيخ طاهر الجزائري السياسية، ستتطور من يوم لاخر، بحكم الظروف فهي تخضع لمنطق وتفكير خاص بالشيخ طاهر،لا أحقاد ولا عواطف في ذلك. وإنما مواقف نابعة من فلسفته ونظرته للأحداث والقضايا السياسية التي كانت تعرفها البلاد العثمانية، وخصوصا بلاده الشام،فالوضع مضطرب ووجود أطراف عديدة متصارعة، داخلية وخارجية، مذاهب وطوائف مختلفة ومتناحرة، تجعل المرء من الصعب أن يبدي مواقفه، دون أن يترك أثرا لذلك الموقف بحكم الواقع الذي يعيش فيه.

وبحكمته وشخصيته، كان له دور في الوعي القومي العربي،الذي عرفته بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، فلنشاطه وعمله الدؤوب مع أصحابه أثر فعال في تحقيق ذلك، فقد ركز على تدريس اللغة العربية وآدابها وفنونها، متحديا العراقيل التي وضعتها السلطات التركية، التي فرضت تدريس اللغة التركية حتى في الكتاتيب القليلة الموجودة آنذاك معلنة الحصار على اللغة العربية، ولكن الشيخ طاهر الجزائري بمجهوداته ومؤازرة أصحابه تجاوز هذا الصعاب، وإلى جانب تركيزه على اللغة العربية وآدابها،دعا الطلاب أيضا إلى دراسة التاريخ العربي، الذي يحفظ تراثهم وذاكرتهم من النسيان.[3]

وكان الشيخ طاهر يناضل ويحارب على جبهات عديدة،الجهل،الأمية، والترك. وأيضا لما اندلعت ثورة المقراني في الجزائر في سنة 1871م، قدم لها يد المساعدة، حيث أسس جمعية خيرية آلت على نفسها تقديم المساعدة وبالتالي جهوده القومية وصلت إلى ارض آبائه وأجداده الجزائر.[4]

ونحن هنا لا نستطيع أن نؤاخذ الشيخ طاهر الجزائري على موقفه المتعصب للعرب ضد الترك، فالظروف في تلك الفترة، وممارسة سلاطين آل عثمان، كانت تفرض على كل مثقف أو مواطن عربي بسيط،أن يثور ضد ممارستهم، إن عهد السلطان عبد الحميد الثاني(1876-1909م)، من أخطر عهود الدولة

---

[1] عمار، هلال: " الهجرة نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي"، الثقافة، ع 84، ص 177

[2] سلامة، موسى: ما هي النهضة ومختارات أخرى. تقديم مصطفى ماضي، الجزائر: م.و.ف. م،ص XV (من الهامش)

[3] سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 113

[4] المرجع نفسه: ص ص 116-117

العثمانية وهذا بسبب تكالب الدول الأوربية من جهة، وفي نفس الوقت لما أراد إعادة الهيبة لها، وضعها في حالة عجز وضعف أمام المشكلة القومية، وأيضا أمام المشكلة الدستورية، بتعطيله للدستور،وأمام المشكلة الاستعمارية وأمام المشكلة الاقتصادية، التي أنهكت قوى الدولة، كل هذه الظروف المتوترة، التي تنذر بالانفجار في كل لحظة، لم تحد من قمع وقسوة السلطان عبد الحميد الثاني، فقد أرهب وضرب بيد من حديد كل نوع من المعارضة ورفض كل نصيحة لا تناسب هواه، فهو يريد حكما مطلقا، لا ينافسه أحد فيه.[1] وهكذا لم يجد الشيخ طاهر عملا إلا مقاومة الاستبداد الجاثم على الأمة الإسلامية وخصوصا البلاد العربية، فمحاربة الطغيان والظلم جزء من عمل المصلح، مهما كانت قناعته وإيديولوجيته!.

والإستبداد التركي والقمع المتواصل المسلط على الشعوب العربية، وعلى الأفكار الحرة، قد ساهم بشكل كبير، باشتداد الوعي القومي عند العرب، لأن الأتراك خافوا من بزوغه وانتشاره بينهم،أكثر من خوفهم من انتشاره لدى الشعوب الأخرى، لأن انفصال العرب عن الأتراك، هو سقوط لإمبراطوريتهم المترامية الأطراف،فالعرب يؤلفون بحكم الجغرافيا والتاريخ الركيزة الوحيدة والأساسية للسيطرة التركية في آسيا وأوربا، لهذا نراهم يبذلون جهودا كثيرة لعرقلة ومنع أي تطور في التعليم والثقافة وحتى الميادين الاقتصادية في كامل الإمبراطورية،وخصوصا في المناطق العربية منها، لأن التعليم والغنى،سيفتح المجال لتأسيس ممالك مستقلة عنهم،و لم يتوقف الأتراك عند هذا الحد، بل منعوا أبناء المسلمين من التوجه إلى المدارس التي أقامتها الإرساليات التبشيرية، وكان الأتراك ينعتون تلك المدارس، بمدارس الكلاب المسيحيين، ومنعهم لأبناء المسلمين، ليس مرده خوفا على دينهم، بل خوفا من الوعي القومي العربي.[2] وفي ظل هذا الواقع كانت مجهودات الشيخ طاهر التربوية والثقافية في تقدم وتلقى المؤازرة من أبناء المسلمين المتعطشين للعلم والمعرفة، وأيضا تلقى الدعم من العرب الغيورين على هويتهم في ظل سياسة التتريك.

ونستنتج أن عهد السلطان عبد الحميد الثاني بسبب قمعه الشديد، شهد منبت بذرة القومية العربية التي تهدف إلى تحرر العرب من السيطرة التركية أولا ومواجهة الاستعمار ثانيا، فقد كانت بلاد الشام الأرض الخصبة للقومية العربية، وهذا بحكم حركة إحياء اللغة العربية وآدابها، ثم مدت أغصانها وظلا لها إلى البلاد العربية المجاورة،[3] هذه البذور أنبتت جمعيات عديدة، تنشط سرا وتارة تنشط علانية، من أجل التخلص من النير التركي، خاصة مع بداية القرن العشرين، لأن قضية الوجود التركي في البلاد العربية أضحت أمرا لا يطاق ولا يصبر عليه، بسبب الاستبداد الحميدي والإضطهاد والقمع الذي يمارسه ولاته وجواسيسه على العرب،

---

(1) عبد العزيز سليمان، نوار،: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ص 161

(2) نجيب ، عازوري: يقظة الأمة العربية، ترجمة: أحمد بوملحم، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،(د-ت)، ص ص 200-201

(3) جورج، أنطونيوس: المرجع السابق، ط3، ص 12، وأنظر أيضا : جواهر لال، نهرو: لمحات من تاريخ العالم. ترجمة لجنة من الأساتذة،بيروت: دار الجيل، 1997 ص 309

فالأتراك يعون جيدا مكانة العرب في دولتهم من جهة، ومن جهة ثانية يعون خطورة اندلاع ثـــورة عربيـــة ضدهم، في دمشق أو بغداد أو مكة، لما تمثله هذه العواصم من ارث حضاري مقدس لدى العرب.[1]

وفي ظل هذا الجو المشحون بالقلق، والقمع التركي المتزايد، فإن الشيخ طاهر الجزائري لن يعرف الملل أو التراجع عن أفكاره الإصلاحية، بل زاد مضاء ولكن دائما بطريقته الخاصـــة، لأن جواســيس الســلطان يترصدون حركاته وسكناته، فقد كان دائما يدعوا الحكومة إلى الإصلاح والعدل والمســـاواة بـــين الرعيـــة وإنصاف المظلوم وردع الظالم ونشر العلم، و لم يترك الفرصة لجواسيس السلطان أن يوقعوا به، و لم يمكنهم من نفسه، وهذا طبعا بدهائه وحنكته، فقد كان هدفه من نشر العلم والمعرفة، هو تكوين الضمـــير الحـــر لـــدى العرب، وكانت هذه المطالب التي يدعوا إليها، خاصة تخفيض أو إلغاء الضرائب والتنديد ببيع المناصب أو تولية الجاهلين نوعا من الخيانة، ويوضع صاحبها. محل الشكوك والريبة من أعدائـــه أولا وثانيـــا مـــن المســـؤولين الأتراك.[2]

وبهذه المجهودات والأعمال والآراء المتطرفة-آنذاك- تعرض الشيخ طاهر الجزائـــري إلى الاضطـــهاد الحميدي، وبسبب كثرة الوشاة والأعداء والحاسدين، حامت حوله الظنون والشكوك، وترصدتـــه العيـــون، وفتشت داره عدة مرات لكنه لن يصبر كثيرا على الممارسات التركية نحوه، ويعرف خطورة ذلـــك، ففـــي إحدى المرات، كان يقوم برحلة عمل تفتيش إحدى دور الكتب بالقدس الشريف، وصلته أخبار عن ما فعـــل الأتراك بداره وأوراقه خلال سنة1902 م ، فتأكد له وقطع الشك باليقين،بأن العمل الأخير مـــن الســـلطات التركية، هو حقد وكيد،لا يطمئن أبدا، أصبحت حياته عرضة للخطر، وتأكد من نوايا الأتراك، وأن العمـــل تحت إمرتهم والبقاء في سوريا ضرب من الجنون، فتوارى عن الأنظار مدة أربع سنوات.[3] ثم دخل دمشـــق خفية وحمل معه، أهم كتبه ومخطوطاته، واتجه صوب القاهرة، التي وصلها في شهر ماي مـــن ســـنة1907 م ، وهناك لقي التقديروالترحيب من علمائها،فشهرته قد سبقته هناك، وترك في سوريا وبلاد الشام عامـــة ثـــورة فكرية ثقافية تنضج على نار هادئة.[4]

وهكذا نلاحظ الدور السياسي والقومي للشيخ طاهر الجزائري، الذي بدأه بشـــكل ثقـــافي وأدبي ثم سرعان ما تطور إلى وعي قومي يطالب بحقوق العرب السياسية، وهذا الوعي كان مهده الأول بلاد الشام التي عرفت جهود الشيخ طاهر وتضحياته.[5]

إن المؤرخين والمفكرين يتفقون على أن النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، يمثـــل البدايـــة الحقيقية للحركة القومية العربية، التي بدأت ثقافية ثم ما لبث أن تحولت إلى يقظة سياسية تعمل على التحـــرر

---

[1] محمد أسعد، أطلس: المرجع السابق، ص 53

[2] محمد سعيد، ألباني: المصدر السابق، ص ص 105-110

[3] وربما زار الهند في هذه الفترة، لأن قد طبع أحد كتبه هناك

[4] محمد سعيد ألباني: المصدر السابق، ص ص 114-116

[5] حكمت ياسين: السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية، تونس: الدار التونسية للنشر، 1981، ص 50

العربي من السيطرة التركية ومواجهة التحديات الجديدة آنذاك ونقصد التغلغل الأوربي، في ظل الضعف الـذي كانت تعرفه البلاد العربية بحكم ضعف وتهلهل الدولة العثمانية وانعكاس ذلك على أراضيها.[1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] المرجع نفسه : ص 42

4- أثره في تكوين الجمعيات القومية والسياسية:

إن بذور العمل القومي العربي قد بدأ في صورة جمعيات، وكانت هذه الجمعيات في بداية الأمر، ثقافية الطابع،ساهمت في تجديد الإحساس بالشخصية العربية، ثم قامت في أعقابها الجمعيات السياسية التي أنشأها السوريون.أو اشتركوا في تأسيسها داخل سوريا أو خارجها، ومن أهم هذه الجمعيات رابطة الوطن العربي التي تأسست في سنة 1904م، وجمعية النهضة العربية التي تأسست في سنة1906م والجمعية القحطانية في سنة 1909م، وكثيرا من الجمعيات، لكل جمعية أسلوبها ووسيلتها في الإصلاح.[1]

وتعتبر حلقة الشيخ طاهر الجزائري ودعوة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي في بلاد الشام، المهدتان بصفة كبيرة ومؤثرة، لتشكيل الجمعيات الثقافية ثم السياسية في بداية القرن العشرين، للوقوف أمام الاستبداد التركي الذي طغى على كل مناحي الحياة العربية آنذاك.[2] فبمجهوداتهما قد ساهما في دفع العرب وخاصة الشباب بالمطالبة بحقوق العرب داخل الدولة العثمانية، وقد يتبادر إلى الأذهان لماذا ينساق الشيخ طاهر الجزائري إلى تيار القومية والعروبة ومعاداة الأتراك، وهو رجل إصلاحي، مهتم بالشؤون التربوية والاجتماعية!؟. ويمكن لنا أن نجيب عن هذا التساؤل، بأن الأتراك وسياستهم المتعصبة لجنسهم،خلقت رد الفعل المضاد لدى العرب،فقد وصل الأمر بجماعة الاتحاديين أن يسخروا من الدين الإسلامي-الذي جعل منهم سادة- لدرجة أنه قال أحدهم: إن العودة إلى عبادة الدب الأبيض، أجدى لنا من دين العرب؟ ورأوا أن التركية أفضل لهم من الدين الإسلامي.[3] كل هذه الأسباب جعلت الشيخ طاهر الجزائري وغيره من المثقفين العرب البارزين يتجهون وبمختلف الطرق إلى الدعوة من أجل تحرر العرب من السيطرة التركية، سواء بتشجيعهم للشباب العربي أو المشاركة في تلك التنظيمات التي آلت على نفسها، تصفية الوجود التركي في البلاد العربية.

وتعود الخطوات الأولى للشيخ طاهر الجزائري في تكوين الجمعيات القومية والسياسية إلى حلقته الشهيرة باسم حلقة دمشق الكبيرة، التي كانت في حقيقتها منبرا ومخبرا للأفكار الحرة القومية، رغم طابعها العلمي والثقافي الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال فصله عن الطابع السياسي والقومي لها، فقد ضمت هذه الحلقة، بعض شباب العرب الذين أصبح لهم في المستقبل دور هام في يقظة الأمة العربية، إن دور الشيخ طاهر هنا تكوين هؤلاء الشباب وإعدادهم علميا وفكريا، من أجل النضال. لتحقيق حرية العرب الثقافية والسياسية، ولا يمكن لنا أن نذكر حلقة الشيخ طاهر، دون الإشارة إلى ابرز أعضائها الشباب أمثال: عبد الحميد الزهراوي وسليم الجزائري وشكري العسلي وعبد الوهاب المليحي وعبد الرحمن الشهبندر، الذين رفعوا التحدي في وجه

---

[1] زاهية، قدورة: المرجع السابق، ص 235

[2] علي، المحافظة : المرجع السابق، ص 133

[3] حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص 52.

الأتراك بعدما نهلوا من معين العروبة على يد الشيخ طاهر الجزائري مرشدهم آنذاك و انطلقوا في بداية القرن العشرين، في تأسيس الجمعيات السرية والعلنية العربية لتحقيق أماني العرب.[1]

وفي هذه الفترة الأخيرة من القرن التاسع عشر، كان نشيد الشاعر إبراهيم اليازجي " تنبهوا واستفيقوا" يفعل فعلته في الحماسة القومية بين شباب العرب، حتى أن الدولة العثمانية عملت كل ما في وسعها لمعرفة ناظم هذا النشيد القومي والاقتصاص منه ولكنها فشلت، ويقول الشاعر إبراهيم اليازجي في هذا القصيدة مايلي:[2]

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم وأنتم بين راحات القنا سلب
الله أكبر ما هذا المنام فقد شكاكم المهد وأشتاقتكم الترب
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم تستغضبون فلا يبدو لكم غضب
ألفتم الهون حتى صار عندكم طبعا وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتكم لطول الذل نخوتكم فليس يؤلمكم خسف ولا عطب
لله صبركم لو أن صبركم في ملتقى الخيل حين الخيل تضطرب
كم بين صبر غدا للذل مجتلبا وبين صبر غدا للعز يجتلب
فشمروا وأنهضوا وابتدروا من دهر كم فرصة ضنت بها الحقب
لا تبتغوا بالمنى فوزا لأنفسكم لا يصدق الفوز ما لم يصدق الطلب
خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا على الوئام لدفع الظلم تعتصب
هذا الذي قد رمى بالضعف قوتكم وغادر الشمل منكم وهو منشعب
وسلط الجور في أقطاركم فغدت وأرضها دون أقطار الملا خرب
وحكم العلج فيكم مع مهانته يقتادكم لهواه حيث ينقلب
بالله يا قومنا هبوا لشأنكم فكم تناديكم الأشعار والخطب
ألستم من سطوا في الأرض و اقتحموا شرقا وغربا وعزوا أينما ذهبوا
ومن أذلوا الملوك القيد فارتعدت وزلزل الأرض مما تحتها الرهب
ومن بنوا لصروح العز أعمدة هوي الصواعق عنها وهي تنقلب
فما لكم؟ ويحكم أصبحتم هملا ووجه عزكم بالهون منقلب
لا دولة لكم يشتد أزركم بها ولا ناصر للخطب ينتدب
وليس من حرمة أو رحمة لكم تحنو لكم إذا عفتكم النوب.

---

[1] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق ، ص 51

[2] عيسى ميخائيل، سابا: المرجع السابق، ص ص 49- 50

وفي هذا الجو الثقافي والسياسي سعى الشيخ طاهر بكل إمكانياته لتوجيه شباب حلقته نحو العمل السري والعلني، الثقافي والقومي من أجل خدمة أمتهم العربية، التي ألمت بها المشاكل والأطماع، بداية من الترك الجاثمين عليها والرافضين لكل إصلاح من شانه أن ينير درب العرب ويمنحهم حقوقا في أرضهم التي سلبت منهم بقوة الحديد والنار. ولا ننسى أيضا أن بداية القرن العشرين، اشتد فيها الصراع بين الألمان والفرنسيين والإنجليز على الأرض العربية، بالإضافة إلى الأطماع الصهيونية التي بدأت تظهر آنذاك للسطو على فلسطين، هذه المعطيات التي تميزت بها الساحة العربية والإسلامية في عهد الشيخ طاهر الذي حث طلبته على النضال وتحدي الواقع المفروض عليهم، فكانت جهودهم إنشاء الجمعيات والأحزاب لتحقيق أماني الشيخ طاهر الجزائري وكل العرب.

1.4- حلقة دمشق الصغيرة:

رغم إبتعاد الشيخ طاهر الجزائري عن الأنظار، بعد تفتيش داره من قبل السلطات التركية في دمشق، إلا أن البذور الإصلاحية وخصوصا القومية منها، بدأت تؤتي ثمارها. فبلاد الشام كانت في أوج عطائها الثقافي والفكري و لم تركن إلى الراحة رغم قساوة الحكام الأتراك. فالأرض الخصبة التي نشط فيها الشيخ طاهر وغرس بذوره، انبتت إلى الوجود حلقة علمية جديدة، أطلق عليها حلقة دمشق الصغيرة تمييزا لها عن حلقة الشيخ طاهر الكبيرة التي أشرنا إليها سالفا، فهذه الحلقة تعبيرا صادقا على التواصل بحلقة الشيخ طاهر وتكريما له عندما اختارت لنفسها هذا الاسم، ظهرت حلقة دمشق الصغيرة في سنة 1903 معلنة تواصل الأبناء بالأباء والخلف بالسلف على طريق الإصلاح والحرية، وكانت حلقة سرية بسبب أهدافها القومية، أي استقلال الأقطار العربية عن الدولة العثمانية التي لم يعد لها مكان في البلاد العربية، بعد تأكد العرب من النوايا الحقيقية للأتراك المتمثلة في تتريك بلادهم بحجة الرابطة العثمانية.[1]

وقد كان أغلب أعضاء هذه الحلقة من طلبة الفصول النهائية في المدرسة الثانوية، الذين كانوا يترددون على حلقة الشيخ طاهر، لحضور دروسه والندوات والمحاضرات التي كان يلقيها على طلبته ومريديه، والنقاش الذي كان يسود تلك الحلقة حول أسباب تخلف العرب والواجب المنوط بهم لتجاوز ذلك،وضمت هذه الحلقة أيضا شبابا من خارج المدرسة،[2]ويعتبر محب الدين الخطيب[3] لولب الحلقة ومؤسسها الحقيقي وروحها، فقد كان من أبرز تلامذة الشيخ طاهر. ومن بين أعضاء الحلقة الذين كان لهم دور فعال نذكر

---

[1] مصطفى، الشهابي : المرجع السابق، ص 52

[2] سهيل، الخالدي: المرجع السابق، ص 115

[3] لنا دراسة حول تأثره بشيخه طاهر الجزائري في الفصل الموالي.

عارف الشهابي[1] وصلاح الدين القاسمي[2] وغيرهم من الشباب العربي المتعطش للمعرفة والحرية[3]، وقد كانت الأهداف المتوخاة من هذه الحلقة بعث التراث العربي وإيقاظ العرب من سباتهم الذي طال والدفاع عن اللغة العربية أيضا التي كادت أن تصبح غريبة بسبب نفوذ اللغة التركية في دواليب الإدارة والتعليم والإعلام[4]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الحلقة كانت تسعى إلى تلقين شباب العرب الوعي الصحيح لقوميتهم والعمل من أجل نشرها بين مختلف شرائح المجتمع، وهذا بسبب الجمود الثقافي المسلط من قبل الأتراك للحيلولة دون انتقال الأفكار بحرية وعلى نطاق واسع.[5]

وهكذا نستطيع القول، أن حلقة دمشق الصغيرة التي هي امتداد طبيعي وفطري لحلقة دمشق الكبيرة التي كان رائدها الشيخ طاهر، قد ساهمت في نشر الجو العلمي والثقافي وحتى السياسي في بلاد الشام، فإن كان هدفها الظاهري دراسة تاريخ العرب وبعث تراثهم ودراسة اللغة العربية وآدابها وقواعدها، إلا أن الهدف الحقيقي لها لا يبتعد عن الجو السياسي الذي كان يعيشه العرب آنذاك، فقد كانت تعمل من أجل بعث الوعي بالعروبة أولا، وثانيا الدعوة إلى نظام لامركزي للعرب داخل الدولة العثمانية، يضمن لهم حقوقهم، ويجعل اللغة العربية في الولايات العربية لغة رسمية في مدارس الحكومة ودواوينها ومحاكمها.[6]

2.4- جمعية النهضة العربية:

وتبقى البذور التي زرعها الشيخ طاهر الجزائري في تلامذته تنبت هنا وهناك عازمة على الإصلاح، وتغيير ظروف العرب، فتأثيراته الإيجابية على تلامذته مكنتهم من مواصلة الدور المنوط بهم. فبعد إنشائهم لحلقة دمشق الصغيرة في سنة1903 م لتفعيل التواصل مع حلقة دمشق الكبيرة، واصل هؤلاء الشبان نشاطهم عندما انتقلوا إلى استانبول لمواصلة الدراسة في سنة 1905م، حيث لم ينشغلوا عن هدفهم القومي وأسسوا في سنة 1906 م "جمعية النهضة العربية" كجمعية سرية تجمعهم على حب العرب والعروبة والعمل من أجل نهضتهم.[7]

---

[1] عارف الشهابي:(1306-1334هـ/1889-1916) من أمراء الأسرة الشهابية، ولد في حاصبيا، جنوب لبنان وتعلم في دمشق واستانبول، شارك في إنشاء " المنتدى الأدبي " في إستانبول، درس التاريخ في إحدى المدارس متطوعا لبث المبادئ القومية لدى التلاميذ، كان من أعضاء" جمعية العربية الفتاة" ، يجيد اللغتين التركية والفرنسية، عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى قبض عليه واعدم شنقا في بيروت في 1916 ، ترك مؤلفات عديدة. راجع: خير الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط5،م3، ص 249

[2] صلاح الدين، القاسمي : طبيب وكاتب سياسي واجتماعي، ولد بدمشق في سنة1888م أخوه جمال الدين القاسمي علامة الشام، ساهم في تأسيس جمعية النهضة العربية في سنة1906، كانت له مواقف قومية.

[3] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 53

[4] علي، المحافظة: المرجع السابق، ص 134

[5] محمد عبد الرحمن ، برج: المرجع السابق، ص 112

[6] عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص ص 195-196

[7] محمد عبد الرحمن، برج: المرجع السابق، ص ص 112-113

وقد انتخب محب الدين الخطيب أحد التلاميذ الأوفياء للشيخ طاهر الجزائري، رئيسا لهذه الجمعية، وصلاح الدين القاسمي أحد تلامذة الشيخ طاهر الجزائري أمينا عاما لها، واتخذت من دمشق مركزا دائما لها. وتعد بذلك أول جمعية عربية قومية منظمة تظهر في تلك الفترة، آلت على نفسها نشر الوعي القومي بين شباب العرب قبيل إعلان الدستور وخلع السلطان عبد الحميد الثاني، لأن قبل هذا لم تكن هناك أبسط الحريات لممارسة النشاط القومي.[1]

وهكذا تعتبر سنة 1906م فجرا جديدا لاح في أفق الأمة العربية، فقد كانت بداية لظهور الجمعيات السياسية العربية التي تدعو علانية إلى التعصب للعرب والعروبة، وبعث أمجاد العرب وتعليم اللغة العربية ودراسة قواعدها وآدابها في ظل الصراع القائم مع اللغة التركية المفروضة على الشعوب العربية آنذاك، ورغم ظهور الجمعية في استانبول فإنها لقيت تشجيعا من الشيخ طاهر الجزائري، الذي يعتبر الأب الروحي لها، فمؤسسيها من رواد حلقته، فقد أخذت عاتقها ما كان يطالب به الشيخ طاهر كنشر اللغة العربية وتدريسها، وبعث الروح العربية لدى الشباب العربي. ولتعميم نشاطها فتحت فروعا لها في بلاد الشام، ففرعها في استانبول، ألغي بعد ثلاثة أشهر من تأسيسها وهذا لا يعني توقف نشاطها.[2]

ومن بين الأعضاء النشطاء في جمعية النهضة العربية نذكر ابن أخ الشيخ طاهر الضابط سليم الجزائري، الذي كان يتابع دروسه في الكلية الحربية، وفارس الخوري[3] و أيضا عبد الكريم الخليل[4]، وشكري الجندي وكثير من شباب العرب المقيم في استانبول، فقد كانوا بحاجة إلى جمعية تجمع شملهم، وتوطد أواصر الصداقة والأخوة العربية بينهم، وتربطهم بتراثهم الحضاري العريق المهدد من دعاة التتريك[5]، فقد كانت بلا شك مدرسة لتكوين الرجال الذين ساهموا في مختلف النشاطات القومية في بداية القرن العشرين، فيهم من وصل إلى هدفه القومي، وفيهم من استشهد قبل بلوغ الهدف، لأن الأتراك كانوا بالمرصاد لكل حركة قومية عربية داخل الولايات العربية الخاضعة لهم.[6] فأعضاء هذه الجمعية التي جاءت في أوانها والعرب في حاجة ماسة إليها، كانوا يقومون بأعمالهم ونشاطاتهم عن قناعة وعقيدة والنية راسخة، وخطط محكمة لتحقيق غاياتهم.[7]

---

[1] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص55. وأيضا محمد عبد الرحمن، برج: المرجع السابق، ص113

[2] سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 117

[3] محمد عبد الرحمن، برج: المرجع السابق، ص 113

[4] عبد الكريم الخليل : ولد في برج البراجنة في بيروت سنة1892، تحصل على شهادة في الحقوق في استانبول، ترأس المنتدى العربي، وكان من دعاة انفصال العرب عن الترك، بسبب مواقفه القومية، اعتقله السفاح أحمد جمال باشا و شنقه في بيروت في ماي1916 مع مجموعة من رعيل القومية العربية. راجع: عبد الوهاب، الكيالي: موسوعة السياسة. ط2، ج3، ص 843.

[5] عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 196

[6] ناجي، علوش : المرجع السابق، ص 26

[7] حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص 470

إن جمعية النهضة العربية منذ تأسيسها اتجهت وجهة عربية قومية خالصة، إذ دعت وعملت لنهضة العرب، وأكدت على العربية رابطة أساسية بين أبنائها وقاعدة ضرورية لنهضة العرب، ورأت أن الدور القيادي للعرب ضرورة وحتمية لنهضة الدولة العثمانية، و كان لطلبة الشيخ طاهر، وأعضاء جمعية النهضة العربية نصيب وافر في الحركة القومية العربية التي اشتدت بعد إعلان الدستور في سنة 1908، ، وهذا لقاعدتهم القومية الصلبة التي صقلتها التجارب [1] ، ونظرا لإيمان أعضاء الجمعية بمبادئهم القومية، عرفت تطورا، حيث كثر عدد رجالها في استانبول في تلك الفترة الزمنية القصيرة، وأيضا في فروعها في البلاد العربية، وهذا دليل على أنها تأسست والعرب بحاجة لمن ينظم صفوفهم ويأخذ بيدهم نحو الحرية والمطالبة بحقوقهم داخل الدولة العثمانية، وساهمت بدور فعال في تأسيس "جمعية العربية الفتاة "[2] ، جمعية العهد[3] وغيرها من النوادي والأحزاب، وشارك أيضا أعضاؤها بقوة في انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس سنة 1913م، وشاركوا بفعالية في الثورة العربية التي اندلعت في سنة 1916م ضد الأتراك، وهكذا يمكننا القول أن لأعضاء" جمعية النهضة العربية" فضل كبير في إيقاظ الشعوب العربية من سباتها، سواء في الثورة على الحكم التركي ورفضه، أو بعده أي مواجهة الاستعمار البريطاني والفرنسي، وقد سقط العشرات منهم شهداء من أجل القضية العربية.[4]

وربما قد يطرح علينا هذا التساؤل أن الدور القومي والسياسي للجمعية، يعود لأعضائها ومجهوداتهم ولا دخل للشيخ طاهر الجزائري في ذلك. نقول رفعا لكل إلتباس، وإنصافا للشيخ طاهر أن هذه الجمعية كانت روحها من روح الشيخ طاهر، فهو الذي رفع من همم أعضائها وكونهم، ودفع بهم إلى العمل الإصلاحي، أي تنوير مجتمعهم العربي، وهذا لا يكون إلا بالتصادم مع الأتراك الرافضين لكل تغيير، فدور الشيخ طاهر يكمن في تكوينه لأعضائها وغرس روح العروبة في قلوبهم وعقولهم، فلما شبوا انطلقوا لتحقيق أمنيات تلك الأمة التي عولت عليهم الكثير، فتغيير المواقع، أي انتقال الشيخ طاهر إلى مصر وهؤلاء الشباب إلى استانبول، لم يؤثر على الصدى الذي أحدثه الشيخ طاهر في دمشق وفي شبابها، فقد بقي الأستاذ الأول والزعيم المصلح بالنسبة إليهم.

---

[1] عبد العزيز، الدوري: المرجع السابق، ص 197

[2] جمعية العربية الفتاة: من أهم الجمعيات القومية العربية السرية، في العقد الثاني من القرن العشرين، عملت من أجل تحرر العرب واستقلالهم، هدفها يقظة العرب ونهضتهم والوقوف ضد الحركة الطورانية، تأسست رسميا في سنة 1911، وأعضاؤها المؤسسون: عوني عبد الهادي، محمد رستم حيدر، وأحمد قدري ورفيق التميمي وعبد الغني العريسي[تلميذ الشيخ طاهر الجزائري] ومحمد محمصاني وتوفيق الناطور وصبري الخوجة، كانت أعمالها تتميز بالجدية والسرية، انتشرت في صفوف الشباب العربي ومع حزب اللامركزية تمكنت من عقد المؤتمر العربي الأول في باريس1913، وعندما حلت نفسها كانت آثارها واضحة، استشهد بعض أعضائها على يد السفاح أحمد جمال باشا. راجع: ع الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ط2، ج 4، ص 92

[3] جمعية العهد: لنا دراسة حولها في المباحث المقبلة.

[4] مصطفى، الشهابي : المرجع السابق، ص 55

3.4- الجمعية القحطانية:

لقد أشرنا في العناصر السابقة إلى النشاط القومي الذي كان يقوم به طلبة الشيخ طاهر، لكن بعد إعلان دستور1908 م، وسقوط السلطان عبد الحميد الثاني في سنة1909 م، عرف نشاطهم القومي قوة وعنفوانا أكثر من ذي قبل بسبب سياسة التتريك، التي أصبحت أمرا مفروضا على العناصر العربية داخل الدولة العثمانية، فجماعة الاتحاد والترقي التي تسلمت السلطة الفعلية، بدأت تظهر على حقيقتها، والود الذي كانت تخدع به العرب تلاشى، وأكدت تصرفاتهم لشباب العرب النشيطين أن الانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني وإعلان الدستور، لم يغير من واقعهم شيئا، بل زادت الأوضاع تدهورا وبذلك انكفأوا على أنفسهم، وانطلقوا في تأسيس الجمعيات السرية والعلنية، فالصراع مع الأتراك طويل وخطير في آن واحد، ومواجهة جماعة الاتحاد والترقي تحتاج إلى صبر وتضحيات، لأن هذه الجماعة هي صاحبة السيطرة الفعلية على دواليب الحكم، وأصبحت مشكلة العلاقة التي تجمعهم بالأتراك مشكلة قائمة، واختلفت آراؤهم حولها، فمنهم من يدعوا إلى الجامعة الإسلامية التي تجمع كل المسلمين تحت راية الدولة العثمانية، ومنهم من يريد الاستقلال الداخلي للعرب داخل الدولة العثمانية و منهم من يريد الاستقلال التام للعرب الذين لم يجنوا من حكم الأتراك إلا القمع والتخلف.[1]

وقد كان موقف الشيخ طاهر الجزائري من انقلاب ومجيء الاتحاديين إلى الحكم واضحا، لا يكتنفه أي غموض، فقد صرح بخصوص الانقلاب قائلا:[2] "وما هذا الانقلاب الخلاب إلا انتقال من نير استبداد الفرد إلى نير استبداد الجماعات..." وهذا حدس وبعد نظر للأحداث تميز به الشيخ طاهر، فموقفه القومي من السلطان عبد الثاني لم يغيره وصول هؤلاء المستبدين الجدد، الذين حققوا نجاحهم بسبب استبداد السلطان عبد الحميد الثاني والذي هيأ لهم الطريق بعدما ألبوا عليه الجماهير.

وقد قال شاعر النيل حافظ إبراهيم يصف خلع السلطان عبد الحميد الثاني ما يلي[3]:

لا رعى الله عهدها من جدود كيف أمسيت يا عبد الحميد

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود

يا أسيرا في " سنت هيلين"[4] رحب بأسير في سالنيك جديد.

وقال الشاعر العراقي معروف الرصافي يصف خلع السلطان عبد الحميد الثاني مايلي: [5]

هوى عبد الحميد هويا إلى درك الملوك الظالمينا

---

[1] علي ، المحافظة : المرجع السابق، ص 109

[2] عدنان الخطيب: المرجع السابق، ص 72

[3] لويس ، شيخو: المرجع السابق، ص 183

[4] سانت هيلين: هنا تشبيه نفي السلطان عبد الحميد إلى سالنيك ، بنفي الإمبراطور نابليون بونابرت إلى جزيرة سانت هيلانة بالمحيط الأطلسي بعد هزيمته أمام الحلفاء في معركة واتر لو جوان 1815.

[5] لويس ، شيخو: المرجع السابق، ص ص 182-183

فأنزل عن سرير الملك خلعا وافرد لا نديم ولا قرينا
وسيق إلى سيلانيك احتباسا له كي يستريح بها معونا
ولكن كيف راحة مستبد غدا بديار أحرار سجينا

من خلال ما تقدم ذكره، لا نعجب أبدا من تعصب العرب للعروبة ضد الأتراك ونثمن مطالبهم في تلك الفترة الداعية إلى الإستقلال، والجمعية القحطانية التي سنشير إلى دورها في هذا المجال، أخذت على عاتقها فكرة تحقيق الاستقلال عن الأتراك، فالحركة الطورانية[1] آلت على نفسها تتريك كل العناصر المكونة للدولة العثمانية، وبالتالي أصبحت الجمعية القحطانية الوعاء الذي يجمع شباب العرب في استانبول، لنشر فكرة الاستقلال عن الدولة العثمانية بأي شكل كان، المهم بالنسبة لهم أن يحكم العرب أنفسهم، لأنه مباشرة بعد سقوط السلطان عبد الحميد الثاني، عرف هؤلاء الشباب العرب أن لا مكان لهم ولا مستقبل للعرب في ظل حكم الاتحاديين.

وفي ظل هذا القمع الجديد والمتجدد أيضا، ظهرت إلى الوجود الجمعية القحطانية كأول جمعية سياسية سرية، أنشأها بعض المثقفين والضباط العرب في استانبول سنة 1909م.[2] ومن بين الضباط الذين كانت تضمهم هذه الجمعية، سليم الجزائري إبن أخ الشيخ طاهر الجزائري وعبد الكريم الخليل و عارف الشهابي وأمين لطفي الحافظ.[3] ويقول البعض أن مؤسسها الحقيقي هو الضابط سليم الجزائري[4] ، وبعضهم يشير إلى الضابط العربي عزيز علي المصري[5] على أنه صاحب فكرة التأسيس.[6] ولكن بالنسبة لنا يهمنا نشاطها ودورها القومي، فقد تقلد رئاستها الضابط سليم الجزائري لمميزات يتمتع بها عن غيره من الأعضاء، فهو

---

(1) الحركة الطورانية : حركة سياسية شوفينية تركية، نشأت في أواخر القرن التاسع عشر، هدفها توحيد جميع أبناء العرق التركي لغويا وثقافيا وسياسيا، بما في ذلك ضم الأراضي التي يقطنها الأتراك خارج نطاق السلطنة العثمانية . والتسمية مأخوذة من طوران وهي الوطن التركي القديم في أواسط آسيا، بدأت هذه الحركة بين الأوساط التركية المثقفة، متأثرين بالفكرة القومية المنتشرة في أوربا، وعملت على تتريك الولايات غير التركية أي العربية والأوربية الخاضعة للأتراك، وقد تأثر أعضاؤها كثيرا بيهود الدونمة . راجع: عبد الوهاب، الكيالي: المرجع السابق، ط2، ج3، ص ص 789-790

(2) علي ، المحافظة: المرجع السابق، ص 139

(3) مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 52

(4) أمين، سعيد : الثورة العربية الكبرى، ج1، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د-ت)، ص 10

(5) عزيز علي، المصري:(1877-1965). ولد بالقاهرة، تعلم بمصر، درس الفنون العسكرية بتركيا وألمانيا، التحق بالجيش العثماني، انضم إلى جمعية الاتحاد والترقي سنة1905، درس بكلية الأركان، حارب الغزو الإيطالي لليبيا في سنة 1911، أنشأ في استانبول جمعية العهد سنة1914، نجا من الإعدام بتدخل من الأنجليز، شارك في الثورة العربية الكبرى سنة 1916، في سنة 1939 عين رئيسا لأركان الحرب بالجيش المصري، حاول المشاركة في حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق سنة 1941 ضد الإنجليز، عينته ثورة 23 جويلية 1952، سفيرا لها بالاتحاد السوفياتي في سنة 1953، ثم تقاعد، وتوفي في سنة 1965. راجع: عبد الوهاب الكيالي: المرجع السابق، ط2، ج4، ص106

(6) حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص 52.

أكبرهم سنا وأعلاهم قدرا في العلم والشجاعة والتجربة، وكذلك له حب و ميل إلى العمل السري، ومن بين المدنيين الذين انضموا إلى الجمعية وآمنوا بمبادئها نذكر الأمير عادل أرسلان.[1]

والهدف الحقيقي من وراء تأسيس هذه الجمعية، هو المطالبة بتحويل الإمبراطورية العثمانية إلى مملكة ثنائية، من العرب والترك، بحيث تؤلف الولايات العربية مملكة لها برلمانها و حكومتها و لغتها العربية مع المملكة التركية، إمبراطورية عربية-تركية على غرار الإمبراطورية النمساوية- المجرية التي كانت قائمة آنذاك.[2]

إن الجمعية القحطانية بحكم الظروف التي برزت فيها إلى الوجود، والمطالب -السرية- التي رفعتها كانت تعبر عن رفضها لجماعة الاتحاد والترقي الذين أرادوا فرض سياسة عنصرية على الشعوب العربية.[3] وقد بدأت تناضل من أجل المبادئ التي تأسست من أجلها كتنوير العرب، وبث الروح القومية بينهم، والرفع من مستواهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، وحثهم أيضا على التضامن والوحدة والمطالبة بحقوقهم. وأغلب مؤسسيها سقطوا شهداء من أجل القضية العربية بين سنتي 1915 و1916م، ولا نعرف بالتحديد كم عمرت من السنين، فمنهم من يذكر أن عمرها النضالي لم يتجاوز سنة بسبب اكتشاف أمرها ويوجد من يقول أنها واصلت نشاطها إلى غاية الحرب العالمية الأولى.[4] ومهما يكن من أمر، فهذه الجمعية بمطالبها السياسية مثلت منعطفا حاسما في تاريخ العرب المعاصر، لأنها فتحت الباب أمام مطالب أكثر جرأة، وقد صمم أصحابها على مواصلة النشاط وتأسيس جمعيات أخرى، فكانت جمعية العهد التي ستنطرق إليها في العنصر الموالي، والتي هي امتداد وتواصل لها.

4.4-جمعية العهد:

بعدما فشلت الجمعية القحطانية، أقسم الظابط العربي عزيز علي المصري على أن يواصل جهوده القومية، فقام بتأسيس جمعية العهد في 28 أكتوبر 1913 وهي جمعية سرية للغاية، جعلها مقتصرة على الضباط العرب، ظهرت في استانبول وكان من أبرز أعضائها الضابط سليم الجزائري الذي كان شغوفا بالعمل السري، وانخرط فيها الضباط العراقيون بكثرة حتى فتحت فرعين لها في الموصل وبغداد وكان من أبرز الضباط

---

[1] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 69

[2] علي ، المحافظة: المرجع السابق،ص 139 . و أنظر أيضا: محمد بديع، شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: دراسات تاريخية في النهضة العربية، ط2، بيروت: دار إقرأ، 1404هـ-1984م، ص 101.

[3] عبد العزيز ، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 201.

[4] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 69. و أنظر أيضا: محمد أسعد أطلس: المرجع السابق، ص ص 50-51. وأنظر أيضا: محمد بديع شريف، وزكي المحاسني وأحمد عزت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 101

العراقيين طه الهاشمي وياسين الهاشمي[1] ونوري السعيد[2]، وكان لضباطها دور حاسم في الأحداث التي عرفتها المنطقة العربية.[3]

ورغم سرية هذه الجمعية، إلا أن السلطات التركية علمت بأمرها، ولخوفها الشديد من هؤلاء الضباط المتصفون بالجدية والحزم والشدة، قامت بتعيينهم في مناطق تركية، وتعيين الضباط الأتراك في المناطق العربية، وقد تجاوز عدد الضباط المنتمين للجمعية 300 ضابط عربي.[4]

وقد كانت تهدف هذه الجمعية إلى تحقيق الاستقلال الداخلي للعرب مع بقاء اتحادهم مع الدولة العثمانية على شكل الإمبراطورية النمساوية-المجرية، وأيضا بقاء الخلافة الإسلامية، وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان، وكذلك الدفاع عن استانبول والمحافظة عليها كأرض اسلامية، فهي تمثل رأس الشرق، وعلى العرب أن يكونوا القوى الاحتياطية للدولة العثمانية أمام المخاطر الأجنبية التي تهددها، وتهدف هذه الجمعية أيضا إلى إنماء الفضائل في نفوس أعضائها وتقوية الروح القومية لديهم، ولكن كما سبق وأن ذكرنا علمت الدولة العثمانية بهذه الجمعية في بداية سنة 1914، ولما كان العداء شديدا، بين الاتحاديين والشباب العربي، حكم على رئيسها الضابط عزيز علي المصري بالإعدام، لكن تدخل بريطانيا وزعماء عرب، أدى إلى تخفيض الحكم إلى النفي. ولكن في سنة1916م كان من بين الذين شنقهم السفاح أحمد جمال باشا، الضابطين سليم الجزائري وأمين لطفي الحافظ، العاملين في صفوف الجمعية، وانتهى دور الجمعية، مع انهيار مملكة فيصل في سوريا.[5]

وهكذا إن لم نلاحظ دور الشيخ طاهر في هذه الجمعية، إلا أن تنشئته لابن أخيه سليم الجزائري، وغرسه في كيانه الروح القومية وروح التغيير، جعلت منه أحد أبرز القوميين العرب النشطاء في وجه التتريك والاستعمار، وسليم الجزائري أصبح قدوة لعشرات الشباب العرب، خاصة بعد استشهاده، فإنه بلا شك قد شجع الكثير على العمل القومي العربي لإنهاء الوجود التركي.

---

[1] ياسين، الهاشمي: (1299-1355هـ/1882-1937م) ولد في بغداد وتعلم بها،شم إنتقل إلى استانبول وبرلين وتخرج ضابطا "أركان حرب" في سنة 1905. بعد ذلك إنظم إلى جمعية العهد، وجمعية العربية الفتاة، ساهم في ثورة العراقيين على الإنجليز في سنة 1918 ، فقبض عليه ونفي إلى فلسطين،ثم أطلق سراحه فانتقل إلى القاهرة، فدمشق في 1922 سمح له بالعودة إلى العراق، وتقلد رئاسة الوزارة مرتين. توفي في سنة 1937 ودفن بدمشق. راجع: خير الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط5، م8، ص ص 128-129

[2] نوري، السعيد:(1306-1377هـ/1888-1958م) ولد في بغداد وتعلم في مدارسها العسكرية، في سنة 1906 تخرج من المدرسة الحربية في استانبول،دخل مدرسة الأركان في سنة 1911، شارك في حرب البلقان(1912-1913)، إنضم إلى جمعية العهد السرية وشارك في الثورة العربية الكبرى 1916، آمن بسياسة الإنجليز، تولى رئاسة وزارة العراق مرات عديدة، قتل في سنة 1958 بعد ثورة 14 جويلية 1958 ترك مؤلفات. راجع: خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ط5، م8، ص53

[3] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص ص 78-79

[4] أمين، سعيد : المرجع السابق، ص 47. أنظر أيضا : محمد بديع شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت عبد الكريم: المرجع السابق، ص 102

[5] علي، المحافظة : المرجع السابق، ص ص 144-145

5.4- جمعية الجامعة العربية:

عندما رأى السيد محمد رشيد رضا، تكالب الاتحاديين على الدول العربية، رغم أنه كان من دعاة الجامعة العثمانية، قام بإنشاء جمعية الجامعة العربية للوقوف أمام تسلط هؤلاء الأتراك من جهة، وفي نفس الوقت خدمة العرب والعمل على جمع كلمة أمرائهم.

وكان ميلاد هذه الجمعية في سنة1910م بالقاهرة، التي كانت تعج بأقطاب الحركة القومية العربية، وأغلب المنخرطين في هذه الحلقة من طلبة حلقة الشيخ طاهر، ونعني بهم الشباب السوري الذي استقر بمصر هروبا من بطش الأتراك، ومن أبرز هؤلاء رفيق العظم، وكما نعلم أن الشيخ طاهر الجزائري كانت له علاقات وطيدة ومتينة بالشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار، وحتى وإن لم يكن من المؤسسين لهذه الجمعية، فهو من الذين وقفوا لدعمها معنويا، ودفع الشباب العربي للإيمان بمبادئها، أي جمع كلمة العرب في ظل الوضع القائم آنذاك.[1]

6.4- جمعية الشورى العثمانية:

ظهرت جمعية الشورى العثمانية بالقاهرة على يد أحد طلبة الشيخ طاهر الجزائري البارزين، وهو رفيق العظم، الذي كان إلى جانبه في تأسيسها الشيخ محمد رشيد رضا، وقد كانت هذه الجمعية منبرا للدعوة للحرية والعدل والإنصاف، وقد جمعت عددا هاما من طلبة الشيخ طاهر الذين كانوا متواجدين في مصر بسبب الظروف التي أشرنا إليها سابقا، ومن أبرزهم نذكر الشيخ جمال الدين القاسمي وعبد الرزاق البيطار وغيرهم كثير.[2]

ومن خلال الجمعيتين، نلاحظ أن دور الشيخ طاهر الجزائري، قبل أن يكون تكوين هذه الجمعيات، قد ساهم في تكوين الشباب الذين كونوها، ورفعوا شعار الحرية للأقطار العربية، التي تئن تحت سيطرة جماعة الاتحاد والترقي التي آلت على نفسها تتريك العناصر العربية وحتى غير العربية داخل الدولة العثمانية، تحت غطاء الحركة الطورانية التي تعصب لها كل الاتحاديين و لم تشفع رابطة الدين عند هؤلاء الأتراك مع إخوانهم العرب المسلمين، لأن هذه الجماعة قد غلب عليها الطابع الصهيوني!

7.4- حزب اللامركزية الإدارية العثمانية:

بسبب القمع الحميدي الذي سلط على الشعوب العربية، وخاصة على الشباب العربي المثقف آنذاك إلى غاية 1909م، ثم مواصلة جماعة الاتحاد والترقي لذلك القمع، رغم أنها كانت تعي جيدا دعم العرب لها، إلا أنها تنصلت من مسؤولياتها، وواصلت سياسة القمع والتتريك بشكل أكبر من العهد السابق، فلم يجد الأحرار العرب ملاذا إلا السفر والهروب إلى مصر خوفا من القمع والملاحقة التركية ولإقتناعهم بأن هؤلاء الأتراك ماضون في سياستهم، قامت مجموعة من الشباب العربي، خاصة الشباب السوري، بتأسيس حزبا

---

(1) علي، المحافظة : المرجع نفسه، ص ص 140-141

(2) توفيق، برو : العرب و الترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914)، ط1، دمشق: دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، 1991، ص 81.

سياسيا علنيا في مصر، أطلق عليه اسم "حزب اللامركزية الإدارية العثمانية " وهذا في سنة 1912م برئاسة "رفيق العظم" أحد التلاميذ البارزين في حلقة الشيخ طاهر الجزائري، ومن المؤسسين أيضا نذكر، الشيخ محمد رشيد رضا، ومحب الدين الخطيب، وقد فتحت لهذا الحزب فروعا في بلاد الشام والعراق، و لم يتوقف نشاط هذا الحزب إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى.[1]

وقد كان للشيخ طاهر الجزائري، الموجود آنذاك بالقاهرة، دور في هذا الحزب فقد كان إلى جانب المؤسسين عضوا بارزا و نشيطا فيه،[2] وهو الذي عانى كثيرا من تسلط الأتراك، وإدارتهم التعسفية للبلاد العربية، فقد كان يحث هؤلاء الشباب "تلامذته " على العمل دون هوادة لتحقيق آمال الشعوب العربية التي عقدها على أبنائها المخلصين، وبصفة عامة كان مؤسسو هذا الحزب من الشباب السوري المقيم بمصر، سواء كانوا مسلمين أو مسيحيين، فقد جمعتهم العروبة ومحاربة التتريك كمبادئ وأهداف لهم، وقد كانت لهذا الحزب علاقات مع الجمعيات العربية النشيطة آنذاك وخاصة "المنتدى الأدبي"[3]، الجمعية العربية التي كانت تنشط في استانبول، وقد اختيرت القاهرة مقرا لهذا الحزب السياسي، لأنها كانت خاضعة للحماية البريطانية، وليس من السهل على السلطات التركية تعقبه وعرقلة نشاطه.[4]

ويدل اسمه على هدفه، أي جعل الإدارة الحكومية قائمة على أساس اللامركزية في الولايات الخاضعة للدولة العثمانية، وبالتالي يهدف إلى خدمة العرب، والعمل على يقظتهم واسترجاع حقوقهم في الدولة، وهذا لا يكون إلا بإتباع النظام اللامركزي فيها، دون التفكير في الانفصال عن الدولة العثمانية، وهذا لكي تقوى وتزداد مقاومتها للدول الاستعمارية الأوربية التي كانت تطمح للانقضاض على ما تبقى من الأراضي العربية الخاضعة للعثمانيين.[5]

وهيأة هذا الحزب عربية (سورية على الخصوص)، تعبر عن الخط العربي العام للإصلاح، فرغم اختلاف أعضائه في الأصول الفكرية والميول السياسية، إلا أنهم يتفقون على ضرورة الإدارة اللامركزية، التي يتمتع فيها العرب بحقوقهم كاملة في الدولة العثمانية، وقد كان ينص برنامج الحزب على المبادئ التالية[6]: الدولة دستورية نيابية، وعلى وحدة ولاياتها في السلطنة على أساسية اللامركزية الإدارية. ولكل ولاية والي

---

[1] علي، المحافظة: المرجع السابق، ص 144

[2] أبو القاسم ، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج1، ص198. وأيضا: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج6، ص ص 423-424

[3] المنتدى الأدبي: أنشئ هذا المنتدى الأدبي، في استانبول في سنة 1909، ومؤسسوه هم: عبد الكريم قاسم الخليل ويوسف سليمان وسيف الدين الخطيب وجميل الحسيني ورفيق رزق سلوم وهو مسيحي من حماه، وكان هذا المنتدى ملتقى للشباب العربي في استانبول، وقد عاش إلى سنة 1915 حيث أغلقته الحكومة التركية، وقد قدم خدمات جليلة للعرب. راجع: أمين، سعيد: المرجع السابق، ص ص 8-9

[4] محمد صالح، منسي : المرجع السابق، ص 132

[5] مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 81

[6] عبد العزيز، الدوري : التكوين التاريخي للأمة العربية، ص ص 242-243

وقاضي . قضاة يعينهما السلطان ومجلس عمومي ينظر في جميع شؤون الإدارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وأمور الأمن العام والمعارف والأوقاف والبلدية وتكون جميع قرارات المجلس العمومي نافذة، بالإضافة إلى هذا يراقب المجلس عمل حكومة الولاية، و لكل ولاية مجلس إدارة يضع ميزانية الولاية و ينتخب موظفيها، ثم مجلس معارف الولاية الذي يضع برنامج التعليم، وضرورة تمتع كل ولاية بلغتين رسميتين، التركية واللغة المحلية، بالإضافة إلى هذا يجب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها.

وقد كان هذا الحزب ينشد مطالبه، بكل حرية وشفافية و لم يخف إطلاقا من جهره بتلك المطالب، لأنه مقتنع بأن نجاحه نجاح أيضا للدولة العثمانية التي هي في عصر يجب عليها التكيف مع مستجداته السياسية، وإلا انتهت ومسحت من الخريطة العالمية، فالمادة الثالثة من نظامه تقول:[1]" ليس الحزب خفيا وليس فيه ما يعد من الأسرار فهو ينشد مقصده المبني على المطالبة باللامركزية الواسعة جهرا وعلانية دون الخشية من أحد لاعتقاده أن الدولة لا تبقى في العالم السياسي إلا إذا بنيت حكومتها على أساس اللامركزية الإدارية ".

إن هذا الحزب يمثل نقلة نوعية في المطالب القومية العربية، فقد أخرجها من مرحلة السرية والخوف، إلى المرحلة العلنية والجرأة والحدة في المطالب، ورغم تعصب أعضائه للعنصر العربي، إلا أنهم كانوا يهدفون أيضا لخدمة الدولة العثمانية، لأنهم يدركون جيدا معادلة الصراع آنذاك، وهذا النشاط السياسي لهؤلاء الشباب العربي جرهم إلى عقد مؤتمر للعرب الأول من نوعه في القرن العشرين، ومنذ قرون عديدة! لبحث مسائل تهم الوطن العربي، وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.

8.4- المؤتمر العربي الأول 1913م:

في أوج الصراع بين الاتحاديين الماسكين بزمام الأمور داخل الدولة العثمانية والشباب العربي، لم يبق منغلقا على نفسه ومقتنعا بالوضع الذي يعيشه، ولكن حاول تجاوز ذلك الواقع بتنظيم صفوف هؤلاء العرب، وتوحيد مطالبهم إزاء الأتراك، وعقدوا مؤتمرا خارج الديار العربية، وهو المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس العاصمة الفرنسية في الفترة الممتدة من 18 إلى 23 جوان 1913م.[2] وقد تم التحضير له مدة شهرين وعقد اجتماعاته في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان.[3] و الأسباب الحقيقية التي دفعت هؤلاء الشبان العرب لعقد هذا المؤتمر، هو اليأس الذي أصاب العرب بسبب سياسة الاتحاديين العنصرية تجاه العنصر العربي داخل الدولة العثمانية، خاصة بعدما تشكلت وزارة "محمود شوكت" في سنة 1913م والتي لم تظم أي وزير عربي، بل ضمت ثلاثة وزراء من اليهود، وفي تلك الفترة ظهرت النوايا الحقيقية للصهيونية.[4] وقد كان لجمعية العربية الفتاة التي أشرنا إليها سابقا دورا فعالا في التحضير لهذا المؤتمر منذ شهر مارس 1913م

---

[1] محمد بديع، شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 104

[2] عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 252

[3] زاهية، قدورة: المرجع السابق، ص 236

[4] عبد العزيز سليمان، نوار: المرجع السابق، ص 168

والدعوة إليه.[1] وكان محب الدين الخطيب عضوا في هذه الجمعية، و هو أحد التلاميذ الأوفياء للشيخ طاهر الجزائري، وقد اتصلت هذه الجمعية بحزب اللامركزية الإدارية العثمانية بمصر، وهذا لتوحيد الجهود، وكان جل المشاركين في المؤتمر من بلاد الشام والمهجر، مسلمين ومسيحيين.[2]

وقد ترأس جلسات هذا المؤتمر الشهيد عبد الحميد الزهراوي وهو الآخر أحد طلبة الشيخ طاهر الجزائري، فكان أول من افتتح المؤتمر موضحا أن اختيار باريس لعقد المؤتمر هو وجود جالية عربية كثيرة هناك، وأيضا انعدام الحرية في سوريا لعقد مؤتمر بهذا الشكل والتوجهات.[3]

وقد طالب المؤتمر بصفة عامة بحقوق العرب داخل الدولة العثمانية، و لم يطالب أبدا بالانفصال عنها، وكان المؤتمرون يفضلون قيام مملكة ثنائية تركية- عربية على غرار الإمبراطورية النمساوية- المجرية وألحوا على تطبيق مبدأ اللامركزية في الولايات العربية، ومنحها صلاحيات واسعة، وقد نظرت الحكومة التركية إلى هذا المؤتمر على أنه من صنيع فرنسا وتخطيطها، وبذلت جهودا كثيرة لإلغائه، لكنها لم تنجح، وفرنسا أيضا حاولت استغلال المؤتمر فعليا لخدمة مصالحها في المنطقة العربية، خصوصا في بلاد الشام ولكنها لم تحقق ما كانت تصبوا إليه.[4]

وقد تعرض المؤتمر بصفة عامة إلى الموضوعات التالية: [5]

- التضامن الإسلامي- المسيحي.
- الولاء التام للرابطة العثمانية
- المحافظة على حقوق العرب القومية وعلى اللغة العربية.
- تطبيق مبدأ اللامركزية.
- نبذ ورفض التدخل الأجنبي وخاصة تدخل فرنسا في سوريا.

ومن بين القرارات التي خرج بها المؤتمرون نذكر أهمها وأقواها وأثرها أيضا على الاتحاديين: [6]

1-من المهم أن يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا في الإدارة اللامركزية للمملكة اشتراكا فعليا.

2-يجب إعتبار اللغة العربية في مجلس النواب والأعيان.

3- أن تكون اللغة العربية رسمية في البلاد العربية.

4-تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية إلا في الظروف التي تدعوا إلى الاستثناء الأقصى.

---

(1) محمد بديع، شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 105

(2) عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 252

(3) محمد بديع، شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 106

(4) حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص ص 91-93

(5) عبد العزيز سليمان، نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية، ص 170

(6) محمد بديع، شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 106

5-يجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة لامركزية تنظر في حاجاتها وعاداتها.

ونعود إلى موقف جماعة الاتحاديين من هذا المؤتمر، فقد اعتبروه خيانة كبرى وجرأة من العرب، وحاولوا بشتى الطرق إحباطه قبل انعقاده، وأيضا مقاومة قراراته ولما رأوا محاولاتهم باءت بالفشل، حاولوا ربح الوقت وهذا بالاتصال بالمؤتمرين الذين يمثلون كل الأحزاب والجمعيات العربية، واتفقوا معهم على أمور لم تنفذ منها الدولة العثمانية إلا اليسير، وفي الخفاء كان هؤلاء الأتراك الذين أعمتهم الفكرة الطورانية يتربصون بالحركات العربية وبأحرار العرب، لسحقهم عندما تحين الفرصة، وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.[1]

9.4- طلبة الشيخ طاهر الجزائري شهداء القضية العربية:

لقد أكدنا وذكرنا عدة مرات في الفصول السابقة، أن الشيخ طاهر الجزائري لم يؤسس جمعيات وأحزاب سياسية، وإنما كانت له مواقف من قضايا عصره المحلية والدولية، ولكن في المقابل قام بتأليف وتكوين الرجال الذين رفعوا التحدي أولا أمام الاتحاديين وثانيا أمام الاستعمار الأوربي وأشكاله المختلفة، فقد زرع بذور الوطنية والقومية وحب الدين لدى طلبته، الذين استثمروا تلك الركيزة الفكرية في العمل القومي والثوري، فيهم من سقط شهيدا من أجل القضية القومية وفيهم من واصل عمله الفكري بلسانه وقلمه.

وفرار الشيخ طاهر من سوريا إلى مصر كان مرغما عليه، فقد تأكد له استحالة العيش وعيون السلطان عبد الحميد الثاني تتبع خطواته، وتأكد له بحدسه بأن الأتراك يضمرون له الشر، والوقت لم يحن بعد للانقضاض عليه، فسبق الزمن وارتحل إلى القاهرة، ولما سمع بسقوط عرش عبد الحميد الثاني ووصول جماعة الاتحاد والترقي إلى الحكم، لم يبتهج كبقية الناس وخصوصا المفكرين لأنه يعرف حقيقة هؤلاء الأتراك، بل رأى في نهاية استبداد عبد الحميد الثاني انتقال إلى استبداد الجماعة، و لم يخطئه ظنه بهؤلاء، فمن خلال مقدمات حكمهم، رأى أن نتائجهم ستكون وخيمة وسيئة جدا على العرب وحتى على الدولة العثمانية التي يسعون إلى تجديد شبابها، وكان بالفعل صادقا.[2]

ويجب علينا أن نعرف أن الاستفزاز الذي بلغته جماعة الاتحاديين تجاه كل العناصر، خاصة العربية منها لم تصله لا حكومة السلطان عبد الحميد الثاني ولا الذين سبقوه، فسياسة التتريك التي شملت في البداية اللغة التركية ثم التاريخ، انتقلت لتتريك بقية شعوب الدولة العثمانية، وبما أن العرب يمثلون القوة الهامة إلى جانب الأتراك، لم يصبروا ورفعوا التحدي في شكل جمعيات وأحزاب منددة وعاملة أيضا من أجل العرب وعروبتهم، وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في جوان 1914م، كانت بالنسبة للطرفين، العرب والاتحاديين، بداية النهاية والحد الفاصل بين القوميتين.[3]

---

[1] المرجع نفسه: ص ص 107-109

[2] محمد سعيد، ألباني: المصدر السابق، ص 117

[3] محمد بديع، شريف وزكي المحاسبي وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 118

ويعتبر تعيين أحمد جمال باشا حاكما على ولاية سوريا، نكبة تاريخية للعلاقات العربية--التركية، فقد كان هذا السفاح أحد الغلاة المتشددين لجماعة الإتحاد والترقي والمخططين الكبار لأهدافها ووسائلها، وعين والياً على سوريا في شهر ديسمبر 1914م ، بعد إندلاع الحرب العالمية الأولى، و لم يكن تعيينه على سوريا عشوائيا، بل كانت القومية العربية فيها قد بلغت درجة كبيرة، أفزعت جماعة الاتحاديين و لم يهدأ لهم بال إلا باستئصالها من جذورها، ولا داعي للخوض في علاقتهم بزعماء العرب ولكن نختصر الكلام، ونقول أنه من أجل تحقيق مصلحة الاتحاديين، لم يتورع في نصب المشانق وتعليق المفكرين والأحرار العرب على تلك المشانق، ثم قيامه بنبش قبور الأموات مثل قبر الأمير عبد القادر، فقد أعمته عقيدته الطورانية عن كل المبادئ الإنسانية.[1]

وحكم جمال باشا لولاية سوريا، ساعد في تقوية الأفكار القومية لدى العرب، وهذا دائما كرد فعل، فقد أضحت قضية انفصال العرب عن الدولة العثمانية أمرا حتميا، وتقتضيه الظروف، و لم يكن هؤلاء العرب عنصريين تجاه الأتراك، أو يعملون حبا في الانفصال وتقويض أركان الدولة العثمانية، وإنما جماعة الاتحاد والترقي بعد إسقاطها للسلطان عبد الحميد الثاني، عملت على علمنة وتتريك جميع العناصر غير العثمانية بأسلوب ديكتاتوري وقمعي دون مراعاة شعور تلك الشعوب.[2]

ويعرف على جماعة الاتحاد والترقي، ارتباطها الوثيق بالماسونية العالمية، وقد كان من بين أعضاء هذه الجماعة يهود نشطاء في الحركة الصهيونية، ولكن تستروا بغطاء الإسلام، ونقصد هنا يهود الدونمة[3] ، الذين اصبحوا محل عطف كبير في عهد حكومة الاتحاديين، عكس زمن السلطان عبد الحميد الثاني، فقد ألغت حكومة الاتحاديين جميع الإجراءات والقيود أمام الهجرة اليهودية نحو فلسطين، وكذلك سهلت عملية امتلاكهم للأراضي بفلسطين.[4] وأحمد جمال باشا الذي قام بشنق الأحرار العرب، كانت له علاقات وطيدة ومميزة مع الحركة الصهيونية، بواسطة عشيقته اليهودية " ناتاليا داوتس".[5]

---

[1] حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص 62

[2] أنور، الجندي: الضربات التي وجهت للانقضاض على الأمة الإسلامية، ط1، دمشق.: دار القلم، 1998، ص194. وأنظر أيضا: حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص 69

[3] الدونمة: كلمة تركية معناها قذر أو خسيس وقد أطلقها الأتراك على اليهود الذين رحلوا من إسبانيا إلى تركيا بعد سقوط الأندلس سنة 1492.وتمركزوا بسالونيك بالبلقان وتظاهرو بالإسلام. وفي سنة 1683م أنشأ يهود سالونيك أول محفل ماسوني لهم، أصبح الأب لجميع المحافلات التي انتشرت في جسم الدولة العثمانية، واستطاعوا الوصول إلى مراكز القرار داخل الدولة العثمانية مع مرور الأيام، وصل منهم كاميل باشا إلى رئاسة الوزراء زمن عبد الحميد الثاني، فيما تولى جاويد بك في عهد عبد الحميد الثاني عدة وزرات منها: وزارة المالية، وكان لهؤلاء اليهود دور في انقلاب1908 وإعلان الدستور ونفي السلطان عبد الحميد الثاني إلى سالونيك ثم قتله . راجع: داود عبد العفو، سنقرط: القوى الخفية لليهودية العالمية.الماسونية . الجزائر: دار الثقافة،(د-ت)، ص ص 128-132

[4] أنور، الجندي : المرجع السابق، ص ص 189-191

[5] سهيل، الخالدي : المرجع السابق، ص 124

وقد قام أحمد جمال باشا السفاح بشنق أحرار العرب، متهما إياهم بالخيانة العظمى، وبأنهم يسعون بوحي من فرنسا إلى فصل لبنان وسوريا والعراق من صلب الدولة العثمانية، وأيضا بأنهم أعضاء في حزب اللامركزية الإدارية العثمانية.[1]

وتجدر الإشارة إلا أن العرب قد اطمأنوا إلى جمال باشا عندما عين على ولاية سوريا، فقد قرب إليه. السيد عبد الكريم الخليل، أبرز زعماء العرب[2] وأول الذين سينفذ فيهم حكم الإعدام!

وحتى أن الضابط سليم الجزائري أحد الذين شنقهم جمال باشا قال بخصوص هؤلاء الاتحاديين في رسالة له في 15 جانفي 1914م:[3]"...لقد أخلصنا للاتحاديين فلا مجال للشك في إخلاصهم لنا، نعم إن الاتفاق الذي أبرموه مع الزهراوي وعبد الكريم لا يسعدنا وليس فيه كل ما نحتاج إليه... إن الحالة السياسية حرجة جدا أيها العزيز فبقدر ما يسيئ الاتحاديون إلينا، يجب أن نحسن إليهم حرصا على كيان هذه الدولة المنكودة الحظ."

وهكذا نلاحظ مدى اطمئنان زعماء ونبهاء العرب لهؤلاء الاتحاديين الذين يعملون خفية من أجل تصفيتهم واحدا بعد الآخر، دون أن نغفل هنا أن الزهراوي و عبد الكريم من الطلبة المخلصين للشيخ طاهر الجزائري.

وقائمة الذين أعدمهم جمال باشا السفاح، تتضمن العديد من طلبة الشيخ طاهر الجزائري، وعلى رأسهم ابن أخيه الضابط سليم الجزائري الذي أشرف بنفسه على تربيته وتنشئته، ونذكر هؤلاء الشهداء للتاريخ والأجيال[4]:

شهداء القضية العربية الذين شنقهم جمال باشا السفاح في 21 أوت 1915م

-عبد الكريم الخليل – صالح حيدر-مسلم عابدين-نايف تللو-محمد ومحمود المحمصاني-عبد القادر الخرسا-محمود العجم-سليم عبد الهادي- نور الدين القاضي- علي الأرمنازي.

**** شهداء القضية العربية الذين شنقهم جمال باشا السفاح في 6 ماي 1916م:**

أولا : الشهداء الذين شنقوا في بيروت وهم:-عبد الغني العريسي- الأمير عارف الشهابي-عمر حمد-سعيد عقل-أمين لطفي-باترو باولي-جرجي حداد-الشيخ أحمد طبارة-محمد الشنيطي-توفيق البساط-سليم الجزائري-سيف الدين الخطيب-جلال البخاري.

ثانيا: الشهداء الذين شنقوا في دمشق وهم: - عبد الحميد الزهراوي-شفيق بك المؤيد- عبد الوهاب الإنجليزي-شكري العسلي-الأمير عمر الجزائري-رفيق رزق سلوم-رشدي الشمعة.

---

[1] محمد بديع شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 121

[2] المرجع نفسه: ص 120

[3] المرجع نفسه: ص 112

[4] حكمت، ياسين: المرجع السابق، ص 97 (من الهامش)

ثالثا: الشهداء الذين شنقوا في القدس وهم:-أحمد عارف الحسيني و نجاه مصطفى -الدكتور علي عمر النشاشيبي.

ويذكر أن أحمد جمال باشا السفاح قبل أن يقوم بشنق أحرار العرب، تحرى وسأل عن الذين ساهموا في غرس الوعي القومي العربي في سوريا، وبالطبع الشيخ طاهر الجزائري أبرزهم آنذاك، ولكن نجاه الله من كيد الأتراك لوجوده بمصر، والعمل الشنيع الذي اقترفه الأتراك في حق شباب الأمة العربية ونبهائها، جعل الشيخ طاهر الجزائري يزداد كرها وحقدا عليهم، ويؤلب الجماهير ضدهم، وكره أيضا الحديث عن هؤلاء الطغاة، ولم يقبل حتى التعازي في ابن أخيه سليم الذي أعدم في بيروت، وعندما اندلعت الثورة العربية الكبرى في الحجاز بقيادة شريف مكة الشريف حسين بن علي يوم السبت 10جوان 1916م، كان من أشد المبتهجين بها خاصة بعد دخول الجيش العربي دمشق وانهزام جيوش العثمانيين.[1]

وهكذا نستنتج أن لبلاد الشام دورا بارزا في حركة الوعي العربي، فقد ساهمت أعمال الشيخ طاهر الجزائري في تكوين شبابها تكوينا عربيا قوميا خالصا، وكانت بذلك النواة الأولى للثورة العربية ضد الأتراك التي لم تنفجر في دمشق أو بغداد أو بيروت، ولكن جاءت من مكة، لأن الأتراك في تلك المناطق قد أحكموا سيطرتهم بقوة الحديد والنار، أما في بلاد الحجاز فقد كان موقفهم فيها ضعيفا.[2]

وهكذا نلاحظ أن دور الشيخ طاهر الجزائري يكمن في تهيئة هؤلاء الشباب والذين بدورهم هيئوا ليقظة وثورة العرب ضد الأتراك باستشهادهم، وقد قال عبد الغني العريسي[3] أحد الشهداء والطلبة المخلصين للشيخ طاهر قبل شنقه:[4]" بلغوا جمال باشا أن الملتقى قريب، وأن أبناء الرجال الذين يقتلون اليوم سيقطعون في المستقبل بسيوفهم أعناق أبنائك الأتراك. إن الدول لا تبنى على غير الجماجم، وإن جماجمنا ستكون أساسا لاستقلال بلادنا ". وصدقت نبوءته باندلاع الثورة العربية في جوان 1916م بالحجاز ضد الأتراك.

---

(1) محمد سعيد، ألباني: المصدر نفسه، ص 285

(2) عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 285

(3) عبد الغني، العريسي: من مواليد بيروت سنة 1891، شارك في إصدار جريدة " المفيد " التي كانت قومية في مضمونها، انتقل من بيروت إلى دمشق، طالب بنظام اللامركزية واستقلال الاقطار العربية، قبضت عليه السلطات التركية، وشنقه جمال باشا السفاح في 6 ماي 1916. راجع : عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة. ط 2، ج3، ص 839. وأنظر أيضا : حكمت ، ياسين : المرجع السابق، ص 69

(4) محمد بديع، شريف وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 123.

5-مواقفه السياسية:

لقد نشأ وترعرع الشيخ طاهر الجزائري في البلاد العربية، وعلى الخصوص بسوريا التي أخذت القسط الكبير من حياته ونشاطه، فتأثر كثيرا بجوها الثقافي والسياسي، فقد كانت تعتبر آنذاك بؤرة أدب القومية العربية وأعمق الأقطار العربية إيمانا بالوطن العربي الواحد، وإلى وقتنا الحاضر[1].لهذا لا نستغرب أبدا من مواقف الشيخ طاهر القومية التي كانت نابعة لا محالة من معين العروبة، فقد أحب اللغة العربية والإسلام وأوقف حياته دفاعا عليهما، حتى أن آخر كتاب ألفه في حياته هو " التقريب لأصول التعريب" الذي يدخل في إطار دفاعه عن اللغة العربية والتعريب، ألفه في سنة 1918م بمصر[2].

ونظرا لاحتكاكه بالأتراك، ومشاهداته اليومية لقمعهم وتضييقهم على الأفكار، سواء في العهد الحميدي أو عهد جماعة الاتحاد والترقي، نجده يعلن كرهه الشديد لهم دون تقية، بسبب ضغطهم على الأفراد ومحاربتهم للأفكار الحرة، وتعطيل التدريس باللغة العربية وخاصة بعد اتخاذهم لسياسة التتريك هدفا لهم[3]. فهو ضحية القمع الحميدي، بعدما كان مطمئنا بين أهله، وجد نفسه ملاحقا من جواسيس السلطان حتى لجأ إلى مصر في سنة 1907م، وكان يرى في هؤلاء الأتراك مستبدين لا أكثر مهما تنوعت أساليبهم السياسية، لهذا مواقفه القومية من الأتراك لم تكن أبدا مواقف عنصرية أو تعصبا للجنس العربي، وإنما مواقف أملتها ظروف تلك الفترة العصيبة من تاريخ الأمة العربية[4].

أما بالنسبة للاستعمار، فهو أيضا ضحيته، فبسبب الاستعمار الفرنسي الذي بسط سيطرته على وطن آبائه وأجداده الجزائر، تشردت أسرته وتركت أرضها، وانتقلت إلى المشرق العربي، وولد هو هناك، بعيدا عن موطن آبائه، ولكن مولده هناك ساهم إيجابيا في مجرى حياته الثقافية والعلمية، ولكن مهما يكن من أمر فقد كان يكره كل أشكال الاستعمار والقيود و دائم التحذير منه أو الوقوع في حبائله، فهو يعرف معنى الاستعمار وتسلط دولة قوية على دولة ضعيفة خاصة وأن الدول الاستعمارية مسيحية، حملتها الجديدة على العالم العربي والإسلامي مرحلة من مراحل الصراع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي الصليبي![5].

لكن من جانب آخر نجده ميالا إلى الإنجليز وسياستهم، فهو يكره الاستعمار الفرنسي وسياسة فرنسا في كل مكان من العالم، و لم يحاول أبدا التقرب من الفرنسيين.[6] ورغم حبه الشديد للحضارة الغربية، وحث

---

[1] أنور، الجندي : الأدب العربي الحديث1830-1959. مطبعة الرسالة، (د-م)(د-ت)، ص 339

[2] حامد صادق، قنيبي: " الشيخ طاهر الجزائري . أستاذ بلاد الشام 1268-1339هـ/1851-1920. سيرته ومنهجه في التعريب" مجلة الصراط، كلية أصول الدين،جامعة الجزائر. السنة الأولى . العدد الثاني ذو الحجة 1420هـ مارس 2000، ص 156

[3] محمد، كرد علي :" الشيخ طاهر الجزائري" المقتطف، م56، ص 302

[4] المرجع نفسه: ص 304

[5] محمد، كرد علي: المعاصرون، ص273

[6] أبو القاسم، سعد الله: " مشروع كتاب " " تاريخ زواوة" لأبي يعلي الزواوي" مجلة الثقافة، ع 73-74 (ربيع الثاني وجمادى الثانية 1403هـ/جانفي- أفريل1983)، السنة 13، ص 20

طلبته على تعلم لغاتها، إلا أن هذا لا يعني انبطاحه في تلك المدنية،بل كانت مواقفه السياسية تتميز بالعقلانية والبراغماتية وبعيدا عن التعصب، فهو عندما قال عن الأتراك أن استيلائهم على البلاد العربية أزال مدنيتها وغير أخلاقها، فهو يقصد السياسة المتبعة من الأتراك الذين قدموا الشؤون العسكرية على الشؤون الثقافية،[1] لهذا نرى الشيخ طاهر الجزائري في مواقفه السياسية ينشد مصلحة المسلمين أينما كانت ووجدت، فهو يحب الدولة التي ترفق بالمسلمين وتحقق أمانيهم.[2]

إن الشيخ طاهر، بحبه للإنجليز وسياستهم وارتباطه ببعض مفكريهم، كان يأمل الخير منهم للعرب، وهذا حتى بعد احتلالهم للعراق وفلسطين سنة 1917م في خضم الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، ففي إحدى رسائله إلى المستشرقة الإنجليزية "بيل"[3] يوصيها خيرا بإحدى الدول العربية التي لم يذكر اسمها وربما تكون سوريا، فقد كان الشيخ طاهر الجزائري من دعاة التعاون الفعال بين العرب و الإنجليز لما فيه خير للطرفين، حسب قناعته، وأغلب تلامذته ميالين إلى التعاون مع الإنجليز لتحرير البلدان العربية من الحكم العثماني[4]. وربما حب الشيخ طاهر للإنجليز جاء تأثرا بصديقه والي سوريا " مدحت باشا" (1878-1880) الذي كان شديد الإعجاب ببريطانيا ونظامها الدستوري وقد أشرنا إلى تقدير الملكة فكتوريا لمدحت باشا وأعماله الإصلاحية. وحتى في وقتنا الحاضر بعد تحصل الشعوب العربية على استقلالها، إذا نظرنا إلى الاستعمارين رغم أن كلاهما شر، إلا أن الإنجليز أرحم من الفرنسيين الذين نهبوا الثروات و استعمروا العقول، وهل يوجد استعمار أكبر من استعمار العقل !؟.

أما بالنسبة لأحداث عصره،فقد كان ملما بها، فهو كثير المطالعة للصحف السياسية العلمية التي تكثر فيها الترجمات، وهذا لمعرفة أخبار وأحوال الأمم الغربية، ليقف على ما وصلت إليه من ازدهار ورقي، ونظرا لإطلاعه الواسع وثقافته الإسلامية المختلفة والمتنوعة المواد، أصبحت للشيخ طاهر الجزائري رؤية استشرافية للأحداث السياسية المحلية والعالمية، فكما تنبأ للعثمانيين بالانهيار بعد تحكم جماعة الاتحاد والترقي في زمام الأمور، تنبأ باندلاع حرب عالمية بين الدول الأوربية، بعدما سمع بمقتل ولي عهد الإمبراطورية النمساوية-المجرية-"لويس فريد ناند"[5].بعاصمة البوسنة والهرسك"سراييفو" في 28 جون 1914م، وبالفعل اندلعت الحرب العالمية الأولى في 28 جويلية 1914م، بسبب مقتل ولي العهد، وهذا دليل كبير على نباهة الشيخ طاهر الجزائري، وكذلك حسن تقديره للمواقف السياسية آنذاك، دون عاطفة أو عنصرية، وفي نفس الوقت يمتلك قدرة على التحليل والتركيب للأحداث[6].

---

(1) محمد، كرد علي : المعاصرون، ص 277

(2) المصدر نفسه: ص 277

(3) أمينة بسر حاكم العراق وقد أشرنا إلى ترجمتها.

(4) منير مشابك، موسى: المرجع السابق ، ص ص 226-227

(5) لويس فريديناند(1863-1914) أرشيدوق وولي العهد النمساوي-المجري- قتل في 28 جوان 1914 بسراييفو على يد أحد الطلبة العرب المتعصبين يدعى (غافريللو بر نسيب GAVRILO PRINCIP)

(6) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 18

ونضيف هذه الحادثة البعيدة عن موضوعنا، وهي أن احمد جمال باشا السفاح، قبل أن يحكم ولايـــة سوريا أحدث مجزرة في وسط الأرمن.[1] وهذه الواقعة أغفلتها الأحداث، لكن أن يعترف البرلمان الفرنسي في جانفي 2001م بقرار يدين تركيا حول المجزرة مساهما في تأزم العلاقات بين تركيا وفرنسا، والشـــيخ طـــاهر الجزائري قد تنبأ للأتراك بالانهيار بسبب هؤلاء الاتحاديين، وجمال باشا أبرزهم جميعا، و هذا يدل على بعـــد نظره.

جمعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] محمد بديع شريف . . وزكي المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم: المرجع السابق، ص 120

6- انضمامه إلى الماسونية: [1]

في هذا الجانب-الخطير- من نشاط الشيخ طاهر الجزائري، ليس لدينا معلومات كافية ولا وافية توضح العلاقات التي تربط اسم الشيخ طاهر الجزائري بالحركة الماسونية، ولا نملك أيضا إجابات مقنعة حول كيفية إنضمامه، هل إنضم عن قناعة شخصية؟ أم فرض عليه وتم إغراءه من قبل أطراف نافذة في السلطة آنذاك؟ ! ونقصد هنا علاقته وصداقته الوطيدة بوالي سوريا مدحت باشا، الذي يعتبر من الأعضاء البارزين والناشطين في هذه الجمعية، التي يسميها (الماسونية) السيد جمال الدين الأفغاني بالجمعية الصالحة، وهذا للشعارات التي تدعو إليها: حرية، إخاء ومساواة، المهم انخراط الشيخ طاهر الجزائري في الجمعية الماسونية، له ما يبرره لدى الشيخ على أقل تقدير، ولن نكون هنا مدافعين عنه ضد خصومه ولا الحاقدين عليه أيضا ! فهو الوحيد الذي يملك الحقيقة والإجابة حول هذا الموضوع. ونحن من خلال هذه الدراسة، نؤكد أن الشيخ طاهر الجزائري، قد نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، وانتشالهم من سقطهم، وبالتالي نجده يسلك كل السبل من أجل إيقاظهم ودفعهم إلى الأمام، ولن يتورع عن استخدام أية وسيلة تفيد المسلمين الذين طال سباتهم وكثرت المصائب من حولهم، وقد إعتبر الكثير من الشباب العربي في عصر الشيخ طاهر، أن الانتساب إلى الماسونية، يقربهم من الحكام الأتراك وأولي الأمر، فقد كان أغلب شباب الترك منتسبين لهذه الجمعيات السرية، والهدف المتوخى من الانتساب هو تحقيق أمنياتهم الخاصة من جهة وتحقيق أمنيات شعوبهم من جهة ثانية، فمدحت باشا والي سوريا(1878-1880) كان من أنشط الأعضاء في الحركة الماسونية، فلم يلبث طويلا على رأس ولاية سوريا حتى فتح محفلا[2] ماسونيا تحت إشرافه ورعايته المباشرة في أحد الأحياء القديمة بدمشق، وضم هذا المحفل وجهاء و كبار بلاد الشام مثل الأمير عبد القادر، و بحكم صداقة و قرابة الشيخ طاهر الجزائري من الوالي

---

[1] نظرا لأهمية القضية نضيف هنا معلومات نراها قيمة حول الماسونية، فقد غالى دعاتها في أصل نشأتها، فزعم بعضهم أن الله قد أسسها، عند بدء الخليقة في جنة عدن في السماء وأن ميخائيل رئيس الملائكة، كان أول أستاذ أعظم لها، ثم نزلت من السماء إلى الأرض وزعموا أن آدم هو الذي أنشأها، وهناك من نسبها إلى جمعية إيزيس المصرية السرية، كما نسبها آخرون إلى جمعية الصليب الوردي التي ظهرت عام 1616 وزعم بعضهم أنها تعود إلى زمن موسى عليه السلام كأول أستاذ أعظم لها، وخيمته التي نصبها في صحراء سيناء هي أول محفل ماسوني، ثم ضموا إليها النبي سليمان عليه السلام وفي الحقيقة أن الجذور الحقيقية للماسونية، توراتية تلمودية، لأن جميع رموزها وإشاراتها وأسمائها المستخدمة في جميع درجاتها مأخوذة من التلمود والتوراة،كما أنها تخدم وتنفذ مخططات اليهود،لأن الأعضاء المتقدمين فيها يقسمون لبلوغ الدرجات العليا على التوراة بعد أن يختفي القرآن والإنجيل اللذان كانا يظهران في الدرجات الدنيا إلى جانب التوراة، ويقسمون أيضا على بناء الهيكل وقيام إسرائيل وحمايتها بكافة الوسائل عند قيامها! وبشكلها الحالي ظهرت في مدينة إكوسيا بانيكتلندا في 24جوان1717 الذي يحتفل به سنويا من قبل الماسون ثم انتقلت إلى إنجلترا ثم أوربا الغربية والماسونية منذ تأسيسها. تسير بجناحين، سري لا يصل إليه إلا اليهود وجناح علني المتمثل في الشعار: حرية- إخاء ومساواة. والماسونية ثلاثة أقسام: الماسونية الرمزية (العميان الصغار) والماسونية الملوكية(العميان الكبار)والماسونية الكونية (حكماء صهيون ورثة السر)راجع: داود عبد العفو، سنقرط : المرجع السابق، ص ص -8-17

[2] المحفل لغة مجتمع الماء أو المكان الذي يحتشد فيه الناس ويجتمعون .

مدحت باشا، و أيضا المنصب الذي يتقلده، أصبح أيضا من أعضاء المحفل و بالتالي من المنخرطين في الماسونية[1].

و الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر الميلادي، كانت تعيش حالة رهيبة من الفوضى والاضطرابات و الضعف و التدخلات الخارجية، و بروز الجمعيات السرية وعلى الخصوص جماعة الاتحاد والترقي، التي عملت من أجل الإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني، الذي رفض كل الإغراءات الصهيونية من أجل وطن لهم بفلسطين، وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانوا منخرطين إلى الأذقان في المحافل الماسونية، وهذه الجمعية كانت تضم في صفوفها كثيرا من يهود الدونمة الذين أشرنا إليهم، وتحولوا شكليا إلى الإسلام لتحقيق مآربهم. ونظروا لاستفادة أعضاء الماسونية من المناصب العليا في الدولة، نراها تستهوي كبار المفكرين والمصلحين في العالم الإسلامي، أمثال الشيخ طاهر الجزائري، وقبله السيد جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده وأيضا السيد محمد رشيد رضا، حتى وإن لم يعلن بعضهم صراحة عن انضمامه للماسونية، إلا أنه يشير في كتاباته إلى الإجتماعات التي كان قد عقدها سرا من حين لآخر، فالسيد جمال الدين الأفغاني، أسس محفلا برئاسته في سنة1878 كما أشرنا إلى ذلك سابقا، وربما لإنضمام الأفغاني إلى الماسونية حصل قبل مجيئه إلى مصر في سنة 1871 [2].

ويجب أن نوضح هنا أن الماسونية في البلاد العثمانية، كانت ذات اتجاهين متضادين ومختلفتين، اتجاه يؤيد السياسة الفرنسية، واتجاه موالي للسياسة البريطانية، إذا لا نتعجب إذا وجدنا أن مدحت باشا والشيخ طاهر الجزائري مع السياسة البريطانية وضد السياسة الفرنسية، وحتى السيد جمال الدين الأفغاني، بحكم كرهه للإنجليز، نجده يستقيل من المحفل الاسكتلندي (البريطاني)، ويؤسس محفلا تحت إشرافه و رئاسته تابعا لمحفل الشرق بباريس![3]

وتشير بعض المراجع، أن الذي دفع الشيخ طاهر الجزائري للانضمام إلى الحركة الماسونية، هو اقتناعه بمبادئها وشعاراتها الخلابة الظاهرية: حرية، إخاء ومساواة بعدما أقنعته بذلك صديقته المستشرقة الإنجليزية (بيل)[4]. وربما نشاطه الدؤوب في هذه الجمعية راجع إلى إعجابه بأصدقائه الجدد المنخرطين فيها، والمناهضين للاستبداد والداعين إلى الحرية والإخاء بين الشعوب والمساواة بين الرعية، ومحاربة الفساد في كل الميادين، وهذه القيم الإنسانية، كانت الشغل الشاغل للشيخ طاهر بسبب الاضطهاد والقمع التركي للعرب، وقد استفاد الشيخ طاهر الجزائري خلال إشرافه على التعليم زمن الوالي مدحت باشا، من دعم أصدقائه الماسون، واستغل سيف الحكومة في جمع الكتب الموقوفة والمنتشرة هنا وهناك، و لم يجد أية معارضة، و حتى إن وجدت فيتجاوزها بدعم أصدقائه، ولما سمع به بعض رجال الدين، اتهموه بفساد العقيدة، ولكن واصل إصلاحه وعمله

---

[1] عدنان الخطيب : المرجع السابق، ص ص 134-137

[2] المرجع نفسه : ص ص 130-14

[3] المرجع نفسه: ص 146

[4] أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، ص ص 421-424

دون هوادة، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ طاهر قد كتم سر انخراطه في الماسونية حتى عن المقربين منه، فتلميذه الوفي محمد كرد علي لا يعرف عن هذا الموضوع شيئا يذكر، ولو عرف لأشار إليه أو لمح له ! وربما المستشرقين الأوربيين الذين ارتبطوا بعلاقات مع الشيخ طاهر، هم في حقيقة الأمر أعضاء في الماسونية.[1]

بعدما أشرنا إلى انتساب الشيخ طاهر الجزائري إلى الماسونية، حتى ولو كان هذا الانتساب شكليا، لكن لا نعرف هل بقي إلى وفاته أم انسحب منها بعد عزل الوالي مدحت باشا، وإلغاء وظيفة مفتش المعارف، وحتى بعد لجوئه إلى مصر، لا نعرف هل بقي متمسكا بتلك الأفكار أم تركها، لكن نجد الشيخ طاهر في رسالة صادرة عنه في 1914م كان قد وجهها إلى تلميذه محمد كرد علي، يشير إلى مشاكل وقعت له مع أحد الأشخاص، اتهمه بالذهاب إلى المحافل[2] ويقصد هنا الماسونية.

ونضيف هنا أن الشيخ محمد عبده، لما رجع من باريس في سنة1884م، أسس في بيروت جمعية دينية سرية ، هدفها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة، وقد انضم إليها بعض المسلمين والمسيحيين واليهود[3]. والجمعيات الماسونية هدفها التقريب بين الأديان السماوية ونبذ الخلاف !وطبعا سرية في اجتماعاته وخططها؟ ومهما كانت الظروف التي دفعت الشيخ طاهر وبعض المصلحين في الانتساب إلى الماسونية، فيجب علينا أن نكون مقتصدين في الحديث عن أهميتها بالنسبة لهم، لأن طاقة هؤلاء المصلحين وأعمالهم الجبارة الخالدة لم تكن أبدا من صنع الماسونية، ذات الأثر السيئ على كل مسلم يسمع بها، وهذا لعلاقتها الوطيدة والمتينة بالصهيونية العالمية، فهي لم تقدم للمسلمين إلا الغبن والمصائب..

ونحن هنا إذا أشرنا إلى الماسونية كجمعية سرية عالمية ذات أهداف مشبوهة، خاصة اليوم، بعد تأكدنا بأنها أداة بيد الصهيونية اليهودية، لكن في تلك الفترة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لم تكن معروفة على حقيقتها، وإنتساب هؤلاء زعماء النهضة العربية لها، لا ينقص أبدا من مكانتهم، فانتسابهم إليها كان بدافع تحقيق أهدافهم التي هي أهداف الشعوب الاسلامية، وانخراطهم فيها أيضا يقربهم من ذوي الجاه والسلطان، ولعلهم بقربهم يساهمون في رفع الغبن عن شعوبهم، ولا ننسى شعارات الماسونية حرية، إخاء ومساواة، التي لا يرفضها أي عاقل، خصوصا في تلك الفترة التي تميزت بالقمع التركي، وفي نفس الوقت بتكالب الدول الأوربية على البلاد العربية والإسلامية...

---

[1] عدنان، الخطيب : المرجع السابق ص ص134--138

[2] محمد كرد علي : كنوز الأجداد، ص 45 (من الحاشية)

[3] غازي، التوبة : الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم، ط3، بيروت: دار القلم، 1970، ص ص 17-18

الفصل الرابع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشيخ طاهر الجزائري بين التأثر والتأثير

1.-علاقة فكره بمعاصريه:

1.1- مع السيد جمال الدين الأفغاني

2.1- مع الشيخ محمد عبده

3.1- مع الشيخ عبد الرحمن الكواكبي

2.- أثره الإصلاحي والقومي في تلامذته.

1.2-محمد كرد علي

1.1.2- مولده، نشأته وتكوينه

2.1.2- إسهاماته في النهضة العربية الحديثة

3.1.2- محمد كرد علي وحركة الإصلاح في الجزائر

2.2.- محب الدين الخطيب

1.2.2-مولده، نشأته وتكوينه

2.2.2- إسهاماته في النهضة العربية الإسلامية

3.2.2- محب الدين الخطيب والجزائر

3.2- سليم الجزائري

1.3.2- مولده ونشأته وتكوينه

2.3.2- إسهاماته في الحركة القومية العربية

3.3.2- استشهاده

3.-الشيخ طاهر الجزائري في أقوال معاصريه والمعاصرين من الكتاب.

1.3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال معاصريه

2.3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال المعاصرين من الكتاب

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

في هذا الفصل الأخير المتعلق بأحد أدوار حياة الشيخ طاهر الجزائري، نحاول فيه معالجة مدى تأثر الشيخ الطاهر الجزائري بمعاصريه من المصلحين، ونقصد على الخصوص السيد جمال الدين الأفغاني (1839-1897م) والشيخ محمد عبده (1849-1905م) وهذا لأثرهما في العالم العربي الإسلامي، والشيخ طاهر لم يكن أبدا بعيدا عنهما وكذلك أحاول الإشارة إلى الشيخ عبد الرحمان الكواكبي (1849-1901م) الذي يشترك مع الشيخ طاهر في الوطن الواحد (سوريا)، ومدى تأثر الشيخ طاهر بأفكار الكواكبي، وإن كنت في الحقيقة سأقوم بعملية مقارنة بين هؤلاء و الشيخ طاهر، لأنه لا يمكننا بأي حال، أن نجعله تابعا لهم، فهو يتميز بأشياء كثيرة عندما نشير إليها يتأكد لنا أن الشيخ طاهر الجزائري مستقل الفكر والرأي.

وكذلك أحاول في هذا الفصل الإشارة إلى دور الشيخ طاهر الجزائري في تكوين ثلة من شباب العرب، مع الأيام أصبحوا قادة في الفكر و الصحافة و السياسة و الحرب ومن رموز النهضة العربية، وقد اخترت ثلاثة أعلام منهم بارزين، الأستاذ محمد كرد علي، التلميذ الوفي المقرب من الشيخ طاهر، والذي أصبح أحد أعلام النهضة العربية في الثقافة و السياسة، والأستاذ محب الدين الخطيب الذي أصبح أحد الرواد الأوائل في عالم الصحافة العربية و في التأليف، واخترت أيضا ابن أخيه الضابط سليم الجزائري الذي تقلد أعلى الرتب في الجيش العثماني، لكن غلاة الاتحاديين لم يغفروا له تعاطفه الكبير ودوره البارز في حركة القومية العربية، فكان من الشهداء الذين شنقهم جمال باشا السفاح.

فالشيخ طاهر الجزائري تأثر بمعاصريه من العلماء خصوصا المصلحين و الحكام أيضا، وأثر أيضا بأفكاره وأعماله في شباب سوريا خاصة و البلاد العربية عامة.

جمعية الإحياء للعلوم الإسلامية

1- علاقة فكره بمعاصريه (دراسة مقارنة):

1.1- مع السيد جمال الدين الأفغاني:[1]

إن أي دارس وباحث في تاريخ العرب الحديث و المعاصر، وفي أعلام النهضة الإسلامية، وفي الذين قاوموا الاستعمار بمختلف أشكاله لا يمكنه أبدا تجاوز اسم السيد جمال الدين الأفغاني لما تركه من بصمات في هذه الميادين، لهذا توجب علينا مقارنة أفكار الشيخ طاهر الجزائري بنظيره السيد جمال الدين الأفغاني.

يقول الدكتور لويس عوض عن جمال الدين الأفغاني:[2]

"... أشبه شيء بكرة النار، ما مست شيئا إلا أشعلت فيه لهبا... لقد تكلم كثيرا وكتب قليلا، كان سقراط الإسلام يدون عنه ولا يدون... يقدسه الناس دون أن يقرأوا له شيئا، ويقرؤون عنه أكثر مما يقرؤون له..."

وكتب عن نفسه يقول[3]:

" الإنجليز يعتقدون أني روسي و المسلمون يظنون أني مجوسي و السنة يحسبون أني رافضي، والشيعة يخالون أني ناصبي [والنواصب قوم يدينون ببغض علي] وبعض اتباع الأئمة يتوهمون أني بابي، المؤمنون بالله يظنون أني مادي، الأتقياء يظنون أني كافر، ولكن لا الكافر يدعوني إليه ولا المسلم يعدني من جماعته".

هذا هو جمال الدين الأفغاني الذي وهب حياته وسخر مجهوداته لإصلاح المسلمين و الانتقال بهم من التخلف والانحطاط إلى التقدم و العزة ، اختار طريق الثورة السياسية العنيفة لتغيير أحوال المسلمين، وبذلك فتح على نفسه جبهات عديدة، الاستعمار وعملائه، وبعض المسلمين المتعصبين. فقد كانت غايته توحيد كلمة الإسلام و لم شمل المسلمين تحت راية دولة واحدة، مهمتها الداخلية الإصلاح والبناء و اللحاق بالأمم المتقدمة ومهمتها الخارجية الوقوف في وجه الاستعمار الأوروبي الذي بدأ يكتسح أقطار العالم الإسلامي.

من خلال ما سبق ذكره، يمكننا القول ، أن السيد جمال الدين الأفغاني قد غاص في عالم السياسة وشؤون الحكام إلى الأذقان وبالتالي مقارنته بمعاصريه من المصلحين تكون من هذا المنطلق، أي الجوانب السياسية، فجمال الدين الأفغاني رجل دين و لكن السياسة غلبت عليه و سيطرت على عقله فلبى ندائها.

وقبل أن نشير إلى نقاط الاتفاق والاختلاف بين الرجلين المصلحين، نشير إلى نقطة هامة في حياتهما والمتمثلة في عدم التقائهما، و لم يحدث بينهما اتصال مباشر، لا في الشام ولا في مصر، ونحكم أن السيد الأفغاني أكبر سنا من الشيخ طاهر الجزائري، يكون هذا الأخير قد استفاد من الأفغاني عن طريق تلامذته ومريديه، خاصة من جانب الشيخ محمد عبده، الذي انتقل إلى الشام في سنة 1883م بعد فشل ثورة أحمد عرابي

---

[1] تفاصيل حياة السيد جمال الدين الأفغاني، أشرنا إليها بإسهاب في الفصل التمهيدي.

[2] مصطفى، شاكر: المرجع السابق، ص ص 16--20.

[3] المرجع نفسه: ص ص 16 -20.

باشا التي قادها ضد الخديوي توفيق ، وكما هو معروف عن الشيخ محمد عبده أنه قد تعاطف مع الثوار، فنفي خارج مصر.[1]

وبداية النشاط الإصلاحي للشيخين، لم تكن من فراغ بل جاءت بعد تشخيصهما لـداء المسـلمين، والمتمثل في تركهم العمل بالدين الإسلامي و الابتعاد عن تعاليمه وإدخال البدع و الخرافات، وإصلاحـه لا يكون إلا ببث الوعي والأفكار الصحيحة بين شباب المسلمين[2] فإلى جانب دروسهما ومواعظهما المختلفـة، فإن للشيخين طريقة مثلى لزرع بذور أفكارهما الإصلاحية، وهذا عن طريق الحلقات، فالشيخ طاهر الجزائـري كان يعقد حلقة أسبوعية في بيته يؤمها الطلبة و العلماء، لنشر الأفكار الدينية و التربوية، ولكن في حقيقتـها كانت تبث الوعي الفكري و السياسي لدى العرب[3] و السيد الأفغاني أيضا إلى جانب تدريسه في الأزهر كان يعقد حلقات في بيته وحتى في المقاهي لنشر أفكاره، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إيمانهمـا العميـق بضرورة الإصلاح، واستغلال كل الوسائل لنشر الفكر الإصلاحي النير، وحتى أنهما لم يذوقا طعـم الحيـاة العائلية، فنجدهما يعزفان على الزواج، وعدم التقيد بمسؤوليات زوجة وأولاد، فوقتهما وجهودهما كانت مـن أجل خدمة المسلمين.

أما طرق الإصلاح فالشيخان هنا اختلفا كثيرا، فالشيخ طاهر الجزائـري رأى أن التعليم والعلم وبث الملكات الصحيحة في أهل الإسلام، أمور ضرورية، لكي يستيقظوا من سباتهم ويثوروا، وتكون ثورتهم فكرية لا مادية ورغم طولها زمنيا إلا أنها ستحقق النتائج المرجوة منها، عكس التسرع في الإصلاح، فالشيخ طـاهر الجزائري، يرى أن الإصلاح يجب أن يكون على سبيل التدرج ووفقا لمقتضيات السنن الطبيعية[4]. لكن وسائل وأساليب الإصلاح لدى السيد الأفغاني تقتضي السرعة في التنفيذ و الوصول إلى النتائج أي يكون الإصـلاح بالفعل الثوري العنيف، فهو صاحب نظرية ثورية في ميدان الإصلاح[5] . فالثورة السياسية بالنسبة للأفغاني هي أسرع الطرق وأضمنها في تحرير الشعوب الإسلامية وتغذيتها بالحرية الضرورية لتنظيم شؤونها، أمـا وسـائل الإصلاح التدريجي و التعليم فكان يرى أنهما وسائل بطيئة جدا غير محققة العاقبة، وهذه ثورية يتمـيز بهـا الأفغاني عن أقرانه ومعاصريه من المصلحين.[6]

وبالنسبة لنظام الحكم في العالم الإسلامي، نجدهما متفقين جدا على أهمية الجامعة العثمانية كوعاء يجمع كل المسلمين، فهما يؤمنان بالجامعة الإسلامية تحت ظل السلطان العثماني[7] ويبقى السيد جمال الدين الأفغاني

---

(1) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 123.

(2) أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص ص 126-127.

(3) نادية، طرشون: المرجع السابق، ص ص 177-179.

(4) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 11.

(5) محمد، عمارة: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، ص 25.

(6) أبو الأمين: "تعاليم جمال الدين الأفغاني" جريدة المنار. العدد 20، (الجمعة 11 رجب 1372هـ 27 مارس 1953م) السنة 2، الجزائر، سلسلة التراث، 1982، ص 2.

(7) مصطفى، شاكر: المرجع السابق، ص ص 16-20.

متمسكا بفكرة الجامعة الإسلامية ويعمل لها، ورغم معرفته الجيدة أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني مستبدا في سياسته تجاه الرعية. أما الشيخ طاهر الجزائري فإنه مع مرور الأيام غير مواقفه من الجامعة العثمانية إلى الفكرة الوطنية و القومية أي ضرورة استقلال الأقطار العربية عن الدولة العثمانية بسبب القمع الحميدي للعرب عموما و المضايقات التي تعرض لها خصوصا حتى هرب إلى مصر في سنة 1907م، و حتى بعد إعلان الدستور في سنة 1908م و سقوط السلطان عبد الحميد الثاني في سنة 1909م بقي متمسكا بموقفه الرافض للأتراك، وعمل على بث الوعي القومي العربي في صفوف شباب العرب.[1]

ويمكننا القول أن السيد جمال الدين الأفغاني، لو كان بعيدا أو خارج استانبول لغير رأيه في فكرة الجامعة الإسلامية نهائيا، فهو عند ما نزل باستانبول في سنة 1892م أسكنه السلطان عبد الحميد الثاني في قفص من ذهب و لم يسمح له مغادرة دار الخلافة خوفا من أفكاره السياسية فلو تحرر السيد جمال الدين الأفغاني من قيود السلطان عبد الحميد الثاني، لكان في صف القوميين العرب وأستاذهم الأول ، فالسيد الأفغاني كان يدعو الأتراك إلى التعرب إذا أرادوا أن يحكموا إمبراطورية إسلامية.[2]

أما بالنسبة للاستعمار، فمواقفهما وأعمالهما تبرز مدى رفضهما له شكلا و مضمونا لكنهما اختلفا في نظرهما للدول الاستعمارية، ونقصد هنا الدولتان بريطانيا وفرنسا، فالشيخ طاهر الجزائري كان شديد الأعجاب بالإنجليز وسياستهم وحتى بثقافتهم ونظامهم التربوي، ورسالته إلى المستشرقة الإنجليزية -بيل- تعبر بوضوح عن حبه للإنجليز.[3] أما السيد الأفغاني فهو شديد الكره للانجليز لأنهم بالنسبة إليه أثاروا البلبلة في وطنه أفغانستان واستعمروا الهند و إيران ومصر و السودان، واضطهدوه وساوموه، لهذا من الطبيعي أن يكون موقفه من الإنجليز هو السبب الذي جعلهما لا يلتقيان إطلاقا، ونلاحظ هذا الموقف العنيف من الأفغاني اتجاه الإنجليز حيث يوجه هذه النصائح إلى المصريين على صفحات مجلته "العروة الوثقى "قائلا [4]:

" وليعلم المصريون من الفلاحين و العرب أن الإنجليز لا يقصدون إلا استعبادهم واستخدامهم، كما يستخدم الأرقاء، وأول نير للذل يوضع على أعناق أمرائهم، فعليهم ألا يكونوا آلة في تمكين العدو من رقابكم، وأن لا يكون بعضهم فخا لصيد باقيهم..."

وبالنسبة لفرنسا، كان الشيخ طاهر الجزائري شديد الكره لها لأنها استعمرت بلاد آبائه وأجداده وشردتهم، و كذلك شهد على سياستها في بلاد الشام حيث عملت ليل نهار من أجل زرع بذور الشقاق بين العرب المسلمين والمسيحيين لكن السيد الأفغاني، لم نجد له موقفا حازما ضد فرنسا فقد كان يصدر مجلته "العروة الوثقى" من باريس ويشن فيها حملاته على الإنجليز وعملائهم، وفرنسا مستفيدة من هذا الصراع

---

[1] سلامة، مرسي: المرجع السابق، ص XV (من الهامش)

[2] غازي ظافر، شعبان: "أثر الإسلام في حركة التحرر العربية المعاصرة " مجلة الثقافة و الثورة ، العدد 8-1982، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي الجزائر، 1982، ص 106.

[3] محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص ص 43-45.

[4] جمال الدين، الأفغاني و محمد، عبده : المصدر السابق ، ص 411.

فربما السيد الأفغاني حقق لها ما عجزت جيوشها أن تحققه أمام بريطانيا في آسيا و البلدان الإسلامية عموما وفي البلدان العربية خصوصا.

و هكذا نلاحظ أن السياسة قد فرقت بين المصلحين، حتى إنضمامهما إلى الحركة الماسونية، ميّزه اختلافهما فالأفغاني قام في سنة 1878م بتأسيس محفل بمصر تابع لمحفل الشرق الفرنسي بعد ما انسحب من المحفل الإسكتلندي(البريطاني) أما الشيخ طاهر فقد إنظم إلى المحفل الذي أسسه مدحت باشا في دمشق، وكما نعرف حب مدحت باشا للإنجليز، فهذا المحفل الذي أسسه تابعا لهم وكما ذكرنا أن انخراط الشيخ طاهر الجزائري في الماسونية كان بتأثير من صديقته الإنجليزية المستشرقة –بيل– والمستشرقين بصفة عامة يمثلون القوى الأمامية للاستعمار !

وفي الأخير نقول أن ما يجمع بين المصلحين السيد الأفغاني و الشيخ طاهر الجزائري أكثر مما يفرق بينهما، فنظرهما إلى إصلاح المسلمين نظرة تقدمية عصرية، فالسيد الأفغاني يرى ضرورة اقتباس العلوم الفنية و غيرها من الأمم المتقدمة و هذا لنشل المسلمين من تخلفهم، فالسيد الأفغاني تنقل كثيرا بين الدول الأوروبية ووقف على التقدم الذي وصلت إليه[1]، و الشيخ طاهر الجزائري هو الآخر يدعو إلى ضرورة الاقتباس من هذه الدول المتقدمة ولديه الاقتباس نوع من النباهة و الفطنة[2] فكلاهما أراد نقل علوم الغرب وهذا بترجمتها إلى اللغة العربية، و لم يكترثا بالمنتقدين لهما، أصحاب العقول الجامدة وقد دعيا أيضا إلى ضرورة فتح باب الاجتهاد، لتكييف الشريعة الإسلامية مع روح العصر و بالطبع دعوتهما هذه لقيت مقاومة شديدة من المثبطين الذين يخافون على مصالحهم بحجة حماية الدين.

إن المناهل التي أخذ منها المصلحين تعود في أصولها إلى أفكار ابن تيمية التي جددها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكلاهما اختار الطريق الذي يراه أصوب لتحقيق آمال الشعوب الإسلامية ولا يمكننا ونحن نختم هذه المقاربة بين المصلحين القول أن شهرة السيد جمال الدين الأفغاني قد غطت على شهرة الشيخ طاهر الجزائري، وإنما الأسباب التي توفرت للسيد الأفغاني من تقرب للحكام في افغانستان و الهند و إيران ومصر، ثم في استانبول جعلته ذائع الصيت وملأت شهرته الآفاق، لكن الشيخ طاهر الجزائري ابتعد عن بلاط الحكام، وإنما حظه الوحيد لقاؤه بوالي سوريا مدحت باشا من أجل الإصلاح، فكان هذا اللقاء بداية لشهرته في الأوساط الثقافية المحلية، ثم بعملة ومجهوده الشخصي الإصلاحي، أسس لنفسه مكانة بين أهل العلم والإصلاح و السياسة وحتى فلسفته تمنعه من ولوج عالم السلطان، فلو إنغمس الشيخ طاهر في عالم السياسة ربما إنغمس السيد الأفغاني لملأت شهرته كل الأقطار، لكنه اختار أسلوبا آخر في الحركة الإصلاحية بعيدا عن الأضواء و الشهرة، إنه أسلوب التربية والتعليم الذي يحتاج إلى سنين وعهود ليرى جهوده بدأت تأتي بثمارها.

---

[1] محمد، طهاري : المرجع السابق، ص 71.

[2] طاهر، الجزائري: الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية تقديم وتعليق محمد الصالح الصديق، ص 22.

2.1 – مع الشيخ محمد عبده:

إن مدرسة الشيخ طاهر الجزائري في الشام ومدرسة الشيخ محمد عبده في مصر شبيهتان، وصورة واحدة لمدرسة جمعت بين علوم السلف وعملت على الاستفادة من علوم العصر، كان أسلوبها وسلاحهما التعليم والعلم والتربية لانتشال المسلمين من سقطهم، فبالنسبة للشيخ طاهر الجزائري قد أشرنا إلى تكوينه وطريقة إصلاحه والآن نحاول أن نضع هذه المقاربة بين المصلحين، و قبل ذلك سنعرج إلى دراسة محمد عبده، مولدا ونشأة وتكوينا ثم نقاط الالتقاء و الاختلاف بينهما.

محمد عبده: المولد و النشأة و التكوين:

ولد الشيخ محمد عبده في سنة 1266 هـ/1849م في قرية محلة نصر، إحدى قرى مديرية الغربية لأب تركماني و أم عربية، تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، لكن في بداية شبابه لم يكن راغبا ولا ميالا إلى طلب العلم، فقد أراد أن يتجه إلى الفلاحة كبقية أفراد أسرته وصمم ألا يتعلم و صمم أبوه على أن يتعلم فلما أكرهه أبوه فرّ إلى بلدة فيها بعض أقاربه و التقى فيها بخال أبيه الشيخ "درويش" الشيخ الصوفي الذي ساهم في انقلاب الشيخ محمد عبده من كاره للعلم إلى محب له، وحلت عقدته تجاه العلم و التعليم، فعاد إلى الجامع الأحمدي و انكب على طلب العلم مدة ثلاث سنوات ثم انتقل إلى جامع الأزهر وقضى فيه سنتين درس على كبار علمائه ونال الشهادة العالمية من الأزهر في سنة 1294هـ/1877م و عيّن مدرسًا في جامع الأزهر، ثم تتلمذ على يد السيد جمال الدين الأفغاني فوجد عنده الغذاء العقلي الذي كان يبحث عنه.[1]

وعند ما حل السيد جمال الدين الأفغاني بمصر في سنة 1288هـ/ 1871م كان الشيخ محمد عبده من جملة تلاميذ الأزهر الذين تحلقوا حول السيد الأفغاني، الذي كان يدرسهم المنطق و الفلسفة وكان محمد عبده أقرب الجميع إليه وعندما غادر السيد جمال الدين الأفغاني مصر قال لخاصته: "قد تركت لكم الشيخ محمد عبده وكفى به لمصر عالما"، وهذا يؤكد العلاقة الوطيدة التي جمعت الأستاذ بتلميذه.[2][3]

و من بين الوظائف التي تقلدها الشيخ محمد عبده، إشرافه على تدريس الأدب العربي و التاريخ الإسلامي في دار العلوم ومدرسة الألسن، ثم تولى تحرير جريدة "الوقائع المصرية" ورئاسة قلم المطبوعات، وعندما اندلعت الثورة العرابية في سنة 1881م، كان أحد مؤيديها و المشاركين فيها، ولما فشلت حكم عليه بالنفي إلى لبنان التي انتقل منها إلى باريس والتقى بأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني وأصدرا معا جريدة "العروة الوثقى" في بداية سنة 1884م وبعد توقف الجريدة عن الصدور، رجع إلى لبنان واشتغل بالتدريس

---

(1) أحمد، أمين: المرجع السابق، ص ص 357-358. وأنظر. أيضا: غازي، التوبة: المرجع السابق، ص 13، و انظر أيضا : جرجي، زيدان: تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، ص 381، و أيضا : حنا، الفاخوري: المرجع السابق، ص 1051.

(2) جرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 78.

(3) غازي، التوبة: المرجع السابق، ص 14.

والتأليف فقد شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشرح أيضا "مقامات بديع الزمان الهمذاني" وألف كتابه "رسالة التوحيد ".

وعن طريق بعض أصدقائه سمح له بالعودة إلى مصر في سنة 1888م، حيث تولى منصب القضاء ثم عمل مستشارًا في محكمة الاستئناف ومفتيا للديار المصرية ونظرا لاقتناعه بضرورة الإصلاح لإخراج المسلمين من دائرة الضعف والانحطاط استقر رأيه على إصلاح أوقاف الأزهر معتمدا على أساليب جديدة، متجاوزا المحاولات القديمة التي باءت بالفشل.[1]

و في سنوات خروج الشيخ محمد عبده، منفيا من مصر بعد ثورة عرابي[2] يكون قد التقى بالشيخ طاهر الجزائري سواء في دمشق أو في بيروت، فالشيخ طاهر كان في أوج عطائه الإصلاحي، وكثير التنقل فسنة 1883م التي حل بها الشيخ محمد عبده بيروت، كان الشيخ طاهر الجزائري هناك أيضا، فقد أرسل تعازيه إلي ابن الأمير عبد القادر من بيروت والأمير كما هو معروف توفي خلال سنة 1883م.[3]

منهجه الإصلاحي:

لقد تأثر الشيخ محمد عبده كثيرا بالأوضاع المزرية التي كان يتخبط فيها العالم الإسلامي من ضعف داخلي وغزو خارجي، ورأى أن الحل هو العمل على تجديد الإسلام لدى هؤلاء الحكام والشعوب، وهذا بواسطة التعليم وإنشاء المؤسسات الخيرية وإعادة فهم الإسلام بما يتلاءم مع الظروف المعاصرة، وخلال ارتباطه بأستاذه السيد جمال الدين الأفغاني رأى أن الإصلاح الديني مرتبط بالإصلاح السياسي ونرى ذلك جليا في دعوته إلى الجامعة الإسلامية و المقالات التي كان يحررها في جريدة "العروة الوثقى"[4] ، ولكن بعد ابتعاده عن أستاذه رسم لنفسه خطة للإصلاح، فقد أدرك حقيقة المأساة التي تعيشها الشعوب الإسلامية، ونظر إليها كمشكلة اجتماعية لا سياسية كما كان ينظر إليها أستاذه جمال الدين الأفغاني ورأى أن بداية الإصلاح تبدأ من الفرد معتمدا في فكرته الإصلاحية على الآية الكريمة[5] : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ وانطلق بعد ذلك في بناء مدرسته الإصلاحية.[6]

وبذلك اختار الإصلاح الديني بدلا من الإصلاح السياسي، خاصة بعدما أصبح مفتيا للديار المصرية في سنة 1317هـ/ 1899م وتأكد له أيضا أن الجو السياسي فاسد ولا يمكن المغامرة فيه من جديد وآمن برسالة العلم والتربية لإصلاح المسلمين، وانصرف إلى محاربة الجمود الفكري وطالب بفتح باب الاجتهاد لمن يقدر

---

(1) أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق. ص134. أنظر أيضا، حنا الفاخوري: المرجع السابق، ص 1052.

(2) ألبرت، حوراني: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م، ترجمة كريم عزقول، بيروت دار النهار للنشر، (د.ت) ص 269.

(3) محمد بن عبد القادر، الجزائري: المصدر السابق، ص-ص 877-878.

(4) أحمد محمد جاد، عبد الرازق: المرجع السابق، ص-ص 306-307.

(5) سورة الرعد، الآية: 11.

(6) مالك، بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، (د.م) (د.ت)، ص 54.

عليه، وتفسير المسائل الدينية تفسيرا يطابقه العلم الحديث ومقتضيات العصر، فالشيخ محمد عبده، بحكم ثقافته وتجربته لم يترك العمل السياسي إطلاقا ولكن مارسه بأسلوبه الخاص الذي يتفق مع طبيعة المرحلة التي يمر بها المجتمع المصري مثل ضعف الحكام وتسلط الإنجليز، وبالتالي العمل السياسي لا يمكنه النجاح إلا بعد إعداد فكري ناضج ومسؤول للمجتمع[1]، وما حققه المجتمع المصري من وعي فكري وسياسي في بداية القرن العشرين، القدر الكبير فيه راجع إلى مجهودات الشيخ محمد عبده.[2]

وبإختياره الإصلاح الاجتماعي. هدفا لعمله الإصلاحي، إتخذ من الجمعيات وسيلة لتحقيق ما يريد، حيث أسس مع أصدقائه في سنة 1310هـ/1892م "الجمعية الخيرية الإسلامية" وترأسها إلى غاية سنة 1318هـ/1900م، وفي هذه السنة (1900) قام بتأسيس جمعية إحياء الكتب العربية وترأسها، وكان الهدف من إنشائها إعادة طبع كتب التراث، والبحث عنها في كل البلدان.[3]

ومن بين رحلاته العديدة، زيارته التاريخية للجزائر في سنة 1323هـ/ أوت 1903م بدعوة من حاكمها العام الجنرال "جونار"[4] حيث أقام فيها مدة عشرة أيام قدم نصائح كثيرة لعلمائها، وساهمت زيارته في تشجيع الجزائريين على صيانة تراثهم العربي الإسلامي، وكانت خلاصة نصائحه لجلسائه الجزائريين، الجد في تحصيل العلوم الدينية والدنيوية[5] أما السياسة فلم يخض فيها، ماعدا نصائح قدمها كتحفظ تكتيكي حيال فرنسا واستغلت تلك النصائح فيما بعد من دعاة الإدماج.[6]

وتجدر الإشارة هنا، أن الشيخ محمد عبده لم يبق شاذا عن بقية المصلحين فبعد رجوعه من باريس سنة 1884م إلى بيروت، ألف فيها جمعية سرية سياسية دينية هدفها التقريب بين الأديان السماوية الثلاثة وهي "جمعية التأليف والتقريب بين الأديان السماوية" وكان صاحب الرأي الأول في إنشائها ونظامها، وقد إنضم إليها بعض المسلمين. والمسيحيين و اليهود.[7] ونحن لا نراها إلا نوعا من الجمعيات السرية التي كثرت بالمشرق والغارقة في الماسونية وربما هذه الجمعية بأعضائها قد ساعدت الشيخ محمد عبده على العودة إلى مصر والاستفادة من المناصب التي وصلها، وهذا عن طريق أصدقائه، لأن المصلحين قد استغلوا هذه الجمعيات السرية لتحقيق أهدافهم التي هي أهداف أمتهم و لا عيب في هذا.

---

(1) أحمد محمد حاد، عبد الرزاق: المرجع السابق، ص-ص 308-310.

(2) مالك، بن نبي: المرجع السابق، ص 57.

(3) غازي، التوبة:المرجع السابق، ص 32.

(4) جونار: جنرال فرنسي حكم الجزائر في بداية القرن العشرين، تميز عهده بالقمع، والمحاكم الردعية والاستثنائية، منع الحج في سنة 1908 على الجزائريين.

(5) سعد الدين، بن أبي شنب: "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة" مجلة كلية الآداب ع1، السنة الأولى،جامعة الجزائر 1964م، ص 43.

(6) رضا، مالك: "الشيخ محمد عبده و العقل التنويري" جريدة الخبر، ع 2066، ج1 ،13 سبتمبر 1997، السنة السابعة، الجزائر1997، ص 19.

(7) غازي، التوبة: المرجع السابق، ص-ص 17-18.

وبعد هذا النشاط الدؤوب، توفي الشيخ محمد عبده بسبب مرض السرطان يوم 11 جويلية 1905م، و لم يعقب ذكرا يخلد اسمه، ولكنه خلف آثار يخلد بها ذكره من تلاميذ، أصبحوا قادة ومؤلفات هامة أغنت المكتبة العربية.[1]

مقارنه بين جهودهما الإصلاحية:

نظرا لرحلاته ولقاءاته العديدة، خصوصا بعد نفيه من مصر ومكوثه بفرنسا ثم في بيروت، تأكد للشيخ محمد عبده الحالة المزرية التي يتخبط فيها المجتمع الإسلامي، وبتشخيصه للداء والأسباب التي أوصلت المجتمعات الإسلامية إلى هذه الوضعية رأى أن لا بديل عن إعلان حرب شاملة على دعاة التقليد وفضحهم، ونقض أفضلية السابق على اللاحق، أي ضرورة القيام بثورة اجتماعية ثقافية تعيد للأمة توازنها الحقيقي[2] وبالطبع اختار الأسلوب الأنجع لتحقيق هدفه الإصلاحي.

والشيء الذي نلاحظه بين الشيخ طاهر الجزائري والشيخ محمد عبده، هو بروز الأول على الساحة العلمية في بلاد الشام، قبل أن يتألق نجم الشيخ محمد عبده في مصر، رغم سنهما المتقارب، والشيخ طاهر لم يحتل منصبا سياسيا أو دينيا ساميا مثل الشيخ محمد عبده في مصر، وهذا الفارق سيكون له فعله وتأثيره على العامة و الخاصة من الناس.[3]

والحقيقة تقال، أنه من الصعب فصل أفكار وتوجهات الشيخان عن بعضهما البعض، فكلاهما يكملان بعضهما البعض، إلا في نقاط، هناك اختلاف بسيط وأول نقطة يتفقان فيها، هو ضرورة العودة إلى منابع الدين الحقيقية، ووضع كل ما ألصق بالدين من بدع وخرافات جانبا، وقد أعجبا كثيرا بشيخ الإسلام "ابن تيمية" وفي عصرهما كان هذا العالم السلفي مكروها، وفتاويه ممنوعة لهذا لا نرى غرابة أن جل المصلحين في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أعجبوا بأفكار "ابن تيمية " وعملوا على نشرها بين الناس، لأنها تدعوا إلى التوحيد الخالص، والثورة على الأوضاع الاجتماعية الفاسدة وقد رأى الشيخان أن سبب انحطاط المسلمين هو التقليد ودعاته الذين جعلوا من أنفسهم سلطاتاًوموجهين للدين واستخدموا هذا السلطان ضد رغبات الأمة، وبالتالي اتفق الاثنان (إصلاحيا) على محاربة المقلدين الجامدين الذين رفضوا التغيير ووقفوا ضده وضد من يدعوا إليه.[4]

واتفق الاثنان أيضا على أهمية العملية التعليمية، والمدرسة في بناء الفرد الصالح الذي يمثل نواة الأسرة الصالحة، وبالتالي نرى الشيخ محمد عبده يدعو إلى إصلاح البرامج التعليمية، التي تمثل الطريق الصحيح لتكوين المسلم الصالح، وقدم في هذا المجال لائحة إلى شيخ الإسلام باستانبول في 26 جمادى الثانية

---

(1) حرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 80.

(2) سالم، حميش: الاستشراق في أفق إنسداده، ط1، الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية، 1991م، ص 66.

(3) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص ص 122-123.

(4) أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، صص 134-135 وأيضا: منير مشابك، موسى: المرجع السابق، ص 22.

سنة 1304 هـ/ 1886م، شرح فيها وجه نظرة في إصلاح التعليم، وكذلك قدم لائحة إلى اللورد كرومر[1] في القاهرة بعد عودته من المنفى، يشرح فيها وجه نظري في التربية وإصلاح الأوضاع الاجتماعية التي كان المجتمع المصري يئن تحت وطأتها[2]، ونفس الشيء نجده عند الشيخ طاهر الجزائري، الذي رأى أن أساس الإصلاح هو التربية و التعليم، فبعدما أوكلت إليه مهمة "مفتش عام للمعارف" زمن الوالي مدحت باشا، انطلق في إنشاء المدارس الابتدائية والوسطى و هذا بمساعدة الحكومة.[3]

إن الشيخ محمد عبده رأى في الإصلاح التربوي والاجتماعي بديلا، عن العمل السياسي، بعد تجربته السياسية الفاشلة، فقد رأى أن الإصلاح التربوي يمكن أ ن يحدث قفزة في المجتمع ويغيّر من دواليب الحياة.[4] وهذا الانقلاب في تفكير الشيخ محمد عبده حصل بعد عودته من المنفى (1883-1888م) بعدما شخص مرض المسلمين عن وعي وتحري، أما الشيخ طاهر الجزائري في هذا المجال فقد سبق الشيخ محمد عبده وفي نفس الوقت لم يترك السياسة ولا انغمس فيها إلى الأذقان فلكل منهما طبيعته وتكوينه.

وقد اتفق الشيخان على ضرورة إصلاح أساليب تعليم اللغة العربية ومواجهة خصومها، لأن اللغة العربية بالنسبة لهما، لغة القرآن أولا، وتمثل الهوية الحقيقية للشعوب العربية، وإهمالها يعني تدمير للذات العربية والإسلامية.[5]

ونظرا لأهمية الإصلاح التربوي عند الشيخ محمد عبده نجده يطلب من أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني في سنة 1884م بعد توقف جريدة "العروة الوثقى" عن الصدور، أن يؤسسا مدرسة لإعداد القادة للعالم الإسلامي ، ويختار لهذه المدرسة التلاميذ النجباء، لكن السيد جمال الدين الأفغاني رفض هذا الاقتراح وسخر منه واعتبره تثبيطا للعزائم.[6] وهذا الاقتراح الذي عرضه الشيخ محمد عبده، نجده لدى الشيخ طاهر الجزائري ولكن مطبقا على الميدان، فحلقته الشهيرة نوعا من المدرسة التي تضم نجباء الطلبة، وبالفعل مع بداية القرن العشرين أثمرت هذه المدرسة و قدمت للعالم العربي والإسلامي قادة في الفكر والسياسة والحرب، مثل الأستاذ محمد كرد علي الكاتب و الوزير في الحكومة العربية السورية، ومحب الدين الخطيب الكاتب والصحافي، وسليم الجزائري الضابط السامي في الجيش العثماني، ورفيق العظم رئيس حزب اللامركزية الإدارية العثمانية، وعبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس في سنة 1913م، وغيرهم كثير. وهنا نلاحظ

---

(1) اللورد كرومر: هو المندوب البريطاني السامي في مصر، من آثاره: مصر الحديثة (لندن 1898م) وعباس الثاني خديوي مصر (1915م).

(2) غازي، التوبة: المرجع السابق، ص ص 20-24.

(3) محمد، الأرناؤوط: المرجع السابق، ص 76.

(4) محمد، عمارة: الأعمال الكاملة لمحمد عبده، ط1، ج1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1972، ص 155.

(5) أحمد، أمين: المرجع السابق، ص 415.

(6) رابح، تركي: دراسات في التربية الإسلامية، ص 102.

أن الشيخ محمد عبده في اقتراحه كان مثاليا، و لم يحاول تجربة فكرته عكس الشيخ طاهر الجزائري الذي يكون قد خطط وابتدأ بتنفيذها من الواقع الذي يعيشه فكان النجاح حليفه.

ورغم أن الشيخين متفقان على الأسلوب والطريقة لإصلاح المسلمين، إلا أننا نجدهما في جزء من المجال التعليمي والتربوي والثقافي يختلفان، فالشيخ طاهر الجزائري يشجع على الترجمة والتعريب والاقتباس من علوم الغرب الطبيعية والفكرية، وهذا للوقوف على أسباب تقدمهم، إلا أن الشيخ محمد عبده كان متحفظا في هذا الجانب، وخاصة العلوم الطبيعية، فقد أنكر دورها في تأديب النفس وإحيائها، بل وصل به الأمر إلى الدعوة إلى الاستغناء عن الاستفادة من التراث الإنساني والاقتصار على ما في العربية والتركية من معارف وعلوم.[1]

والدعوة للاستغناء عن التراث الإنساني التي طالب بها الشيخ محمد عبده خطيرة في تلك الحقبة التاريخية، التي كنا بأمس الحاجة لمعرفة علوم الغرب المختلفة، فقد كان التخلف يضرب أطنابه في حياة المسلمين اليومية، ولا ننسى السياج الذي أحكمه دعاة التقليد على أعناق المسلمين، وربما رفض الشيخ محمد عبده للتراث الإنساني مرده الخوف من التيارات الإفرنجية والدعوات التغريبية الهدامة التي تأثر أصحابها (العرب) بعد إطلاعهم على الحضارة الغربية خلال رحلاتهم العلمية أو عن طريق الترجمات، لهذا نجد الشيخ محمد عبده يركز على علوم الدين فقط، ومع مرور الزمن أعاد النظر في فكرة رفضه للتراث الإنساني.[2]

وأعجب شيء بين الشيخين المصلحين، هو دعوتهما لتعليم أبناء الأغنياء كضرورة وحتمية لنهوض البلاد العربية الإسلامية، فهؤلاء الأبناء يمكنهم التأثير على أسرهم إذا تعلموا جيدا وآمنوا بفكر الإصلاح وحتميته لمجتمعاتهم.[3]

وقبل الختام ، يمكننا القول، أن الجانب التربوي قد شغل بال الشيخ محمد عبده طيلة حياته، فقد رأى فيه السبيل الوحيد لتقدم المسلمين وإصلاح أوضاعهم وهذا ما يزيد في تقاربه مع فكر الشيخ طاهر الجزائري، الذي وهب حياته لميدان التربية والتعليم، فالشيخ محمد عبده آثر استثمار الجهد التربوي على المدى الطويل، أي ترك الأمور تنضج على نار خفيفة[4]، لأن نتائجها مضمونة كما كان يقول دائما بذلك الشيخ طاهر الجزائري.[5]

وفي ختام هذه المقاربة في المجال التربوي والتعليمي بين الشيخين نضيف للشيخ محمد عبده هذا العمل الجبار الذي أراده وعمل على تنفيذه والمتمثل في إصلاح الأزهر وكان رأيه إذا أصلح خدم العالم الإسلامي أكبر خدمة لأنه سيخرج قوما غيورين على دينهم، متنورين ينبثون في جميع أنحاء العالم الإسلامي، فيحملون

---

(1) محمد، عمارة: الأعمال الكاملة لمحمد عبده، ج1، ص 159.

(2) المرجع نفسه: ص 160.

(3) المرجع نفسه: ص 155.

(4) رضا، مالك: المرجع السابق، ص 19.

(5) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 11.

مثل رسالته ويقومون بالدعوة لمبادئه وأهدافه وقد استعان على ذلك بالخديوي والإنجليز وبمنصبه وجاهه وأصدقائه ولكن لم يحقق مبتغاه ولو نصيبا قليلا منه، لكن ترك أثره ورجالا يؤمنون بضرورة إصلاح الأزهر هرم المؤسسات الدينية في العالم الإسلامي.[1]

ومن خلال مسار الشيخين، نلاحظ أن تفكيرهما السياسي متشابه إلى حد بعيد، مثل كرههما الشديد للإستعمار ومختلف أشكاله، وحبهما أيضا للإنجليز رغم علمهما بالأعمال التي يقوم بها هؤلاء في المستعمرات ونقصد بذلك قمعهم وتشتيتهم لصفوف المسلمين، ومصر موطن الشيخ محمد عبده إحدى ضحايا الإنجليز! لكن تبقى السياسة كمصطلح تميز الشيخان عن بعضهما البعض فالشيخ طاهر الجزائري له مبادئه السياسة والإيديولوجية، التي لم تعرف أبدا أي نوع من التراجع أو الانقلاب، لم يترك السياسة و لم ينخرط فيها كما فعل السيد جمال الدين الأفغاني، أما الشيخ محمد عبده، فبعد ولوجه عالم السياسة بكل قواه مع أستاذه الأفغاني، إلا أنه انقلب وتراجع عن مبادئه السياسية، بل ولعنها!، واختار طريقا آخر لإصلاح المسلمين.

والعفو الذي تحصل عليه محمد عبده من سلطات الحماية البريطانية في سنة 1888م، جعله يبدأ مسيرة جديدة في حياته آخذا في الحسبان مغامرته السياسية الأولى مع الضابط أحمد عرابي في سنة 1881م.[2] و لم ينس الشيخ محمد عبده الذين ساعدوه أو توسطوا له في العفو، حيث عمل على رد الإحسان إلى أصحابه، فقد تعاون بشكل ملفت للأنظار مع رياض باشا رئيس الوزراء من أجل الإصلاح وأيضا مع المندوب السامي البريطاني اللورد كرومر، وتعاونه مع هذا الأخير فتح له بابا لمنتقديه، لأن تعاونه مع الإنجليز بلغ درجة كبيرة، أثارت اندهاش مقربيه مثل الشيخ محمد رشيد رضا، حتى جمعوا له المبررات الكافية لتعاونه مع الإنجليز وربما لأفكاره التنويرية جذب إعجاب الآخرين أي الإنجليز و المستشرقين[3] وهنا نلاحظ مدى إتفاق المصلحَيْن على حبهما للإنجليز عكس السيد جمال الدين الأفغاني، فلكل مصلح مبرراته الذاتية والموضوعية.

لكن إذا ذهبنا إلى موقفهما من الحكم العثماني والخلافة العثمانية، فالشيخ محمد عبده، يرى في الدولة العثمانية رمزا قائما لوحدة المسلمين السياسية وما عليهم (أي المسلمين) إلا أن يعملوا على الحفاظ عليها والالتفاف من حولها، فهذا حسب رأيه من صميم دينهم وجزءا من عقيدتهم، كما حذر أيضا من نتيجة تساهل المسلمين أو تقصيرهم في دفع كل ما من شأنه إضعاف الدولة العثمانية، وعلى المسلمين أن يجودوا بالنفس و المال في سبيل المحافظة عليها، و لم يتوقف الشيخ محمد عبده عند هذا الحد بل انتقد العرب السوريين الذين يعملون على الاستقلال عن الدولة العثمانية، وطلب من سكان الدولة العثمانية المترامية الأطراف، ضرورة تعلمهم اللغة التركية لغة الدولة؟ بالإضافة إلى إعجابه وإشادته بخصال السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وهذا لدوره ومسؤولياته كخليفة للمسلمين فهو على رأس أكبر قوة إسلامية آنذاك.[4]

---

(1) أحمد، أمين: المرجع السابق، ص 417.

(2) المرجع نفسه، ص 393.

(3) غازي، التوبة: المرجع السابق، ص-ص 33-45.

(4) أحمد فهد بركات، الشوابكة: المرجع السابق، ص-ص 138-139.

وربما هذا الإعجاب المفرط بالدولة العثمانية وسلطانها، قد يتعجب له كل دارس لتلك الفترة التي عاش فيها الشيخ محمد عبده، ففيها وصل القمع الحميدي درجة قصوى، لا يصبر عليها شخص عاقل، المفكرون، العلماء، أصحاب الرأي الحر، مسلمين، مسيحيين، عرب، أتراك الجميع لم يسلم من سياسة القبضة الحديدية التي مارسها السلطان عبد الحميد الثاني وولاته وجواسيسه على الرعية.

وقد نبرر إختيار الشيخ محمد عبده أسلوب المهادنة مع الحكام، إلى فشله السياسي مع الضابط أحمد عرابي حيث كلفه هذا الفشل السجن و المنفى والمتابعة، و لم يحصل على أية فائدة تذكر، حيث صادفه الفشل بعد توقف جريدة "العروة الوثقى" عن الصدور رغم أهميتها في يقظة العرب والمسلمين، ومن خلال هاتين التجربتين، رسم خطه الإصلاحي الذي يضع السياسة جانبا ويعتمد كلية على الدين والتربية ومكارم الأخلاق لتحقيق ما يريد، لقد كان يردد أن السياسة ما دخلت في شيء إلا أفسدته، بل اعتبرها إضطهادا للفكر والعلم والدين، وللشيخ محمد عبده أسباب لا نعلمها تبرر نفوره الشديد من السياسة[1] حتى أنه قال عنها[2]: "أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ومن معنى السياسة ومن كل أرض تذكر فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يحن أو يعقل في السياسة ومن ساس ووسوس وسائس ومسوس".

ومما سبق ذكره نلاحظ الانقلاب الذي حصل في مسار الشيخ محمد عبده تجاه السياسة والعاملين في حقلها، وقد تكون له هذا المبدأ بعد ما عاد من باريس إلى بيروت حيث خط اتجاها إصلاحيا يقوم على التربية في الإصلاح الذي ينشده ورأى أن إصلاح الأمة لا يكون إلا بالتعليم.[3]

لكن الشيخ طاهر الجزائري يختلف كثيرا عن معاصره الشيخ محمد عبده بخصوص الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني، فهو نشأ وترعرع في أرض القومية العربية، فسوريا كما أشرنا سابقا تعتبر بؤرة أدب القومية العربية، وأعمق الأقطار العربية إيمانا بالوطن العربي الواحد.[4] ففي بداية حياته السياسية كان الشيخ طاهر الجزائري يرى في العثمانيين وسلاطينهم حماة المسلمين وأداة مثلى لجمع كلمتهم، لكن بعد ما تخلى الأتراك عن هذه المبادئ وانتقلوا لتبرير ضعفهم وانحطاطهم بالتضييق على الأفكار الحرة الداعية للإصلاح، تعرض المفكرون خصوصا العرب السوريون للقمع والاضطهاد التركي في ظل السلطان عبد الحميد الثاني، حتى الشيخ طاهر نفسه لم ينج من المتابعة كما أشرنا إلى ذلك وذنبه الوحيد محاربته للجهل ونشره التربية والتعليم والدفاع عن اللغة العربية خصوصا والتراث العربي عموما، هذا العمل الثقافي الذي يخيف الأتراك ويقلقهم، لأن العرب إذا استيقظوا ونهضوا ورموا الكسل والجهل جانبا، فإنهم سيطالبون بحقوقهم المهضومة داخل هذه

---

(1) أبو الأمين: "محمد عبده والسياسة" جريدة المنار، ع 42 (الجمعة 24 شعبان 1372هـ/ 8 ماي 1953) السنة الثالثة، الجزائر سلسلة التراث، ص 3.

(2) المرجع نفسه: ص 3

(3) محمد رشيد، رضا: مختارات سياسية من مجلة "المنار" ط1 تقديم ودراسة وجيه كوثراني، بيروت: دار الطليعة. 1980م، ص ص 11-12.

(4) أنور، الجندي: الأدب العربي الحديث، 1830-1959، ص 339.

الدولة، لهذا مع النهضة التي بزغت معالمها في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي بدأ الضغط التركي يشتد ويطوق كل حركة تريد بعث العروبة وأصبح الشيخ طاهر الجزائري يعلن على الملأ كراهيته لهؤلاء الأتراك الذين باستيلائهم على العرب قوضوا مدنيتها وساهموا في تأخرها وأبقوا على الحالة المزرية التي تتخبط فيها[1] . و لم يتوقف في موقفه السياسي عند هذا الحد تجاه العثمانيين بل تمنى مساعدة الإنجليز للعرب في الحصول على استقلالهم من الدولة العثمانية ؟! وهذا يدل على قناعته التامة بفشل الأتراك في حكم المسلمين[2].

إن الشيخ طاهر الجزائري، بحكم صفاته العنيدة وفلسفته لم يهادن أبدا الحكام ، وعندما انخرط في عالم السياسة لم يكن هدفه المناصب والشهرة والتسلط وإنما خدمة أفكاره وخدمة القضية العربية التي كانت بحاجة إلى التعريف بها و الدفاع عنها، فقد ساهم من قريب أو بعيد في إنشاء الجمعيات السرية والعلنية المناوئة لحكم الأتراك، و لم يهدأ له بال، أو يرجع إلى مسقط رأسه دمشق، إلا بعد نهاية الحكم التركي لها، وتأسيس حكومة عربية.

هذا هو الشيخ طاهر الجزائري الذي جمع بين السياسة والتربية والتعليم، و لم يترك وسيلة إلا واستعملها لتحقيق اليقظة العربية الحقة وتقدم المسلمين الفعلي.

وفي الأخير يمكننا القول، أن أقرب المصلحين إلى نهج الشيخ طاهر الجزائري هو الشيخ محمد عبده، فقد اتفقا على التربية والتعليم ونشر الكتب كأس لقيام نهضة عربية إسلامية حقيقية ولكن الشيخ طاهر الجزائري زاد في رصيده التاريخي دورة السياسي مع الجمعيات العربية.

وقبل الختام نضيف هذه الملاحظة والمتمثلة في حالة التذبذب والانقلابات التي اتبعها الشيخ محمد عبده في حياته، ففي بداية حياته رفض التعليم وهرب إلى أحوال أبيه، ولكن فجأة ينقلب وينكب على التعلم والعلم، ثم نراه يشارك في الثورة العرابية ضد القصر وضد الإطماع الإنجليزية، وخلال نفيه، شارك مع أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني في تحرير جريدة "العروة الوثقى" ذات الحملات الإعلامية المضادة للإنجليز وسياستهم في كل المعمورة، وفجأة بعد عودته إلى مصر، يصبح الحليف الأول للقصر، وللإنجليز ؟! لكن بالنسبة للشيخ طاهر الجزائري نراه قد رسم خطا ومنهجا فكريا وتربويا وسياسيا لم يتراجع عنه حتى وفاته.

وفي الأخير نحاول الإجابة على السؤال التالي من أثر في صاحبه ؟.

من خلال دراستنا لمسار الشيخ طاهر الجزائري، لم نجد له تذبذبا ولا إنعطافات خطيرة في مبادئه، لكن بالنسبة للشيخ محمد عبده هناك أكثر من إنعطاف وانقلاب في مساره الإصلاحي، وبحكم التقائهما مرات عديدة، خاصة بعد نفي الشيخ محمد عبده من مصر (1883-1888م) عاش متنقلا بين دمشق وبيروت، حيث درّس فيهما، والتقى بعلماء الشام والشيخ طاهر الجزائري في تلك الفترة كان بلا شك المصلح البارز و المربي الأول، وأعماله التربوية والتعليمية في بيروت والقدس ناهيك عن سوريا شاهدة له بالعظمة ، والشيخ محمد

---

(1) محمد، كرد علي: المعاصرون، ص 277.

(2) منير، مشابك موسى: المرجع السابق ص 225.

عبده لا يمكنه تجاهل تلك الأعمال أبدا، وحتى بعدما سافر إلى باريس خلال سنة 1884م ورجوعه إلى بيروت، تصدى للتدريس والتأليف وبالطبع كانت له لقاءات كثيرة مع الشيخ طاهر الجزائري الذي كان أيضا متنقلا بين بيروت و دمشق.

وبعد عودته إلى مصر، بدأ طريقا إصلاحيا جديدا وبمواقف جديدة تجاه القصر والإنجليز لم يعهدها أصحابه من قبل، حتى أنه يوجد من يقول أن السماح له بالعودة إلى مصر من منفاه، كان تحت ضغط الإنجليز واللورد كرومر الذي لعب دورا هاما في هذا الأمر [1] ومما لا شك فيه أن الشيخ طاهر الجزائري له دور من بعيد أو قريب في انقلاب الشيخ محمد عبده، الذي اقتنع بضرورة الإصلاح التربوي والتعليمي والاجتماعي والديني للمسلمين لأنه يمثل أسلوب الاعتدال والتدرج، لا عن طريق السياسة والثورة التي كان يدعوا إليها أستاذه السيد جمال الدين الأفغاني.[2]

ورغم تأثير الشيخ طاهر الجزائري في الشيخ محمد عبده، إلا أن شهرة هذا الأخير ربما جاءت عن طريق المناصب التي تولاها، كمنصب المفتي الأول للديار المصرية ومناداته بإصلاح الأزهر و تقربه الشديد من رجال الحكم والإنجليز.

---

(1) المرجع السابق، ص 393.

(2) أبو الأمين: " موقف الإمام محمد عبده من تعاليم جمال الدين " جريدة المنار" ع 41 الجمعة 10 شعبان 1372هـ/ أفريل 1953 السنة الثالثة سلسلة التراث، الجزائر ، ص 4.

3.1- مع الشيخ عبد الرحمان الكواكبي:

بحكم الوطن الواحد، الشيخ طاهر الجزائري من دمشق الفيحاء و الشيخ عبد الرحمان الكواكبي من حلب الشهباء، فإنهما بعملهما الإصلاحي و القومي قد مهدا الطريق لنهضة سوريا و الشام خصوصا والبلاد العربية عموما، ونظرا لانغماس الشيخ عبد الرحمن الكواكبي في عالم السياسة لدرجة غطت على جهوده الإصلاحية في المجالات الأخرى ،الاجتماعية و الثقافية، فإننا سنركز على الجانب السياسي الذي جمع بينهما، وبالتالي مثلت لهما الدولة العثمانية وإستبدادها الهدف المشترك في عملهما القومي أي تخليص وطنها السوري والبلاد العربية من سيطرتها.

الكواكبي: مولده، نشأته وتكوينه:

آل الكواكبي أسرة قديمة في حلب، لهم شهرة واسعة في حلب واستانبول، ولد عبد الرحمان بن أحمد بن مسعود الكواكبي الملقب بالسيد الفراتي في مدينة حلب، لأسرة تعود في نسبها لآل البيت، وتمتاز بشرف آخر يتمثل في الاشتغال بالعلم وتعليمه والاشتراك في جهاز الدولة، ولد في سنة 1265هـ/ 1854م، توفيت والدته و لم يبلغ من العمر ست سنوات فانتقل إلى إنطاكية أين يوجد أخواله، فتربى وتعلم على يد خالته التي كانت صاحبة ثقافة وعلم، وفي إنطاكية حفظ قليلا من القرآن الكريم وتعلم اللغة التركية، ثم بعد سنين عاد إلى حلب، حيث دخل مدرسة أسرته "المدرسة الكواكبية" وكان والده الشيخ أحمد مديرا للمدرسة ومدرسا فيها أيضا، ومدرسا كذلك بالجامع الأموي الكبير في حلب، وتعلم أيضا في حلب اللغة الفارسية والعلوم العربية والشرعية و الرياضيات و الطبيعيات، بالإضافة إلى دراسته للكتب التاريخية و الأدبية ودرس قوانين الدولة التركية.[1]

وفي بداية حياته العملية اشتغل السيد الفراتي في الصحافة، حيث عمل محررا في الجريدة الحكومية "الفرات" التي يعود صدورها إلى سنة 1867م، ثم شغل منصب رئيس كتاب المحكمة الشرعية ثم قاضيا شرعيا، ثم رئيسا لبلدية حلب، وفي كل وظيفة كان يشغلها كان همه الوحيد الإصلاح وكيفية معالجة الداء الذي تفشي في أوصال الأمة العربية والإسلامية، وبسبب أفكاره وإنتقاداته الجريئة لرموز الفساد والإستبداد في عصره، فتح على نفسه بابا للحاسدين و المناوئين له، حيث تعرض للمضايقات، انتهت بسجنه من قبل والي حلب (عارف باشا) الذي إتهمه بمحاولة إغتياله، و لم يطلق سراحه إلا بعدما ظهرت براءته، و بعد هذه الحادثة،

---

[1] عبد الرحمن، الكواكبي : طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط 2، تقديم: أسعد السحمراني، بيروت: دار النفائس، 1986، ص 19.

وأنظر أيضا: عائشة، الدباغ: الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ط1، بيروت: د ار الفكر 1972، ص ص 195-196 وأيضا : محمد، كرد علي: المعاصرون، ص ص 279-280.

و حرحي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص ص 90-91.

و أحمد، أمين:المرجع السابق، ص 320.

إشتغل مجددا في الصحافة، حيث أصدر جريدة "الشهباء" في سنة 1877م، التي لم يصدر منها إلا خمسة عشر عددا وأوقفتها السلطات التركية بتهمة دعوتها إلى الحرية، ثم أصدر جريدة ثانية في سنة 1878م وهي "الاعتدال" باللغتين العربية و التركية لإبلاغ أفكاره إلى أكبر عدد ممكن من القراء خاصة الأتراك، وكان مصير هذه الجريدة كالأولى حيث أوقفتها السلطات التركية عن الصدور في سنة 1879 م، وتيقن للسيد الفراتي أنه يعيش في وسط سياسي واجتماعي مضطرب ومتناقض، تحت قبضة السلطان عبد الحميد الثاني وهذا الجو المضطرب جعله يتأثر كثيرا ويعكف على قراءة الكتب الغربية المعربة خاصة التي تتناول الحرية، وكل ما يتعلق بهذا المفهوم من قيم وبعد الصحافة اشتغل في المشاريع العمرانية و التجارية، و لم يترك مجالا إلا واشتغل فيه، وبتنوع أعماله وقف على حقيقة الأوضاع التي يتخبط فيها مجتمعه وعايش عن قرب ظلم الحكام في بلدته حلب.[1]

وقبل أن يستقر رأيه على الفرار من قمع الأتراك و الالتجاء إلى مصر، قام برحلة في جزيرة العرب وزار أيضا الهند وسواحل آسيا حتى الصين، بالإضافة إلى رحلة قادته إلى سواحل إفريقيا الشرقية حيث زار زنجبار وكان في كل بلد يترل به يدرس حالته الاجتماعية و الاقتصادية ويقف عن قرب على أوضاعه الحقيقية حتى استقر به المقام في مصر.[2]

وقد ترك الشيخ عبد الرحمان الكواكبي أثارا علمية قيمة، متمثلة في كتبه الأربعة وهي: " طبائع الاستبداد و مصارع الاستعباد" و"أم القرى" وكتابين غير معروفين للعامة وهما: "صحائف قريش" و "العظمة لله "[3] ، وبعد حياة مليئة بالنشاط الإصلاحي، توفي في 6 ربيع الأول 1320هـ الموافق لسنة 1902م، ويذهب البعض بأنه مات مسموما، كما جاء في إحدى الروايات، لأنه قال لأحدهم أثناء احتضاره: لقد سمّوني يا عبدالقادر[4] . أي وضع له السم من قبل جواسيس السلطان عبد الحميد الثاني، الذي لم يهدأ له بال بعد نشر الكواكبي لكتابه " طبائع الاستبداد ومصارع الاستعداد".[5]

---

(1) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص ص 196-197.

وأنظر أيضا:أحمد، أمين: المرجع السابق، ص 325.

وأيضا: عبد الرحمن، الكواكبي: المصدر السابق، ص 20.

(2) عبد الرحمن، الكواكبي : المصدر نفسه ،ص21.وأنظر جرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 91.

(3) جان،داية: "الكواكبي.. ومعاركه ضد الاستبداد" ، مجلة العربي العدد 484 (ذو القعدة 1419 هـ/مارس 1999 م) الكويت، 1999، ص 100.

(4) هو عبد القادر الدباغ أحد التجار الحلبيين المتنقلين بين مصر وحلب وكان صديقا حميما للكواكبي . للمزيد من المعلومات راجع: عائشة الدباغ: المرجع السابق، ص 199-201.

(5) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص 199.

نشاطه الإصلاحي:

لم ينطلق الشيخ عبد الرحمان الكواكبي في حركته الإصلاحية –القومية– إلا بعد تشخيصه للداء، فعندما اشتغل في الدوائر الحكومية اطلع على دواليب الحكم عن قرب ولما تفرغ لأعماله الحرة من صحافة ومحاماة، وقف على الواقع اليومي للمواطن العربي و لم يهضم المظاهر السيئة التي تفشت في المجتمع وأعلن عليها الحرب، حيث أشار ببنانه إلى المتسببين في الوضعية المزرية للرعية، ويقصد مباشرة الحكام الأتراك، وصادفت انتقاداته الجريئة وقوع حلب تحت حكم و الين مستبدين هما :"عارف باشا" ثم "جميل باشا" فقاومهما الكواكبي و لم يهادنهما أبدا، فقام الوالي الأول بتعطيل جريدته "الشهباء" وسجنه متهما إياه بالتخطيط لقتله، ثم قام الوالي الثاني بعد ذلك بتعطيل جريدته"اعتدال" وكأنه كان يوجد تنسيق مسبق بينهما لعرقلة جهود الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الإصلاحية وتميز صراعه مع الوالي "جميل باشا" بالحدة، مما جعله يقف على المعنى الحقيقي للاستبداد والحرية، ومن المؤكد أن كتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد " كان ثمرة من ثمار صراعه مع هؤلاء الولاة الأتراك المستبدين المدعمين من قبل السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يعينهم بعد دراسته للوضع في المنطقة العربية.[1]

ومن خلال يومياته سواء في شغله الدؤوب أو في صراعه المستمر مع الولاة الأتراك المستبدين، استطاع الشيخ عبد الرحمن الكواكبي تشخيص المرض الذي أصاب العالم الإسلامي، ووقف على أسبابه التي قسمها إلى:[2]

–الأسباب الدينية و التي تتمثل في تأثر المسلمين بعقيدة الجبر والجدل العقيم في العقائد الدينية والذي لا فائدة منه، ورأى تشدد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافا لعلماء السلف الصالح، فهم لم يحاولوا إسقاط الشريعة على روح العصر وكذلك الاعتقاد الموجود عند بعض العلماء و العامة عن جهل بتناقض العلوم الحكمية والعقلية للدين بالإضافة إلى التعصب للمذاهب، وكذلك تغلغل مظاهر الشرك في عقائد الأمة وتأثير المزهدات في السعي والعمل وزينة الحياة.

–أما الأسباب السياسية فتتمثل في السياسة المطلقة التي ينتهجها الحكام لترهيب وقمع الرعية و البقاء في الحكم، وحصر الاهتمام السياسي في الجباية و الجندية و الابتعاد عن المهام الحقيقية للحكام و المتمثلة في إدارة شؤون المواطنين، بالإضافة إلى فقدان المواطنين لقيم العدل و المساواة في الحقوق و الواجبات، وحرمانهم من حرية القول و العمل و فقدانهم للأمن على أنفسهم وأموالهم، وأكبر مصيبة سياسية أبتلى بها العرب آنذاك حماقة أكثر الأمراء وإصرارهم على الاستبداد و القمع كأسلوب للسيطرة وتسيير الشؤون العامة.

–أما الأسباب الأخلاقية و التربوية، فيحصرها الشيخ عبد الرحمن الكواكبي في الاستغراق في الجهل والارتياح إليه، وانحلال الرابطة الدينية وفقدان التناصح والتربية الدينية والأخلاقية، بالإضافة إلى فساد التعليم والوعظ و الخطابة ومعاداة العلوم العالية ، ارتياحا للجهل حتى كاد يصدق فيهم قول المتنبي:

---

(1) حان، دايخ: المرجع السابق، ص ص 100، 105.

(2) علي، المحافظة: المرجع السابق، ص ص 164–166.

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

وبتشخيصه للداء سيشقى الشيخ الكواكبي كثيرا بعقله، لانتشال أمته العربية و الإسلامية من التخلف و الانحطاط و الاستبداد التركي، والعمل على مواجهة الخطر الأوروبي الزاحف عليها .

وتجدر الإشارة أن الشيخ الكواكبي لما تعرض للسجن صودرت كل ممتلكاته و لم يترك له الأتراك شيئا يسترزق به[1] واجتمع عليه الفقر و الاستبداد التركي، فكانت مصر ملجأه التي وصلها في سنة 1900م[2] وفيها التقى بمعاصريه من رجال الإصلاح والثوار و المناضلين العرب الرافضين للاستبداد التركي،وأكثرهم من بلاد الشام أمثال، الشيخ محمد رشيد رضا، محمد كرد علي[3] وفي مصر واصل نشاطه الإصلاحي، حيث بدأ يكتب في صحفها، خصوصا في جريدة "المؤيد" التي كانت تنشر مقالاته السياسية و الاجتماعية، تحت أسماء مستعارة وانضم أيضا إلى جمعية "الكتاب المصرية" وكان عضوا نشيطا فيها.[4]

ويمكننا القول أن الشيخ عبد الرحمان الكواكبي، كان المصلح العربي الوحيد، الذي سلك طريق السيد الأفغاني في الإصلاح، أي المناداة بالثورة العنيفة لتغيير الأوضاع القائمة بسرعة، ولا نعلم هنا هل تتلمذ الشيخ الكواكبي على السيد الأفغاني؟ ولكن ما يمكن معرفته هو قراءة ومطالعة السيد الفراتي لجريدة "العروة الوثقى" وإعجابه بمواضيعها، وقد تبلورت فكرة الثورة على الأتراك لدى الكواكبي بحكم قربه من هموم المواطن العربي المسلم، فقد شغل منصب رئيس بلدية حلب وأيضا عمل في المحاماة للدفاع عن المظلومين والضعفاء، ورأى سوء التسيير والاستبداد الممارس من قبل الحكام الأتراك.[5]

وكتبه الأربعة التي ألفها في مصر نوعا من حركته لإصلاح ما يمكن إصلاحه ففي حياته طبع كتاب "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" و كتاب أم القرى" أما الكتابيين الآخرين "صحائف قريش" و"العظمة لله" فإنهما قد أخذا مع أوراقه إلى السلطان عبد الحميد الثاني الذي اشتراهما من ابن الكواكبي؟ لأن السلطان عبد الحميد الثاني أراد قتل أفكار الكواكبي قبل أن تصل إلى الجمهور العربي.[6]

والشيخ عبد الرحمن الكواكبي لاقى من القمع التركي أكثر من غيره من المصلحين، واستنتج أن السبب في امتياز الأتراك عن العرب، يتمثل في استحواذهم على سلطة الخلافة كمؤسسة دينية مقدسة وذات أثر فعال على كل مسلم ومن هذا المنطلق رأى الشيخ الكواكبي أن العرب هم أصحاب الكفاءة والذين يمكنهم دفع الأمة الإسلامية إلى التقدم، وذلك عن طريق عرب الجزيرة الذين هم الوسيلة الوحيدة التي تستطيع جمع كلمة المسلمين الدينية واختيار الشيخ الكواكبي لعرب الجزيرة عن غيرهم، مرده إلى ظهور الدين عندهم،

---

(1) جرجي، زيدان: بناة النهضة العربية، ص 91.

(2) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص 197.

(3) عبد الرحمن، الكواكبي: المصدر السابق، ص 22.

(4) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص 198.

(5) أنور، الجندي: المحافظة والتجديد في النثر العربي ص ص 124-125.

(6) محمد، كرد علي: المعاصرون، ص ص 283-284.

وبالتالي فهم أحرص الناس عليه، بالإضافة إلى لغتهم العربية التي تعتبر أغنى لغات المسلمين، أيضا عرب الجزيرة أهدى الأمم لأصول المعيشة الاشتراكية! وبالنسبة إليه عرب الجزيرة مازالوا أهل عصبية وصلابة في الرأي والعزيمة، ورأى في مكة أنها البلد الأمين الذي يجب أن يستقر فيه الخليفة العربي، خليفة كل المسلمين.[1] ولاشك أن دعوة الكواكبي هذه إلى التحرر من استبداد الأتراك والسلطان عبد الحميد الثاني واسترجاع مؤسسة الخلافة إلى العرب تعتبر عمل ضخم للقومية العربية، فهو واحد من روادها الكبار في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.[2]

ونحاول الآن أن نستعرض كتابيه الهامين باختصار لأهميتهما في فكره الإصلاحي الذي أراده للمسلمين من أجل تجاوز الوضع المزري الذي يعيشون فيه.

أولا كتابه "أم القرى ":

طبع الكتاب ونشره في حياته، ثم أعيد طبعه بمصر في سنة 1931م، ثم طبع بحلب في سنة 1959م،والكتاب هو وصف خيالي لمؤتمر انعقد في مكة في 15 ذي القعدة سنة 1316 هـ/1898م، حضرت هذا المؤتمر وفود الدول الإسلامية وعددهم اثنان وعشرون فاضلا، كلهم يحسنون اللغة العربية وفي المؤتمر شخصوا أمراض العالم الإسلامي وقد ساهم هذا الكتاب في إيقاظ الشعور القومي بين العرب لأن هذا المؤتمر دعا صراحة إلى خلافة عربية.[3]

وكتاب الكواكبي "أم القرى" يدل على إبداعه وابتكاره فهو بمثابة الطبيب الذي يريد تشخيص علة المسلمين، فبعد تشخيصهم (الوفود الإسلامية) للأسباب التي أهلكت العالم الإسلامي، كانتشار عقيدة الجبر والزهد في الحياة وترك العمل والسعي له، وحرمان الأمة من حقوقها، وفقدان الأمن والعدل و انتشار الجهل وعدم العناية بالنساء...الخ،توصل المؤتمرون إلى النتائج التالية:

- المسلمين في حالة فتور عام، وضرورة تدارك هذا الفتور.
- جرثومة الداء الذي ضرب المسلمين، الجهل، والحل هو تنوير الأفكار بالتربية والتعليم وإيقاظ الشوق للترقي وخصوصا في الناشئة.
- تأسيس الجمعيات التي تقوم بهذا العلاج.
- المكلفون بذلك كل قادر على العمل، وخاصة نجباء الأمة من العلماء.

ويمكننا القول أن كتاب "أم القرى" يمثل سبقا في زمانه، فهو رسالة واضحة إلى كافة المسلمين خاصة العرب ليستيقظوا، فالشيخ عبد الرحمن الكواكبي قدم لنا صورة واضحة عن أهمية الوحدة الإسلامية، أي إذا اجتمع زعماء الأمة الإسلامية وشخصوا الداء، يمكن إيجاد سبل الإصلاح.[4]

---

(1) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص ص 210-212.

(2) أنور، الجندي: المحافظة و التجديد في النثر العربي، ص 127.

(3) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص ص 202-203.

(4) أحمد، أمين:المرجع السابق، ص ص 339-352.

إن موضوع الاجتماع الذي تناوله الشيخ الكواكبي، سواء كان من وحي الخيال أو حقيقة، فهو صورة ناطقة للأوضاع التي كانت تعيشها الأمة الإسلامية، وإنما أراد الكواكبي بأسلوبه الخاص من المسلمين أن يفهموا واقعهم وينطلقوا في التغيير.

وتبقى أهمية الكتاب وخطورته في تلك الفترة، دعوته الصريحة إلى خلافة عربية، وإبعاد آل عثمان عن هذه المؤسسة الدينية المقدسة.

ثانيا: كتابه "طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد":

هذا الكتاب الثاني للشيخ عبد الرحمن الكواكبي أخذ شهرة واسعة في زمانه وحتى في وقتنا الحاضر، وربما شهرة 'الكواكبي جاءت من هذا الكتاب الذي يعتبر ثورة حقيقية ضد نظام السلطان عبد الحميد الثاني، فهو انتفاضه و صرخة مدوية في سماء الاستبداد والأوضاع المزرية التي كان يعيشها العرب من قمع وظلم واضطهاد تركي، وتعود البداية الحقيقية لتأليف هذا الكتاب إلى سنة 1318هـ/1900م سنة نزول الشيخ الكواكبي بمصر، حيث بدأ في نشر مقالات مختلفة، سياسية واجتماعية تحت عنوان: "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" وكانت صحيفة المؤيد أهم صحيفة، ينشر فيها مقالاته. ويقول الشيخ الكواكبي عن كتابه هذا[1]"... كلفني بعض الأعزاء بجمع شمل تلك الأبحاث تعميما للفائدة فأضفت إليها بعض الزيادات وحولتها إلى هيئة هذا الكتاب وجعلته هدية مني للناشئة العربية المباركة الأبية المعقودة آمال الآمة بيمن نواصيهم ولا غرو فلا شباب إلا الشباب و الله ولي المهتدين".

وقد قسم كتابه إلى مقدمة وثمانية مباحث، كلها تدور حول الاستبداد وعلاقته بقيم هامة كالدين والعلم و المجد و المال والأخلاق والتربية والترقي ويختم كتابه بمبحث حول الاستبداد و التخلص منه.

ففي مبحث الاستبداد والدين يقول:[2] "... الدين الذي ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن، ودفنوها في قبور الهوان، الدين الذي فقد الأنصار والأبرار و الحكماء الأخيار فسطا عليه المستبدون واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعا وجعلوه آلة لأهوائهم فضيعوه وضيعوا أهله... "

وهكذا نلاحظ هجوم الشيخ عبد الرحمن الكواكبي على العلماء، أصحاب البلاط والنفوذ الذين عطلوا الأحكام الحقيقية للدين، حيث جعلوه مطية لتحقيق مآربهم ورغباتهم ضد رغبات الأمة، وأيضا استغله الحكام المستبدون للتحكم في أعناق الرعية وقمعها و محاربتها باسم الدين.

وفي موضع آخر، يتكلم الشيخ الكواكبي عن الاستبداد والعلم، حيث يبرز لنا أن الحاكم المستبد يخاف من العلوم التي تنير العقول وتوسع معارف الناس فيعرفون مالهم وما عليهم، وبالتالي المستبد يخاف من سلطان العلم فيعمل على تجهيل الرعية، ويقول الشيخ الكواكبي بهذا الخصوص:[3] "المستبد كما يبغض العلم لنتائجه، يبغضه لذاته، لأن للعلم سلطانا أقوى من كل سلطان."

---

[1] عبد الرحمن، الكواكبي: المصدر السابق، ص ص 25-26.

[2] المصدر نفسه: ص 43.

[3] المصدر نفسه: ص 51.

ويرى الكواكبي في مبحث آخر أن الاستبداد يقضي على التربية الحقيقية للفرد لأن الاستبداد، يجعل الناس يستبيحون الكذب والتحيل والخداع والنفاق و التذلل، وكل الصفات الرذيلة لتحقيق أهدافهم في ظل القمع والاستبداد وتذهب بذلك تربيتهم تحت أرجل الاستبداد[1] فالتربية عند الكواكبي هي[2]: "ضالة الأمم وفقدها هو المصيبة العظمى في الشرق".

وللتخلص من الاستبداد، وضع الشيخ عبد الرحمن الكواكبي شروطا يجب أن تحقق وهي: أن الأمة التي يشعر كلها أو أكثرها بآلام الإستبداد لا تستحق الحرية، والإستبداد لا يقاوم بالشدة وإنما يقاوم باللين والتدريج، وفي نفس الوقت يجب تهيئة الوضع الذي يخلف الاستبداد قبل مقاومته، ويقصد هنا نشر الثقافة والتعليم، وإقناع الفكر العام، لأنه ليس من السهولة القضاء على الاستبداد و المستبدين بين عشية وضحاها، فالمستبد يملك كل إمكانيات البطش والقوة، وبالتالي اتباع أسلوب التدرج والحكمة وتنوير العامة حتى يتحقق الهدف كاملا وغير منقوص، وهو إزالة الاستبداد بمختلف أشكاله.[3]

-مقارنة بين أفكار المصلحين:

في الحقيقة الشيخ عبد الرحمن الكواكبي طغى عليه الجانب السياسي في فكره الإصلاحي أكثر من الجوانب الأخرى كالتربية والإصلاح الاجتماعي، عكس الشيخ طاهر الجزائري الذي طغى عليه الجانب التربوي والاجتماعي أكثر من الجانب السياسي، لكل واحد منهما نظرته للإصلاح، وإن كان الشيخان شبه متفقين في أغلب قضايا عصرهما، فقد رأى الشيخ الطاهر الجزائري في التربية وإصلاح المجتمع، ضرورة لتجسيد الإصلاح وإنجاحه رغم طول أمدهما،إلا أن النجاح مضمون في النهاية.

وبالنسبة للدولة العثمانية، فموقفهما واحد منها، أي ضرورة تصفية وجودها في البلدان العربية، وهذا التوافق بينهما يعود إلى وطنهما الواحد، فهما من سوريا التي كانت تعاني من ويلات الحكم التركي الذي قمع كل الحريات وعطل التدريس خاصة وأنهما برزا كمفكرين إصلاحيين زمن السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909م) الذي أراد إسترجاع هيبة السلطنة العثمانية إلى أيام زمانها،ليس عن طريق العدل ولكن عن طريق القسوة وقمع كل حركة تدعوا إلى الإصلاح أو التغيير في آليات الدولة الضعيفة آنذاك واستقر رأيهما أن الأتراك بلية أبتلي بها العالم العربي.[4] ولقد رأى الشيخ عبد الرحمن الكواكبي في الأتراك ما ينفر الناس منهم، وهذا لضعفهم واستبدادهم بالرعية، وبالتالي على العرب أن ينهضوا ويعتمدوا على أنفسهم للتحرر من سيطرة هؤلاء[5]، والشيخ طاهر الجزائري تمنى مساعدة الإنجليز للعرب في ذلك!.

---

(1) المصدر نفسه: ص 105.

(2) المصدر نفسه: ص 110.

(3) المصدر نفسه: ص ص 140-141.

(4) محمد، كرد علي: المعاصرون، ص 11.

(5) عبد العزيز سليمان، نوار: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، ص 151.

وبالنسبة للإستعمار فموقفها رفضه شكلا ومضمونا،وإن كنا لم نجد مواقف معينة من الكواكبي تجاه الدول الاستعمارية آنذاك، فرنسا وبريطانيا، ولكن مهما كان الأمر فرفضه للاستبداد العثماني هو تعبير عن رفضه لكل أشكال الهيمنة والسيطرة التي تحد من الحرية الأفراد، وقد وهب الشيخ الكواكبي كل حياته من أجل تنوير الرأي العام العربي والإسلامي من مخاطر بقاء الأتراك مسيطرين على مؤسسة الخلافة التي ضعفت بضعفهم، فالشيخ الكواكبي مثل الشيخ طاهر الجزائري، عايش الإستعمداد واكتوى بناره، حتى لجأ إلى مصر وكتابه "طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد" صرخة مدوية في سماء الأتراك ونضيف هنا أن الشيخ الكواكبي قد تأثر في دعوته ضد الاستبداد بالكتابات الغربية الداعية إلى الديمقراطية والوطنية وتقويض أركان الملكية المطلقة والشمولية المستبدة.[1]

وقد وصل به الأمر إلى حد السخرية من الأتراك بقوله[2]: "كم يبلغ عدد الأتراك الذين يستثمروننا، يكفي ضربة مكنسة صغيرة لنتخلص منهم". لقد كان حاقدا على الترك وسياستهم القمعية تجاه العرب ومثقفيهم حتى حكم عليه السلطان عبد الحميد الثاني بالإعدام بعد نشره لكتابه"طابع الاستبداد ومصارع الاستعباد".[3]

والشيخ طاهر الجزائري لو بقي أيضا في سوريا، لحكم عليه أحمد جمال باشا السفاح بالإعدام أيضا، لأنه ساهم في غرس بذور الوعي العربي في صفوف الشباب الذين كانوا يتردون على حلقته ودروسه، فالشيخ طاهر الجزائري آمن بأسلوب الحكمة والتدرج الطبيعي للقضاء على الأتراك، لكن معاصره الشيخ عبد الرحمن الكواكبي لم يصبر على تصرفات الترك وتمنى قيام ثورة عنيفة تهز أركان دولتهم فقد قال مرة: لو ملكت جيشا لقلبت حكومة عبد الحميد في 24 ساعة ! فقد كانت كتاباته وآراؤه السياسية كالحمم البركانية التي تتساقط على الدولة العثمانية، حتى شبهت كتاباته بكتابات الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو[4] الذي ساهم بكتاباته في تقويض النظام الملكي المستبد بفرنسا في القرن الثامن عشر.[5]

ونترك عالم السياسة ونشير إلى نقطة أعطاها المصلحين عناية خاصة وهي ضرورة الاهتمام بالنساء، وتعليم المرأة وإنقاذها من الجهل، وقد كان الشيخ الكواكبي يستشهد بالصحابيات العالمات، كأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فقد كان لهن دور علمي كبير في زمانهن.[6]

---

(1) عبد العزيز، الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية، ص 168.

(2) نجيب، عازوري: المرجع السابق، ص 209.

(3) محمد، كرد علي: المعاصرون، ص 281.

(4) جان جاك روسو: ROUSSEAU J.J (1712-1778م) ولد بجنيف بسويسرا، عاش طفولة قاسية ، من مؤلفاته: حوارات حول العلوم وحوارات حول أصل وأسس اللاعدالة بين الناس. وأهم مولفاته على الإطلاق "العقد الاجتماعي".

راجع .Petit Larousse illustré, Idid p 1555.

(5) عائشة، الدباغ: المرجع السابق، ص-ص 220-221.

(6) المرجع نفسه: ص 213.

وأخيرا يمكن لنا القول أنه بين الرجلين تقارب كبير، لدعوتهما مزج القديم بالحديث والارتباط بكتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك دعوتهما للإستفادة من علوم الحضارة الغربية الطبيعية والفكرية الداعية للتقدم والحرية ومقاومة التخلف والإستبداد.[1]

وختاما نقول أن دعوة الشيخ عبد الرحمان الكواكبي في مقالاته ومؤلفاته، وحلقة الشيخ طاهر الجزائري ومقالاته أيضا، قد مهدتا الطريق لتشكيل الجمعيات السرية والعلنية لمقاومة الاستبداد التركي، وألهبت كذلك المشاعر القومية عند شباب العرب في مطلع القرن العشرين[2] وساهما أيضا بشكل كبير في تقويض الوجود التركي في البلدان العربية و خصوصا في وطنهما سوريا، التي عانت الكثير من القمع والاستبداد الحميدي.

(1) المرجع نفسه: ص ص 222-224.

(2) علي المحافظة؛ المرجع السابق، ص 133.

2 - أثره الإصلاحي و القومي في تلامذته:

إن السيد جمال الدين الأفغاني قد كتب قليلا ولكنه تكلم كثيرا، فساهم في تأليف الرجال الذين أصبح لهم دور جسيم في نهضة أممهم، أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ عبد القادر المغربي، والأمير شكيب أرسلان، وغيرهم كثير، والشيخ طاهر الجزائري في هذا المجال أقرب إلى السيد الأفغاني، فإلى جانب دوره التربوي والتعليمي وتأليف الكتب وجمع المخطوطات قد ساهم أيضا في تكوين الرجال الذين كان لهم الدور الفعال في يقظة أمتهم العربية، فقد كون قادة في الفكر والسياسة و الحرب.[1]

إن الأمنية التي عمل من أجلها الشيخ طاهر الجزائري هو نهضة العرب و المسلمين وما دام طريق التغيير الذي سلكه يحتاج إلى وقت وأجيال فإنه عمل من أجل تواصل العمل الإصلاحي بين الأستاذ وتلامذته، مهمته تكوين هؤلاء التلاميذ وتنشئتهم تنشئة عربية وإسلامية صحيحة، وهم بدورهم سيحملون المشعل فالتواصل الحضاري بين الأجيال قد نجح فيه الشيخ طاهر الجزائري إلى حد بعيد فالعشرات من المفكرين والسياسيين الذين عرفتهم الأمة العربية في مطلع القرن العشرين هم خريجو مدرسته وحلقته الشهيرة. فلا توجد تقريبا صحيفة أو جمعية أو حزب سياسي ظهر في البلاد العربية، إلا ولتلامذة الشيخ طاهر نصيب في تأسيسه ونشاطه، لأنه في مختلف دروسه كان يغرس الوعي القومي من أجل خلق جيل جديد من الشباب يعي حقيقة الوضع الذي تعيشه أمته.

ومن أبرز التلاميذ الذين أثر فيهم الشيخ طاهر أيّما أثر، وكان لهم دور حاسم في تاريخ النهضة العربية و الحركة القومية، نذكر الأستاذ محمد كرد علي، والصحافي والكاتب محب الدين الخطيب، وأيضا ابن أخيه الضابط سليم الجزائري، هؤلاء الثلاثة الذين اخترهم من بين العشرات عبروا بصدق عن أماني الشيخ طاهر الجزائري، وكانوا له خير خلف لخير سلف فأعمالهم التي قاموا بها من أجل العرب والمسلمين، كانت تمثل الآمال التي يحلم الشيخ طاهر بتحقيقها.

1.2 - محمد كرد علي:

يعتبر الأستاذ محمد كرد علي التلميذ الوفي لأستاذه وشيخه الشيخ طاهر الجزائري، فكتاباته لم تخل أبدا من ذكر الشيخ طاهر أو التلميح إليه و إلى جهوده الثقافية و القومية في بلاد الشام ومصر، فمحمد كرد علي أحد الثمار الطيبة التي يحق للشيخ طاهر أن يفتخر بها لأن آثار محمد كرد علي تضمن له الخلود وتضعه في مصاف رواد النهضة العربية والإسلامية وأرباب القلم.[2] لقد سار على طريق أستاذه فكان بذلك أقرب الناس إليه.

---

[1] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 26.

[2] محمد رجب، البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1، ج2، بيروت: الدار الشامية، دمشق: دار القلم، 1995، ص 87.

1.1.2- مولده، نشأته وتكوينه:

هو محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي، أصله من أكراد السليمانية بالموصل ولد بدمشق في سنة 1293هـ/1876م، توفي والده وهو صغير وفي دمشق أخذ دروسه الأولى في المدرسة الرشدية، وإنصرف أيضا إلى مجالس الشيوخ و العلماء التي كانت تعقد من حين لآخر.[1] وبالطبع كان الشيخ طاهر الجزائري من أبرز الوعاظ، والقريبين من نفسية محمد كرد علي، الذي تأثر كثيرا بدروسه فقد هداه إلى النهج الصحيح، ونحو دراسة كتب التراث العربي المطبوع والمخطوط منه، وبفضل جهود الشيخ طاهر شب هذا الشاب الكردي علي حب العرب والدفاع عنهم وعن الإسلام، ويظهر تأثر وإعجاب محمد كردعلي بشيخه في هذه المقولة عندما أهدى كتابه كنوز الأجداد إلى الشيخ طاهر الجزائري حيث كتب[2] : "إلى روح من أشرب قلبي حب العرب وهداني إلى البحث في كتبهم، صدر الحكماء، سيدي وأستاذي العلامة الشيخ طاهر الجزائري، أهدي كتابي كنوز الأجداد".

وفي صغره أحسن اللغات التركية و الفرنسية و الفارسية، وهذه الخلفية العلمية مكنت محمد كرد علي من دخول أبواب المعرفة مبكرا، حيث انبرى إلى الإصلاح و الدفاع عن الحضارة العربية والإسلامية[3] وهذا النشاط الإصلاحي الذي انخرط فيه، كلفه المضايقات والاضطهاد حتى هاجر إلى مصر، قلعه الأحرار آنذاك كما فعل أستاذه الشيخ طاهر.[4]

وقبل أن ننتقل إلى نشاطه الإصلاحي والقومي، نضيف هذه الكلمات التي أشاد فيها محمد كرد علي بشيخه طاهر الجزائري في وجه خصومه وحاسديه، حيث قال:[5] "ألف الشيخ نحو أربعين رسالة وكتاب في العلوم المختلفة وأحيا من كتب القدماء عشرات، وتخرج به كثيرون في مصر والشام وتثقف بثقافات فارسية وتركية وإفرنجية وعرف عدة لغات شرقية وغربية،فأنتم ماذا أبقيتم بعد طويل حياتكم؟!"

2.1.2- إسهاماته في النهضة العربية الحديثة:

لم يجد محمد كرد علي أرشد مسلكا للدفاع عن العرب وتحفيزهم إلى العمل النافع،إلا الصحافة لما لها من تأثير، فأولع بها منذ صباه، وعمره ستة عشرة عاما، فكان يكتب الأخبار و المقالات المختلفة، لبث الوعي ومحاربة الجهل والكسل[6] فكان بذلك ميدان الصحافة، النقطة الأولى التي انطلق منها في حياته العملية والإصلاحية حيث تولى تحرير جريدة "الشام"[7] الحكومية (1315هـ/1318هـ/ 1898-1900م) ثم انتقل إلى

---

(1) خير الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط 7، م 6، ص-ص 202-203

وأنظر أيضا: عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص ص 29-30.

(2) محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 2.

(3) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 33.

(4) أنور، الجندي: المحافظة و التجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام، ص 485.

(5) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 32.

(6) شفيق، جبري: محاضرات عن محمد كرد علي، القاهرة: مطبعة الرسالة، 1957، ص 11.

(7) جريدة الشام الحكومية، أصدرها مصطفى واصف في دمشق سنة 1896، راجع المنجد في اللغة والأعلام، ص 690.

مصر في سنة 1319هـ/1901م واشتغل محررا في جريدة " الرائد المصري" عدة شهور.[1] ثم رجع إلى سوريا، ونظرا لأفكاره وتوجهاته القومية تعرض للقمع والمضايقة من قبل الحكام، و لم يجد بدا من الهجرة ثانية إلى مصر التي إستقر بها نشاطه الصحافي والإصلاحي بعيدا عن القمع.[2]

وفي مصر إلى جانب نشاطه الإعلامي واكب على حضور مجلس الإمام محمد عبده، وإفتخر بالانتساب إليه، فقد كان يحضر دروسه في التفسير مرتين كل أسبوع، وهذا الإعجاب مرده إلى التشابه الكبير بين الشيخين محمد عبده والشيخ طاهر الجزائري، فترعتهما الإصلاحية مشتركة، ومتفقين على أسلوب الإصلاح الديني والتربوي والاجتماعي لنشل المسلمين من تخلفهم ويظهر تقدير محمد كرد علي لجهود الشيخين الإصلاحية ما كتبه في مقدمة كتابه الذي أهداه إلى العلامة أحمد تيمور باشا فخاطبه بما يلي:[3] "رأيتك بعد عالمي مصر والشام ومفخر العرب وحجة الإسلام أستاذينا العظيمين: الشيخ محمد عبده، والشيخ طاهر الجزائري رحمهما الله". هذه العبارات تؤكد لنا مدى إحترام محمد كرد علي لشيوخه وتأدبه معهم.

وكما سبق وأن ذكرنا أن محمد كرد علي إختار الصحافة كوسيلة لنشر الأفكار الإصلاحية والقومية، حيث أسس مجلة القبس في سنة 1324هـ/ 1906 بمصر وبعد إعلان الدستور في 1908م رجع إلى دمشق وأصدر في نفس السنة صحيفة المقتبس[4] وكان الشيخ أبي يعلي الزواوي ينشر مقالاته في جريدة المقتبس[5] فهذه الصحيفة ساهمت بدور فعال في محاربة رجال جمعية الاتحاد والترقي الذين أبقوا على الإستبداد التركي للعرب، وساهم بصحيفته في إيقاظ العقول وغرس الوعي القومي، حتى إتهمه أحد ولاة الترك بالتعرض للعائلة السلطانية في إحدى مقالاته والهدف من هذا مضايقته والحد من نشاطه.[6]

وبسبب المضايقات التركية، هاجر محمد كرد علي مجددا إلى مصر، حيث واصل نشاطه القومي في حزب اللامركزية الإدارية العثمانية، وغيره من الجمعيات والحركات العربية السرية والعلنية التي تطالب بحقوق العرب داخل الدولة العثمانية، وقد تأثر محمد كرد علي كثيرا بأفكار علماء المسلمين وعلماء الغرب، ولهذا نجده أحد الدعاة للحرية ومقاومة الاستبداد والظلم، فقد تشبع بأفكار أبي حامد الغزالي وابن حزم وابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية، وكذلك أعجب بأفكار فولتير (1694-1778م) الكاتب الفرنسي وجان جاك روسو(1712-1778م) ومنتيسكيو (1689-1755م) وهذا لأفكارهم التحررية المناوئة للإستبداد والمطالبين بفصل السلطات وتحقيق العدل والمساواة[7].

---

(1) بحر الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط7، م6، ص-ص 202-203.

(2) شفيق، جبري: المرجع السابق، ص20.

(3) محمد رجب، البيومي: المرجع السابق، ص 69.

(4) محمد، صالحة وسميح، أبو مغلي: تاريخ الصحافة العربية، نشأتها وتطورها، عمان: نشر مؤسسة دار بيكار. (د-ت) ص 121.

(5) أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، ص 146.

(6) سامي، الكيالي: المرجع السابق، ص 228.

(7) petit larousse illustré Ibid P 1448 , P1555,P 1655.

وأنظر أيضا: أنور، الجندي: المحافظة والتجديد في النثر العربي، ص ص 483-484.

وكذلك ساهمت رحلاته الكثيرة إلى أوروبا ومختلف البلدان على وقوفه على أسباب التخلف والتقدم أيضا، وإقتنع بفكرة الحرية كقيمة معنوية لتحقيق أي إصلاح أو تقدم، لذلك حاول الاتحاديون إغتياله، لكنه هرب إلى مصر وواصل تحذيره لهؤلاء المستبدين.[1]

وبعد دخول الجيش العربي إلى دمشق ونهاية الحكم التركي بسوريا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، واصل محمد كرد علي إصلاحه الثقافي، حيث أسس المجمع العلمي العربي في سنة 1919م وترأسه، وكان هدفه من هذا المجمع إحياء الآداب العربية وتلقين أصول البحث للدارسين وفق الطرق الحديثة سواء في الدرس أو التأليف، وقد ضم هذا المجمع طائفة من العلماء والأدباء السوريين والعرب وكبار المستشرقين، وساهم هذا المجمع في بعث التراث وأيضا قدم خدمات جليلة للغة العربية مثل وضع ألفاظ للمصطلحات العلمية الحديثة، وإصلاح لغة الدواوين، وتصحيح الأخطاء الشائعة آنذاك في كلام الكتاب والشعراء، وكذلك أصدر المجمع لغة خاصة بنشر الدراسات والأبحاث خاصة اللغوية والأدبية منها.[2] وإلى جانب نشاطه التربوي والعلمي، تقلد محمد كرد علي وزارة المعارف مرتين زمن الإنتداب الفرنسي على سوريا (1920-1946م)، محاولا تجسيد طموحاته الإصلاحية على الميدان بقوة القانون.[3] وإن دور محمد كرد علي بارزا في النهضة العربية الحديثة، وفي تكوين روادها أيضا، فقد سار على نفس الطريق التي إتخذها قبله الشيخ طاهر الجزائري وقد قال عنه فخري البارودي مفتخرا به إلى جانب الشيخ طاهر الجزائري ما يلي:[4]

" إذا كان من فضل لأحد علي في توجيهي من الناحية الوطنية فهو أولا للشيخ طاهر الجزائري المغربي، أستاذنا وإلى تلامذته الأحرار ومنهم الأستاذ محمد كرد علي، على صحبته مدة غير يسيرة من الزمن علمني خلالها كيف أطالب بالحق وأنادي به".

وهكذا نلاحظ مدى نجاح فكرة التواصل الإصلاحي بين الأستاذ وتلامذته التي سعى الشيخ طاهر الجزائري لتحقيقها دهرا من الزمن.

3.1.2- محمد كرد علي وحركة الإصلاح في الجزائر:

لقد سبقت الإشارة،أن الشيخ أبي يعلى الزواوي العالم الجزائري الذي سافر إلى المشرق العربي للعلم والعمل، كان يكتب مقالاته في صحيفة المقتبس التي أنشأها محمد كرد علي وليس غريبا أن يفتح محمد كرد علي صحيفته للأقلام الجزائرية، ويتعاون معهم، فهو نتاج وثمار المدرسة الطاهرية.[5]

---

(1) أنور، الجندي: المرجع نفسه، ص 484.

(2) حنا، الفاخوري: المرجع السابق، ص 915.

(3) خير الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط7، م6، ص ص 202-203.

(4) شمس الدين، الرفاعي: تاريخ الصحافة السورية، ج1، مصر: دار المعارف 1969، ص 213.

(5) نسبة إلى الشيخ طاهر الجزائري.

وربما الشخصية العلمية الجزائرية التي ارتبطت بمحمد كرد علي بعد الشيخ طاهر الجزائري، تتمثل في الشيخ محمد بن أبي شنب[1] أحد أبرز علماء الجزائر في بداية القرن العشرين، الذي كان ذا شهرة واسعة في عالم الأدب و الفكر ومعروفا لدى المستشرقين، خصوصا الفرنسيين منهم، فبعد إنشاء المجمع العلمي العربي في سنة 1919م على يد محمد كرد علي انتخب الشيخ محمد بن أبي شنب عضوا مراسلا للمجمع، ومنذ سنة 1922م بدأ ابن أبي شنب يراسل المجمع ويراسل أيضا الأستاذ محمد كرد علي، وهكذا كانت بداية التعارف بينهما، بواسطة العلم و المعرفة لا أكثر، إلى غاية انعقاد مؤتمر المستشرقين السابع عشر في أكسفورد سنة 1928م، حيث تم اللقاء بينهما لأول مرة ثم تطورت العلاقات بينهما، فكان محمد كرد علي يرسل مجلة المجمع العلمي العربي إلى ابن أبي شنب واقترح عليه تبادلها مع المجلة الإفريقية[2] التي كانت تصدر بالجزائر، و هذه العلاقة التي جمعت بين الأستاذين ساهمت بلا شك في بعث الوعي القومي و الوطني لدى ابن أبي شنب، وربما أراد محمد كرد علي رد الجميل لشعب أستاذه الأول الشيخ طاهر الجزائري، ولا ننسى أنه في هذه الفترة كانت الصحافة المشرقية تصل بعض الجزائريين وأغلب محرريها تلامذة الشيخ طاهر الجزائري خصوصا رائد الصحافة العربية آنذاك محب الدين الخطيب.[3]

والرسائل التي تبادلها محمد كرد علي مع محمد بن أبي شنب، تعبر على التواصل بين علماء المشرق العربي و علماء المغرب العربي، رغم الاستعمار وعراقيله، وهذه الرسائل لها قيمتها التاريخية[4] و المعنوية، ففرنسا خافت من هذه العلاقة العلمية، فهي تعرف جيدا أفكار وتوجهات محمد كرد علي تلميذ الشيخ طاهر الذي يكره الاستعمار الفرنسي، وبتواطؤ من الإدارة الاستعمارية رفضت إدارة المجلة الإفريقية Revue Africaine طلب محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بتبادل مجلته مع المجلة الإفريقية، وبخصوص هذا الموضوع بعث ابن أبي شنب رسالة إلى محمد كرد علي مما جاء فيها[5]: "... وعرضت على إدارة المجلة الإفريقية Revue Africain

---

(1) محمد بن أبي شنب: ولد في سنة 1869 بالمدية، وتعلم فيها، ثم انتقل إلى مدينه الجزائر وكان من حظه أن يسمح له بالدراسة و التدرج فيها، لأن ساسة الاستعمار الفرنسي في هذه الآونة حاولوا تكوين صلة بين الفرنسيين و الجزائريين فقد أصبح أستاذا للفرنسيين وشيخا لمستشرقيهم، وكان من القلائل الذين تحصلوا على شهادة الدكتوراة في الأدب العربي من جامعة الجزائر، وأصبح كذلك مدرسا فيها، كان له إنتاج غزير واتصالات علمية كثيرة ومتنوعة، شارك في مؤتمر المستشرقين بالجزائر سنة 1905، ولندن وأستوكهولم، وعضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وتوفي في سنة 1929.

(2) المجلة الإفريقية Revue Africaine : صدر العدد الأول منها في شهر أكتوبر 1856، تولى إنشاءها و تحريرها في البداية "المسيو أدريان بربروغر" 1856-1859م حتى وفاته و عاشت هذه المجلة ما يقارب قرن و ست سنوات (1856-1962م) هدفها خدمة الوجود الفرنسي و الحضارة الغربية، لكنها رغم ذلك قدمت خدمات جليلة لتاريخ الجزائر.

راجع : الزبير، سيف الإسلام : تاريخ الصحافة في الجزائر، ج2، الجزائر : ش.و.ن.ت، 1982، ص ص 44-48.

(3) أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب و الرحلة، الجزائر: م.و.ك، 1983، ص ص 75-78.

(4) المرجع نفسه: ص 78.

(5) المرجع نفسه: ص 83، ويمكن الرجوع إلى الملحق، حيث توجد نماذج من الرسائل التي تبادلها ابن أبي شنب مع محمد كرد علي.

" بصفتي كاتب عام ثان ، رغبتكم في المبادلة وألححت في الطلب مظهرا فائدة الرابطة بين علماء الأدب، فلم تقبل طلبي، وحيل بيني وبين رغبتي". وهكذا نلاحظ الهلع الفرنسي من التيارات المشرقية، خصوصا من هؤلاء رواد الفكر القومي العربي، فهذه الرسائل المتبادلة تبين مدى تطور العلاقات الثقافية بين العلماء الجزائريين ونظرائهم المشارقة رغم سياسة القبضة الحديدية للإدارة الاستعمارية الفرنسية التي مارستها على الجزائريين، فوقوع مجلة المجمع العلمي العربي بين أيدي الجزائريين المتعطشين للثقافة العربية والإسلامية، بلا شك سيساهم في الوعي الوطني و القومي لديهم.

وهكذا ظل محمد كرد علي وفيا لخط شيخه الإصلاحي، و لم تتوقف جهوده الفكرية في نشر كتب التراث العربي، وبعث الهمم حتى وافاه الأجل في 5 أفريل من سنة 1953[1] تاركا وراءه عشرات المصنفات التاريخية و الأدبية التي أغنت المكتبة العربية.

2.2 – محب الدين الخطيب:

يعتبر محب الدين الخطيب بعد زميله محمد كرد علي، التلميذ الثاني الوفي لمبادئ شيخه، الشيخ طاهر الجزائري، فهو أحد أبرز أعضاء حلقة دمشق الكبيرة وأبرز القوميين العرب في بداية القرن العشرين، وهذا للنشاط الإصلاحي و القومي الذي تصدى له، فهو لم يعرف الكلل ولا اليأس، حتى آخر لحظة في حياته، لقد استطاع الشيخ طاهر الجزائري تكوين هذا المناضل العربي الإسلامي أحسن تكوين، فقد كتب محب الدين الخطيب عن شيخه [2] : "من الشيخ طاهر الجزائري عرفت عروبتي وإسلامي، هذا الشيخ الذي كان له الفضل في كل تقدم و رقي أصاب مسلمو سوريا".

1.2.2–مولده، نشأته وتكوينه:

ولد محب الدين الخطيب في أسرة دمشقية سنة 1305هـ/1887م، ويرجع نسبه إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني الحسني، واشتهرت أسرته بالعلم و التجارة وسيطرت أيضا على خطابة المسجد الأموي بدمشق وبها اشتهروا، كان والده عالما دينيا و خطيبا ومدرسا في أحد المساجد، كما كان يعمل أمينا لدار الكتب الظاهرية، وهكذا نشأ محب الدين الخطيب في بيئة عربية إسلامية محافظة، وفي دمشق تلقى دروسه الأولى على يد شيوخها وعلمائها، وكان من أبرزهم آنذاك الشيخ طاهر الجزائري، فقد تعلم القراءة و الكتابة وحفظ القرآن وانتقل إلى بقية العلوم الدينية و الدنيوية [3].

وقد اتصل التلميذ محب الدين الخطيب بالشيخ طاهر الجزائري مبكرا، فقد كانت تربط الشيخ طاهر علاقة وطيدة بوالده، وتوطدت العلاقة بين التلميذ وأستاذه بعد وفاة والده حيث اهتم به وقربه إليه[4] وفتح له

---

(1) أنور، الجندي: أعلام الإسلام، (د–م) (د–ت)، ص 215.

(2) صالح، خرفي: الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر، ش.و.ن.ت، 1977، ص 70.

(3) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 41.

وأيضا أنظر: محمد رجب، البيومي: المرجع السابق، ص 312.

(4) عدنان، الخطيب: المرجع السابق. ص 42.

باب حلقته التي كان يؤمها آنذاك المتحفزون من الشباب وذوو الاستنارة من الشيوخ، وفي مجالس هذه الحلقة تكونت عقلية محب الدين الخطيب، ذات الاتجاه المتحفز و الطموح، ومن خلال هذه الحلقة وقف على كتب المصلحين السابقين، وكبريات الصحف والمجلات التي كانت تصدر في تركيا ومصر، وتحمل بين طياتها مختلف العلوم التي كان يبحث عنها لتغذية فكره وعقله ومعرفة ما وصل إليه الآخرون[1].

وفي أجواء هذه الحلقة نمت عقلية محب الدين الخطيب وتأثر بأحداث عصره وعقد العزم على مواصلة المشوار الإصلاحي لتكملة العمل الذي قام به أستاذه وعندما تمكن من تشخيص الداء الذي أصاب العرب والمسلمين أصبح أحد أبرز المفكرين القوميين العرب، وهذا لأفكاره وتصوراته التي كان يطرحها من أجل نهضة العرب و المسلمين، وفي هذه الفترة التي بدأ نجم محب الدين الخطيب في البزوغ كانت أغلب الجمعيات النشيطة في العمل القومي العربي يغلب عليها العنصر المسيحي، لكن ببروز محب الدين الخطيب وتلامذة الشيخ طاهر الجزائري، انطلق هؤلاء في تأسيس الجمعيات العربية والإسلامية الحاملة للواء القومية العربية وحقوق العرب داخل الدولة العثمانية.

2.2.2- إسهاماته في النهضة العربية الإسلامية:

لقد بزغ فجر محب الدين الخطيب بسرعة، فلم يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى انخرط في العمل النهضوي العربي، فبعد تردده على حلقه الشيخ طاهر الجزائري وهو طالب بالفصول النهائية بثانوية دمشق، جاءته فكرة تأسيس حلقة صغيرة مع مجموعة من أصدقائه، فكانت بذلك حلقة دمشق الصغيرة وهذا في سنة 1903م التي جمعت أعضاء من حلقة دمشق الكبيرة، وكان محب الدين الخطيب العنصر الفعال فيها، فقد كان موجهها الحقيقي وواضع خططها، كانت اهتمامات الحلقة ظاهريا دراسة تاريخ العرب وقواعد اللغة العربية وآدابها، لكن في حقيقة أمرها كانت تعمل على بعث العرب من سباتهم وضرورة استقلالهم عن الدولة العثمانية الضعيفة و المستبدة، التي رفضت كل أشكال الإصلاح للحاق بالأمم، أو حتى ترك بقية الشعوب الخاضعة لها تدبر أمرها وتخرج من دائرة الضعف لمواجهة المد الاستعماري.[2]

وفي سنة 1905م، انتقل محب الدين الخطيب إلى استانبول لمواصلة دراسته الجامعية، حيث التحق بكليتي الحقوق والآداب[3] وانتقاله خارج دمشق لم يؤثر على قناعاته الإصلاحية، فقد قام مع مجموعة من زملائه بتأسيس "جمعية النهضة العربية " في العالم الموالي أي في سنة 1906م و التي كانت تعلم الطلاب العرب اللغة العربية وآدابها، وتدرس تاريخ العرب وبطولاتهم، متحدية الظروف و كانت تعقد اجتماعاتها في منازل الطلبة الأعضاء، لكن بعد ذلك خرجت إلى المقاهي والنوادي الثقافية لنشر أفكارها، فتعرضت بذلك للاضطهاد والقمع وسيء الظن بها من قبل السلطات التركية، فخاف محب الدين الخطيب من جواسيس السلطان عبد

---

(1) محمد رجب، البيومي: المرجع السابق، ص 313.

(2) مصطفى ، الشهابي: المرجع السابق، ص ص 52-53.

(3) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 41.

الحميد الثاني وعزم على الرحيل إلى دمشق و لم يكمل دراسته.[1] وبعد هذه التجربة القومية، اضطر إلى الهجرة إلى اليمن، واشتغل إداريا بالقنصلية التركية وساهم في إنشاء مدرسة تعليمية بمدينة الحديدة[2]، متخذا منها سبيا لتنوير النشء، وقام بالتدريس فيها لقلة المدرسين وهكذا نلاحظ مدى نشاطه الإصلاحي الدؤوب.[3]

وبعد إعلان الدستور في سنة 1908م عاد إلى دمشق، ثم اتجه إلى استانبول ومنها إلى القاهرة، حيث اشتغل في الصحافة وكان يشارك في كل الجمعيات السرية و العلنية التي تطالب بحقوق العرب من الدولة العثمانية، وتميز أيضا في هذه الفترة بكثرة رحلاته[4] وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى كان متواجدًا بدمشق، لكن لأفكاره القومية الداعية إلى استقلال العرب ومقاومة جماعة الاتحاد و الترقي أحس بخطر هؤلاء، وخرج من دمشق مستخفيا بملابس الأعراب حتى وصل القاهرة عن طريق فلسطين، لأنه لو بقى لبطش به أحمد جمال باشا السفاح كما بطش بغيره من الشعوب والأفراد وكانت رحلته الأخيرة إلى القاهرة، خاتمة لتنقله وترحاله، حيث استفاد من ذلك معارف جديدة، ووقف على الداء وأشكاله، الذي أصاب الأمة العربية والإسلامية، وانضم في القاهرة إلى هيئة تحرير جريدة الأهرام[5]، وأيضا كان له نشاط دؤوب في حزب اللامركزية الإدارية العثمانية، الذي أقلق الأتراك وعكر صفو أيامهم.

وعندما أعلن شريف مكة الشريف حسين بن علي الثورة على الأتراك في جوان 1916 م، التحق محب الدين الخطيب بالجيش العربي، وأصدر بمكة جريدة "القبلة" ونظرا لموقفه القومي، حكم عليه الأتراك بالإعدام، وكاد يكون ضمن القائمة التي شنقها جمال باشا السفاح في سنة 1916م، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية فيها، وقيام الحكومة العربية في دمشق، عاد محب الدين الخطيب إلى مسقط رأسه دمشق وأدار جريدة "العاصمة" التي تعتبر أول جريدة عربية حكومية، ولما دخل الفرنسيون سوريا في سنة 1920 مسيطرين عليها باسم الانتداب، فر مجددا إلى القاهرة وواصل نشاطه الإصلاحي و القومي وهذه المرة محاربة الاستعمار الفرنسي في وطنه وفي كل البلاد العربية وعلى الخصوص الجزائر.[6]

وعن نشاطه الفكري، فقد ساهم محب الدين الخطيب في النهضة العربية بشكل كبير و أعماله تنطق بذلك، فقد أسس بالقاهرة المكتبة السلفية، ثم أنشأ في سنة 1924م مجلة الزهراء ثم بعدها أسس مجلة الفتح الأسبوعية الإسلامية، لتدعيم النهضة الإسلامية ومحاربة الاستعمار الأوروبي، وعن طريق عمله الإعلامي استطاع مع أصدقائه تأسيس "جمعية الشبان المسلمين" فقد كانت هذه الجمعية التي أسسها مدرسة حقيقية

---

(1) محمد رجب، البيومي: المرجع السابق، ص 314.

(2) الحديدة : مدينة ميناء على البحر الأحمر.

(3) محمد رجب ، البيومي : المرجع السابق، ص 315.

(4) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 41.

(5) محمد رجب، البيومي: المرجع السابق، ص 327.

(6) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 41.

لنشر الوعي الإسلامي بين الشباب، وبذلك كانت في نشاطاتها وأعمالها تستمد أفكارها من مدرسة الشيخ طاهر الجزائري الذي كانت آثاره بارزة في مجلة الفتح ورئيسها.[1]

ونظرا لهذا العمل الإعلامي المميز و الناجح، أسندت إدارة جامع الأزهر الشريف إلى محب الدين الخطيب رئاسة تحرير مجلة "الأزهر" لسنوات عديدة كانت مثمرة [2] و لم يترك محب الدين الخطيب مجال التأليف و الترجمة فقد كان له نشاط بارز أثرى به المكتبة العربية ورد على خصوم الحضارة العربية والإسلامية، فمن بين الكتب التي ألفها كتاب "اتجاهات الموجات البشرية في جزيرة العرب" الذي ألفه خصيصا للرد على المفكر الإنجليزي "توينبي Toynbee " [3] الذي نشر مقالا في جريدة "مانشستر غارديان" يوم29 ديسمبر1925م إدعى فيه أن أسباب هجرات العرب تعود إلى الجفاف الذي كان يضرب الجزيرة العربية في دورات من الزمان، وأكد محب الدين الخطيب في رده أن الهجرات العربية قديمة منذ ستة آلاف سنة و لم تكن أبدا خاضعة للجفاف أو البحث عن العشب، بل هجرات تاريخية دأب العرب عليها لاعتبارات كثيرة، دينية تجارية وحضارية أيضا.[4]

وكذلك قام محب الدين الخطيب بعمل هام تمثل في ترجمته لكتاب "الغارة على العالم الإسلامي" مع "مساعد اليافي"، هذا الكتاب الخطير في معلوماته، ألفه العالم الفرنسي "أ.ل، شاتليه" وقد قام محب الدين الخطيب، بنشر فصول هذا الكتاب في صحيفة "المؤيد" سنة 1912م، ثم قام بنشرها مجددا بعد عشرين سنة، أي في سنة 1350هـ/1932م، في صحيفة الفتح، وعندما طالع الأمير شكيب أرسلان تلك الفصول المنشورة، طلب بوضعها في كتاب يطبع منه الألوف من النسخ بل وعشرات الألوف ويوزع على جميع العالم الإسلامي، ويترجم أيضا إلى جميع لغات المسلمين حتى يستظهروه ويفهمون لعلهم ينهضون لأن هذا الكتاب يتحدث بشكل مثير عن مخططات المبشرين لتنصير المسلمين وغير المسلمين.[5]

وهكذا نقف على المجهودات الفكرية التي بذلها محب الدين الخطيب لنهضة المسلمين واللحاق بالأمم المتقدمة في إطار هويتنا العربية الإسلامية فقد حمل اللواء من أستاذه الشيخ الطاهر الجزائري وكأني بالشيخ طاهر يبعث من جديد في شخص هذا الصحافي، الكاتب والمترجم اللامع.

3.2.2-محب الدين الخطيب والجزائر:

إن العلاقة التي ربطت محب الدين الخطيب بالجزائر، تمثلت عن طريق مجلته "الفتح" التي كانت بمثابة الجسر الذي مده إلى إخوانه الجزائريين للعبور إلى إخوانهم المشارقة، و التنفيس عن همومهم، فقد ساهمت هذه

---

(1) عدنان، الخطيب : المرجع السابق ، ص 49. وأنظر أيضا : أنور ، الجندي : المحافظة والتجديد في النثر العربي، ص 624.

(2) محمد رجب، البيومي : المرجع السابق ، 327.

(3) توينبي Toynbee، ربما هنا عالم الحضارة الأنقليزي، أرلوند، ج توينبي، (1889-1975م)

(4) محب الدين، الخطيب: اتجاهات الموجات البشرية في جزيرة العرب، القاهرة: المطبعة السلفية 1344هـ/1926م، ص 3.

(5) أ.ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، مج4، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، الجزائر: د.م.ج، 1985 ص ص 175-176.

الصحيفة، في نشر الوعي الحضاري لدى علماء الجزائر وشبابها الطموح الفقير إلى الثقافة العربية الإسلامية، بسبب السياج الذي وضعته الإدارة الاستعمارية الفرنسية لغلق كل المنافذ أمام التيارات الوطنية والإسلامية القادمة من المشرق العربي، ونظرا لأهمية هذه الصحيفة في ربط علماء من الجزائر بمحب الدين الخطيب وفي تلك الفترة الزمنية الحرجة من تاريخ الجزائر المعاصر، فأبو القاسم سعد الله يبرز أهمية صحيفة "الفتح" ودور محب الدين الخطيب حيث يقول:[1] " وكانت مجلة الفتح التي يشرف عليها محب الدين الخطيب تصل إلى بعض القراء في الجزائر، ويحتاج محب الدين الخطيب إلى دراسة نظرا لعلاقاته الهامة مع الجزائريين".

لقد جعل محب الدين الخطيب من صحيفته منبرا للدفاع عن الجزائر العربية الإسلامية التي كانت تئن تحت وطأة الاستعمار الفرنسي وهذه المساهمة ربما لا نجد مثيلا لها في الصحف الأخرى، فقد تناولت الوضع الجزائري بشكل جريء.[2]

وقد أصدر محب الدين الخطيب مجلته "الفتح" في يوم الخميس 29 من ذي الحجة 1344 هـ الموافق لـ 10جوان 1926[3] بالقاهرة، وكانت مفتوحة أمام جميع الأقلام العربية البارزة آنذاك مثل: الشيخ محمد رشيد رضا، الأمير شكيب أرسلان، ومحمد السعيد الزاهري، والشيخ البشير الإبراهيمي، أحمد توفيق المدني و الشيخ أبو يعلى الزواوي، وقد صدرت هذه المجلة في وضع متميز يعيشه العالم الإسلامي والمتمثل في إلغاء الخلافة الإسلامية كمؤسسة دينية مقدسة من قبل حاكم الدولة التركية مصطفى كمال أتاتورك[4] وأثر ذلك العمل على مشاعر المسلمين، خاصة القابعين تحت السيطرة الأوروبية (الصليبية)، وفي هذه الفترة أيضا كانت الشعوب الإسلامية تعرف وعيا وغليانا بسبب الأعمال التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية في فلسطين، لقد ظهرت "الفتح و العالم الإسلامي، بحاجة إلى فاتحين جدد لإخراجه من وضعه المزري ومواجهة التحديات و المستجدات التي كان تعج بالساحة الدولية.[5]

---

[1] تاريخ الجزائر الثقافي، ط 1، ج 5، ص 600.

[2] المرجع نفسه: ص 601.

[3] وكأني هنا بمحب الدين الخطيب قد اختار الذكرى العاشرة لاندلاع الثورة العربية الكبرى (10 جوان 1916) والتي شارك فيها، فاختار هذا التاريخ تيمنا بنجاحها.

[4] مصطفى كمال أتاتورك : (1881-1938م) مؤسس جمهورية تركيا الحديثة في نوفمبر (1923) ولد في سالونيك، قاد حركة المقاومة العسكرية والسياسية ضد معاهدة سيفر(أوت 1920) استطاع طرد القوات اليونانية من الأراضي التركية التي احتلتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، و في مارس 1924 ألغى الخلافة الإسلامية، وأصبح رئيسا للجمهورية التركية، أقر العلمانية، حارب الدين، والعادات الإسلامية، أدخل الحروف اللاتينية في اللغة التركية سمي أتاتورك أي أبو الأتراك، راجع: عبد الوهاب، الكيالي: موسوعة السياسة، ط 3، ج1، ص 27.

[5] حسين، محمد الشريف: (اهتمامات المشارقة بالتاريخ الوطني من خلال صحيفة الفتح)/ عمار، هلال: المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر، 1830-1962، الجزائر، د.م.ج، (د-ت)، ص 74.

وسبب إصدار هذه الصحيفة الغيرة الشديدة على الدين خصوصا مواجهة الدعوات الهدامة، و قد أشار المشرفون عليها في الصفحة الثانية من عددها الأول موضحين أسباب تأسيسها بما يلي[1] "... وبعد فقد هال جماعة من أهل الغيرة على الدين و الحمية للإسلام تلك النزعات الهدامة و الهجمات التي يوجهها الملحدون نحو أصول الإسلام وقواعده، فكان ذلك من دواعي إصدار صحيفة دينية علمية أدبية تقوم بالدفاع عن الإسلام وتعمل على تمثيله للقراء تمثيلا صحيحا بريئا من الشوائب... ".

ونظرا لأهمية هذه الصحيفة ومقالاتها المختلفة المتعلقة خصوصا بالوضع في الجزائر، لم تصبر عليها فرنسا الاستعمارية وحاربتها ومنعتها من دخول أرض الجزائر للحيلولة دون تأثيرها على المثقفين، لكن مهما كانت الإجراءات التعسفية التي مارستها فرنسا ضد الصحيفة إلا أنها عرفت الطريق نحو المثقفين الجزائريين خفية، بالإضافة إلى دور مجلة "الشهاب"[2] في التعريف بها لأنها كانت من حين لأخر تنقل منها بعض المقالات التي ترى في إعادة نشرها تعميما للفائدة.[3]

لقد إهتم محب الدين الخطيب بالشؤون الجزائرية كثيرا، ففي إحدى مقالاته كتب عن الجزائر ما يلي:[4] "... ثمان ومائة سنة شمسية مرت على فرنسا وهي تبذل في الجزائر جهود الجبارين من ساستها وعلمائها وقادة جندها ودهاة عمالها ودناءة أذنابها لتقطع ما بين أهلها و العالم الإسلامي من أواصر دينية وأدبية، ونقت الإرادة الإلهية عراها، فانقضت الثمان و المائة من السنين، فإذا الجزائر اليوم أكثر يقظة وأوثق صلة بالإسلام والعروبة وأوطانهما مما كانت يوم أعلن النفير العام للحرب العظمى".

لقد كانت هذه الصحيفة بمثابة همزة وصل بين الجزائريين و العالم العربي الإسلامي وسجل تعريف بالقضايا الجزائرية، السياسية والاقتصادية و الاجتماعية، وبالتالي كانت تعكس الواقع الجزائري للمشارقة، فقد كانت -الفتح- نافذة للإطلاع على الأوضاع الجزائرية بصدق و أمانة، والرد على الأكاذيب الفرنسية التي كانت تطمئن العالم العربي والإسلامي على ما يجري في الجزائر، وقد حاولت هذه الصحيفة تعريف قرائها عن حقيقة الوضع بطريقتها الخاصة، أو عن طريق بعض الأقلام الجزائرية ممثلة في الشيخ الإبراهيمي، أحمد توفيق المدني، ومحمد السعيد الزاهري.ومن بين المواضيع التي تطرقت فيها إلى الجزائر: مائة سنة على استعمار الجزائر، النصرانية في الجزائر، الجزائريون يحال بينهم وبين العلم، فلسطين ثابتة في الجزائر، الإسلام والمسلمون في شمال إفريقيا، كيف وقعت حوادث قسنطينة؟ وغير ذلك من المواضيع التي تشغل بال كل مسلم غيور على أرض العروبة والإسلام الجزائر الخاضعة آنذاك للإستعمار الفرنسي الغاشم، وهكذا استطاعت هذه الصحيفة أن

---

(1) المرجع نفسه: ص 74.

(2) الشهاب: الجريدة الثانية التي أسسها، الشيخ عبد الحميد بن باديس، والتي صدر منها العدد الأول في 12 نوفمبر 1925 وتوقفت في أوت 1939قبيل الحرب العالمية الثانية.

(3) المرجع السابق: ص 75.

(4) المرجع السابق: ص 75.

تكتب عن الجزائر وأوضاعها، ما لم تكتبه صحف عربية وإسلامية كثيرة، لأن هدف صاحبها محب الدين الخطيب، مناهضة الاستعمار وكل أشكاله.[1]

لقد حاولت هذه الصحيفة تدمير الجدار الذي بناه الفرنسيون من حول الجزائر من تعتيم إعلامي وتضليل للرأي العام الدولي حول حقيقة الوضع في الجزائر ويمكننا أن نقول أن صاحبها محب الدين الخطيب أراد رد بعض الجميل لوطن أستاذه الشيخ طاهر الجزائري.

ومما قاله محب الدين الخطيب في أستاذه الشيخ طاهر الجزائري عرفانا له بدوره في تكوينه وفي النهضة العربية والإسلامية ما يلي[2] :

" هو الذي ربى عقلي، وهو الذي حبب إلي هذا الإتجاه الفكري منذ كنت طفلا إلى أن صرت رجلا، ولا أعرف مؤلفا ولا حامل قلم نشأ في ديار الشام إلا وقد كانت له صلة بهذا المربي الأعظم واستفادة من عقله وسعة من فضله إما مباشرة أو بواسطة الذين استفادوا منه، وكل الذين جاهدوا هناك لأجل الحرية، وفي سبيل المعارف، ولإحياء علوم السلف، ولإعادة مجد العروبة والإسلام، إنما كانوا من إخوانه وهو واسطة عقدهم ورأس مجالسهم، أو من طبقة تلاميذه وهو قدوتهم ومطمح أنظارهم أو من الذين أخذوا من تلاميذه وهو مضرب المثل عندهم في كمال العقل وسعة الإطلاع التي لا حد لها ... وأهم كتب السلف النافعة التي نشرها الناشرون إنما نشروها بإشارته وتحريضه، وأنا وكل ما نشرته لسنا إلا قطرة من بحر الخير الذي كان يتدفق من صدر هذا العالم العامل الذي كانت الدنيا لا تساوي عنده جناح بعوضة، وليس له فيها من أمنية إلا أن يرى عز الإسلام يعود كما كان في أيام القوة والعدل والعلم وتقوى الله عز وجل ... وحياة الشيخ طاهر الجزائري حياة دور من أدوار الإصلاح، بل هي تاريخ الأمة في حقبة من حياتها..."

وهكذا عاش الشيخ طاهر الجزائري مصلحا وترك وراءه مصلحا، يحق له أن يفتخر به بين أقرانه من المصلحين، ويعتز بجهوده التي لم تذهب هباء منثورا.

ولقد كانت الأيام الأخيرة لمحب الدين الخطيب أشبه بأيام الشيخ طاهر الجزائري، لأنه آل على نفسه العمل الدؤوب دون توقف أو راحة، فقد كانت داره تضم المطبعة و المكتبة، كان قليل النوم والأكل والاهتمام بملبسه ومظهره وهذا بسبب انشغاله بالتحرير و التصحيح والتأليف، حتى أنه في الليلة التي إلتحق بها بالرفيق الأعلى كان منكبا على تصحيح ما ألفه كعادته، وتوفي في يوم 30 ديسمبر من سنة 1969 بالقاهرة[3] .

---

[1] المرجع السابق: ص ص 76-78.

[2] محب الدين، الخطيب: (شيخي)/ وزارة الشؤون الدينية: آثار عبد الحميد بن باديس، ط1، قسنطينة (الجزائر): دار البعث 1984، ص 113.

[3] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص ص 41-51.

3.2- سليم الجزائري:

هذا البطل و العلم يختلف عن زميليه خريجي مدرسة الشيخ طاهر الجزائري، فهو إلى جانب ثقافته الواسعة الأدبية و العلمية، رجل سياسة وحرب، أثبت قدرته ميدانيا في التنظيم السري وفي المعارك التي خاضها مع الجيش العثماني و لم يكن سليم الجزائري مفخرة للشيخ طاهر الجزائري أو سوريا أو العروبة، بل كان مفخرة للجزائر موطن آبائه وأجداده، فقد ناضل على جميع الجبهات السياسية و العسكرية و الثقافية حتى أصبح رمزا من رموز العروبة والقومية في القرن العشرين، يشار إليه بالبنان لا يذكر اسمه إلا وذكرت الجزائر وعمه الشيخ طاهر، فلقد مثل سليم الجزائري مدرسة عمه خير تمثيل في جانبها القومي، لقد رفع لواء الجهاد والتحدي ضد الأمية وضد الأتراك المستبدين حتى سقط شهيدا من أجل العروبة.

1.3.2- مولده، نشأته وتكوينه:

هو سليم بن سعيد الحسني الجزائري، من المفكرين النوابغ، عمه الشيخ طاهر الجزائري، ولد بدمشق في سنة 1296هـ/1879م، توفي والده وهو صغير، فكفله عمه الشيخ طاهر فكان بذلك شيخه ومعلمه الأول، ولما أتم دراسته الابتدائية والإعدادية انتقل إلى استانبول ليلتحق بالمدرسة الحربية فكان من المتفوقين فيها، وتخرج وأصبح أستاذ فيها ثم دخل مدرسة الأركان ثم مدرسة الهندسة البرية وتخرج برتبة (نقيب ركن) وكان في كل مدرسة يثبت كفاءته وشجاعته واشتهر في استانبول لثقافته الواسعة، فكان يحسن من اللغات، العربية و التركية والفارسية والفرنسية والإنجليزية ولغته الأصلية القبائلية، بالإضافة إلى هذه الميزة، كان غزير التآليف المتنوعة، وشارك في حروب البلقان[1] وكذلك في اليمن شارك في عمليات عسكرية حتى سقط أسيرا ولكن نجا بأعجوبة مع أصدقائه وفي الحرب العالمية الأولى قاد اللواء السابع عشر ثم اللواء الثامن عشر، ووصل إلى رتبة "قائم قام" أي عقيد في الجيش العثماني وهي رتبة ليست في متناول العرب آنذاك.[2]

وسيكون للضابط سليم الجزائري، نشاط هام وخطير في القضية العربية، فقد جاهر بآرائه السياسية الداعية إلى ضرورة تحقيق المساواة بين العرب و الترك وهذا في خطاباته وأناشيده التي كان يلقيها باللغتين العربية و التركية ونظرا لميوله العلمية، اخترع بركارًا يحمل في الجيب، لرسم الخطوط المستقيمة والدوائر لقد أولع منذ صباه بالرياضيات، التي ولدت لديه حاسة التفكير و التخطيط للوصول إلى هدفه[3] و لم يترك العلوم الإنسانية بل كان شاعرا يؤلف القصائد القومية، فقد ألف النشيد العربي لمواجهة الحركة الطورانية واهتم أيضا بعالم الصحافة فكان يحرر مقالات مختلفة المواضيع وينشرها في جريدة "المفيد" التي أصدرها عبد الغني العريسي

---

(1) حروب البلقان (1912-1913): هو تحالف بين صربيا وبلغاريا و اليونان والجبل الأسود ضد تركيا ساهم في إضعاف الدولة العثمانية وتحرير مناطق في البلقان من سيطرتها.

(2) خير الدين، الزركلي: المرجع السابق، ط 7، م3، ص ص 119-120.

وأيضا أنظر: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج5، ص ص 523- 524.

أيضا عدنان، الخطيب: المرجع السابق: ص ص: 79-80.

(3) خير الدين الزركلي: المرجع السابق، ط7، م 3، ص ص 119-120.

(تلميذ الشيخ الطاهر الجزائري) في سنة 1909م ببيروت، وكانت جريدة قومية في مبادئها وأهدافها، معارضة جماعة الاتحاد و الترقي المسيطرة آنذاك على دواليب الحكم العثماني.[1]

ومن آثاره المطبوعة، كتابا في المنطق سماه"ميزان الحق في المنطق" طبع بعد وفاته في دمشق سنة 1920[2] وألف أيضا كتابا حول "حادثة دمشق "التي جرت في رمضان من سنة 1860، وقيل أن هذا الكتاب قد طبع في مصر".[3]

إن هذه الصفات المكونة لشخصية سليم الجزائري جعلت منه ضابطا عسكريا ناجحا بين جنوده، وشاعرا بين الشعراء، ومناضلا ومثقفا بارزا بين أقرانه القوميين.[4]

ويقول سليم الجزائري عن نفسه[5]: "أنا حافي القدمين، مكشوف الرأس أصلي جزائري...أخذت الفقه و التفسير عن مشاهير العلماء وملت إلى الجد والكتمان، مستقل الإرادة، أحب الابتكار وأكره التقليد... وقد اخترعت فرجارا لطيفا يحمل في الجيب لرسم الخطوط المستقيمة و المتوازية و الدوائر ...حاولت استحصال امتياز به في أروبا ... فحالت الحرب العامة دون نيل الأمنية، أحسن من اللغات الشرقية العربية و التركية ولسان (الزواواة) من اللغات الإفريقية، كما أحسن الفارسية وأكتب وأقرأ باللغة الفرنسية وقد شدوت شيئا من اللغات الألمانية و الإنجليزية والأرمينية والروسية يمكنني من فهمها بالجملة".

من خلال ما ورد، تتضح لنا الملامح و الصفات المميزة للضابط سليم الجزائري الذي جمع بين علوم عصره، من تفسير وفقه وعلوم طبيعية ولغات فتحت عقله على مجريات الأحداث العالمية، وميولاته إلى الإبتكار والاختراع، والبحث عن الجديد، ولدت فيه روح الباحث الصبور الرافض للسيطرة و الجمود، وأيضا من سمات شخصيته عشقه للحرية و الكتمان و الجد في العمل، وهذه صفات عمه وأستاذه الشيخ طاهر لهذا لا نعجب هوسه الشديد في تأسيس الجمعيات السرية، وبروزه بين أصحابه كمنظم من طراز رفيع في ظل العيون الحميدية والإتحادية، فقد ساهم بشكل كبير في ظهور جمعيات عربية قومية مناوئة للأتراك في بداية القرن العشرين، وربما صفة الكتمان و السرية في العمل هي نتاج تأثره بحلقة عمه الذي كان يعقدها في دمشق، وتتطرق خفية لمواضيع سياسية رغم أن طابعها العام حلقة أدبية ثقافية وحتى الظروف التي عاش فيها الضابط سليم تستدعي الكتمان و السرية لتحقيق النجاح الذي يصبوا إليه كل العرب وهو التحرر من الأتراك.

2.3.2- إسهاماته في الحركة القومية العربية:

لقد شب الضابط سليم الجزائري في جو مشحون بالتوتر، حيث بلغ الاستبداد العثماني للعناصر غير التركية درجة قصوى والسلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909) يدير شؤون رعيته بقبضة حديدية، لا مجال

---

(1) أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 524.

(2) سهيل، الخالدي: المرجع السابق، ص 233. وأيضا: أبو القاسم، سعد الله: المرجع السابق، ج7، ص 157.

(3) أبو القاسم، سعد الله: المرجع نفسه، ج7، ص 316.

(4) المرجع نفسه: ص 157.

(5) صالح، خرفي: "الجزائر ودورها في النهضة العربية الحديثة في المشرق" الثقافة ، العدد 26، ص 33.

فيها للحرية أو إبداء رأي مخالف للسلطان وولاته، وبحكم حبه للعروبة والحرية و الكتمان ورفض الجمود والقيود، فقد انخرط سليم الجزائري في العمل الجمعوي مبكرا، لمناهضة سياسة الاستبداد وانضم إلى جماعة الاتحاد و الترقي التي تأسست في سنة 1894م، من أجل مقاومة استبداد السلطان عبد الحميد الثاني ونظرا لتوجهات هذه الجمعية العنصرية انسحب منها وإن كانت هذه الجمعية في بداية نشأتها قد ضمت كثيرا من الضباط العرب.[1]

ورغم المراكز المرموقة التي وصل إليها سليم الجزائري في الجيش العثماني، لم ينس أبدا قضيته القومية خاصة لما رأى الضباط الأتراك يبيتون الشر لبقية العناصر المشكلة للدولة العثمانية، خاصة العنصر العربي منها، لهذا إندفع بقوة وراء تأسيس الجمعيات والأحزاب لخدمة العرب والدفاع عن حقوقهم فكان من مؤسسي جمعية "فتيان العرب" ثم الجمعية "القحطانية" و "المتندى الأدبي" و"جمعية العهد" هذه الجمعيات الثقافية ظاهريا، ولكن هدفها الحقيقي غرس المبادئ القومية بين الشبان العرب في استانبول وكل البلاد العربية و الوقوف أمام سياسة التتريك المتبعة من قبل السلطات التركية.[2]

وقد تأثر سليم الجزائري كثيرا بعمه الشيخ طاهر في العمل الثقافي و السياسي فقد كان يبث أفكاره القومية في استانبول، دون خوف من الملاحقات التركية لأنه آل على نفسه تنوير الشباب العربي وتنظيم صفوفهم لأنهم يمثلون الآمال الحقيقية لأمتهم العربية التي تصارع الجهل والاستبداد و التفرق.[3]

وتعتبر الجمعية القحطانية التي أسسها سليم الجزائري إلى جانب عزيز علي المصري في سنة 1909م بأستانبول أولى الجمعيات العربية السرية، جاءت بعد إعلان الدستور وكان سليم الجزائري، روحها ومحركها الرئيسي، أسسها بعد مشاورات مع الشباب العربي المؤمن بقوميته، وأيضا الضباط العرب الغيورين على أمتهم، وبحكم قدرته على التنظيم وميله إلى الكتمان، ساهمت هذه الجمعية في نشر الوعي العربي بين منخرطيها من العرب المقيمين باستانبول، وكان للجمعية رموز وإشارات يتعارف أعضاؤها بواسطتها بعضهم مع بعض، وكانت تهدف هذه الجمعية إلى الرفع من مستوى العرب الثقافي والاجتماعي و الاقتصادي ،وحثهم على التضامن و المطالبة بما لهم من حقوق في الدولة العثمانية، ومن بين أهدافها العمل على تجديد الدولة العثمانية وبث روح الإصلاح فيها، وتحويلها إلى مملكة ثنائية، إتحادية تركية -عربية على غرار الإمبراطورية النمساوية-المجرية، تاجان يجتمعان على رأس سلطان واحد[4] وتكون اللغة العربية لغة المملكة العربية، ونذكر بعض الأسماء التي كانت تناضل في هذه الجمعية إلى جانب سليم الجزائري وعزيز علي المصري؛ عارف الشهابي

---

(1) سهيل، الخالدي، المرجع السابق، ص 120.

(2) عمار، هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية، ص 120.

(3) عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 81.

(4) توفيق، برو: المرجع السابق، ص 269. ويقال أن الأمير عبد القادر هو صاحب فكرة المملكة الثنائية، كان قد طرحها في سنة 1877 م . راجع: سهيل، الخالدي: المرجع السابق، ص 122.

عبد الكريم الخليل وأمين لطفي الحافظ، وقد بقيت هذه الجمعية تنشط إلى غاية اندلاع الحرب العالمية الأولى وأغلب مؤسسيها استشهدوا بين سنتي 1915 و 1916. [1]

وبعد الجمعية القحطانية، ساهم سليم الجزائري في تأسيس المنتدى الأدبي في سنة 1909، لقد كان نشاطه متنوعا و لم يرتبط أبدا بجمعية واحدة، وكان هذا المنتدى بمثابة بيت يلتقي فيه العرب المقيمين في إستانبول والزائرون لها وكان هذا المنتدى فوق جميع الاعتبارات الطائفية، فقد كان يضم السني والشيعي والدرزي والمسيحي والسوري واللبناني و المصري و العراقي و المغربي، ومن نشاطاته تنظيم الحفلات التي تنشد فيها الأناشيد العربية القومية، وإلقاء المحاضرات الأدبية و التاريخية التي تشيد بعظمة الحضارة العربية بالإضافة إلى إصدار المنتدى لمجلة باسمه، فتحت أبوابها لأقلام العلماء والأدباء، وساهم هذا المنتدى بشكل فعال في تنمية الضمير الوطني و القومي ضد سياسة التتريك و الطورانية وحتى الحركة الصهيونية التي كانت مسيطرة على حزب الاتحاد و الترقي الحاكم آنذاك ونظرا لتزايد ونمو نشاط هذا المنتدى الذي فتح فروعا له بسوريا وفلسطين ولبنان، ضيقت عليه السلطات التركية، وأغلقته في سنة 1915، لقد كان بمثابة المصنع للأفكار العربية القومية السياسية والثورية ومعظم الذين أعدمهم أحمد جمال باشا السفاح في سنتي 1915 و 1916، كانوا من نشطاء هذا المنتدى و الذين كان من ضمنهم الضابط سليم الجزائري[2] .

وكان لسليم الجزائري نشاط آخر موزاي فقد ساهم في تأسيس جمعية العهد التي اعتبرت أخطر الجمعيات التي أسسها العرب، وجاء تأسيسها بعد التدهور الخطير في العلاقات بين أحرار العرب وجماعة الاتحاد و الترقي التي آلت على نفسها تتريك كل العناصر المشكلة لدولتهم، وللوقوف أمام هذا المد الطوراني ظهرت الجمعية في 28 أكتوبر 1913م ونظرا لأهدافها القومية وسرية أعمالها كانت مفتوحة للضباط العرب فقط دون المدنيين ومن أبرز رجالاتها، عزيز علي المصري، سليم الجزائري وغيرهم من الضباط الشاميين و العراقيين على الخصوص، وفتحت فروعا في بغداد و الموصل.

وعملت الحكومة الاتحادية التركية بكل إمكانياتها لكشف هذه الجمعية القومية، وبعد ذلك فرقت أعضاءها، لكي لا تترك لهم الفرصة للتنظيم والاجتماع وساهمت هذه الجمعية بشكل خطير في كل الأحداث التي عرفتها البلاد العربية، خصوصا و أن العالم كان مقبلا على حرب عالمية و الدولة العثمانية لم تكن استثناءا في ذلك ، فالاتحاديون سيجرونها إلى الحرب، ويجرون معهم العرب.[3]

وقد استغل سليم الجزائري موهبة الشعر في قضيته القومية، فقد كان ينظم قصائده باللغتين العربية و التركية[4] لينشر أفكاره بوسائل تلقى صدى عند بعض الناس، وله نشيد وطني ألهب فيه المشاعر القومية عند

---

(1) مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 69.

(2) سهيل، الخالدي: المرجع السابق، ص 122.

(3) مصطفى، الشهابي: المرجع السابق، ص 79.

(4) صالح، خرفي: الثقافة، ع26، ص 32

العرب بعدما انتشر وعملت وزارة الداخلية التركية بما تملك من جواسيس للوصول إلى ناظمه، حتى عرفت صاحبه- سليم الجزائري- وأدانته به، ومما جاء في هذا النشيد القومي[1]:

لتدم هذه البنية تنمو وتغدو صبية
أزفها شجاعا فلا ترى مسبية
تلدن كل همام من فارس مقدام
يمزق الطغام همة عربية
تلدن كل عزيز يجود بالنفيس
يدق هام خسيس بشجاعة وحمية
يشعل نار الحرب لدق عنق الكلب
ونيل عز العرب من أمة تركية

وقد استاء الأتراك كثيرا من الضابط سليم الجزائري، الذي منحوه الرتب السامية والنياشين، وفي الأخير انقلب عليهم وتنكر لهم، ولكن في الحقيقة وصل إلى تلك المراتب بجده وعمله ورغم مكانته بينهم لم ينس حقوق أمته العربية عليه، لهذا صمد في وجه الأتراك وكان من أركان ودعاة القومية العربية الحديثة.[2]

3.3.2- استشهاده:

الضابط سليم الجزائري، الذي قاتل في جبهات عديدة ووقع في الأسر في اليمن، لم يكن يتوقع أبدا أن يقتل على أيدي الأتراك، وخاصة جماعة الإتحاد و الترقي التي جاءت لرفع الاستبداد عن الأتراك والعرب كما كانت تدعى ولكن في الحقيقة كانت هذه السياسة منها تكتيكا لربح الوقت، ثم التفرغ للعرب وفي مقدمتهم أحرارها الذين كانوا يطالبون بالحرية و العدل وإصلاح الدولة العثمانية.

لقد أستشهد سليم الجزائري على يد السفاح أحمد جمال باشا والي سوريا الذي اتهمه مع مجموعة من أحرار العرب بالتعاون مع فرنسا، لفصل سوريا ولبنان و العراق عن الدولة العثمانية، وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه شنقا في بيروت مع ثلاثة عشرة من رعيل القومية العربية في 6 ماي 1916م، من جملتهم صديقه وتلميذ الشيخ طاهر، عبد الغني العريسي، وهكذا لم تقتله الحروب، ولكن قتله متعصبو الترك والطورانية، وعملاء الصهيونية، بتهمة لا أساس لها من الصحة، أيعقل طرد غازي ، بقبول غازي جديد وأي غازي، مسيحي؟ !

وقبيل إعدامه، قال سليم الجزائري هذه الكلمات التي تعبر على شجاعته النادرة ورباطة جأشه[3] :

"أيها الإخوان: لو أن الواحد منا مات على فراشه، لوجد حوله من يبكي عليه من أب أو أم أو أقرباء يندبونه

---

[1] سهيل، الخالدي: المرجع السابق، ص ص 122-123.

[2] المرجع نفسه: ص 123.

[3] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 85

ويولولون، غير أننا إذا متنا على المشانق فسوف يولي الألوف من الرجال و النساء وجوههم شطرنا وسوف تقوم أمة بأسرها فتبكينا بالدم لا بالدموع، إن الأمة العربية ستكتب لها الحياة بموتنا".

وعندما صعد إلى منصة الإعدام، أراد الجلاد أن ينزع منه نظارته الطبية فصاح بملئ صوته قائلا[1]:"إبعد عني يا هذا، إني أريد أن أموت وأنا على مثل الحال التي كنت آمر جنودي فيها، قل للطاغية جمال أن لا يسترسل في سروره إذا رآني أموت، إن روحي ستبقى حية وستطبع في نفوس العرب محبة الوطن وكراهية الاتحاديين ".

هكذا كانت نهاية سليم الجزائري الذي سخر كل حياته لخدمة قضية قومه، وعندما أعدم كان عمه لاجئا في القاهرة، ولما بلغه الخبر زاد كرها للأتراك و لم يقبل بالتعازي وعندما اندلعت الثورة العربية الكبرى بالحجاز في سنة 1916م، ابتهج بها وفرح وتمنى لها النصر على الأتراك و لم يهدأ له بال حتى دخول الجيش العربي دمشق في 1918 حيث استراحت نفسه وقبل بعد ذلك الشيخ الطاهر الجزائري التعازي في ابن أخيه وبقية شهداء القضية العربية، الذين كان عدد هام منهم من مريدي حلقته ودروسه.[2]

[1] المرجع نفسه: ص 85

[2] محمد سعيد، ألباني: المصدر السابق، ص ص 125-126.

3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال معاصريه و المعاصرين من الكتاب:

يمكننا الاستغناء عن أقوال مختلف الكتاب و السياسيين حول شخص الشيخ طاهر الجزائري الذي نذر حياته لخدمة الإسلام و المسلمين، و لم يقم بحركته الإصلاحية لجلب الشهرة أو ينتظر الشكر و المدح من أي كان والفصول السابقة تبرز لنا أعماله التي لا تحتاج لمدح أو مجاملة وإنما أردنا من جمع هذه الشهادات لمفكرين عاصروا الشيخ طاهر الجزائري وعرفوه عن قرب خاصة تلامذته وأيضا أضفنا بعض الشهادات لمفكرين وأدباء لم يلتقوا بالشيخ طاهر الجزائري ولكن عرفوه من خلال إنتاجه الفكري والأدبي، من أجل تأكيد عظمته ومكانته المرموقة بين مصلحي ومفكري النهضة العربية.

1.3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال معاصريه :

ونبدأ بالرحالة محمد عبد الجواد القاياتي، صاحب كتاب"نفحة البشام في رحلة الشام" الذي التقى بالشيخ طاهر الجزائري في دمشق، وكتب حول شخصه ما يلي[1]:

" الأستاذ الأوحد و العلامة الأمجد الشيخ طاهر أفندي الجزائري المغربي، وهو من الذكاء و الفطنة على جانب عظيم وبواسطته تقدمت المعارف و المدارس في الولاية إلى الغاية. فقد سعى في تمهيد طرق التعليم بإحداث الطرق السهلة في التفهيم حتى أنه جمع كتبا سهلة المأخذ من فنون شتى كالأدب والطبيعة والتاريخ وغيرها، لتكون أقرب لفهم المبتدئين من التلامذة".

فهذه شهادة واقعية من رجل التقى بالشيخ طاهر الجزائري خلال رحلته في البلاد العربية،وأعجب بالأعمال التي جسدها الشيخ طاهر على الميدان، خاصة في المجال التربوي الذي شهد ابتكارات جديدة كتبسيط طرق التدريس.

وهذا صديقه في القاهرة أحمد زكي باشا الذي صحب الشيخ طاهر الجزائري ردحا من الزمن خلال إقامة هذا الأخير في القاهرة، حيث كتب مشيدا بخصاله ما يلي[2] :"كنت أرى فيه الأثر الباقي و المثال الحي والصورة الناطقة لما كان عليه سلفنا الصالح من حيث الجمع بين الرواية و الدراية في كل المعارف الإسلامية وبين الدأب على نشرها بعد التدقيق و التمحيص واستشارة خباياها وإبراز مفاخرها ... وهكذا قضى الشيخ عمرا طويلا أولا وثانيا وثالثا في خدمة العلم و الدعوة إليه بالقلم و اللسان وبالقدوة الحسنة...".

ومن خلال هذه المرثية يؤكد لنا صديقه أحمد زكي باشا قيمة الشيخ طاهر الجزائري الأخلاقية وصفاته، التي قلما نجدها في العصر الحاضر فقد تحلى بالتقوى و الزهد في الحياة والصبر و التجلد من أجل البحث العلمي ونشره بين الناس، فقد كان بمثابة رسول زمانه في نشر الثقافة، لقد كان الشيخ طاهر الجزائري يفعل ما يقول حتى وصل إلى ما أراد وإلى قلوب تلامذته وأقرانه...

---

[1] المصدر السابق: ص 121.

[2] محمد، كرد علي: المعاصرون، ص ص 271-272.

ويقول الأستاذ الوزير محمد كرد علي في الشيخ طاهر الجزائري ما يلي[1]:" ...إنه معلمة (انسكلوبيديا) سيارة أو خزانة علم متنقلة وكيف لا يكون كذلك من آتاه خالقه حافظة وذهنا وقادا وعقلا يستعمله، فقد قرأ جميع ما طالت يده إليه من الكتب العربية التي طبعت في الشرق و الغرب، أما المخطوطات التي اقتناها وتلخصها في كنانيشه وجزازاته فتعد بالمئات وقلّ أن يدانيه أحد في علم الكتب ووصفها ومؤلفيها وأماكن وجودها ..."

هذه شهادة تلميذه الذي صحبه كثيرا، فهنا يشيد بعلم أستاذه الذي لم يترك شاردة ولا واردة في الكتب التي وقعت بين يديه إلا واستثمرها في حياته العلمية و العملية، واستطاع الشيخ طاهر الجزائري أن يكون لنفسه مكانة مرموقة بين علماء البيبلوغرافيا العرب في العصر الحاضر.

ويقول هذا التلميذ دائما في شيخه [2]: " سعى الشيخ طوال حياته لنشل المسلمين من سقطتهم ونشر العلوم القديمة والحديثة بين أبنائهم ولولا ما قام به من التذرع بجميع ذرائع الإصلاح لتأخرت نهضة المسلمين في الشام أكثر من نصف قرن".

وهذا تلميذه الوفي لمبادئه وخطه الإصلاحي الأستاذ الصحافي محب الدين الخطيب، الذي يعتبر من رواد الصحافة العربية الإسلامية الهادفة في النصف الأول من القرن العشرين يعتز بشيخه ويقول[3]:

"من الشيخ طاهر الجزائري، عرفت عروبتي وإسلامي، هذا الشيخ الذي كان له الفضل كل الفضل في كل تقدم ورقي أصاب مسلمو سوريا".

ويقول عنه أيضا[4] :"وأهم كتب السلف النافعة التي نشرها الناشرون، إنما نشروها بإشارته وتحريضه، وأنا وكل ما نشرته لسنا إلا قطرة من بحر الخير الذي كان يتدفق من صدر هذا المعلم العالم".

إن شهادة محب الدين الخطيب في أستاذه، ليست مدحا وإعجاب التلميذ بأستاذه، وإنما حقائق عاشها ووقف عليها بنفسه، مع الشيخ طاهر الجزائري في بلاد الشام أو في مصر.

وهذا تلميذه محمد سعيد ألباني لرد الجميل لأستاذه، يؤلف كتابا تخليدا لذكراه بعنوان "تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر " وألفه وطبعه في سنة 1920م جمع فيه كل الصفات و الفضائل والأخلاق التي كان يتمتع بها الشيخ طاهر الجزائري، لقد جمع في هذا الكتاب يوميات أستاذه من مولده إلى نشاطه الإصلاحي و القومي ورحلاته وتآليفه، فقد كتب قائلا: [5] "... إنه كان في دوري كهولته وشيخوخته داعية إصلاح وملقح أفكار ومثقف عقول ومهذب أخلاق ومؤلف مصنفات وعلم هداية إلى نفائس الكتب وحلال مشكلات وملقن

---

[1] محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص 11.

[2] عدنان، الخطيب: المرجع السابق، ص 116.

[3] صالح، خرفي: الجزائر والأصالة الثورية، ص 70.

[4] المرجع نفسه: ص 63.

[5] تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، ص 77.

أصول وكليات، أكثر منه معلم تلامذة ومدرس طلاب يقرئ الكتب ويلقي الدروس ويلقن الفروع و الجزئيات".

ويكتب أيضا في أستاذه :[1] " جمع الشيخ طاهر الجزائري بين المعقول و المنقول ومزج القديم بالحديث، أخذ من علم لبابه... فكان العالم الديني و المدني و الرياضي و الطبيعي و السياسي والأديب والمؤرخ والأثري والاجتماعي و الأخلاقي و الكاتب و الشاعر ... فهو دائرة المعارف ومفتاح العلوم وكشاف مصطلحات الفنون وقاموس الأعلام".

2.3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال المعاصرين من الكتاب :

ولإبراز دوره والإشادة بآثاره كتبت إحدى المجلات القاهرية التي كانت تخصص إحدى صفحاتها لأخبار ما قبل ربع قرن لإعادة نشرها وهي مجلة "كل شيء والعالم"، فقد كتبت هذه المجلة في 30 أفريل 1932 حول الشيخ طاهر الجزائري ما يلي[2] :" 4 مايو 1907م قدم القاهرة حضرة الأستاذ العلامة الشيخ طاهر الجزائري إمام شيوخ سورية وأستاذ أدباء دمشق و الرجل الذي وقف حياته على العلم والأدب".

إن هذه المجلة عندما رجعت إلى الأحداث التي مر عليها ربع قرن من الزمان، أشادت بالشيخ طاهر الجزائري، لدليل على مكانته الأدبية و العلمية في الأوساط الثقافية المصرية، ولا نظن أن كل شخص بإمكانه أن يذكر دون أن يقدم أعمالا خالدة تبقى ذكره كلما ذكره الذاكرون.

ويكتب عنه أحد الكتاب الذي عرفه من خلال أعماله وإنجازاته الفكرية والأدبية، والكاتب هنا "علي الطنطاوي" الذي ترجم لعشرات الأعلام فكتب عن الشيخ الطاهر الجزائري مايلي[3]: "كان من المؤلفين المكثرين، إن عد المؤلفون المكثرون وكان من أئمة المربين إن ذكر المربون وكان من رؤوس المصلحين ومن العلماء العاملين وكان من الأركان الكبار في هذه النهضة التي نأوي اليوم إليها ونتفيأ ظلالها وننعم بخيراتها".

وقد سبق وأن ذكرنا أن الشيخ طاهر الجزائري، لم يترك بابا للإصلاح إلى دخله، وأيضا كان من الذين يفعلون ما يقولون، كان مبدأه الفعل مع القول.

و هذا الاستاذ المفكر أنور الجندي يكتب منوها بالشيخ طاهر الجزائري ما يلي[4]:

"يعد العلامة الشيخ طاهر الجزائري من أبرزالنوابغ في العالم العربي في العصر الحديث و هو من طائفة العاملين في أبحاث الكتب و المخطوطات و التراث...فقد كان معلما يؤلف الرجال".

هذه الشهادات مهما كانت مواقع أصحابها، تضاف إلى رصيد الشيخ طاهر الإصلاحي.

---

[1] المصدر نفسه: ص73.

[2] علي حيدر، النجاري: المرجع السابق، ص 888.

[3] علي، الطنطاوي: المرجع السابق، ص 372.

[4] تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي، ط 1، القاهرة : مكتبة الأنجلو-المصرية،1970 ، ص ص 165- 166.

و نختم هذه الشهادات المنوهة بدور الشيخ طاهر الجزائري بما كتبه يوسف أسعد داغر، في كتابه "مصادر الدراسة الأدبية"[1] :

"عالم من علماء دمشق، و مصلح من كبار المصلحين في سوريا، و علم من أعلام الحركة العلمية في دنيا العرب...فقد كان بنفسه مجموعة نفيسة من العلوم و مكتبة سيارة ضمت المحدث و المفسر والمحدث والأصولي و الفقيه و الفيلسوف و المربي، محقق دقيق، تفرغ للبحث العلمي و عمل على تنشئة الكثيرين من أدباء الجيل الماضي، أفنى عمره في التنقيب عن الكتاب العربي، مطبوعا و مخطوطا و في إحياء الخيّر منه، فكان بذلك من أبرز علماء البيبليوغرافيا العرب، تمتع بثقة المستشرقين و احترامهم".

ويقول أيضا[2]:"وقف حياته على بث الثقافة العربية، و تدعيم أركانها الأولى ممثلة في المدارس والمكتبات العامة، فهو الرائد الأول للمكتبات العربية في النهضة الحديثة في الشرق و الداعية الأكبر لها ولقيامها. كذلك هو من أوثق العارفين بالكتاب العربي قديمه و حديثه، و المعرفين به و المفهرسين له والحريصين على جمعه و حفظه".

هذا هو الشيخ طاهر الجزائري، لا نقول وحيد زمانه و لكنه أحد الرواد و الأعلام للنهضة العربية والإسلامية في نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين و كفى به للجزائر شرفا ؟.

---

(1) ج 2، ص 264.

(2) ج 2، ص 264.

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمـــة

من خلال رحلة البحث تأكدت لدي الصورة التي أخذتها في البداية عن الشيخ طاهر الجزائري، فـــهو شخصية مميّزة، ومتعددة المواهب، موسوعة المعرفة، وموصولة تجمع بين علوم السلف وعلوم الزمـــن الـــذي نعيشه.

ومن بين النتائج التي توصلت إليها أذكر ما يلي:

-إن حركة الشيخ طاهر الجزائري الإصلاحية، لا تقل أهمية وعطاء عن الحركات الإصلاحية التي سبقتها أو التي عاصرتها، فهو يشترك مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في محاربة البدع التي لصقت بالإسلام، ودعوتـــه إلى الرجوع إلى منابعه النقية ويشترك مع الشيخ السنوسي في مجال تأسيس دور العلم ونشر العلم والتعليم وفتح باب الاجتهاد.

-انفتاح الشيخ طاهر الجزائري على علوم الغرب وارتباطه بعلمائه دليل على اتساع قلبه وتفتـــح عقلـــه، ونزوعه إلى التجديد والعصرنة في إطار مبادئ ديننا الحنيف.

-له فتاوي تفرد بها، خاصة ما يتعلق بدعوته إلى القتل الرحيم للمرضى الميؤوس من شفائهم.!

-يعتبر الشيخ طاهر الجزائري صاحب أسلوب حضاري في الدفاع عن حياض الإســـلام، فقـــد رأى في تأسيس المدارس ونشر التعليم بين أبناء المسلمين، وسيلة مثلى ومجدية للوقوف أمـــام الاســـتعمار وحملاتـــه التنصيرية المتمثلة في الإرساليات التبشيرية التي عرفها المشرق العربي خلال القرن 19م.

-يعتبر صاحب مدرسة لتكوين الرجال والقادة، فأغلب قادة الفكر والسياسة والحرب في مطلع القـــرن العشرين تخرجوا من مدرسته الإصلاحية، وفكرة المدرسة التي حققها على أرض الواقع أرهقت الشيخ محمـــد عبده طوال حياته، الذي لم يجد لها سبيلا وكانت له حلما لم ير النور والتجسيد.

-ومن أهم النتائج التي توصلت إليها، هو استفادة الشيخ محمد عبده من أسلوب الشيخ طاهر الجزائـــري الإصلاحي، فالشيخ محمد عبده كان ثوريا شارك في الثورة العرابية، وكان صديقا للثائر السيد جمال الديـــن الأفغاني، لكن بعد نفيه من مصر في أعقاب فشل ثورة عرابي، التقى بالشيخ طاهر بدمشق وبيروت، وتعددت لقاءاتهما حتى أننا نجد الشيخ محمد عبده بعد عودته من منفاه إلى مصر، اختار أسلوب التربية لتحقيق أهدافـــه وأيضا تعاطف مع الإنجليز، الذين نفوه يوما ما من مصر، والشيخ طاهر الجزائري كما هو معروف عنه شديد الإعجاب بالإنجليز وسياستهم وبالتالي ساهم الشيخ طاهر الجزائري في تحول فكر الشيخ محمد عبده.

وأخيرا لست أدعي لهذا الجهد المتواضع الكمال و التمام، بل إن فيه من الثغرات، ما يستطيع بـــاحثون آخرون أن يسدوها بالبحث والتنقيب، لشخصية غامرة مثل مستوى الشيخ طاهر الجزائري، فهذه الشـــخصية تنبعث من جوانبها المعارف والعلوم وينبجس من طواياها الروح الثائر والعزم الصليب. ومما اقترح في هـــذا المقام من الدراسات التي لا تزال بكرا حول الشيخ طاهر الجزائري ما يلي:

1- النظرية التربوية عند الشيخ طاهر الجزائري.

2- الشيخ طاهر الجزائري مفسرا.

3- الشيخ طاهر الجزائري فقيها ومنهجه في الفتوى والدعوة والإرشاد .

4- الشيخ طاهر الجزائري محدثا.

5- الشيخ طاهر الجزائري أديبا وشاعرا.

6- علم البيبلوغرافيا والشيخ طاهر الجزائري.

7- تحقيق مخطوطاته المتنوعة و الموزعة بين التاريخ و التراجم و العقيدة و العلـــوم التطبيقيـــة والترجمة فهو بحق بحر من العلوم مترامي الأطراف لا ساحل له.

وفي الختام أسال الله القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله لبنة في معمار الشـــيخ طاهر الجزائري، الرجل... و الفكرة ... و المدرسة... التي خرجت العلماء والمصلحين و القادة و المربيين... الذين يعدون مفخرة التاريخ وغرر الحضارة وبناة الأجيال الصالحة إلى يوم الدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1268 – 1338 هـ / 1852 – 1920 م)

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المخطوطات
التي تركها الشيخ طاهر الجزائري[1]

---

[1] صلاح محمد، الخيمي ومحمد مطيع، الحافظ: المرجع السابق، ص ص 569-576.

ملاحظة: جميع المخطوطات الواردة في هذا الملحق توجد بمكتبة الأسد الوطنية بدمشق. أما بقية المخطوطات التي تركها الشيخ طاهر و التي لم تذكر في القائمة، فهي موزعة بين تلامذته، وفي مكتبات القاهرة، كدار الكتب المصرية، و المكتبة التيمورية و المكتبة الزكية وغيرهما من دور العلم.

الرقم	عنوان المخطوط	عدد الأوراق	تاريخ النسخ
.1	أحاديث وفوائد ومسائل	10	1317هـ/1899م
.2	مسائل علمية وحكاية الانتصار لابن تيمية	05	1317هـ/1899م
.3	فوائد علمية وفنية وحكايات عن الجن	13	1317هـ/1899م
.4	أمثال علمية وفنية وبحث في التصوف	14	1317هـ/1899م
.5	مسائل فنية تاريخية وقصائد	12	1317هـ/1899م
.6	دعاء مبارك ومسائل دينية وعلمية	23	1317هـ/1899م
.7	أحاديث شريفة ومسائل دينية	25	1317هـ/1899م
.8	مسائل دينية وأجوبتها وقصائد	33	1317هـ/1899م
.9	تاريخ هجرة صالح الجزائري ومسائل	19	1317هـ/1899م
.10	تواريخ علمية وأشعار	33	1317هـ/1899م
.11	رسالة الطير وفوائد	26	1317هـ/1899م
.12	مختارات شعرية ومسائل مفيدة	32	1317هـ/1899م
.13	مسائل وأجوبتها	23	1317هـ/1899م
.14	مسائل نحوية ورحلة المؤلف إلى القدس وبيروت وصيدا	09	1317هـ/1899م
.15	مسائل علمية ودينية	12	1319هـ
.16	مسائل عن الجن وفوائد دينية	32	1317هـ
.17	زيادات على كتاب بدائع الفوائد	04	1316هـ
.18	مسائل علمية ودينية	43	1316هـ
.19	تفسير بعض آيات من القرآن الكريم	17	1316هـ
.20	تواريخ علمية وأحاديث دينية	10	1316هـ
.21	فوائد طبية وقصيدة لمحمد أبي طالب الجزائري	15	1318هـ
.22	إبطال السحر ومسائل دينية	20	1318هـ
.23	مسائل دينية وأجوبتها ومسائل تاريخية	16	1316هـ
.24	مسائل دينية وأجوبتها	16	1316هـ
.25	أحاديث شريفة وفوائد علمية	65	1318هـ
.26	مسائل فلكية	14	1316هـ
.27	مسائل دينية وقاعدة في صفة العبادات الظاهرة	23	1316هـ
.28	تواريخ سياحية في بعض البلاد	28	1316هـ
.29	فوائد علمية	26	1316هـ
.30	مسائل دينية وأشعار	19	1316هـ
.31	مسائل علمية	33	1316هـ
.32	مسائل علمية وأسماء بعض الكتب	13	1316هـ
.33	مسائل علمية ودينية	18	1316هـ
.34	فوائد دينية وعلمية وصحية	42	1316هـ
.35	تفسير بعض الآيات وأقوال وأشعار	81	1316هـ
.36	أحاديث مهمة وفوائد وشعر	11	1323هـ/1905م
.37	قصائد ومسائل علمية ودينية	14	1323هـ/1905م
.38	المنتقى من زهر الآداب	26	1323هـ/1905م
.39	فوائد علمية وتاريخية وقصائد	32	1324هـ/1906م
.40	مسائل وأسماء بعض الكتب في المكتبات	43	1324هـ/1906م
.41	مسائل وفتاوى دينية وأجوبتها	19	1315هـ
.42	مسائل علمية وقصائد	09	1315هـ
.43	أحاديث ومسائل دينية وقصائد	16	1315هـ

.44	مختارات شعرية وفوائد	15	1315هـ
.45	تواريخ وأشعار	08	1315هـ
.46	مسائل دينية وأجوبتها وفتوى عن الدخان	17	1315هـ
.47	أحاديث وألبسة النبي ﷺ	06	1315هـ
.48	ترجمة بعض الآيات إلى التركية وأسماء بعض الكتب	11	1315هـ
.49	مسائل دينية ورسائل لأبن تيمية	37	1317هـ
.50	فتوى فقهية تاريخية	07	1315هـ
.51	رسائل للسيوطي	18	1316هـ
.52	قصيدة وفوائد تاريخية	14	1320هـ/1902م
.53	فوائد تاريخية ورحلة عم الشيخ طاهر إلى القدس	18	1320هـ/1902م
.54	مسائل دينية واستدعاء عم المؤلف	12	1320هـ/1902م
.55	مسائل علمية نحوية وفقهية	24	1331هـ/1913م
.56	مسائل وأجوبتها	55	1315هـ
.57	تذكرة الشيخ طاهر الجزائري	55	1331هـ
.58	مسائل دينية وأشعار	16	1315هـ
.59	مسائل وفتاوى	16	1315هـ
.60	مسائل دينية وعلمية وأجوبتها وذكر قبور العائلة	16	1315هـ
.61	مسائل تاريخية	14	1318هـ
.62	مسائل دينية وأدبية وكتب	17	1318هـ
.63	فن در المكنون في فقه المالكية	31	1322هـ/1904م
.64	أسماء بعض المكتبات التونسية والكتب ومؤلفيها	17	1326هـ/1908م
.65	أسماء بعض المكتبات وما تحويه من كتب	28	1326هـ/1908م
.66	تاريخ سفر المؤلف إلى الإسكندرية وما جرى معه	05	1330هـ/1912م
.67	فوائد علمية	20	1326هـ/1908م
.68	المنتقى من شعر ابن زيدون	29	1323هـ
.69	أبحاث علمية ودينية	22	1323هـ
.70	رسائل لبعض العلماء وفوائد منتقاة من كتاب الوافي	59	1323هـ
.71	شعر لكمال الدين بن العديم وحديث عن اللغة المحلية	15	1323هـ
.72	فهرست الجامع القاضي نحو المخصص	19	1323هـ
.73	مسائل دينية مهمة	35	1323هـ
.74	تفسير آيات من الطبري والنيسابوري	18	1323هـ
.75	الرد على الزيدية وبعض الفوائد والأشعار	14	1323هـ
.76	تفسير بعض الآيات ومسائل في السحر	36	1323هـ
.77	مسائل دينية وتكذيب السحر	36	1323هـ
.78	مسائل علمية	13	1320هـ
.79	فوائد دينية وأسماء الكتب في مكتبة آل قطيني	13	1321هـ
.80	مسائل دينية	10	1320هـ

.81	فوائد دينية ومسائل في التوحيد	09	1320هـ
.82	رسائل دينية وعلمية	13	1320هـ
.83	مسائل دينية وتعاريف علمية	10	1320هـ
.84	مسائل علمية	24	1320هـ
.85	مسائل علمية	29	1320هـ
.86	فوائد في علم الشطرنج	19	1314هـ
.87	مسائل دينية وأجوبتها	11	1314هـ
.88	فوائد دينية مهمة	17	1320هـ
.89	مسائل علمية	18	1327هـ/1909م
.90	مسائل تاريخية وسياحة في صيدا	27	1319هـ
.91	مسائل صرفية ونحو وفقه	20	1327هـ/1909م
.92	فوائد وأشعار	16	1319هـ
.93	دعاء وأسماء كتب بعض العلماء وتاريخ وفاتهم	19	1321هـ
.94	في اللغة و الصرف	24	1321هـ
.95	أحاديث تاريخية وعلمية	12	1321هـ
.96	تواريخ بعض الفقهاء ومختارات من كتب مختلفة	19	1321هـ
.97	فوائد دينية وعلمية	14	1321هـ
.98	أشعار وفوائد	09	1319هـ
.99	مسائل تاريخية	22	1318هـ
.100	فوائد نحوية و الرحلة إلى الحجاز	16	1321هـ
.101	فوائد دينية وعلمية	16	1321هـ
.102	فوائد دينية ومسائل وأجوبتها	26	1320هـ
.103	أسماء بعض الكتب الهامة في المكتبات ورحلة عم المؤلف إلى القدس	22	1318هـ
.104	وصف لمكتبة جار الله	14	1318هـ
.105	الرد على نونية ابن القيم ورسالة	24	1317هـ
.106	قصائد وأشعار ومختارات من ديوان الملك الأحمد	14	1318هـ
.107	قصائد علمية وتاريخية وأبيات فارسية في التصوف	23	1318هـ
.108	فوائد علمية ومختارات شعرية	27	1318هـ
.109	مسائل دينية	21	1318هـ
.110	مختارات شعرية وأسماء بعض الكتب	16	1318هـ
.111	وصف لبعض الكتب الهامة وأحكام دينية	23	1318هـ
.112	مسائل دينية ورسالة للشيخ قاسم بن قطلوبغا	27	1318هـ
.113	وصف الأشباه والنظائر للسبكي وكتاب النفقات للخصاف	13	1338هـ/1920م
.114	شيئ من التفسير	02	1334هـ/1916م
.115	مسائل دينية وفوائد	15	1327هـ/1909
.116	تواريخ بعض الشعراء وتفسير بعض الآيات	46	1327هـ
.117	الرحلة إلى مصر ومقابلة الخديوي ورئيس قسم الدرب الأحمر	04	1324هـ/1907م
.118	تاريخ ولادة عم المؤلف وهجرة والده ومسائل تاريخية	43	1311هـ

.119	تفسير آيات ومسائل دينية	10	1310هـ
.120	تاريخ بعض العلماء	16	1316هـ
.121	فوائد علمية ودينية ورسائل لابن عربي	25	1316هـ
.122	مجموع رسائل ابن تيمية و الكتب التي نقل عنها في بديع القرآن	20	1314هـ
.123	مسائل نحوية	08	1314هـ
.124	أحاديث وفتاوى وأقوال علمية	37	تاريخ غير واضح
.125	فوائد من المخصص	44	1323هـ
.126	العلم الشامخ وتكفير ابن عربي	25	1318هـ
.127	فوائد وقصائد	27	د-ت
.128	مسائل فلكية وعلمية	26	د-ت
.129	مؤلفات ابن تيمية	75	د-ت
.130	صورة رسائل بعض الصالحين وتاريخ وفاتهم	16	د-ت
.131	أشعار ظريفة ورسائل	15	د-ت
.132	مسائل وأجوبتها بإثبات تحريف التوراة والإنجيل	09	د-ت
.133	أشعار ومسائل علمية	؟	د-ت
.134	أحاديث وتفسير بعض الكلمات العربية وما في القرآن من اللغات	41	د-ت
.135	مسائل علمية	16	د-ت
.136	فوائد تاريخية وأدبية ومكتبية	15	د-ت
.137	أسماء سور القرآن الكريم	11	د-ت
.138	قصائد وبعض المقالات المنشورة في الصحف	14	1309هـ
.139	التذكرة وفيها تفسير البيضاوي ج1	583	د-ت
.140	التذكرة وفيها تفسير البيضاوي ج2	573	د-ت
.141	التذكرة وفيها تفسير البيضاوي ج3	1183	1318هـ
.142	التذكرة وفيها تفسير البيضاوي ج4	457	د-ت
.143	الوجيز في اللغة	138	د-ت
.144	رسالة في اللغة	14	د-ت
.145	من الوجيز في اللغة	60	د-ت
.146	من مقدمة الوجيز في أسرار العربية ج2	62	د-ت
.147	من مقدمة الوجيز في أسرار العربية ج3	139	د-ت
.148	من مقدمة الوجيز في اللغة (حرف الباء)	07	د-ت
.149	من مقدمة الوجيز في اللغة (حرف الباء)	106	د-ت
.150	من مقدمة الوجيز في اللغة (حرف الباء)	118	د-ت
.151	من مقدمة الوجيز في اللغة (حرف الباء مع الواو)	62	د-ت
.152	من مقدمة الوجيز في اللغة	43	د-ت
.153	من مقدمة الوجيز في اللغة	23	د-ت
.154	التذكرة	51	د-ت
.155	التذكرة	25	د-ت
.156	التذكرة	22	د-ت
.157	التذكرة	152	د-ت

الرسائـــل

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رسالة الشيخ طاهر الجزائري إلى المستشرقة المس –بيل– أمينة سر حاكم العراق[1]

حضرة الصديقة الجليلة الفاضلة الشهمة المحبوبة مس بيل دام إقبالها:

أحييك بخير التحايا، وأثني على تلك السجايا، وأذكرك بالأيام المسعودة التي جمعتنا في دمشق الشام. ثم أذكر لك الداعي إلى المكاتبة وهو أمران أحدهما تجديد العهد السابق والشكر على حسن ظنك بهذا المحب المخلص، فقد ذكر لي بعض أصدقائي ترجمة ما كتبتيه في حقي في رحلتك إلى سورية مما يدل على حسن الطوية.

والأمر الثاني اقتضاء الوقت لذلك، فإن هذا الزمان الذي هو أغرب الأزمنة مطلقا يجب الانتباه فيه لما يلزم وعدم تضييع الفرص فإنها تمر مر السحاب. هذا ولما كنت أعتقد أن أحسن من يخلص له العرب الود هو دولة بريطانيا العظمى، لما خبرته من الأحوال ومقتضيات الأمزجة ونحو ذلك.

والمودة لما كانت واجبة أن تكون من الطرفين، اقتضى الأمر أن يقع التفاهم بينهما ليستمر هذا الأمر، فرأيت أنه ينبغي لانكلترا العظمى أن تعتني بأمور:

1-الأمر الأول: أن تؤسس في كل بلدة كبيرة ديوانا شبيها بالرسمي لتأخذ الأخبار المتعلقة بما يحب العرب لتساعد عليه بقدر الإمكان، والذين يعينون ينبغي أن يكونوا من أعظم الناس معرفة بأمزجة العرب ممن تلقوا ذلك عن مثل حضرتك الكريمة.

2-الأمر الثاني: أن تعتني بأمر اللغة العربية ويظهر منها السعي في نشرها كما يظهر منها ذلك في اللغة الإنكليزية.

3-الأمر الثالث: الاعتناء الزائد في المساعدة على نشر العلوم على وجه يساعد عليه الحال والزمان.

4- الأمر الرابع: مراعاة عوائدهم وعدم الحط من كرامتهم لاختلاف العادات، فإنه قد بلغني أنه كان يقع في البصرة وبغداد وغيرهما من بعض المأمورين تساهل في ذلك، وهذا مضر جدا لا يشعر بمضرته إلا بعد أن يشتد الحال ويعسر زوال ما في النفس.

نعم إن هذا الأمر دقيق يصعب القيام به كما ينبغي، إلا أن الاعتناء به ممكن. والعربي أهم شيء عنده عدم الهوان.

5-الأمر الخامس: تسهيل أمر تجارتهم. وتسهيل أمر التجارة معهم بحيث يظهر ذلك، وتدريجهم في ذلك، على كل ما ينفعهم ولا يضركم.

6-الأمر السادس: الاعتناء بعدم مس الشعائر الدينية على وجه أقوى من الحالة السابقة. ومما يؤكد ذلك منع أمر المسكرات ونحوها وتوابع ذلك.

7-الأمر السابع: تدريبهم على ما يحتاجون إليه من أمور اقتصادية أو غيرها أي شيء كان.

وإني أرى أن هذه الأمور إذا تمت هكذا تكون النتيجة حسنة جدا ويشتد التلاؤم بين الفريقين، فإن العرب أقرب الناس إلى شكر النعمة فإن وجد من لا يشكر فإن في ظهور النعمة ما يقمعه عن إبراز ما ينويه من مغالطة الناس، وما قلت ما قلت إلا بعد تجربة واختبار تام.

ولولا شدة انحراف مزاجي لألفت في ذلك كتابا مفصلا قياما بمثل هذا الأمر الجلل إلا أن في هذا الأمر كفاية والله الموفق.

في يوم عيد الفطر سنة 1337 هـ
وهو يوم الأحد 1 شوال
في مصر في جهة عابدين

المخلص للأمة العربية
والدولة البريطانية العظمى
طاهر الجزائري

---

[1] محمد، كرد علي: كنوز الأجداد، ص ص 43- 45.

من رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد علي.[1]

الرسالة الأولى:

لمدية 20 ذي القعدة 1340:

جناب العالم الألمعي، سيدي محمد كرد علي، أدام الله لنا وجوده وأفاض علينا جوده.

أما بعد، سلام واف وافر، وإكرام باه باهر، فقد أرسلت إليكم من الجزائر لفا بريديا مشتملا على كراريس من جملتها مثلث قطرب، طبق طلبكم.

هذا وقد بلغني العدد الرابع و الخامس من مجلة المجمع العلمي العربي. ولم يصلني العدد الثالث منها وأظن أنه ضاع بسبب كتابة العنوان بالعربي فقط وبالخط المشرقي الذي تصعب قراءته في هذه الديار وسدا لهذا الخلل أضفت لإرساليتي عددا من أوراق فيها عنواني باللغة الفرنسية. وبهذه الطريق أرجو أن لا تضيع إدارة المجلة عددا من الأعداد، وأن رأيتم فتفضلوا بالإرسال إلي العدد الضائع كنتم مأجورين ممنونين.

والسلام من حليف الأدب على الدوام.

محمد بن أبي شنب

الرسالة الثانية:

جناب العلامة الأكرم سيدي محمد كرد علي الأفخم، بعد السلام التام، مع التحية والإكرام أبلغ سيدي أنه وصلني تقرير المجمع عن السنة الماضية، وكذلك كتابكم المؤرخ في 1 كانون الثاني وعرضت على إدارة المجلة الإفريقية Revue africaine بصفتي كاتب عام ثان، رغبتكم في المبادلة وألححت في الطلب مظهرا فائدة الرابطة بين علماء الأدب، فلم تقبل طلبي، وحيل بيني وبين بغيتي. أما المجلة التونسية، فأشير عليكم بمراسلة حبيب الجميع والمجمع سيدي ح ح عبد الوهاب، فإنه أدرى بفتح الباب، أليس أهل مكة أدرى بشعابها.

وأما المطبوعة الدولية بالجزائر فاكتبوا رأسا إلى مدير الأمور (كذا) الوطنية واشفعوا كتابكم بكتاب من بعض المأمورين الفرنسيين من أصحاب الوجاهة و التمكين.

Directeur Des Affaires Indigènes Au Gouvernement Général De L'Algérie, Alger

هذا وقد أصيبت كلية الآداب بالجزائر ومجمعكم العلمي بوفاة الأستاذ روني باسي من مشاهير علماء الجزائر وفرنسا بالأمور الإسلامية. ولما كانت له من العناية والدراية سطرت لكم حياته وسردت بعض مؤلفاته إن رأيتم أدراجها في مجلتكم الغراء.

وبهذه المناسبة اقترح عليكم أن تخلفوه بأستاذ بكلية الآداب بالجزائر، قد نشر إلى يومنا تاريخ ابن ميسر، وطبع بالفرنسية كتابا ضخما في حياة شاعر فارس صاحب كلستان وبستان، وغير ذلك من قلائد العقيان، ألا وهو الشيخ النطاسي، هنري ماسي .

Henri Masse, professeur de littérateur arabe et persane à la faculté des lettres d'Alger.

الجزائر، 20 فورار، 1924

الداعي لكم محمد بن أبي شنب

---

[1] أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب و الرحلة، الجزائر: م.و.ك، 1983، ص ص 81-84.

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- المصادر

01- القرآن الكريم.

02- **الإمام أحمد:** المسند، ج2، ج3، ج4، بيروت: دار الفكر، (د-ت).

03- **الترمذي:** الجامع الصحيح، ج4،ج5، بيروت، دار الفكر، (د-ت).

04- **ابن منظور:** لسان العرب، ج6، تحقيق عبد الله علي، الكبير ومحمد أحمد، حسب الله وهاشم محمد، الشاذلي،(د-م)، دار المعارف، (د-ت).

05- **الأفغاني، جمال الدين ومحمد عبده:** العروة الوثقى، ط3، بيروت: دار صادر، 1993.

06- **ألباني، محمد سعيد:** تنوير البصائر بسيرة الشيخ طاهر، دمشق: مطبعة الحكومة العربية السورية، 1920.

07- **تيمور، باشا، أحمد:** أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث،ط1، القاهرة: دار النصر للطباعة، 1967.

08- **الجزائري، طاهر:** توجيه النظر إلى أصول الأثر، بيروت: دار المعرفة،(د-ت).

09- ـــ، ـــ : توجيه النظر إلى أصول الأثر، ط1، ج1، اعتنى به وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة بيروت: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، 1995.

10- ـــ، ـــ : الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، تقديم وتعليق، محمد الصالح الصديق، الجزائر: د.م.ج، 1990.

11- ـــ، ـــ : الجواهر الكلامية في إيضاح العقيدة الإسلامية، ط2، بيروت: دار ابن حزم، 1998.

12- **الجزائري، محمد بن عبد القادر:** تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ط2، (جزئين) شرح وتعليق: ممدوح حقي، بيروت: دار اليقظة العربية، 1964.

13- **الخطيب، محب الدين:** إتجاهات الموجات البشرية في جزيرة العرب، القاهرة: المطبعة السلفية،1344هـ/1926م.

14- **خوجة، حمدان بن عثمان:** المرآة، ط2، تقديم وتعريب وتحقيق، محمد العربي الزبيري، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982

15- **القاياتي، محمد عبد الجواد:** نفحة البشام في رحلة الشام، بيروت: دار الرائد العربي، 1981

16- **كرد علي، محمد:** خطط الشام، ج6، دمشق: مطبعة المفيد، 1347هـ/1928م.

17- ـــ، ـــ : كنوز الأجداد، دمشق: مطبعة الترقي، 1950.

18- ـــ، ـــ : المعاصرون، ط2، تعليق محمد المصري، بيروت: دار صادر، 1993.

19- **الكواكبي، عبد الرحمن:** طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط2، تقديم: أسعد السحمراني، بيروت: دار النفائس، 1986.

20-**المغربي، عبد القادر:** "جمال الدين الأفغاني" ذكريات وأحاديث، ط2، القاهرة: دار المعارف، (د-ت) سلسلة إقرأ، العدد 68.

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- المراجع العربية

01- **أجيرون، شارل روبير**: تاريخ الجزائر المعاصرة، ط2، ترجمة: عيسى عصفور، الجزائر: د.م.ج، 1982.

02- **أرسلان، الأمير شكيب**: لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم؟ مراجعة حسن تميم، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، 1975.

03- **الأشرف، مصطفى**: الجزائر الأمة و المجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، الجزائر:م.و.ك 1983 .

04- **الأفغاني، سعيد**: من حاضر اللغة العربية، ط2، بيروت: دار الفكر، 1971.

05- **الاستانبولي، محمد مهدي**: شيخ الشام جمال الدين القاسمي، ط1، بيروت: المكتب الإسلامي، 1985.

06- **أطلس، محمد أسعد**: تاريخ الأمة العربية، عصر الانبعاث، بيروت: دار الأندلس،1963.

07- **أمين، أحمد**: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، الجزائر: م.و.ف.م، سلسلة الأنيس، 1990.

08- **أنطونيوس، جورج**: يقظة العرب، ط3، ترجمة: ناصر الدين الأسد، وإحسان عباس، بيروت: دار العلم للملايين، 1969.

09- **برج، محمد عبد الرحمن**: دراسة في التاريخ العربي الحديث و المعاصر، (د-م) مكتبة الأنجلو-المصرية، 1974.

10- **برو، توفيق**: العرب و الترك في العهد الدستوري العثماني (1908-1914) ط1، دمشق: دار طلاس للدراسات و الترجمة و النشر، 1991.

11- **بن عبد الكريم،محمد**: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية "دراسات ووثائق"، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981.

12- **البنعلي، أحمد بن حجر آل بوطامي**: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المجدد المفترى عليه، ط1، الشارقة: دار الفتح، 1995.

13- **بن نبي، مالك**: وجهةالعالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، (د-م)، (د-ت).

14- **البهي، محمد**: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ط6، بيروت: دار الفكر، 1973.

15- **بوصفصاف، عبد الكريم**: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، ط1، (قسنطينة) الجزائر: دار البعث، 1981.

16- **بو عزيز،يحي وميكيل إيبالزا**: الجديد في علاقات الأمير عبد القادر مع إسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية، ط1، (قسنطينة) الجزائر: دار البعث، 1402: هـ، 1982م

17- **البيومي، محمد رجب**: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، ط1، ج2، نشر مشترك، بيروت: الدار لشامية ودمشق: دار القلم، 1995.

18- **تركي ، رابح**: دراسات في التربية الإسلامية، ط2، الجزائر: م.و.ك، 1987.

19- **التوبة، غازي**: الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم، ط3، بيروت: دار القلم، 1977.

20- **جبري، شفيق**: محاضرات عن محمد كرد علي، القاهرة: مطبعة الرسالة، 1957.

21- **جليبسي، جوان**: ثورة الجزائر، ترجمة : عبد الرحمن صدقي أبو طالب، القاهرة: الدار المصرية للتأليف و الترجمة، 1966.

22- **الجندي، أنور** : أعلام الإسلام، (د-م) (د-ت)

23- - ، - : تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي، ط1، القاهرة: مكتبة الأنجلو- المصرية، 1970.

24- - ، - : الضربات التي وجهت للإنقاض على الأمة الإسلامية، ط1، دمشق: دار القلم، 1998.

25- - ، - : الأدب العربي الحديث 1830-1959، مطبعة الرسالة، (د-م) (د-ت)

26- - ، - : المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام (1840-1940) (د-م) مطبعة الرسالة1961.

27- **الحافظ، محمد مطيع و أباضة، نزار**: تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري، ط1، ج1، دمشق: دار الفكر، 1986.

28- **حسين، محمد محمد**: الإسلام و الحضارة الغربية، ط2، (د-م)، دار الفتح، (د-ت) .

29- **حميش، سالم**: الاستشراق في أفق إنسداده، ط1، الرباط: منشورات المجلس القومي للثقافة العربية 1991.

30- **حوراني، ألبرت**: الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939م، ترجمة: كريم عزقول بيروت: دار النهار للنشر، (د-ت).

31- **الخالدي، سهيل**: الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، ط1، الجزائر: دار الأمة، 1997.

32- **خرفي، صالح**: الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر : ش و ن ت، 1977.

33- **الخطيب ،أحمد**:جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، الجزائر: م.و.ك، 1985.

34- **الخطيب، عدنان**: الشيخ طاهر الجزائري، رائد النهضة العلمية في بلاد الشام وأعلام من خريجي مدرسته، القاهرة: معهد البحوث و الدراسات العربية، 1971.

35- **الخيمي، محمد صلاح و الحافظ محمد مطيع**: الفهرس العام لمخطوطات دار الكتب الظاهرية، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، 1987.

36- **داغر، يوسف أسعد**: مصادر الدراسة الأدبية، ج2، بيروت: منشورات أهل القلم في لبنان، 1956.

37- **الدباغ، عائشة**: الحركة الفكرية في حلب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، ط1، بيروت: دار الفكر، 1972.

38- **الدمرداش، عبد المجيد سرحان**: المناهج المعاصرة، ط5، الكويت: مكتبة الفلاح 1405 هـ-1985.

39- **الدوري، عبد العزيز**: التكوين التاريخي للأمة العربية، دراسة في الهوية و الوعي، ط1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1984.

40- ـــ، ـــ : الجذور التاريخية للقومية العربية، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1960.

41- **رضا، محمد رشيد**: مختارات سياسية من مجلة المنار، ط1، تقديم ودراسة وجيه كوثراني، بيروت: دار الطليعة، 1980.

42- **الرديني، عبد الكريم**: مباحث في تاريخ الحديث ومصطلحه (باتنة) الجزائر: شركة الشهاب، 1990.

43- **الرفاعي، شمس الدين** : تاريخ الصحافة السورية، ج1،مصر: دار المعارف، 1969.

44- **الركيبي، عبد الله** : الشعر الديني الجزائري الحديث، ط1، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1981.

45-**زوزو، عبد الحميد** : الهجرة و دورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939). ط2، الجزائر: م.و.ك، 1985.

46-**زيدان، جرجي**: بناة النهضة العربية، (د-م)، دار الهلال، سلسلة شهرية، العدد 72، (د-ت)

47 - ـــ، ـــ : تاريخ آداب اللغة العربية، ج4، الجزائر: م، و، ف، م. (سلسلة الأنيس)، 1993.

48 - ـــ، ـــ : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج1، بيروت: دار مكتبة الحياة، (د-ت).

49- **الزبيري، محمد العربي**: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، الجزائر: م.ج.ط.ن.ت، 1982.

50-**زين، زين نور الدين**: نشوء القومية العربية (مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية-التركية)، بيروت: دار النهار للنشر، 1968.

51-**سابا، عيسى ميخائيل**: الشيخ إبراهيم اليازجي (1847-1906)، دار المعارف، (د-م)، سلسلة نوابغ الفكر العربي، رقم 14، 1955.

52-**سعد الله، أبو القاسم**: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط1، ج4، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996.

53- ـــ،ـــ : أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ط2، ج2، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1996.

54- ـــ،ـــ : تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ط1، ج3+4+5+6+7، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998 .

55- ـــ، ـــ : تجارب في الأدب و الرحلة، الجزائر: م. و. ك، 1983.

56- ـــ، ـــ : الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، ط3، ج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1983.

57- ـــ، ـــ : الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، القسم1، الجزائر: م.و.ك، 1992.

58-**سعيد، أمين**: الثورة العربية الكبرى، ج1، مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د-ت).

59-**سلامة، عبد الرحمن**: التعريب في الجزائر من خلال الوثائق الرسمية، الجزائر: ش،و،ن،ت، 1981 .

60-**سنقرط، داود عبد العفو**: القوى الخفية لليهودية العالمية. الماسونية، الجزائر: دار الثقافة (د.ت).

61-**سنّو، عبد الرؤوف**: النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881، ط1، بيروت، بيسان للنشر والتوزيع، 1998.

62-**سيف الإسلام، الزبير**: تاريخ الصحافة في الجزائر، ج2، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982.

63-**شاتلية، آل**: الغارة على العالم الإسلامي، ط4، ترجمة، محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، الجزائر: د.م.ج، 1985.

64-**شكري، محمد فؤاد**: السنوسية، دين ودولة، (د-م)، دار الفكر العربي، 1948.

65-**الشهابي، مصطفى**: القومية العربية (تاريخها وقوامها ومراميها)، ط2، مصر: مطبعة الرسالة، 1961.

66-**الشوابكة، أحمد فهد بركات**: حركة الجامعة الإسلامية، ط1، (الزرقاء) الأردن: مكتبة المنار، 1984.

67-**شيخو، لويس**: الآداب العربية في القرن 19م، ج2، (1870-1900)، بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، 1910.

68-**شريف، محمد بديع وزكي، المحاسني وأحمد عزت، عبد الكريم**: دراسات تاريخية في النهضة العربية الحديثة، ط2، بيروت: دار اقرأ 1404 هـ 1984م.

69- **صالحة، محمد وأبو مغلي، سميح**: تاريخ الصحافة العربية، نشأتها وتطورها، عمان: نشر مؤسسة دار بيكار، (د-ت).

70-**ضيف الله، محمد الأخضر**: محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ط2، الجزائر: د.م.ج، 1981.

71-**طالبي، عمار**: ابن باديس، حياته وآثاره، ط1، ج4، بيروت: دار اليقظة العربية، 1968.

72-**الطنطاوي، علي**: رجال من التاريخ، ط1، دمشق: دار الفكر، 1984.

73-**طهاري، محمد**: مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ط2، الجزائر: م.و.ك، 1992.

75-**عازوري، نجيب**: يقظة الأمة العربية، ترجمة أحمد بو ملحم، بيروت: المؤسسة العربية، للدراسات و النشر، (د-ت).

75- **عبد الرازق، أحمد محمد جاد**: فلسفة المشروع الحضاري بين الإحياء الإسلامي والتحديث الغربي، ج1، (فرجينيا) الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي،(د-ت).

76-**العقيقي، نجيب**: المستشرقون، ط4، ج1+2، القاهرة: دار المعارف، (د-ت).

77-**علوبي ، ناجي** : الحركة القومية العربية(نشأتها، تطورها، اتجاهاتها)، ط1، بيروت: دار الطليعة، 1975.

78-**عمارة، محمد**: الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني، القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،(د-ت).

79- - ، - : الأعمال الكاملة لمحمد عبده، ط1، ج1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1972.

80-**الفاخوري، حنا**: تاريخ الأدب العربي، ط10، بيروت: المكتبة البولسية، 1980.

81-**فخري، ماجد**: دراسات في الفكر العربي، بيروت: دار النهار للنشر، 1970.

82-**قدورة، زاهية**: تاريخ العرب الحديث، بيروت: دار النهضة العربية، 1985.

83-**قلعجي، قدري**: مدحت باشا، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، سلسلة أعلام الحرية، رقم3، 1958.

84-**قليل، عمار**: ملحمة الجزائر الجديدة، ط1، ج1، (قسنطينة) الجزائر: دار البعث، 1991.

85-**قنان، جمال**: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994.

86-**كاشف، سيدة إسماعيل**: مصادر التاريخ الإسلامي ومناهج البحث فيه، بيروت: دار الرائد العربي 1983.

87- **الكيالي، سامي**: الأدب و القومية في سوريا، (د-م)، مطبعة الجبلاي، 1969.

88-**مسعود، جمال عبد الهادي محمد ووفاء محمد رفعت جمعة**: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، لماذا؟ وكيف؟ ط1، الجزائر: دار الصديقية للنشر و التوزيع، 1989.

89-**المحافظة، علي**: الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798-1914. بيروت: الأهلية للنشر و التوزيع، 1983.

90-**مشابك موسى، منير**: الفكر العربي في العصر الحديث (سوريا من القرن الثامن عشر حتى العام 1918)، بيروت: دار الحقيقة للطباعة والنشر، 1973.

91-**مناصرية، يوسف**: مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب (1832-1847)، الجزائر: م.و.ك، 1990.

92-**منسي، محمد صالح**: حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي، (د-م)،دار الاتحاد العربي للطباعة،1972.

93-**موسى، سلامة**: ما هي النهضة ومختارات أخرى، تقديم مصطفى ماضي، الجزائر: م.و.ف.م، 1990.

94-**نمرو، جواهر لال**: لمحات من تاريخ العالم، ترجمة: لجنة من الأساتذة، بيروت: دار الجيل، 1997.

95-**نوار، عبد العزيز سليمان**: تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث، القاهرة: دار الفكر العربي، 1998.

96-**نوفل، هايل**: تاريخ الكتب و المكتبات، دمشق: مطبعة خالد بن الوليد، 1987/1986.

97-**نويوات، موسى الأحمدي**: شرح الأسئلة الرمضانية، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982.

98-**نعمان، ناجي وآخرون**: المجموعات العرقيةو المذهبية في العالم العربي، لبنان: دار نعمان للثقافة، 1990.

99-**هلال، عمار**: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، الجزائر: د.م.ج، 1995.

100- – ، – : العلماء الجزائريون في البلدان العربية و الإسلامية فيما بين القرنين 19 و 20 (13- 14هـ) الجزائر: د.م.ج. 1995.

101- – ، – : المصادر و المراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830-1962، الجزائر: د.م.ج، (د-ت).

102- – ، – : الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام (1847-1918) الجزائر: لافوميك، 1986.

103- وزارة الشؤون الدينية (الجزائر): آثار عبد الحميد بن باديس، ط1، (قسنطينة) الجزائر: دار البعث، 1984.

104-ياسين، حكمت: السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية، تونس: الدار التونسية للنشر، 1981.

105- يحي، جلال: المغرب الكبير، الفترة المعاصرة، ج3، الإسكندرية: الدار القومية للطبع و النشر، 1990.

3- المراجع بالأجنبية:

1- Grand Dictionnaire Encyclopedique. Larousse T 7, Librairie Larousse, Paris. 1984.

2- Le Petit Larousse illustre, Paris, Librairie Larousse 1989.

3- Rager, Jean Jacques: Les Musulmans Algériens En France Et Dans Les Pays Islamiques, Paris : Société D'éditions " Les Belles Lettres", 1950.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4- المعاجم والموسوعات والقواميس:

1- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة المستشرقين، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1984.

2- البعلبكي، منير: معجم أعلام المورد، ط1، بيروت: دار العلم للملايين، 1992.

3- الزركلي، خير الدين: الأعلام، ط5،م1+3+8، بيروت: دار العلم للملايين، 1980.

4- – ، – : – ، ط7، م2+3+6، بيروت: دار العلم للملايين، 1986.

5- عطية، أحمد: القاموس السياسي، ط3، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968.

6- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية) ، ط1، ج2، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1993.

7- عبد الوهاب، الكيالي : موسوعة السياسة، ط1، ج1،ج2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،1981.

8- – ، – : – – ، ط2،ج2+3+4، (1993).

9- – ، – : – – ، ط3، ج1، (1990).

10- محجوب، فاطمة محمد: دائرة معارف الناشئين، ط1، بيروت: دار القلم، 1984.

11- مجموعة من المؤلفين: المنجد في اللغة والأعلام، ط 29، بيروت: دار المشرق، (د-ت).

12- نويهض، عادل: معجم أعلام الجزائر منذ صدر الإسلام حتى العصر الحديث، ط2، بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية 1980.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- قائمة الدوريات

1- **أبو الأمين:** "محمد عبده والسياسة" جريدة المنار، ع42، السنة 3، (الجمعة 24 شعبان 1372 هـ/ 8 ماي 1953). سلسلة التراث(1)، اعداد محمد بوزوزو، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1982.

2- ـــ، ـــ: "جمال الدين الأفغاني"، جريدة المنار، ع19، السنة 2، (الجمعة 27 جمادى الثانية 1372 هـ/ 14 مارس 1953).

3- ـــ، ـــ: "موقف الإمام محمد عبده من تعاليم جمال الدين" جريدة المنار، ع41، السنة 3، (الجمعة 10 شعبان 1372هـ/24 أفريل 1953).

4- ـــ، ـــ: تعاليم "جمال الدين الأفغاني" جريدة المنار، ع20، السنة 2 ، (الجمعة 11 رجب 1372هـ/27 مارس 1953).

5- **الأرناؤوط، محمد:** "الشيخ طاهر الجزائري" رائد النهضة الفكرية الحديثة في بلاد الشام، الأصالة ع67، (ربيع الثاني 1399هـ/ مارس 1979) السنة الثامنة، الجزائر: وزارة الشؤون الدينية، 1979.

6- **إبن أبي شنب، سعد الدين:** "النهضة العربية بالجزائر في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة " مجلة كلية الآداب، ع1، السنة الأولى، الجزائر: جامعة الجزائر، 1964.

7- **بوعبدلي، المهدي:** "الطاهر الجزائري" الأصالة ع48، شعبان 1397هـ/أوت 1977، السنة الخامسة، الجزائر: وزارة الشؤون الدينية 1977.

8- **تركي، رابح:** (("الشهاب" لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر))، الثقافة ع 81 (شعبان- رمضان 1404هـ/ ماي –جوان 1984)، السنة 14، الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1984.

9- **جريدة الخبر:** "يقتل المريض 131 أمام كاميرات التلفزيون" ع 2517، (31 مارس 1999)، السنة 9، الجزائر: 1999م.

10- ـــ، ـــ: "إجازة القتل الرحيم استثنائيا بفرنسا" ع 2804 (5 مارس 2000)، السنة 9، الجزائر: 2000.

11- **الحمصي، أسماء:** "المدرسة الظاهرية" مجمع اللغة العربية، م42، (جانفي 1967)، دمشق: 1976.

12- **خوفي، صالح:** "الجزائر ودروها في النهضة العربية الحديثة في المشرق" الثقافة، ع 26، السنة الخامسة (ربيع الأول وربيع الثاني 1395هـ/أفريل – ماي 1975) الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1975.

13- **الخطيب، محب الدين:** " غولدزيهر والشيخ طاهر الجزائري" مجلة الأزهر، (صفر 1373 هـ /أكتوبر 1953) ج2، م25، السنة 25، القاهرة، 1953.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

14- **سعد الله، أبو القاسم:** "مشروع كتاب" "تاريخ زواوة" لأبي يعلى الزواوي" الثقافة، ع73-74، السنة الثالثة عشر، (ربيع الأول وجمادى الثانية 1403هـ/ جانفي- أفريل 1983) الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1983.

15- **شاكر، مصطفى:** "جمال الدين الأفغاني" الثائر الشريد المفترى عليه"، العربي، ع 301 (صفر 1404 هـ/ ديسمبر 1983م) الكويت: وزارة الإعلام 1983.

16- **صليبا، جميل:** "الإنتاج الفلسفي خلال المائة سنة الأخيرة في العالم العربي"، مجمع اللغة العربية، م37، (جانفي 1962)، دمشق: 1962.

17- **علاء الدين، رفيق:** "محمد بن عبد الوهاب" المجاهد الأسبوعي، ع1906 (11-18) فبراير 1997،

18- **غازي ظافر، شعبان:** " أثر الإسلام في حركة التحرر العربية المعاصرة"، مجلة الثقافة والثورة، ع8، الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1982.

19- **قاسم، محمود:** "مناهج الإصلاح في الشرق منذ أوائل القرن 19 حتى عصر النهضة المعاصرة.فكرة جمال الدين الأفغاني عن الإصلاح"، الثقافة، ع81، (شعبان- رمضان 1404 هـ/ ماي جوان 1984) السنة 14 الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1984.

20- **قنبي، حامد صدقي:** الشيخ طاهر الجزائري، أستاذ بلاد الشام (1268-1339هـ/1851-1920م) سيرته ومنهجه في التعريب، مجلة الصراط، ع2، السنة الأولى (ذو الحجة 1420هـ/ مارس 2000)، الجزائر: جامعة الجزائر، 2000.

21- **كرد علي، محمد:**"الشيخ طاهر الجزائري" مجمع اللغة العربية، م1، دمشق: 1921.

22- -،- : المقتطف، م56، (أفريل 1956) القاهرة: 1956.

23- -،- : "الشيخ طاهر الجزائري" مجمع اللغة العربية، م1،ج1(ربيع الثاني 1339هـ/ جانفي 1921). دمشق: 1921.

24- **مالك، رضا:** "الشيخ محمد عبده والعقل التنويري" جريدة الخبر ع 2066، ج1، (13 سبتمبر 1997) السنة السابعة، الجزائر: 1997.

25- **النجاري، علي حيدر:** "الشيخ طاهر الجزائري، مقاطع من نثره وشعره في شبابه بمناسبة الذكرى الستين لوفاته"، مجمع اللغة العربية، م55، دمشق، 1980.

26- **هلال، عمار:** "الهجرة نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي"، ع84 ، (صفر-ربيع الأول 1405هـ/ نوفمبر-ديسمبر)، القسم 2، 1898-1918، الجزائر: وزارة الثقافة والسياحة، 1984.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

6- رسائل جامعية:

1-أقوشة لي، عبد الله: دور السنوسيين في حركة الجهاد الإسلامي (1914-1918)، مذكرة ديبلوم الدراسات المعمقة، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 1978.

2- طرشون، نادية: الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين (نموذج سوريا)، رسالة ماجيستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام[1]·(ح)
والأماكن

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) الـ:التعريف تلغى في ترتيب الأعلام والاماكن.

(ح) : الحاشية.

١-الأعلام

-أ-

- ابن عبد الوهاب، محمد: 1-3-9-10-11-12-13-14-15-16-18-25-35-43-168-210.
- الأفغاني، جمال الدين: 1-2- 3 -8-9- 10- 30 -31-32-33-34-35-36-37-38-39-40-41-42-43-63-66(ح)-69-85-89-93-96-160-161-163-164-165-166-167-168-169-170-173-175-177-178-182-188-210.
- أفلاطون:6.
- ألباني، محمد سعيد: 6-120-207.
- ابن منظور: 8.
- ابن تيمية: 12-15-96-168-172-190.
- آل سعود: 13-15.
-ابن سعود محمد:14-15 (ح)
- ابن شهلة محي الدين: 19
- ابن أبي زوينه محمد بن عبد القادر : 19
- ابن عمور عبد القادر:19
- إدريس الأول بن عبد الله بن الحسين : 19(ح)
- ابن ناصر: 21
- آل عثمان:26-184
- ابن عبد الله محمد الشريف:27
- ابن تكوك الشارف بن الجلالي: 26(ح)
- أبي فارس إبراهيم: 26 (ح)
- أشقر باشا: 28
- أعظم محمد:30
- الإمام البخاري: 30(ح)-112
- أبو تراب عارف :31
- أمين أحمد : 32
- ابن سينا: 36
- ابن رشد:36

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-أر سطو : 36(ح)

-أيوب :105

-إبن خلدون: 108-109

-أحمد محمد المهدي :9(ح)-25-31

-ابن الأشح زكرياء:45

-ابن العربي:47

-ابن سالم أحمد الطيب: 49-51-52

-ابن سعيد فرحات: 48 (ح)

-أحمد باي: 56

-إبن زكري محمد السعيد : 67-72-108

-أرسلان شكيب (الأمير):71 -81-125-126-188-196-197

-ألنبي (جنرال) :73 (ح)

-أحمد جمال باشا (السفاح): 75-144(ح)-148-154-155-156-159-164-186-195-203-204-205

-أنور:75

-الإنجليزي عبد الوهاب: 80-155

-الإبراهيمي محمد البشير: 81-125-197-198

-ابن النديم:88

-ابن باديس عبد الحميد: 90-198(ح)

-ابن القيم الجوزية:96-190

-الإمام الشافعي:99

-ابن سهل:104

-ابن المديني، علي: 112

-أبو غدة عبد الفتاح: 117-118

-الإمام عبد الملك بن هشام:113

- أبي هريرة:116

-أبي داو ود:116

-أزيس: 160(ح)

-ابن الأثير مجد الدين المبارك:116

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الأصمعي: 117

-ابن أبي خيثمة:117

-ابن سيرين محمد:117

-أبي الحا تم الرازي(الإمام):118

-أحمد شفيق:127

-إبراهيم حافظ:145

-أرسلان عادل(الأمير): 147

-آل عثمان: 26-184

-الأرمنازي علي:155

-آدم:160 (ح)

-أم المؤمنين عائشة(رضي الله عنها):186

-أبي حامد الغزالي:190

-ابن حزم:190

-ابن أبي شنب محمد:192-220

-أتاتورك : 197

-ب-

-بيل (ألمس) : 5-8-104-105-158-161-167-168-219

-بونابرت، نابليون: 7-16-48(ح)-51(ح)-57(ح)-145(ح)

-بربر: 25

-بوجو: 17(ح)-26(ح)-51-52-53-55

-بطرس الأكبر:34 (ح)

-بري سالس:39

-بسمارك : 40(ح)

-بليسي(عقيد):51

-بوجولا جان:53

-بونابرت لويس:57 (ح)

-البستاني عبد الرحمان:62

-براون: 73

-البيطار عبد الرزاق: 79-125-133-149

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-بهاء الدين بك:79-82-130

-بوعبدلي المهدي:89

-باولي باترو:155

-البساط توفيق: 155

-النجاري جلال: 155

-البار ودي فخري: 191

-بربر وغر أدريان: 192 (ح)

-باسي روني: 220

-بيبرس (الظاهر):87-

-ت-

-التازي عبد الوهاب:20

-التيجاني أب العباس :21

-الترمذي : 116-130

-التاهرتي بكر بن حماد:45

-التلمساني أحمد بن سعيد بن عثمان شهاب الدين: 46

-تيمور أحمد: 70-119-190

-التميمي رفيق:144

-تللو نايف:155

-توينبي:196

-ج-

-الجزائري الطاهر :1-2-3-4-5-6-7-8-10-35-43-44-45-46-56-49-50-58-59-60-61-62-63-64-65-66-67-68-69-70-71-72-73-74-75-76-77-79-80-81-82-83-84-85-86-87-88-89-90-91-92-93-94-95-96-97-99-100-101-103-104-105-106-107-108-109-110-111-112-113-114-116-117-118-119-120-121-122-123-124-125-127-130-131-132-133-134-135-136-137-139-140-141-142-143-144-145-148-149-150-152-153-155-156-157-158-159-160-161-162-164-165-166-167-168-169-170-172-173-174-175-176-177-178-179-185-186-187-188-189-190-191-192-193-194-196-199-200-201-202-204-206-207-208-209-210-211-219.

-الجزائري عمر بن عبد الله:27

-جاويد: 75(ح)-154 (ح)

-الجزائري سليم :75-79-80-125-135-139-143-146 -148-155-156-163-164-173-

188-200-201-202-203-204-205

-الجندي أنور: 7-208

-الجسر حسين: 89(ح)

-الجزائري محمد بن عبد القادر (الأمير):105

-الجندي شكري:143

-الجزائري عمر (االأمير):155

-جونار (جنرال):171(ح)

-جميل باشا: 181

الجلالي عبد القادر:193

-الجاحظ:122

-جقمق:62(ح)

-ح-

-الحسن بن علي:59

-حسين بن علي(شريف مكة):75-156-195

-حمدي باشا:82

-الحاج حافظ محمد أشرف:127

-حيدر محمد رستم: 144

-الحافظ أمين لطفي:146-148-203

-الحسيني جميل: 150(ح)

-حيدر صالح:155

-حمد عمر:155

-حداد جرجي:155

-الحسيني أحمد عارف:156

-الحسيني مصطفى: 156

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-الخطيب عدنان:1-7

-خوجة حمدان بن عثمان:2

-الخطيب محب الدين:7 -81-89-141-143-150-152-163-164-173-188-192-193-194-195-196-197-199-207

-الخديوي توفيق:31-40-62(ح)-166

-الخديوي عباس حلمي الثاني: 62(ح)-65-68-69

-الخوري فارس:80-143

-الخالدي راغب: 88

-خليفة حاجي: 88-97-111

-الخليل عبد الكريم:143-146-155-203

-الخوجة صبري:144(ح)

-الخطيب سيف الدين:150(ح)-155

-الخرسا عبد القادر:155

-د-

-داغر يوسف أسعد: 7-122-209

-الدوري عبد العزيز:7

-دانفوديو عثمان:16

-الدرقاوي سيدي العربي بن احمد:20

-الداي حسين:20(ح)

-دي روفيقو:27(ح)-48(ح)-53

-داروين:31

-دي بورمون: 53(ح)

-دوتو كفيل ألكسي: 55

-دامرمون:53(ح)

- درويش الشيخ:169

-ر-

-روش ليون: 27

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-رين لويس:28

-ريتان أرنست:36

-رياض باشا:40-175

-رضا محمد رشيد:89-92-149-150-161-175-182-197

-الركيبي عبد الله:100

-الرامهرمزي أبو محمد: 112

-الرصافي معروف: 145

-روسو جان جاك: 186-190

-ز-

-الزواوي أبي يعلى: 4-107-108-109-110-190-191-197

-زيدان جرجي:7

-الزركلي خير الدين:8-81

-الزهراء:19

-الزواوي عيسى بن مسعود ابو الروح:46

-الزواوي يحي ابو الحسن: 46

-زكي أحمد:70-119-206

-الزهراوي عبد الحميد:80-139-152-155-173

-الزاهري محمد السعيد: 197-198

-س-

- السنوسي محمد بن علي: 1-3-9-10-15-16-18-19-20-21-22-23-24-25-26-27-28-29-35-43-210

-سقراط:6

--السنوسي محمد مهدي:24

-السمعوني صالح بن أحمد:46-49-59-61-119

-السكلاوي مهدي:49-51

-السرياني يوسف داوود(المطران):71

-السيوطي:112

-سفيان الثوري:116

-السعيد نوري: 148

-سليمان يوسف: 150(ح)
-سلوم رفيق رزق:150(ح)-155
-سليمان (النبي): 160(ح)
-سعد الله أبو القاسم:197

-ش-

- الشهابي مصطفى :7
-الشوكاني: 15-16
-الشيخ عبد الحليم:19
-الشميل شبلي:32
-شير علي: 33
-الشاه ناصر الدين:34-38
-شطة محمد: 49
-شارل العاشر:52
-شوقي أحمد :65(ح)
-الشهبندر عبد الرحمن:75-80-139
-الشيخ الشريف محمود أفندي: 86
-الشهرزوري:112
-الشهابي عارف: 142-146-155-202
-الشنيطي محمد: 155
-الشمعة رشدي:155
-شاتليه آل:196
-شوكت محمود:151

-ص-

-صوفي عبد اللطيف: 5
-الصنهاجي سالم بن إبراهيم بن عيسى: 46

-ط-

-طوارق :25
- طبارة الشيخ أحمد: 155
-الطنطاوي علي:208

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ع-

-عبد القادر الأمير: 2-27-32-45-46-48-49-50-51-56-57-62-101-105-108-126-154-160

-عرابي أحمد: 2-62-165-175-176-210

-عبده محمد:2-3-8-16-31-32-34-39-42-43-62-63-65(ح)-68-71-85-89-90-161-162-163-164-165-166-169-170-171-172-173-174-175-176-177-178-188-190-210

-عطية أحمد: 8

-عليش محمد:25

-عبد الحميد الثاني(السلطان):34-40-41-42-70-75-126-128-129-130-131-132-134-135-136-143-145-146-153-154-161-167-175-176-180-182-183-184-185-186-194-201-202

-العظم رفيق:66-80-149-150-173

-العسلي شكري:80-139-155

-العراقي:112

-عمر بن عبد العزيز: 114

-عمر بن الخطاب: 117

-عبد العزيز (السلطان): 128-132

-عارف بك:127

-عبد الهادي عوني:144

-العريسي عبد الغني : 144(ح)-156-200-204

-عابدين مسلم:155

-العجم محمود :155

-عبد الهادي سليم:155

-عقل سعيد:155

- علي (كرم الله وجهه): 170

-عارف باشا(والي): 179-181

-غ-

-غولد زيهر:5-68-72-73(ح)-74-111-119

-الغنيمي عبد الغني الميداني:62

-غاندي المها تاما:64

-غافر يللو برنسيب:158(ح)

-ف-

-فاطمة:19

-الفاسي أبي العباس أحمد عبد الله بن إدريس:21-22

-فلاتزر:26

-الفارابي:72(ح)

-فابيوس:126

-فكتوريا(ملكة):129-158

--فيصل الملك:148

-فولتير:190

-ق-

-القاياتي محمد عبد الجواد: 7-72-206

-القاسمي جمال الدين:71-79-84-85-89-125-133-142-149

-قطز : 87(ح)

-القاسمي صلاح الدين:142-143

-قدري احمد :144

-القاضي نور الدين:155

-ك-

-كرد علي، محمد: 6-66-69-70-76-79-80-91-92-94-97-106-107(ح)-111-125-162-163-164-173-182-188-190-191-192-193-207-220

- كلوزيل: 27(ح)-63

-الكامل (الملك):46

-كامل مصطفى:65(ح)

-كاير موناكو:73

-الكيالي عبد الوهاب:8

-كويدي:73

-كودنبري:73

-الكيلاني رشيد عالي:146(ح)

-كاميل باشا: 154

-كرومر اللورد: 173(ح)-175-178

-الكواكبي عبد الرحمان:3-8-43-66-89-93-139-163 -179-180-181-182-183-184-185-186-187

-ل-

--لطفي أمين:155

-لويس فريدناند:158

-م-

-مدحت باشا:4-66-79-82-84-85-86-87-90-124-127-128-129-130-131-132-133-134-158-160-161-162-168

-الموحدين : 12

-محمد علي باشا: 13-15-21-25-26-28-31(ح)-65(ح)-89

-المتنبي:181

-المازوني بن شارف: 19

-المستغانمي سيدي محمد بن القندوز:20

-مظهر إسماعيل:32

-موسى عليه السلام:47-160(ح)

- مولاي عبد الرحمان: 55

-المغربي، عبد القادر: 66-69-107(ح)-188

-ماضي أحمد :69(ح)

-موسوليني :71(ح)

-مارغيلوث:73

-ماسينيون لويس: 73

-المصري عزيز علي: 75-146-147-148-202-203

- المرتضى الحسني:81-125

-المبارك عبد القادر:81

-الملك السعيد:87

-المقبلي صالح:89

-المقراني(الثورة):135

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-مراد (السلطان):128

-المليحي عبد الوهاب:139

-محمصاني محمد:144-155

-محمصاني محمود:155

-المؤيد شفيق بك: 155

-ميخائيل:160(ح)

- منتسكيو:190

-المدني أحمد توفيق:197-198

-ماسي هنري:220

-ن-

-الناصري أبي راس:20

-نابليون الثالث: 57

-النجاري رسول:100-104

-النيسابوري الحاكم أبو عبد الله: 112-115-118

- النسائي:116

-نديم محمود: 128

-الناطور توفيق:144

-ناتاليا داوتس:154

-النشاشيبي علي عمر:156

-هـ-

-هيس (الدكتور):69

-هرتن: 72

-الهاشمي طه: 148

-الهاشمي ياسين:148

-و-

-واصف مصطفى:189(ح)

-ي-

-يعقوب:7-105

-اليلولي عبد الرحمن: 67(ح)

-يوسف علي(المؤيد):69

-اليازجي إبراهيم:132-140

-اليازجي ناصف:132(ح)

-اليافي مساعد:196

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- الأماكن والمدن

-أ-

-أصفهان:11

-أطبهان:11(ح)

-إيران:11(ح)-29-30-34-38-104(ح)-167-168

-الإحساء:12

-إيطاليا:16(ح)-18-53(ح)-129

-أم درمان:18 (ح)

-الأغواط:20-26

-إفريقيا:23-52-180-198

-أوروبا:41(ح)-45-65-73-77-110-123(ح)-136-160(ح)-190-201

-أولاد سيدي الشيخ: 26

-الأوراس:27

-أسعد أباد:30

-أفغانستان:30-33-167-168

-أستا نبول:30-34-38-42-46-57-66(ح)-75-80(ح)-86-88(ح)-126-127-133-135-142-143-144-146-147-148-150-168-172-179-194-195-200-202-203

-أبي قبيس(جبل):22

-أمريكا:32-53(ح)-65-71(ح)-77

-إنجلترا:32 (ح)-38-39-160(ح)-219

-الأندلس:34-71(ح)-154(ح)

-ألمانيا:39(ح)-146(ح)

-الإسكندرية:25(ح)-46-57-70

-أمبواز:57

-إسبانيا:51(ح)-53(ح)-71(ح)-129-154(ح)

-أزمير:57-82-132

-أشتو لفيسنبرج:68(ح)

-الاتحاد السوفياتي:71(ح)-146(ح)

-الأناضول: 75(ح)

-استراليا:77

-اشبيليا: 104

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-أكسفورد(جامعة):73(ح)-104(ح)-192
-آسيا:136-168-180
-الإمبراطورية النمساوية-المجرية:158-202

-الأرمن:159
-إيكوسيا: 160(ح)
-اسكتلندا:160 (ح)
-أنطاكية:179
-أستوكهولم:192 (ح)

-ب-

-باتنة:5
-البصرة:11-34-104(ح)-219
-بغداد:11-34-46-88(ح)-104(ح)128-137-147- 148(ح)-156-203-219
-بريطانيا:18-36-65(ح)-105-126-129-130-132-148-167-168-186-219
-بوسعادة:20-21
-بنغازي:21
-بادية سليمان:23
-بقيرات:26(ح)
-بيروت:12(ح)-17(ح)-34-71(ح)-72-80(ح)-81(ح)-83-105-112-113-131-132(ح)-155-156-162-170-171-172-177-178-201-204-210
-باريس: 29-32-34-38-39-64(ح)-73(ح)-75(ح)-80(ح)-110-127-151-152-161-162-167-169-171-173-178
-بطرسبورغ:34
-بتروغراد:34(ح)
-بخاري: 36(ح)
-بابل:39(ح)
-بروسيا:57(ح)
-بجاية:46-50-54-59(ح)-66-72
-برج حمزة: 49-51
-البويرة:49 (ح)
-بودابست:68 (ح)
-برلين:71(ح)-126-148(ح)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-بون:73
-بروكسل:127
-برج البراجنة:143 (ح)
-البلقان:154(ح)-200
-البوسنة والهرسك:158
-بلغاريا:200 (ح)

-ت-

-تانزانيا:14(ح)
-تلمسان:20-54(ح)
-تيماسين:21
-توات:22
-تكوك(زاوية):26
-تقرت:26 (ح)
-تونس:26(ح)-39-42-56-57-73(ح)-107-126
-تعاروست:107(ح)
-تركيا:41-42-48(ح)-73(ح)-75(ح)-81-86-125-146(ح)-154(ح)-159-194-197(ح)-200(ح)

-ث-

-الثعالبية(مدرسة):67

-ج-

-الجزائر:2 -15-19(ح)-20-22-24-26-25-27-28-32(ح)-38(ح)-42-45-48-49-51-52-53-54-55-57-58-59-66-67-72-73(ح)-79(ح)-81-82(ح)-90-104(ح)-107-108-109-110-157-163-171-191-192-195-196-197-198-199-200-220
-الجلفة:20
-الجبل الأخضر:23
-جغبوب:22-23-29
-جرجرة:49
-الجليل الفلسطيني:57
-الجقمقية(مدرسة):62
-جنيف:71(ح)-186(ح)
-الجزيرة العربية:14-17-24
-الجبل الأسود:200(ح)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ح-

-الحجاز:11(ح)-14-20-21-22-29-30-34-132-156-205

-حوران:12(ح)

-حلب:89(ح)-179-180-181-182-183

-حمص:80(ح)

-حاصبية:80(ح)-142(ح)

-حماة:150 (ح)

-الحديدة:195

-خ-

-الخرطوم:18

-د-

-دمشق:5-12(ح)-46-49-57-59-61-62-67-70-71(ح)72-73(ح)-75-76-79-80(ح)-81-82-84-85-86-87(ح)-88-105-107-108-110-112-119-124-125-126-130-131-137-141-142-143-144-155-156-168-170-177-178-179-189-190-191-193-194-195-200-201-205-206-208-209-210-219

-الدمام:12(ح)

-الدرعية:14-15

-الدانمارك:40 (ح)

-دلس:52

-ر-

-الرياض: 11(ح)

-روسيا: 18-40(ح)-129

-روما: 47-73(ح)

-ز-

-زنجبار: 14-16-180

-الزواوة:50-66-67-107-108-109-110-201-

-الزقازيق:62(ح)

-س-

-سوريا:4-8-49-50-65-66-68(ح)-71(ح)-74-75-79-80(ح)-81(ح)-82-84-85-86-87-100-104-105-108-123(ح)-126-127-129-131-132-134-139-148-152-153-154-155-156-157-158-159-160-164-176-177-179-186-187-191-193-195-200-203-204-207-208-209-219

-السعودية:11(ح)-12(ح)
-سانت هيلانة:16(ح)-145
-السودان:22-23-33-38-39-167
-سيرات :19
-السنغال:25
-سيدان(معركة):57(ح)
-سمعون:59 (ح)-66
-سيلان:62 (ح)
-سويسرا:65 (ح)-186
-سالونيك:75(ح)-154(ح)-197(ح)
-سان جرمان(شارع):151
-سراييفو:158
-سيناء(صحراء):160(ح)
-السليمانية:189
-سيفر(معاهدة):197(ح)

-ش-

-الشام: 1-2-7-15-34-39-43-45-46-48-49-50-57-58-63-66-67-69-71(ح)-76-79-82-83-84-85-86-87-89-90-105-110-120-125-127-130-135-136-150-152-156-160-165-167-169-172-177-179-182-188-189-199-219
-شيخلر مزار لغي(مقبرة):42
-الشويفات:71(ح)
-شرخان:112 (ح)
-شهر زور:112(ح)

-ص-

-صنعاء: 15(ح)-89 (ح)
-صبيا:22
-الصومال:25
-صور الغزلان:49
-صيدا:71(ح)-80(ح)
-الصين:180
-صربيا:200(ح)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ط-

-طهران:11(ح)-12(ح)

-طولون:16(ح)

-طرش:19

-طرابلس:21-28

-الطاسيلي:22

-طون:57(ح)

- طرابلس الشام:66(ح)-69-89(ح)

-الطائف:123

-طوران:146(ح)

-طنطا:169

-ظ-

-الظهرة(جبال):51 (ح)

-الظاهرية(مدرسة):61(ح)

-ع-

-العيينة:11-14

-عمان:15

-العراق:11-15-34-80(ح)-104-146-150-155-158-204-219

-عين ماضي:20

-عين صالح:22

-عنابة:26 (ح)

-عين التركي:27

-عابدين(حي):68-85-214-219

-العادلية(تربة):87

-غ-*

-غدا مس:22-26(ح)

-غرونوبل:27(ح)

-غار الفراشيش:51-56

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ف-

-فرنسا:16(ح)-18-25-27-28-32-39(ح)-40(ح)-48-49-51-52-53-55-56-57(ح)-67-77-108-110-126-127-129-130-152-155-157-159-167-171-172-186-192-197-198-204-220

-فارس:19(ح)-20-33

-فينا:34-68(ح)

-فلسطين:38(ح)-66-68(ح)-71(ح)-84-86-123(ح)-141-148(ح)-154-158-161-195-197-198-203

-ق-

-قسنطينة:5-53(ح)-54-56-198

-قم:12

-قابس:21

-القاهرة:21-25(ح)-31(ح)-32(ح)-36(ح)-39-62(ح)-65(ح)-66(ح)-68-70-75-85-86-89(ح)-96-108-110-111-112-113-119-137-146(ح)-148(ح)-149-150-153-173-195-197-199-205-206-208

-القيروان:27

-القدس:46-85-86-88-89-119-156-177

-القبايل:51-110

-قاسيون(جبل):76

-القلمون:89 (ح)

-ك-

-الكفرة:23-80(ح)

-كور سيكا:26(ح)

-كابل:30

-الكاظمية:128

-ل-

-ليبيا:22-23-24-29

-لبنان:32(ح)-36(ح)-66-71(ح)-84-86-123-130-131-155-169-203-204

-لندن:32-34-48(ح)-104(ح)-127-192(ح)

-ليموج:51 (ح)

-اللاذقية:57-66(ح)

-ليتسك:68 (ح)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-ليدن: 68(ح)

-م-

-مصر:2-12(ح)-15-16-21-24-28-30-31-32-33-39-40-42-46-62-64-66-67-68-69-70-71(ح)-73-75-76-79(ح)-80(ح)-87 ـــ 90-104(ح)-116-119-120-122-123(ح)-126-132(ح)-152-153-156-157-161-162-165-166-167-168-169-170-171-172-175-177-178-180-182-183-184-186-188-189-190-191-194-201-207-210-219

-المدينة المنورة:11-46-47-53

-مكة المكرمة:15-21-22-27-46-47-53-75-89-137-156-183-195

-مستغانم:19-26

-مازونة: 19-20

-معسكر: 19-20

-المغرب الأقصى:20-26(ح)-56-57-73(ح)

-مسعد:20

-مالي :22

-ميونيخ:34

-المشرق العربي:3-12-27-43-44-45-46-48-49-50-51-56-57-58-59-67-68(ح)-75(ح)-81-107-157-191-192-197

-مدين: 47

-مالطا(جزيرة):48 -95 (ح)

-ميريبوا:53 (ح)

-المجر: 68(ح)

-مقبل(قرية):89 (ح)

-الموصل:147-189-203

-محلة نصر: 169

-مديرية الغربية:169

-المدية : 192(ح)-220

-مانشستر(مجلة):196

-ن-

-نجد: 11-14(ح)-15-34

-النمسا:40 (ح)-129

-نشان طاش(قصر):42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-نابولي:129

* -هـ- *

-همذان :11

-الهند: 14-16-30-31-32-33-34-42-64(ح)-167-168-180

-الهقار: 27

-هولندا:53(ح)

-و-

-الواسطة:19

-وليلي:19 (ح)

-ورقلة:21(ح)-26(ح)

-وهران:27(ح)-54

-الولايات المتحدة الأمريكية:30(ح)-39(ح)

-واترلو(معركة):16(ح)-48(ح)

-وادي سبدو:49

-وغليس:49(ح)-59(ح)-66

-الونشريس:51(ح)

-ي-

-يلل: 19

-يناروجبل):19

-اليمن:15-22-34-89(ح)-110-117-195-200-204

-اليونان: 95-200(ح)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهرس العام

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــــــرس العـــــام

المحتوى | الصفحة

الإهداء ..... أ
الشكر ..... ب
المختصرات ..... ت
المقدمة 01

الفصل التمهيدي: الحـركات الإصلاحيـة في العـالم الإسلامـي

تمهيد 10
1.- حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب 11
1.1- مولده، نشأته ونبوغه 11
2.1- نشاطه الدعوى والإصلاحي 13
3.1- نتائجها وآثارها 15
2.- حركة الشيخ محمد بن علي السنوسي 18
1.2 مولده، ونشأته العلمية 19
2.2 رحلاته واتصالاته 20
3.2- بداية نشاطه الإصلاحي 22
4.2 – السنوسية بين التأثر و التأثير 23
5.2- دورها الإصلاحي 24
3.- حركة السيد جمال الدين الأفغاني 30
1.3-مولده، نشأته ونبوغه 30
2.3- فكره ونشاطه الإصلاحي 34
3.3 -الأفغاني و الإنجليز 38
4.3- الأفغاني و الجمعيات السرية 39
5.3- الأفغاني وفكرة الجامعة الإسلامية 40

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1.-الجزائريون في المشرق العربي قبيل وخلال القرن التاسع عشر 45
1.1 - تعريف الهجرة 47
1.1.1-لغويا 47
2.1.1- شرعا 47
2.1- أسباب الهجرة 50
1.2.1- الأسباب الداخلية 51
2.2.1- الأسباب الخارجية 56
3.1- اتجاهات الهجرة 57
2- الشيخ طاهر الجزائري 59
1.2-مولده ونسبه 59
2.2- نشأته ونبوغه 60
3.2- شيوخه 61
4.2-صفاته 63
5.2- رحلاته واتصالاته 65
6.2- صداقاته 70
1.6.2-صداقته مع العلماء العرب و المسلمين 70
2.6.2- صداقته مع المستشرقين 72
7.2- وفاته 74

الفصل الثاني : دوره التـــربـــوي والعلمـــي

1.- نشاطه التعليمي و الثقافي 79
1.1-حلقة دمشق الكبيرة..... 79
2.1-دوره في تأسيس المدارس ونشر التعليم 82
3.1- دوره في تأسيس المكتبات وجمع المخطوطات 86
2- منهجه في التربية و التعليم..... 90
3.- فكره وفلسفته..... 94

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4.– ملامح من شعره ونثره 99
1.4–شعره 99
2.4–نثره 103
5.–دوره في مشروع كتاب "تاريخ زواوة" 107
6.– منهجه في التأليف: دراسة كتاب "توجيه النظر إلى أصول الأثر "..... 110
7.– مكتبته ومؤلفاته 119
1.7– مكتبته 119
2.7– مؤلفاته 120

الفصل الثالث : دوره القومي و السياسي

1.– بدايات الشيخ طاهر الجزائري السياسية 125
2.– لقاؤه بمدحت باشا 127
3.– نشاطاته السياسية 134
4.– أثره في تكوين الجمعيات القومية و السياسية 139
1.4–حلقة دمشق الصغيرة 141
2.4– جمعية النهضة العربية 142
3.4– الجمعية القحطانية 145
4.4– جمعية العهد 147
5.4– جمعية الجامعة العربية 149
6.4– جمعية الشورى العثمانية 149
7.4– حزب اللامركزية الإدارية العثمانية 149
8.4– المؤتمر العربي الأول 1913 151
9.4– طلبة الشيخ طاهر الجزائري شهداء القضية العربية 153
5.– مواقفه السياسية 157
6.– انضمامه إلى الماسونية 160

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1.-علاقة فكره بمعاصريه (دراسة مقارنة) 165
1.1-مع السيد جمال الدين الأفغاني 165
2.1- مع الشيخ محمد عبده 169
3.1- مع الشيخ عبد الرحمن الكواكبي 179
2.- أثره الإصلاحي والقومي في تلامذته 188
1.2-محمد كرد علي 188
1.1.2- مولده، نشأته وتكوينه 189
2.1.2- إسهاماته في النهضة العربية الحديثة. 189
3.1.2- محمد كرد علي وحركة الإصلاح في الجزائر 191
2.2.- محب الدين الخطيب 193
1.2.2-مولده، نشأته وتكوينه 193
2.2.2- إسهاماته في النهضة العربية الإسلامية 194
3.2.2- محب الدين الخطيب والجزائر 196
3.2-سليم الجزائري 200
1.3.2- مولده ونشأته وتكوينه 200
2.3.2- إسهاماته في الحركة القومية العربية 201
3.3.2- استشهاده 204
3.-الشيخ طاهر الجزائري في أقوال معاصريه والمعاصرين من الكتاب. 206
1.3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال معاصريه 206
2.3- الشيخ طاهر الجزائري في أقوال المعاصرين من الكتاب 208
الخاتمـــة 210
الملاحق: 212
* صورة الشيخ طاهر الجزائري 212
* ثبت بمخطوطات الشيخ طاهر الجزائري 213
*الرسائل 218
* رسالة الشيخ طاهر إلى المستشرقة مس بيل 219

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

* رسائل محمد بن أبي شنب إلى محمد كرد علي..... 220
قائمة المصادر والمراجع..... 221
فهرس الأعلام..... 232
فهرس الأماكن والمدن..... 245
الفهرس العام..... 254
ملخص بالإنجليزية..... 259

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

SUMMARY

The Arab rennaissance that started appearing in the horizon of the 19 th century and the beginning of the 20 th century is considered among the principal in the modern Arab history as it has a lot of future effects, and among those who emerged: El Chikh Mohamed Ibn Abdelwahab and El Chikh Mohamed Ben Ali Elssenoussi and M[r] Djamel Eddine El Afghani.

Among those who followed this way, there was El Chikh Tahar El Djazairi whome we are studying today to identify his personality and his role in this movement since he is one of its fondator.

Despite all what was written about the modern Arab renaissance, we still notice that an important part from it did not receive importance in research. Which is the significant role of Tahar El Djazairi on whome we have only mentioned superficial writings that lack scientific precision.

Our research is based on the person of Tahar El Djazairi his mending role in the Arab orient especially (sham) where he was born and made reformat work.

The Aims of the research:

There are a lot of aims that helped me choosing this research:

- my personal interest for the historical personalities, and El Chikh Tahar Eldjazairi presents a circle in the chain of Arab rebels as El Amir Abdelkader, Ahmed Orabi, Mohamed Abdou.
- Nearly all the Algerian reseachers did not mention the topics in relation with the modern orient history despite the fact that the Islamic countries represent one world.
- Also this research will lead us to know the heritage El Chikh Tahar. Who played an important role in the events of his century, socially, culturally and politically and all what was written about him was really insufficient.

Problematic of the research:

Problematic of our research is based on the contribution of El Chikh Tahar in the modern Arab rennaissance and the reform movement and what is his position among reformers who worked to change the conditions of their nations.

- Our study today about him is a certitude to his role since he surpassed some reformers but didnt get what he really deserves.

I have devided the research into four principal chapters and an introductory chapter.

In the Intoductory chapter I took three great reformers as example because of their big role in the rennaissance of the Islamic Arab nation and I mean: El Chikh Ben Abdelwahab (1703-1791), El Chikh Mohamed Ben Ali Seoussi (1787-1859) and Mr. Djamel eddine El Afghani (1839-1897) and the aim from this is to mention the reform situation that precede the appearence of CHikh Tahar.

In the first chapter I took the Algerian emigration to the Arab orient and then the life of El Chikh Tahar with more details.

And in the second chapter, I treated his educational, and cultural. role as spreading knowledge, building schools and writing books.

In the third chapter I talked about his political role through his participations in the associations and political parties, in addition to his position in from me European colonialism.

In the fourth chapter and the last I tried to compare the thought of El Chikh Tahar with other reformers like Mr. Ojamel eddine El Afghani (1839-1897) and Mohamed Abdou(1849-1905) and Abderahman El Kawakibi (1854-1901) and also studied the effect of Tahar in his students.

At the end of my research, I have known that Tahar's personality with a various sides needs more study in all the fields of knowledge. Since he is at the level. Of the great reformers thanks to his educational, cultural, and politial activities. And there are other sides in his life that needs an extra study.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE
Ministere de l'enseignement supérieur et de la recherche Scientifique

University of El Amir Abdelkader For Islamic Sciences – Constantine

faculty Of Letters And Human Sciences Part : History

Body Of the Search

Tahar El Djazairi And His Conventional Role In The Arab Orient (El sham) 1852-1920

Research presented for the obtention of the Diploma of Magister in modern history

Presented by the student:
A. LAAMAYAD

Directed by D[r] :
A. SOUFI

2000-2001

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية